الروض الأنف

في تفسير السيرة النبوية لابن هشام

للفقيه المحدث أبي القاسم عبد الرحمن بن عبد الله
ابن أحمد بن أبي الحسن الخثعمي
السهيلي

٥٠٨ - ٥٨١ هـ
١١١٤ - ١١٨٥ م

ومعــه

السيرة النبوية

للامام أبي محمد عبد الملك بن هشام المعافري
المتوفى سنة ٢١٣ هـ

قدم له وعلق عليه وضبطه
طه عبد الرؤوف سعد

الجزء الرابع

يطلب من
مطبوعات
مكتبة ومطبعة
عباس عبد السلام شقرون
٢ شارع بيبرس بالحمزاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

طبعة جديدة

مضبوطة ـ منقحة

روجعت على عدد من الطبعات القديمة

وعلى نسخة قدوة الأمراء وحجة

العلماء مولانا : عبد الحفيظ

سلطان المغرب الأقصى سابقا

مؤسسة نبع الفكر العربي للطباعة

٧ ـ مم درويشان

أول شارع الجيش

غزوة ذى قرد

ثم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فلم يقم بها إلا ليالى قلائل، حتى أغار عيينة بن حصن بن حذيفة ابن بدر الفزارى، فى خيل من غطفان على لقاح لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالغابة، وفيها رجل من بنى غفار وامرأة له، فقتلوا الرجل، واحتملوا المرأة فى اللقاح.

قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر، ومن لا أتهم، عن عبد الله بن كعب ابن مالك، كل قد حدث فى غزوة ذى قرد بعض الحديث: أنه كان أول من نذر بهم سلمة بن عمرو بن الأكوع الأسلمى، غدا يريد الغابة متوشحاً قوسه ونبله، ومعه غلام لطلحة بن عبيد الله معه فرس له يقوده، حتى إذا علا ثنية الوداع نظر إلى بعض خيولهم، فأشرف فى ناحية سلع، ثم صرخ: واصباحاه، ثم خرج يشتد فى آثار القوم، وكان مثل السبع حتى لحق بالقوم، فجعل يردهم بالنبل، ويقول إذا رمى: خذها وأنا ابن الأكوع، اليوم يوم الرضع، فإذا وجهت الخيل نحوه انطلق هارباً، ثم عارضهم، فإذا أمكنه الرمى رمى، ثم قال: خذها وأنا ابن الأكوع اليوم يوم الرضع، قال. فيقول قائلهم: أويكعنا هو أول النهار.

تسابق الفرسان: وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم صياح ابن الأكوع، فصرخ بالمدينة: الفزع الفزع، فترامت الخيول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وكان أول من انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفرسان: المقداد بن عمرو، وهو الذى يقال له: المقداد بن الأسود، حليف بنى زهرة، ثم كان أول فارس وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد المقداد من الأنصار، عباد بن بشر بن وقش بن زغبة بن زعوراء، أحد بنى الأشهل، وسعد بن زيد، أحد بنى كعب بن عبد الأشهل، وأسيد بن ظهير، أخو بنى حارثة بن الحارث، يشك فيه، وعكاشة بن محصن، أخو بنى أسد بن خزيمة، ومحرز بن نضلة، أخو بنى أسد بن خزيمة، وأبو قتادة الحارث بن ربعى، أخو بنى سلمة، وأبو عياش، وهو عبيد بن زيد بن الصامت: أخو بنى زريق، فلما اجتمعوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر عليهم سعد بن زيد فيما بلغنى، ثم قال: اخرج فى طلب القوم، حتى ألحقك فى الناس.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، فيما بلغنى عن رجال من بنى زريق، لأبى عياش: يا أبا عياش، لو أعطيت هذا الفرس رجلا، هو أفرس منك فلحق بالقوم؟ قال أبو عياش: فقلت: يا رسول الله، أنا أفرس الناس، ثم ضربت الفرس، فوالله ما جرى بى خمسين ذراعاً حتى طرحنى، فعجبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لو أعطيته أفرس منك، وأنا أقول: أنا أفرس الناس، فزعم رجال من بنى زريق أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى فرس أبى عياش معاذ بن ماعص، أو عائذ بن ماعص بن قيس بن خلدة، وكان ثامناً، وبعض الناس يعد سلمة بن عمرو بن الأكوع أحد الثمانية، ويطرح أسيد بن ظهير، أخا بنى حارثة، والله أعلم أى ذلك كان، ولم يكن سلمة يومئذ، فارساً، وقد كان أول من لحق بالقوم على رجليه. فخرج الفرسان فى طلب القوم حتى تلاحقوا:

محرز بن نضلة ومقتله: قال ابن إسحاق: فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة: أن أول فارس لحق بالقوم محرز بن نضلة، أخو بنى أسد بن خزيمة — وكان يقال لمحرز: الأخرم، ويقال له قمير — وأن الفزع لما كان، جال فرس لمحمود

ابني مسلمة فى الحائط ، حين سمع صاهلة الخيل ، وكان فرساً صنيعاً جاما ، فقال نساء من نساء بنى عبد الأشهل ، حين رأين الفرس يجول فى الحائط بجذع نخل هو مربوط فيه : يا قمير ، هل لك فى أن تركب هذا الفرس ؟ فإنه كما ترى ، ثم تلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمسلمين ؟ قال : نعم ، فأعطينه إياه ، فخرج عليه ، فلم يلبث أن بذ الخيل بجمامة ، حتى أدرك القوم ، فوقف لهم بين أيديهم ، ثم قال : قفوا يا معشر بنى اللكيعة حتى يلحق بكم من وراءكم من أدباركم من المهاجرين والأنصار ، قال : وحمل عليه رجل منهم فقتله ، وجال الفرس ، فلم يقدر عليه حتى وقف على آريه من بنى عبد الأشهل ، فلم يقتل من المسلمين غيره .

قال ابن هشام : وقتل يومئذ من المسلمين مع محرز ، وقاص بن مجزز المدلجى ، فيما ذكر غير واحد من أهل العلم .

أفراس المسلمين : قال ابن إسحاق : وكان اسم فرس محمود : ذا اللمة .

قال ابن هشام : وكان اسم فرس سعد بن زيد : لاحق ، واسم فرد المقداد بعزجة ، ويقال : سبحة ، واسم فرس عكاشة بن محصن : ذو اللمة ، واسم فرس أبى قتادة : حزوة ، وفرس عباد بن بشر : لماع ، وفرس أسيد ابن ظهير : مسنون ، وفرس أبى عياش : جلوة .

قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض من لا أتهم عن عبد الله بن كعب بن مالك : أن مجززاً إنما كان على فرس لعكاشة بن محصن ، يقال له : الجناح ، فقتل مجزز واستلبت الجناح .

قتلى المشركين : ولما تلاحقت الخيل قتل أبو قتادة الحارث بن ربعى ، أخو بنى سلمة ، حبيب بن عيينة بن حصن ، وغشاه برده ، ثم لحق بالناس .

وأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسلمين

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم .

قال ابن إسحاق : فإذا حبيب مسجى ببرد أبى قتادة ، فاسترجع الناس وقالوا : قتل أبو قتادة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ليس بأبى قتادة ، ولكنه قتيل لأبى قتادة ، وضع عليه برده ، لتعرفوا أنه صاحبه .

وأدرك عكاشة بن محصن أوباراً وابنه عمرو بن أوبار ، وهما على بعير واحد ، فانتظمهما بالرمح ، فقتلهما جميعاً ، واستنقذوا بعض اللقاح ، وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بالجبل من ذى قرد ، وتلاحق به الناس ، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم به ، وأقام عليه يوما وليلة ، وقال له سلمة بن الأكوع : يا رسول الله ، لو سرحتنى فى مائة رجل لاستنقذت بقية السرح ، وأخذت بأعناق القوم ؟ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : إنهم الآن ليغبقون فى غطفان .

تقسيم الفىء بين المسلمين : فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه فى كل مائة رجل جزوراً ، وأقاموا عليها ، ثم رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا حتى قدم المدينة .

لا نذر فى معصية : وأقبلت امرأة الغفارى على ناقة من إبل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى قدمت عليه فأخبرته الخبر ، فلما فرغت ، قالت : يا رسول الله ، إنى قد نذرت لله أن أنحرها إن نجانى الله عليها ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : بئس ما جزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ثم تنحرينها ! إنه لا نذر فى معصية الله ولا فيما لا تملكين ، إنما هى ناقة من إبلى ، فارجعى إلى أهلك على بركة الله .

والحديث عن امرأة الغفارى وما قالت ، وما قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أبى الزبير المكى ، عن الحسن بن أبى الحسن البصرى .

ما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد : وكان مما قيل من الشعر فى يوم ذى قرد قول حسان بن ثابت :

لولا الذى لاقت ومس نسورها	بجنوب ساية أمس فى التقواد
للقينكم يحملن كل مدجج	حامى الحقيقة ماجد الأجداد
ولسر أولاد اللقيطة أننا	سلم غداة فوارس المقداد
كنا ثمانية وكانوا جحفلا	لجباً فشكوا بالرماح بداد
كنا من القوم الذين يلونهم	ويقدمون عنان كل جواد
كلا ورب الراقصات إلى منى	يقطعن عرض مخارم الأطواد
حتى نبيل الخيل فى عرصاتكم	ونؤوب بالملكات والأولاد
رهواً بكل مقلص وطمرة	فى كل معترك عطفن روادى
أفنى دوابرها ولاح متونها	يوم تقاد به ويوم طراد
فكذاك إن جيادنا ملبونة	والحرب مشعلة بريح غواد
وسيوفنا بيض الحدائد تجتلى	جنن الحديد وهامة المرتاد
أخذ الإله عليهم لحرامه	ولعزة الرحمن بالأسداد
كانوا بدار ناعمين فبدلوا	أيام ذى قرد وجوه عباد

قال ابن هشام : فلما قالها حسان غضب عليه سعد بن زيد ، وحلف أن لا يكلمه أبداً ، قال : انطلق إلى خيلى وفوارسى فجعلها للمقداد ! فاعتذر إليه حسان وقال : والله ما ذاك أردت ، ولكن الروى وافق اسم المقداد ، وقال أبياتا يرضى بها سعداً :

إذا أردتم الأشد الجلدا	أو ذا غناء فعليكم سعدا

سعد بن زيد لا يهد هدا

فلم يقبل منه سعد ولم يغن شيئا .

وقال حسان بن ثابت فى يوم ذى قرد :

أظن عيينة إذ زارها	بأن سوف يهدم فيها قصوراً
فأكذبت ما كنت صدقته	وقلتم سنغنم أمراً كبيراً
فعفت المدينة إذ زرتها	وآنست للأسد فيها زئيراً
فولوا سراعا كشد النعام	ولم يكشفوا عن ملط حصيراً
أمير علينا رسول المليك	أحبب بذاك إلينا أميراً
رسول نصدق ما جاءه	ويتلو كتابا مضيئا منيراً

وقال كعب بن مالك فى يوم ذى قرد للفوارس :

أتحسب أولاد اللقيطة أننا	على الخيل لسنا مثلهم فى الفوارس

وإنا أناس لا نرى القتل سبة ... ولا ننثني عند الرماح المداعس
وإنا لنقرى الضيف من قمع الذرا ... ونضرب رأس الابلخ المتشاوس
نرد كماة المعلمين إذا انتحوا ... بضرب يسلى نخوة المتقاعس
بكل فتى حامى الحقيقة ماجد ... كريم كسرحان الغضاة مخالس
يذودون عن أحسابهم وتلادهم ... ببيض تقد الهام تحت القوانس
فسائل بنى بدر إذا ما لقيتهم ... بما فعل الإخوان يوم التمارس
إذا ما خرجتم فاصدقوا من لقيتم ... ولا تكتموا أخباركم فى المجالس
وقولوا زللنا عن مخالب خادر ... به وحر فى الصدر ما لم يمارس

قال ابن هشام : أنشدنى بيته : « وإنا لنقرى الضيف » أبو زيد .

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى ، فى يوم ذى قرد : لعيينة بن حصن ، وكان عيينة بن حصن يكنى بأبى مالك :

فهلا كررت أبا مالك ... وخيلك مدبرة تقتل
ذكرت الإياب إلى عسجر ... وهيهات قد بعد المقفل
وطمنت نفسك ذا ميعة ... مسح الفضاء إذا يرسل
إذا قبضته إليك الشما ... ل جاش كما اضطرم المرجل
فلما عرفتم عباد الإلـ ... ـه لم ينظر الآخر الأول
عرفتم فوارس قد عودوا ... طراد الكماة إذا أسهلوا
إذا طردوا الخيل تشقى بهم ... فضاحاً وإن يطردوا ينزلوا
فيعتصموا فى سواء المقا ... م بالبيض أخلصها الصيقل

غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة بعض جمادى الآخرة ورجباً ثم غزا بنى المصطلق من خزاعة ، فى شعبان سنة ست .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة أبا ذر الغفارى ، ويقال : نميلة بن عبد الله الليثى .

سببها : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة وعبد الله بن أبى بكر ، ومحمد بن يحيى بن حبان ، كل قد حدثنى بعض حديث بنى المصطلق ، قالوا : بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن بنى المصطلق يجمعون له ، وقائدهم الحارث بن أبى ضرار أبو جويرية بنت الحارث ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بهم خرج إليهم ، حتى لقيهم على ماء لهم يقال له : المريسيع ، من ناحية قديد إلى الساحل ، فتزاحف الناس واقتتلوا ، فهزم الله بنى المصطلق ، وقتل من قتل منهم ، ونفل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، فأفاءهم عليه .

استشهاد ابن صبابة خطأ : وقد أصيب رجل من المسلمين من بنى كلب بن عوف بن عامر بن ليث بن بكر ، يقال

له : هشام بن صبابة ، أصابه رجل من الأنصار من رهط عبادة بن الصامت ، وهو يرى أنه من العدو فقتله خطأ .

الفتنة بين المهاجرين والأنصار : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك الماء ، وردت واردة الناس ومع عمر بن الخطاب أجير له من بنى غفار ، يقال له . جهجاه بن مسعود يقود فرسه ، فازدحم جهجاه وسنان بن وبر الجهنى ، حليف بنى عوف بن الخزرج على الماء ، فاقتتلا ، فصرخ الجهنى : يامعشر الأنصار ، وصرخ جهجاه : يامعشر المهاجرين ، فغضب عبد الله بن أبى بن سلول ، وعنده رهط من قومه فيهم : زيد بن أرقم ، غلام حدث ، فقال : أوقد فعلوها ، قد نافرونا وكاثرونا ، والله ما أعدنا وجلابيب قريش إلا كما قال الأول : سمن كلبك يأكلك ، أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل . ثم أقبل على من حضره من قومه ، فقال لهم : هذا مافعلتم بأنفسكم ، أحللتموهم بلادكم ، وقاسمتوهم أموالكم ، أما والله لو أمسكتم عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير داركم فسمع ذلك زيد بن أرقم ، فمشى به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك عند فراغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عدوه ، فأخبره الخبر ، وعنده عمر بن الخطاب ، فقال : مر به عباد بن بشر فليقتله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : فكيف ياعمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه ! لا و لكن أذن بالرحيل ، وذلك فى ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها ، فارتحل الناس .

نفاق ابن أبى : وقد مشى عبد الله بن أبى بن سلول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين بلغه أن زيد بن أرقم قد بلغه ماسمع منه ، فحلف بالله : ما قلت ما قال ، ولا تكلمت به . ـ وكان فى قومه شريفاً عظيما ـ فقال من حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأنصار من أصحابه : يا رسول الله ، عسى أن يكون الغلام قد أوهم فى حديثه ولم يحفظ ما قال الرجل ، حدباً على ابن أبى بن سلول ، ودفعاً عنه .

قال ابن إسحاق : فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار ، لقيه أسيد بن حضير فحياه بتحية النبوة وسلم عليه ، ثم قال : يانبى الله ، والله لقد رحت فى ساعة منكرة ، ماكنت تروح فى مثلها ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو ما بلغك ما قال صاحبكم ؟ قال : وأى صاحب يا رسول الله ؟ قال : عبد الله بن أبى ، قال وما قال ؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، قال : فأنت يارسول الله والله تخرجه منها إن شئت ، هو والله الذليل وأنت العزيز ، ثم قال : يا رسول الله ، ارفق به فوالله لقد جاءنا الله بك ، وإن قومه لينظمون له الخرز ليتوجوه : فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكا .

ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم ذلك حتى أمسى ، وليلتهم حتى أصبح ، وصدر يومهم ذلك حتى آذتهم الشمس . ثم نزل بالناس ، فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض فوقعوا نياماً ، وإنما فعل ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليشغل الناس عن الحديث الذى كان بالأمس ، من حديث عبدالله بن أبى .

ثم راح رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، وسلك الحجاز حتى نزل على ماء بالحجاز فويق النقيع ، يقال له : بقعاء ، فلما راح رسول الله صلى الله عليه وسلم هبت على الناس ريح شديدة آذتهم وتخوفوها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتخافوها ، فإنما هبت لموت عظيم من عظماء الكفار . فلما قدموا المدينة وجدوا رفاعة ابن زيد بن التابوت ، أحد بنى قينقاع ، وكان عظيما من عظماء يهود ، وكهفاً للمنافقين ، مات فى ذلك اليوم .

مانزل فى ابن أبى : ونزلت السورة التى ذكر الله فيها المنافقين فى ابن أبى ومن كان على مثل أمره ، فلما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بأذن زيد بن أرقم ، ثم قال : هذا الذى أوفى الله بأذنه . وبلغ عبدالله بن عبدالله ابن أبى الذى كان من أمر أبيه .

موقف عبد الله من أبيه : قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عبد الله أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا رسول الله ، إنه بلغنى أنك تريد قتل عبدالله بن أبى فيما بلغك عنه ، فان كنت لابد فاعلا فمرنى به ، فأنا أحمل إليك رأسه ، فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها من رجل أبر بوالده منى ، وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله . فلا تدعنى نفسى أنظر إلى قاتل عبد الله بن أبى يمشى فى الناس ، فأقتله فأقتل مؤمناً بكافر ، فأدخل النار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بل نترفق به ، ونحسن صحبته ما بقى معنا .

وجعل بعد ذلك إذا أحدث الحدث كان قومه هم الذين يعاتبونه ويأخذونه ويعنفونه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ، حين بلغه ذلك من شأنهم : كيف ترى ياعمر ، أما والله لو قتلته يوم قلت لى أقتله ، لارعدت له آنف ، لو أمرتها اليوم بقتله لقتلته ، قال : قال عمر : قدوالله علمت لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم بركة من أمرى .

قدوم مقيس مسلما من مكة : قال ابن إسحاق : وقدم مقيس بن صبابة من مكة مسلماً ، فيما يظهر ، فقال : يا رسول الله ، جئتك مسلماً ، وجئتك أطلب دية أخى ، قتل خطأ ، فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية أخيه هشام بن صبابة ، فأقام عند رسول الله صلى الله عليه وسلم غير كثير ، ثم عدا على قاتل أخيه فقتله ، ثم خرج إلى مكة مرتداً ، فقال فى شعر يقوله :

شفى النفس أن قد مات بالقاع مسنداً ... تضرج ثوبيه دماء الأخادع
وكانت هموم النفس من قبل قتله ... تلم فتحمينى وطاء المضاجع
حللت به وترى وأدركت ثؤرتى ... وكنت إلى الأوثان أول راجع
ثأرت به فهرا وحملت عقله ... سراة بنى النجار أرباب فارع

وقال مقيس بن صبابة أيضاً :

جللته ضربة باءت لها وشل ... من ناقع الجوف يعلوه وينصرم
فقلت والموت تغشاه أسرته ... لا تأمنن بنى بكر إذا ظلموا

قال ابن هشام : وكان شعار المسلمين يوم بنى المصطلق : يا منصور ، أمت أمت .

قتلى بنى المصطلق . قال ابن إسحاق : وأصيب من بنى المصطلق يومئذ ناس ، وقتل على بن أبى طالب منهم رجلين مالكاً وابنه ، وقتل عبد الرحمن بن عوف رجلا من فرسانهم ، يقال له : أحمر ، أو أحيمر .

جويرية بنت الحارث رضى الله عنها : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أصاب منهم سبياً كثيراً ، فشا قسمه فى المسلمين ، وكان فيمن أصيب يومئذ من السبايا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، عن عائشة ، قالت : لما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا بنى المصطلق ، وقعت جويرية بنت الحارث فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسها ، وكانت امرأة حلوة ملاحة ، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه فى كتابتها قالت عائشة : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها ، وعرفت أنه سيرى منها صلى الله عليه وسلم ما رأيت ، فدخلت عليه فقالت : يا رسول الله ، أنا جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، سيد

قومه ، وقد أصابنى من البلاء ، مالم يخف عليك ، فوقعت فى السهم لثابت بن قيس بن الشماس ، أو لابن عم له ، فكاتبته على نفسى فجئتك أستعينك على كتابتى ، قال : فهل لك فى خير من ذلك ؟ قالت : وما هو يا رسول الله ؟ قال : أقضى عنك كتابتك وأتزوجك . قالت: نعم يا رسول الله ، قال : قد فعلت .

قالت : وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد تزوج جويرية ابنة الحارث بن أبى ضرار؛ فقال الناس : أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأرسلوا ما بأيديهم ، قالت : فلقد أعتق بتزويجه إياها مائة أهل بيت من بنى المصطلق ، فما أعلم امرأة كانت أعظم على قومها بركة منها .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بنى المصطلق ومعه جويرية بنت الحارث ، وكان بذات الجيش ، دفع جويرية رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبى ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التى جاء بها للفداء ، فرغب فى بعيرين منها ، فغيبهما فى شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى إلى النبى صلى الله عليه وقال : يا محمد أصبتم ابنتى ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبتهما بالعقيق ، فى شعب كذا وكذا ؟ ؛ فقال الحارث : أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك محمد رسول الله ، فوالله ، ما اطلع على ذلك إلا الله ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له ، وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما ، فدفع الإبل إلى النبى صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت ، وحسن إسلامها ، فخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقها أربعمائة درهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن رومان : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد إسلامهم الوليد بن عقبة بن أبى معيط ، فلما سمعوا به ركبوا إليه ، فلما سمع بهم هابهم ، فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره أن القوم قد هموا بقتله ، ومنعوه ما قبلهم من صدقتهم ؛ فأكثر المسلمون فى ذكر غزوهم ، حتى هم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغزوهم ، فبينا هم على ذلك قدم وفدهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقالوا : يا رسول الله سمعنا برسولك حين بعثته إلينا ، فخرجنا إليه لنكرمه ، ونؤدى إليه ما قبلنا من الصدقة ، فانشمر راجعاً ، فبلغنا أنه زعم لرسول الله صلى الله عليه وسلم أنا خرجنا إليه لنقتله ، ووالله ماجئنا لذلك ، فأنزل الله تعالى فيه وفيهم : « يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة ، فتصبحوا على ما فعلتم نادمين . واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم » . إلى آخر الآيات .

وقد أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، كما حدثنى من لا أتهم عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة رضى الله عنها ، حتى إذا كان قريباً من المدينة ، وكانت معه عائشة فى سفره ذلك ، قال فيها أهل الإفك ما قالوا .

خبر الإفك فى غزوة بنى المصطلق

قال ابن إسحاق : حدثنا الزهرى ، عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

. . . .

قال محمد بن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عن عائشة ، وعبد الله بن أبى بكر ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، عن نفسها ، حين قال فيها أهل الإفك ما قالوا ، فكل قد دخل فى حديثها عن هؤلاء جميعاً يحدث بعضهم ما لم يحدث صاحبه ؛ وكل كان عنها ثقة ، فكلهم حدث عنها ما سمع ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفراً أقرع بين نسائه ، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزوة بنى المصطلق أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن معه ، فخرج بى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق لم يهجهن اللحم فيثقلن وكنت إذا رحل لى بعيرى جلست فى هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون لى ويحملوننى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، فيرفعونه ، فيضعونه على ظهر البعير ، فيشدونه بحباله ، ثم يأخذون برأس البعير ، فينطلقون به ، قالت : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريباً من المدينة نزل منزلا ، فبات به بعض الليل ، ثم أذن فى الناس بالرحيل ، فارتحل الناس ، وخرجت لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقد لى ، فيه جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى ولا أدرى ، فلما رجعت إلى الرحل ذهبت ألتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ، فرجعت إلى مكانى الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ، وجاء القوم خلافى ، الذين كانوا يرحلون لى البعير ، وقد فرغوا من راحلته ، فأخذوا الهودج ، وهم يظنون أنى فيه ، كما كنت أصنع ، فاحتملوه ، فشدوه على البعير ، ولم يشكوا أنى فيه ، ثم أخذوا برأس البعير ، فانطلقوا به ، فرجعت إلى العسكر وما فيه من داع ولا مجيب ، قد انطلق الناس .

قالت : فتلففت بجلبابى ، ثم اضطجعت فى مكانى ، وعرفت أن لو قد افتقدت لرجع إلى ، قالت : فوالله إنى لمضطجعة إذ مر بى صفوان بن المعطل السلمى ، وقد كان تخلف عن العسكر لبعض حاجته ، فلم يبت مع الناس فرأى سوادى ، فأقبل حتى وقف على ، وقد كان يرانى قبل أن يضرب علينا الحجاب ، فلما رآنى قال : إنا لله وإنا إليه راجعون ، ظعينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ! وأنا متلففة فى ثيابى ، قال : ماخلفك يرحمك الله ؟ قالت فما كلمته ، ثم قرب البعير ؛ فقال : اركبى ، واستأخر عنى ، قالت : فركبت ، وأخذ برأس البعير ، فانطلق سريعاً ، يطلب الناس ، فوالله ما أدركنا الناس ، وما افتقدت حتى أصبحت ، ونزل الناس ، فلما اطمأنوا طلع الرجل يقود بى ، فقال أهل الإفك ما قالوا . فارتجع العسكر ، ووالله ما أعلم بشىء من ذلك .

ثم قدمنا المدينة ، فلم ألبث أن اشتكيت شكوى شديدة ، ولا يبلغنى من ذلك شىء ، وقد انتهى الحديث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإلى أبوى لا يذكرون لى منه قليلا ولا كثيراً ، إلا أنى قد أنكرت من رسول الله صلى الله عليه وسلم بعض لطفه بى ، كنت إذا اشتكيت رحمنى ، ولطف بى ، فلم يفعل ذلك بى فى شكواى تلك . فأنكرت ذلك منه ، كان إذا دخل على وعندى أمى تمرضنى — قال ابن هشام : وهى أم رومان ، واسمها زينب بنت عبد دهمان ، أحد بنى فراس بن غنم بن مالك بن كنانة — قال : كيف تيكم ؟ لا يزيد على ذلك .

قال ابن إسحاق : قالت : حتى وجدت فى نفسى ، فقلت : يا رسول الله ، حين رأيت ما رأيت من جفائه لى : لو أذنت لى ، فانتقلت إلى أمى ، فمرضتنى ؟ قال : لا عليك ، قالت : فانتقلت إلى أمى ، ولا علم لى بشىء مما كان ، حتى نقهت من وجعى بعد بضع وعشرين ليلة ، وكنا قوماً عرباً ، لا نتخذ فى بيوتنا هذه الكنف التى تتخذها الأعاجم : نعافها ونكرهها ، إنما كنا نذهب فى فسح المدينة ، وإنما كانت النساء يخرجن كل ليلة فى حوائجهن ، فخرجت ليلة لبعض حاجتى ومعى أم مسطح بنت أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت أمها بنت صخر بن عامر

ابن كعب بن سعد بن تيم ، خالة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، قالت : فوالله إنها لتمشى معى إذ عثرت فى مرطها ، فقالت : تعس مصطح ! ومسطح لقب واسمه : عوف ، قالت : قلت : بئس لعمر الله ما قلت لرجل من المهاجرين قد شهد بدراً ، قالت : أو ما بلغك الخبر يا بنت أبى بكر؟! قالت : قلت : وما الخبر ؟ فأخبرتنى بالذى كان من قول الإفك ، قالت : قلت : أو قد كان هذا ؟ قالت : نعم والله فقد كان ، قالت : فوالله ما قدرت على أن أقضى حاجتى ، ورجعت ، فوالله مازلت أبكى حتى ظننت أن البكاء سيصدع كبدى ، قالت : وقلت لأمى يغفر الله لك ، تحدث الناس بما تحدثوا به ، ولا تذكرين لى من ذلك شيئاً ؟! قالت : أى بنية خفضى عليك الشأن ، فوالله لقلما كانت امرأة حسناء ، عند رجل يحبها ، لها ضرائر ، إلا كثرن وكثر الناس عليها .

قالت : وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس يخطبهم ولا أعلم بذلك ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، مابال رجال يؤذوننى فى أهلى ، ويقولون عليهم غير الحق ، والله ما علمت منهم إلا خيراً ، ويقولون ذلك لرجل والله ما علمت منه إلا خيراً ، وما يدخل بيتاً من بيوتى إلا وهو معى .

قالت : وكان كبر ذلك عند عبدالله بن أبى بن سلول فى رجال من الخزرج مع الذى قال مسطح وحمنة بنت جحش ، وذلك أن أختها زينب بنت جحش كانت عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم تكن من نسائه امرأة تناصينى فى المنزلة عنده غيرها ، فأما زينب فعصمها الله تعالى بدينها فلم تقل إلا خيراً ، وأما حمنة بنت جحش ، فأشاعت من ذلك ما أشاعت ، تضادنى لأختها ، فشقيت بذلك .

فلما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك المقالة ، قال أسيد بن حضير : يارسول الله ، إن يكونوا من الأوس نكفكهم ، وإن يكونوا من إخواننا من الخزرج ، فمرنا بأمرك ، فوالله إنهم لأهل أن تضرب أعناقهم ، قالت : فقام سعد بن عبادة . وكان قبل ذلك يرى رجلا صالحاً ، فقال : كذبت لعمر الله ، لا تضرب أعناقهم ، أما والله ما قلت هذه المقالة إلا أنك قد عرفت أنهم من الخزرج ، ولو كانوا من قومك ما قلت هذا ، فقال أسيد : كذبت لعمر الله ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت : وتساور الناس ، حتى كاد يكون بين هذين الحيين من الأوس والخزرج شر . ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل على .

قالت : فدعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأسامة بن زيد فاستشارهما ، فأما أسامة فأثنى على خيراً وقاله ، ثم قال : يا رسول الله أهلك ولا نعلم منهم إلا خيراً ، وهذا الكذب والباطل ، وأما على فإنه قال يارسول الله إن النساء لكثير ، وإنك لقادر على أن تستخلف ، وسل الجارية ، فإنها ستصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ليسألها ، قالت : فقام إليها على بن أبى طالب ، فضربها ضرباً شديداً ، ويقول : أصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : فتقول : والله ما أعلم إلا خيراً ، وما كنت أعيب على عائشة شيئاً ، إلا أنى كنت أعجن عجينى ، فآمرها أن تحفظه ، فتنام عنه فتأتى الشاة فتأكله .

قالت : ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى أبواى ، وعندى امرأة من الأنصار ، وأنا أبكى ، وهى تبكى معى ، فجلس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال يا عائشة ، إنه قد كان ما قد بلغك من قول الناس ، فاتقى الله ، وإن كنت قد قارفت سوءاً ، مما يقول الناس فتوبى إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة عن عباده ، قالت : فوالله ما هو إلا أن قال لى ذلك ، فقلص دمعى ، حتى ما أحس منه شيئاً ، وانتظرت أبوى أن يجيبا عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يتكلما . قالت : وايم الله لأنا كنت أحقر فى نفسى ، وأصغر شأناً من أن ينزل الله فى قرآناً يقرأ

به فى المساجد ، ويصلى به ، ولكنى قد كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نومه شيئاً يكذب به الله عنى ، لما يعلم من براءتى ، أو يخبر خبراً ، فأما قرآن ينزل فى ، فوالله لنفسى كانت أحقر عندى من ذلك ، قالت : فلما لم أر أبوى يتكلمان ، قالت قلت لهما : ألا تجيبان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : فقالا : والله ما ندرى بماذا نجيبه ، قالت : ووالله ما أعلم أهل بيت دخل عليهم ما دخل على آل أبى بكر فى تلك الأيام ، قالت : فلما أن استعجما على ، استعبرت فبكيت ، ثم قلت : والله لا أتوب إلى الله مما ذكرت أبداً ؟ والله إنى لأعلم لئن أقررت بما يقول الناس ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لأقولن ما لم يكن ، ولئن أنا أنكرت ما يقولون لا تصدقوننى ، قالت : ثم التمست اسم يعقوب فما أذكره ، فقلت : ولكن سأقول كما قال أبو يوسف : « فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » ، قالت : فوالله ما برح رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه حتى تغشاه من الله ما كان يتغشاه ، فسجى بثوبه ووضعت له وسادة من أدم تحت رأسه ، فأما أنا حين رأيت من ذلك ما رأيت ، فوالله ما فزعت ولا باليت ، قد عرفت أنى بريئة ، وأن الله عز وجل غير ظالمى ، وأما أبواى ، فوالذى نفس عائشة بيده ، ما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننت لتخرجن أنفسهما ، فرقاً من أن يأتى من الله تحقيق ما قال الناس ، قالت : ثم سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ، وإنه لتحدر منه مثل الجمان فى يوم شات ، فجعل يمسح العرق عن جبينه ، ويقول : أبشرى يا عائشة ، فقد أنزل الله براءتك ، قالت : قلت بحمد الله ، ثم خرج إلى الناس ، فخطبهم ، وتلا عليهم ما أنزل الله عليه من القرآن فى ذلك ، ثم أمر بمسطح بن أثاثة وحسان وبن ثابت ، وحمنة بنت جحش ، وكانوا ممن أفصح بالفاحشة ، فضربوا حدهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار عن بعض رجال بنى النجار : أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : يا أبا أيوب ، ألا تسمع ما يقول الناس فى عائشة : قال بلى ، وذلك الكذب ، أكنت يا أم أيوب فاعلة ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال . فعائشة والله خير منك .

قالت : فلما نزل القرآن بذكر من قال من أهل الفاحشة ما قال من أهل الإفك ، فقال تعالى : « إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ، لاتحسبوه شراً لكم ، بل هو خير لكم، لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم ، والذى تولى كبره منهم له عذاب عظيم » ، وذلك حسان بن ثابت وأصحابه الذين قالوا ما قالوا .

قال ابن هشام : ويقال : ذلك عبد الله بن أبى وأصحابه .

قال ابن هشام : والذى تولى كبره عبد الله بن أبى ، وقد ذكر ذلك ابن إسحاق فى هذا الحديث قبل هذا ، ثم قال تعالى : « لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيراً » : أى فقالوا كما قال أبو أيوب وصاحبته ؛ ثم قال : « إذ تلقونه بألسنتكم ، وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم ، وتحسبونه هيناً ، وهو عند الله عظيم » .

فلما نزل هذا فى عائشة ، وفيمن قال لها ما قال ، قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئاً أبداً ، ولا أنفعه بنفع أبداً بعد الذى قال لعائشة ، وأدخل علينا ، قالت : فأنزل الله فى ذلك : « ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولى القربى والمساكين والمهاجرين فى سبيل الله ، وليعفوا ، وليصفحوا ، ألا تحبون أن يغفر الله لكم ، والله غفور رحيم » .

قال ابن هشام : كبره وكبره فى الرواية ، [بفتح الكاف وكسرها] وأما فى القرآن فكبره بالكسر .

قال ابن هشام : « ولا يأتل أولو الفضل منكم » ولا يأل أولو الفضل منكم، قال امرؤ القيس بن حجر الكندى :

ألا رب خصم فيك ألوى رددته نصيح على تعذاله غير مؤتل

وهذا البيت فى قصيدة له ، ويقال : « ولا يأتل أولو الفضل » : ولا يحلف أولو الفضل ، وهو قول الحسن بن أبى الحسن البصرى ، فيما بلغنا عنه .

وفى كتاب الله تعالى : « للذين يؤلون من نسائهم » وهو من الألية ، والألية : اليمين ، قال حسان بن ثابت :

آليت مافى جميع الناس مجتهداً منى ألية بر غير إفنـــاد

وهذا البيت فى أبيات له ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها . فمعنى ، أن يؤتوا فى هذا المذهب : أن لا يؤتوا ، وفى كتاب الله عز وجل : « يبين الله لكم أن تضلوا » يريد : أن لا تضلوا ، « ويمسك السماء أن تقع على الأرض » يريد أن لا تقع على الأرض ، وقال ابن مفرغ الحميرى :

لادعرت السوام فى وضح الصبـ ـح مغيراً ولا دعيت يزيداً
يوم أعطى مخافة الموت ضيما والمنايا يرصدننى أن أحيدا

يريد : أن لا أحيد ، وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : قالت : فقال أبو بكر : بلى والله ، إنى لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح نفقته التى كان ينفق عليه ، وقال ، والله لا أنزعها منه أبداً .

قال ابن إسحاق : ثم إن صفوان بن المعطل اعترض حسان بن ثابت بالسيف ، حين بلغه ما كان يقول فيه ، وقدكان حسان قال شعراً مع ذلك يعرض بابن المعطل فيه وبمن أسلم من العرب من مضر ، فقال :

أمسى الجلابيب قدعزوا وقدكثروا وابن الفريعة أمسى بيضة البلد
قد ثكلت أمه من كنت صاحبه أو كان منتشباً فى برثن الأسد
ما لقتيلى الذى أغدو فآخـــذه من دية فيه يعطـــاها ولا قود
ما البحر حين تهب الريح شامية فيغطئل ويرمى العـــبر بالزبد
يوماً بأغلب منى حين تبصرنى ملغيظ أفرى كفرى العارض البرد
أما قريش فإنى لن أسالمهم حتى ينيبوا من الغيات للرشـــد
ويتركوا اللات والعزى بمعزلة ويسجدوا كلهم للواحـــد الصمد
ويشهدوا أن ما قال الرسول لهم حق ويوفوا بعهد الله والوكد

فاعترضه صفوان بن المعطل ، فضربه بالسيف ، ثم قال : كما حدثنى يعقوب بن عتبة :

تلق ذباب السيف عنى فإننى غلام إذا هوجيت لست بشاعر

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن ثابت بن قيس بن الشماس وثب على صفوان ابن المعطل ، حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بنى الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبد الله بن رواحة ، فقال : ما هذا ؟ قال : أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ! والله ما أراه إلا قد قتله ، قال له عبد الله بن رواحة : هل علم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ،

أطلق الرجل ، فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان بن المعطل فقال ابن المعطل : يارسول الله : آذانى وهجانى ، فاحتملنى الغضب ، فضربته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان : أحسن يا حسان ، أتشوهت على قومى أن هداهم الله للإسلام ، ثم قال ، أحسن يا حسان فى الذى أصابك ، قال : هى لك يارسول الله .

قال ابن هشام : ويقال : أبعد أن هداكم الله للإسلام .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وهى قصر بنى حديلة اليوم بالمدينة ، وكانت مالا لأبى طلحة بن سهل تصدق بها على آل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم حسان فى ضربته ، وأعطاه سيرين ، أمة قبطية ، فولدت له عبد الرحمن بن حسان ، قالت : وكانت عائشة تقول : لقد سئل عن ابن المعطل ، فوجدوه رجلا حصوراً ، ما يأتى النساء ثم قتل بعد ذلك شهيداً .

قال حسان بن ثابت يعتذر من الذى كان فى شأن عائشة عنها :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

عقيلة حى من لؤى بن غالب ... كرام المساعى مجدهم غير زائل

مهذبة قد طيب الله خيمها ... وطهرها من كل سوء وباطل

فإن كنت قد قلت الذى قد زعمتم ... فلا رفعت سوطى إلى أناملى

وكيف وودى ما حييت ونصرتى ... لآل رسول الله زين المحافل

له رتب عال على الناس كلهم ... تقاصر عنه سورة المتطاول

فإن الذى قد قيل ليس بلائط ... ولكنه قول امرىء بى ماحل

قال ابن هشام : بيته : « عقيلة حى » والذى بعده ، وبيته : « له رتب عال » عن أبى زيد الأنصارى .

قال ابن هشام : وحدثنى أبو عبيدة : أن امرأة مدحت بنت حسان بن ثابت عند عائشة ، فقالت :

حصان رزان ما تزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

فقالت عائشة : لكن أبوها .

قال ابن إسحاق : وقال قائل من المسلمين فى ضرب حسان وأصحابه فى فريتهم على عائشة - قال ابن هشام : فى ضرب حسان وصاحبيه :

لقد ذاق حسان الذى كان أهله ... وحمنة إذ قالوا هجيراً ومسطح

تعاطوا برجم الغيب زوج نبيهم ... وسخطة ذى العرش الكريم فأترحوا

وآذوا رسول الله فيها فجللوا ... مخازى تبقى عمموها وفضحوا

وصبت عليهم محصدات كأنها ... شآبيب قطر من ذرا المزن تسفح

غزوة ذى قرد

ويقال فيه : قرد بضمتين، هكذا ألفيته مقيداً عن أبى على ، والقرد فى اللغة الصوف الردىء ، يقال فى مثل : عثرت على الغزل بآخرة فلم تدع بنجد قردة .

. . . .

أسماء خيل المسلمين : وذكر ابن إسحاق فى هذه الغزوة أسماء خيل جماعة ممن حضرها فذكر بعزجة فرس المقداد ، والبعزجة : شدةجرى فى مغالبة؛ كأنه منحوت من بعج إذا شق ، وعز ، أى : غلب . وأما سبحة فمن سبح إذا علا علوا فى اتساع ومنه : سبحان الله ، وسبحات الله : عظمته وعلوه ، لأن الناظر المفكر فى الله سبحانه يسبح فى بحر لا ساحل له ، وقد ذكرنا فى معنى هذه الكلمة حقائق ودقائق أسرار فى شرح : سبحان الله وبحمده ، وأما حزوة : فمن حزوت الطير إذا زجرتها ، أو من حزوت الشىء إذا أظهرته ، قال الشاعر :

ترى الأمعز المحزو فيه كأنه من الحر واستقباله الشمس مسطح

وجلوة: من جلوت السيف ، وجلوت العروس ، كأنها تجلو الغم عن قلب صاحبها . ومسنون من سننت الحديدة إذا صقلتها .

سلمة بن الأكوع : وذكرسلمة بن الأكوع ، واسم الأكوع : سنان ، وخبر سلمة فى ذلك اليوم أطول مما ذكره ابن إسحاق ، وأعجب ، فإنه استلب وحده فى ذلك اليوم من العدو وهو راجل قبل أن تلحق به الخيل ثلاثين بردة وثلاثين درقة ، وقتل منهم بالنبل كثيراً ، فكلما هربوا أدركهم ، وكلما راموه أفلت منهم ، وشهرة حديثه تغنى عن سرده ، فإنه فى كتب الحديث المشهورة ، وقيل إن سلمة هذا هو الذى كلمه الذئب ، وقيل ، إن الذى كلمه الذئب هو أهبان بن صيفى وهو حديث مشهور .

اليوم يوم الرضع : اليوم الرضع ، يريد يوم اللئام ، أى يوم جبنهم ، وفى قولهم : لئيم راضع أقوال ، ذكرها ابن الأنبارى ، قيل : الراضع هو الذى رضع اللؤم فى ثدى أمه أى : غذى به ، وقيل هو الذى يرضع ما بين أسنانه يستكثر من الجشع بذلك . وشاهد هذا القول قول امرأة من العرب تذم رجلا : إنه لأكلة ثكلة يأكل من جشعه خلله ، أى : ما يتخلل بين أسنانه ، قال ابن قتيبة : ولم أسمع فى الجشع ، والحرص أبلغ من هذا ، ومن قولهم : هو يثير الكلاب من مرابضها ، أى يلتمس تحتها عظما يتعرقه ، وقيل فى اللئيم الراضع غير ماذكرناه مما هو معروف عند الناس ومذكور فى كتبهم .

وقوله : اليوم يوم الرضع بالرفع فيهما ، وبنصب الأول ، ورفع الثانى ، حكى سيبويه : اليوم يومك ، على أن تجعل اليوم ظرفاً فى موضع خبر للثانى ، لأن ظروف الزمان يخبر بها عن زمان مثلها إذا كان الظرف يتسع ، ولا يضيق على الثانى ، مثل أن تقول : الساعة يومك ، وقد قيل فى قوله تعالى : « فذلك يومئذ يوم عسير » أن يومئذ ظرف ليوم عسير ، وذلك أن ظروف الزمان أحداث ، وليست بجثث فلا يمتنع فيها مثل هذا ، كما لا يمتنع فى سائر الأحداث .

وقوله عليه السلام للغفارية ، واسمها ليلى ، ويقال هى امرأة أبى ذر حين أخبرته أنها نذرت إن الله نجاها ، عليها أن تنحرها ، قال : فتبسم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم قال : بئس ماجزيتها أن حملك الله عليها ونجاك بها ، ثم تنحرينها إنه لانذر فى معصية الله ، ولا فى مالا تملكين ، فيه حجة للشافعى ، ومن قال بقوله : إن ما أحرزه العدو من مال إنه لهم بلا ثمن قبل القسم وبعده ، لأنه لا يخرجه من ملكه حوز العدو له ، وقال مالك : هو أولى به قبل القسم ، وصاحبه بعد القسم أولى به بالثمن ، وفيه قولان آخران لأهل العراق .

لا نذر ولا طلاق ولا عتق فيما لا يملك : وقوله عليه السلام: إنه لانذر فى معصية الله ، ولا فيما لا تملكين ، وقوله عليه السلام : لا نذر لأحد فيما لا يملك ولا طلاق لأحد فيما لا يملك ، ولا عتق لأحد فيما لا يملك ، حديث مروى

. . . .

من طريق عبد الله بن عمرو ، ومن طريق أبى هريرة؛ ولكنه لم يخرج فى الصحيحين لعلل فى أسانيده ، وقد قال بهذا الحديث أن لا طلاق قبل الملك جماعة من الصحابة وفقهاء التابعين وفقهاء الأمصار . وسواء عندهم عين امرأة، أو لم يعين ، وإليه مال البخارى رحمه الله . ورواه ابن كنانة عن مالك ، وابن وهب واحتج ابن عباس فى هذه المسألة بقوله تعالى « إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن » قال : فإذاً لا طلاق إلا بعد نكاح ، وقال شريك القاضى : النكاح عقد والطلاق حل ، فلا يكون الحل إلا بعد العقد .

شرح شعر حسان : وذكر شعر حسان .

لولا الذى لاقت ومس نسورها

يعنى : الخيل ، والنسر كالنواة فى باطن الحافر ، وفى الفرس عشرون عضواً ، كل عضو منها يسمى باسم طائر ، فنها النسر والنعامة والهامة والسمامة والسعدانة وهى الحمامة والقطاة والذباب والعصفور والغراب والصرد والصقر والحرب والناهض ، وهو فرخ العقاب والخطاب ، ذكرها وبقيتها الأصمعى ، وروى فيهـا شعراً لأبى حزرة جرير ، وهو :

وأقب كالسرحان تم له	ما بين هامته إلى النسر
رحبت نعامته ووفر فرخه	وتمكن الصردان فى النحر
وأناف بالعصفور فى سعف	هام أشم موثق الجذر
وازدان بالديكين صلصله	ونبت دجاجته عن الصدر
والناهضان أمر جلزهما	فكأنما عثما على كسر
مستحفز الجنبين ملتئم	ما بين شيمته إلى الغر
وصفت سماناه وحافره	وأديمه ومنابت الشعر
وسما الغراب لموقعيه معاً	فأبين بينهما على قدر
واكتن دون قبيحة خطافه	ونأت سمامته على الصقر
وتقدمت عنه القطاة له	فنأت بموقعها عن الحر
وسما على نقويه دون حداته	خربان بينهما مدى الشبر
يدع الرضيم إذا جرى فلقاً	بتوائم كمواسم سمر
ركبن فى محض الشوى سبط	كفت الوثوب مشدد الأسر

بداد : وقوله : فشكوا بالرماح بداد . بداد من التبدد ، وهو التفرق ، وهو فى موضع نصب غير أنه مبنى ونصبه كانتصاب المصدر ، إذا قلت : مشيت القهقرى ، وقعدت القرفصاء ، وكأنه قال: طعنوا الطعنة التى يقال لها بداد ، وبداد مثل فجار من قوله : احتملت فجار ، جعلوه اسماً علماً للمصدر ، كما قالوا : فعلت برة علماً للبر ، وسر هذه العلمية فى هذا الموطن أنهم أرادوا الفعل الأتم الذى يسمى باسم ذلك الفعل حقيقة ، فقد يقول الإنسان برفلان وفجر أى قارب أن يفعل ذلك أو فعل منه بعضه ، فإذا قال : فعلت برة ، فإنما يريد البر الذى يسمى برا على الحقيقة ، فجاء بالاسم العلم الذى هو عبارة عن مسماه حقيقة ، إذ لا يتصور هذا الضرب من المجاز فى الأعلام ، وكذلك أراد الفجور على الحقيقة

وأراد رفع المجاز سماه ، لمجاز تحقيقاً للمعنى ، أى : مثل هذه الفعلة ينبغى أن تسمى باسم الفجور حقيقة ، وكذلك قالوا فى النداء : يافساق ويافسق فجاءوا بالصيغة المعروفة، العلمية المعروفة مع النداء خاصة ، أى : إن هذا الاسم ينبغى أن يكون اسمه الذى يدعى به ، إذا الاسم العلم ألزم لمسماه من اسم مشتق من فعل فعله ، لأن الفعل لايثبت ، والاسم العلم يثبت ، فهذا هو مغزاهم فى هذه الأسماء التى هى على صيغ الأعلام فى هذه المواطن ، فتأملها ، وقد بسطنا هذا الغرض بسطاً شافياً فى أسرار ماينصرف ، وما لاينصرف ، فلتنظرهنالك ، فثم ترى سر بنائها على الكسر مع ما يتصل بمعانيها إن شاء الله ، وألفيت فى حاشية الشيخ رحمه الله على قوله : فشكوا بالرماح فشلوا باللام الرواية الصحيحة ، وحقيقة المعنى ، ووقع فى الأصلين : فشكوا بالكاف كما فى هذا الأصل . إلى هاهنا انتهى كلام الشيخ ، والشل باللام : الطرد ، والشك بالكاف . الطعن كما قال :

شك الفريصة بالمدرى فأنفذها

وقوله : رهواً أى مشياً بسكون ، ويقال لمستنقع الماء أيضاً رهو والرهو من أسماء الكركى ، والرهو المرآة الواسعة
وقوله : روادى ، أى تردى بفرسانها ، أى : تسرع .

وقول حسان فى خيل عيينة :

فولوا سراعاً كشد النعا م لم يكشفوا عن ملط حصيرا

أى : لم يغنموا بعيراً ، ولا كشفوا عنه حصيراً ، يعنى بالحصير ما يكنف به حول الإبل من عيدان الحظيرة ، والملط من قولهم : لطت الناقة ، وألطت بذنبها إذا أدخلته بين رجليها .

غزوة بنى المصطلق

وهم بنو جذيمة بن كعب من خزاعة : لجذيمة هو المصطلق وهو مفتعل من الصلق ، وهو رفع الصوت .
وذكر المريسيع ، وهو ماء لخزاعة ، وهو من قولهم : رسعت عين الرجل : إذا دمعت من فساد .
وذكر سنان بن وبرة وقال غيره : هو سنان بن تميم من جهينة بن سود بن أسلم حليف الأنصار .

تحريم دعوى الجاهلية : وذكر أنه نادى ياللأنصار ، ونادى جهجاه الغفارى ياللمهاجرين ، ولم يذكر ما قال النبى صلى الله عليه وسلم حين سمعهما ، وفى الصحيح أنه عليه السلام حين سمعها منهما ، قال : دعوها فإنها منتنة ، يعنى : إنها كلمة خبيثة ، لأنها من دعوى الجاهلية ، وجعل الله المؤمنين إخوة وحزباً واحداً ، فإنما ينبغى أن تكون الدعوة ياللمسلمين ؛ فمن دعا فى الإسلام بدعوى الجاهلية فيتوجه للفقهاء فيها ثلاثة أقول : أحدها : أن يجلد من استجاب لها بالسلاح خمسين سوطاً اقتداء بأبى موسى الأشعرى فى جلده النابغة الجعدى خمسين سوطاً حين سمع ياللعامر ، فأقبل يشتد بعصبة له . والقول الثانى : إن فيها الجلد دون العشرة لنهيه عليه السلام أن يجلد أحد فوق العشرة إلا فى حد ، والقول الثالث : اجتهاد الإمام فى ذلك على حسب مايراه من سد الذريعة وإغلاق باب الشر ، إما بالوعيد ، وإما بالسجن وإما بالجلد .

فإن قيل : إن النبى صلى الله عليه وسلم لم يعاقب الرجلين حين دعوا بها ؟ قلنا : قد قال دعوها فإنها منتنة ، فقد أكد النهى ، فمن عاد إليها بعد هذا النهى ، وبعد وصف النبى صلى الله عليه وسلم لها بالإنتان وجب

. . . .

أن يؤدب ، حتى يشم نتنها ، كما فعل أبو موسى رحمه الله بالجعدى ، فلا معنى لنتنها إلا سوء العاقبة فيها والعقوبة عليها .

جهجاه بن مسعود : وأما جهجاه فهو ابن مسعود بن سعد بن حرام ، وهو الذى روى عن النبى صلى الله عليه وسلم : المؤمن يأكل فى معى واحد ، والكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وهو كان صاحب هذه القصة فيما روى ابن أبى شيبة والبزار ، وقد قيل أيضاً : إن الرجل الذى قال فيه عليه السلام هذه المقالة ، هو ثمامة بن أثال الحنفى ذكره ابن إسحاق ، وقيل : بل هو أبو بصرة الغفارى ، قاله أبو عبيد ، ومات جهجاه هذا بعد قتل عثمان رحمه الله ، أخذته الأكلة فى ركبته فمات منها ، وكان قد كسر بركبته عصا رسول الله صلى الله عليه وسلم - التى كان يخطب بها ، وذلك أنه انتزعها من عثمان حين خرج من المسجد ، ومنع من الصلاة فيه ، فكان هو أحد المعينين عليه حتى كسر العصا على ركبته فيما ذكروا ، فابتلى بما ابتلى به من الأكلة ، نعوذ بالله من عقوبته ، ونستجير به من الأهواء المضلة .

موقف عبد الله من أبيه المنافق : وذكر مقالة عبد الله بن أبى ، وأن ابنه عبد الله بن عبد الله استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى قتل أبيه من أجل تلك المقالة ، وفى هذا العلم العظيم والبرهان النير من أعلام النبوة ، فإن العرب كانت أشد خلق الله حمية وتعصباً فبلغ الإيمان منهم ونور اليقين من قلوبهم إلى أن يرغب الرجل منهم فى قتل أبيه وولده ، تقرباً إلى الله ، وتزلفاً إلى رسوله ، مع أن الرسول — عليه السلام — أبعد الناس نسباً منهم ، وما تأخر إسلام قومه وبنى عمه وسبق إلى الايمان به الأباعد إلا لحكمة عظيمة ، إذ لو بادر أهله وأقربوه إلى الإيمان به لقيل قوم أرادوا الفخر برجل منهم وتعصبوا له ، فلما بادر إليه الأباعد ، وقاتلوا على حبه من كان منهم أو من غيرهم ، علم أن ذلك عن بصيرة صادقة ويقين قد تغلغل فى قلوبهم ورهبة من الله أزالت صفة ، قد كانت سدكت (١) فى نفوسهم من أخلاق الجاهلية لا يستطيع إزالتها إلا الذى فطر الفطرة الأولى ، وهو القادر على ما يشاء ، وأما عبد الله بن عبد الله فكان من كتاب النبى - صلى الله عليه وسلم - وكان اسمه حباب ، وبه كان يكنى أبوه ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله ، مات شهيداً باليمامة رضى الله عنه ، وروى الدارقطنى مسنداً أن النبى — صلى الله عليه وسلم - مر على جماعة فيهم عبد الله بن أبى فسلم عليهم ، ثم ولى ، فقال عبد الله : لقد عثا ابن أبى كبشة فى هذه البلاد ، فسمعها ابنه عبد الله ، فاستأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى أن يأتيه برأس أبيه فقال : لا ، لكن بر أباك . وذكر ابن سباق فى هذا الخبر أن النبى صلى الله عليه وسلم حين بلغته مقالة عبد الله بن أبى : متن الناس يومهم ذلك ، ويروى مشى ، فأما متن ، فقال صاحب العين : يقال : ساروا سيراً مماتناً أى : بعيداً .

ملاحة ومليح : فصل : وذكر جويرية بنت الحارث ، ووقوعها فى السهم لثابت بن قيس ، أو لابن عم له . ثم جاءت تستعين فى كتابتها ، قالت عائشة : وكانت امرأة حلوة ملاحة الملاح أبلغ من المليح فى كلام العرب ، وكذلك الوضاء أبلغ من الوضىء ، والكبار كذلك أبلغ من الكبير ، غير أنه لا يوصف البارى سبحانه بهذا اللفظ ، فيقال فيه كبار بمعنى كبير ، لأنه على بنية الجمع ، نحو ضراب وشهاد ، فكان لفظ الكبير ونحوه أبعد من الاشتراك ، وأدل على الوحدانية ، والله أعلم .

وأما معنى : الملاحة ، فذهب قوم إلى أنها من الملحة وهى البياض ، تقول العرب : عنب ملاحى - والصحيح فى معنى المليح ، أنه مستعار من قولهم : طعام مليح إذ كان فيه من الملح بقدر ما يصلحه ، ولذلك إذا بالغوانى المدح

---

(١) ثبتت ولزمت .

قالوا : مليح قزيح ، فيأح من ملحت القدر ، وقزيح من قزحتها إذا طيبت نكهتها بالأفاويه ، وهى الأقزاح ، ويدلك على بعد هذا المعنى من البياض قولهم : فى الأسود : مليح ، وفى العينين إذا اشتد سوادهما وحسنهما كما جاء فى تفسير قوله سبحانه : « وألقيت عليك محبة منى » أنها ملاحة فى العينين ، وقال الأصمعى : الحسن فى العينين ، والجمال فى الأنف ، والملاحة فى الفم . وقالت امرأة خالد بن صفوان لبعلها : إنك لجميل يا أبا صفوان ، فقال : وكيف وليس عندى رداء الجمال ولا برنسه ولا عموده ؟ ثم قال : عموده الطول ، وأنا ربعة ، وبرنسه سواد الشعر ، وأنا أشمط ، ورداؤه البياض ، وأنا آدم ، ولكن قولى : إنك مليح ظريف . فعلمها أن الملاحة قد تكون من صفة الآدم ، فهى إذاً ليست من معنى البياض فى شىء وإنما هى ضد الماسة .

غيرة نساء النبى : وقول عائشة فى جويرية : فوالله ما هو إلا أن رأيتها على باب حجرتى فكرهتها . فيما كان عليه أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ـ من الغيرة عليه ، والعلم بموقع الجمال منه كما قد روى أنه ـ عليه السلام ـ أنه خطب امرأة فأرسل عائشة لتنظر إليها ، فلما رجعت إليه قالت : ما رأيت طائلا ، فقال : بلى لقد رأيت : خالا فى خدها اقشعرت منه كل شعرة فى جسدك . وأما نظره عليه السلام لجويرية حتى عرف من حسنها ما عرف ، فإنما ذلك لأنها كانت امرأة مملوكة ، ولو كانت حرة ما ملأ عينه منها ، لأنه لا يكره النظر إلى الإماء ، وجائز أن يكون نظر إليها ، لأنه نوى نكاحها ، كما نظر إلى المرأة التى قالت له : إنى قد وهبت نفسى لك يا رسول الله ، فصعد فيها النظر ثم صوب ، ثم أنكحها من غيره ، وقد ثبت عنه عليه السلام الرخصة فى النظر إلى المرأة عند إرادة نكاحها ، وقال للمغيرة حين شاوره فى نكاح امرأة : لو نظرت إليها ، فإن ذلك أحرى أن يؤدم بينكما ، وقال مثل ذلك لمحمد بن مسلمة حين أراد نكاح ثبيتة بنت الضحاك ، وقد أجازه مالك فى إحدى الروايتين عنه ، ذكرها ابن أبى زيد . وفى مسند البزار من طريق أبى بكرة لا حرج أن ينظر الرجل إلى المرأة إذا أراد تزوجها ، وهى لا تشعر . وفى تراجم البخارى : النظر إلى المرأة قبل التزويج ، وأورد فى الباب قوله عليه السلام لعائشة أريتك فى المنام يجىء بك الملك فى سرقة من حرير ، فكشفت عن وجهك ، فقال : هذه امرأتك ، فقلت : إن يكن من عند الله يمضه . وهذا استدلال حسن . وفى قوله : إن يكن من عند الله سؤال ، لأن رؤياه وحى ، فكيف يشك فى أنها من عند الله .

والجواب : أنه لم يشك فى صحة الرؤيا ، ولكن الرؤيا قد تكون على ظاهرها ، وقد تكون لمن هو نظير المرء أو سميه ، فمن هاهنا تطرق الشك ما بين أن تكون على ظاهرها ، أو لها تأويل كذلك ، وسمعت شيخنا يقول فى معنى هذا الحديث ، ولغيره فيه قول لا أرضاه ، فلا يخلو نظره عليه السلام إليها من أحد الأمرين أو يكون ذلك قبل أن يضرب الحجاب ، وإلا فقد قال الله تعالى له « قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم » ، وهو إمام المتقين وقدوة الورعين ـ صلى الله عليه وسلم .

جويرية بنت الحارث : وأما جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار بن حبيب بن عائذ بن مالك بن جذيمة ، وجذيمة هو المصطلق من خزاعة ، كان اسمها برة ، فسماها رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ جويرية ، وقد روى مثل هذا فى حديث ميمونة بنت الحارث وكذلك زينب بنت جحش ، كان اسمها برة أيضاً ، وزينب بنت أبى سلمة ربيبته عليه السلام ، كان اسمها برة فسماهن جمع بغير ذلك الاسم ، توفيت جويرية فى شهر ربيع الأول سنة ست أو خمس وخمسين من الهجرة وكانت قبل أن تسبى عند مسافع بن صفوان الخزاعى .

حديث الإفك

مافيه من الغريب : فيه من الغريب قول عائشة : والنساء يومئذ لم يهبجهن اللحم فيثقلن . التهبيج : انتفاخ فى الجسم قد يكون من سمن ؛ وقد يكون من آفة ، قال الأصمعى أو غيره : هجمت على حى من العرب بواد خصيب وإذا ألوانهم مصفرة ووجوههم مهبجة ، فقلت لهم : ما بالكم ؟ واديكم أخصب واد ، وأنتم لاتشبهون المخاصب . فقال لى شيخ منهم : إن بلدنا ليست له ريح ، يريد : أن الجبال أحاطت به فلا تذهب الرياح وباءه ولا رمده .

صفوان : وفيه ذكر صفوان بن ربيضة بن خزاعى بن محارب بن مرة بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم السلمى ، ثم الذكوانى ، يكنى أبا عمرو ، وكان يكون على ساقة العسكر يلتقط ما يسقط من متاع المسلمين ، حتى يأتيهم به ، ولذلك تخلف فى هذا الحديث الذى قال فيه أهل الإفك ما قالوا ، وقد روى فى تخلفه سبب آخر ، وهو أنه كان ثقيل النوم لايستيقظ حتى يرتحل الناس . ويشهد لصحة هذا حديث أبى داود أن امرأة صفوان اشتكت به إلى النبى -صلى الله عليه وسلم- وذكرت أشياء منها أنه لايصلى الصبح ، فقال صفوان : يا رسول الله إنى امرؤ ثقيل الرأس لا أستيقظ حتى تطلع الشمس ، فقال له النبى عليه السلام : فإذا استيقظت فصل ، وقد ضعف البزار حديث أبى داود هذا فى مسنده . وقتل صفوان بن المعطل شهيداً فى خلافة معاوية ، واندقت رجله يوم قتل . فطاعن بها ، وهى منكسرة حتى مات ، وذلك بالجزيرة بموضع يقال له شمطاط .

معنى اسقطوا : وفيه من غير رواية ابن إسحاق أنهم دعوا الجارية ، فسألوها حتى أسقطوا لها به ، يريد : أفصحوا بالأمر ، ونقروا عنه ، يقال : ساقطته الحديث مساقطة وأسقطوا به فى هذا المعنى ، قال أبو حية .

إذا هن ساقطن الحديث كأنه سقاط حصا المرجان من سلك ناظم

كذا فسره أبو الحسن بن بطال ، وفيما ذكر ابن إسحاق من رواية الشيبانى ، أنهم أداروا الجارية على الحديث ولم يصرحوا لها حتى فطنت بما أرادوا ، فقالت : ما أعلم عليها عيباً ، الحديث . وأما ضرب على للجارية وهى حرة ولم تستوجب ضرباً ، ولا استأذن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى ضربها فأرى معناه أنه أغلظ لها بالقول ، وتوعدها بالضرب ، واتهمها أن تكون خانت الله ورسوله ، فكتمت من الحديث مالا يسعها كتمه مع إدلاله ، وأنه كان من أهل البيت ، وفى غير حديث ابن إسحاق قالت الجارية : والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على الذهب الأحمر .

بريرة : وأما بريرة فهى مولاة عائشة - رضى الله عنها - التى اشترتها من بنى كاهل فأعتقتها ، وخيرت فى زوجها وكان عبداً لبنى جحش . هذه رواية أهل المدينة ، وفى رواية أهل العراق أنه كان حراً ، وهى رواية الأسود بن يزيد عن عائشة ، والأولى رواية عروة والقاسم بن محمد عن عائشة ، وكذلك يقولون بتخيير الأمة إذا عتقت ، وإن كان بعلها حراً ، وقول أهل الحجاز على حسب روايتهم ، فلا يرون تخييرها ، إلا إذا كان زوجها عبداً ، وعاشت بريرة حتى يروى عنها الحديث بعض التابعين ، قال عبد الملك بن مروان : كنت أجالس بريرة قبل أن ألى هذا الأمر ، فتقول لى . يا أبا عبد الملك ، إن فيك خصالا خليقة بهذا الأمر ، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله فى الدماء فإنى سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : إن الرجل ليحال بينه وبين الجنة بعد أن ينظر إليها بمحجمة دم أراقها من مسلم فى غير حق ، والبريرة واحدة البرير وهو ثمر الأراك ،

أم رومان: وأما أم رومان، وهي أم عائشة فقد مر ذكرها في هذا الحديث، وهي زينب بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن دهمان، وهي من كنانة، واختلف في عمود نسبها، ولدت لأبي بكر عائشة وعبد الرحمن، وكانت قبل أبي بكر عند عبد الله بن الحارث بن سخبرة فولدت له الطفيل، وتوفيت أم رومان سنة ست من الهجرة، ونزل النبي - صلى الله عليه وسلم - في قبرها، وقال «اللهم إنه لم يخف عليك مالقيت أم رومان فيك، وفي رسولك» وقال: «من سره أن ينظر إلى امرأة من الحور العين، فلينظر إلى أم رومان».

وروى البخاري حديثاً عن مسروق، وقال فيه: «سألت أم رومان وهي أم عائشة عما قيل فيها»، ومسروق ولد بعد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بلا خلاف، فلم ير أم رومان قط، فقيل إنه وهم في الحديث، وقيل: بل الحديث صحيح، وهو مقدم على ما ذكره أهل السيرة من موتها في حياة النبي صلى الله عليه وسلم، وقد تكلم شيخنا أبو بكر - رحمه الله - على هذا الحديث واعتنى به لإشكاله، فأورده من طرق في بعضها: حدثتني أم رومان، وفي بعضها عن مسروق عن أم رومان معنعنا، وقال رحمه الله: والعنعنة أصح فيه، وإذا كان الحديث معنعناً كان محتملا، ولم يلزم فيه ما يلزم في حدثنا، وفي سألت. لأن للراوي أن يقول: عن فلان، وإن لم يدركه وهو كثير في الحديث.

وقالت عائشة: لم تكن امرأة تناصبني في المنزلة عنده غيرها، وهكذا في الأصل تناصبني، والمعروف في الحديث: تناصيني من المناصاة، وهي المساواة، وأصله من الناصية.

وذكر قول حسان:

أمسى الجلابيب قد عزوا وقد كثروا   وابن الفريعة أمسى بيضة البلد

يعني بالجلابيب الغرباء، وبيضة البلد، يعني: منفرداً، وهو كلمة يتكلم بها في المدح تارة وفي معنى القل أخرى، يقال: فلان بيضة البلد، أي: أنه واحد في قومه، عظيم فيهم، وفلان بيضة البلد، يريد: أنه ذليل ليس معه أحد:

وأما قوله:

قد ثكلت أمه من كنت صاحبه

فقد يجوز أن يكون قوله: من مبتدأ، وقد ثكلت أمه في موضع الخبر المقدم عليه، ويجوز أن يكون من مفعولا بثكلت، وأضمر قبل الذكر مع اتصال الضمير بالفاعل، فيكون مثل قوله:

جزى ربه عني عدي بن حاتم

ومثل قوله:

أبقى اليوم مجده مطعماً

وقد تقدم القول فيه.

وقوله: فيغطئل، يريد: البحر أي، يهيج ويلتطم، وأصل هذه الكلمة من الغيطلة، وهي الظلمة، وأصلها يغطال مثل يسواد، لكنه همز بالألف لئلا يجتمع ساكنان، وإن كان اجتماعهما في مثل هذا الموضع حسناً كقوله تبارك وتعالى «ولا الضالين»، ولكنهما في الشعر لا يجتمعان إلا في عروض واحدة، وهي المتقارب، ومع هذا فقد

. . . .

قرأ أيوب بن أبى تميمة السختيانى ولا الضألين بهمزة مفتوحة وقرأ عمرو بن عبيد : « إِنس قبلهم ولا جأن »
وأنشد الخطابى :

سقى مطغيات المحل سكباً وديمة   عظام ابن ليلى حيث كان رميمها
فأصبح منها كل واد وتلعة   حدائق خضراً مزهـئرا عميمها

وأنشد أيضا   خاطمهار أمها أن تهربا

فإن قيل : الهمزة فى هذا كله مفتوحة ، وفى قوله يغطئل مكسورة ، وكذلك فى الحـــديث الصحيح : أسود مربئد فى رواية .

قلنا : إنما كسرت الهمزة فى مزهئر ومربئد ويغطئل ، بعد أن فتحت فى الماضى ، فقيل اغطأل وازهأر ، فصار على وزن اطمأن ، فجاء اسم الفاعل والمستقبل على ذلك القياس مكسوراً كما يكثر فى مطمئن .

وقول ثابت لعبد الله بن رواحة أما أعجبك ضرب حسان بالسيف ، معناه : أما جعلك تعجب ، تقول : عجبت من الشيء ، وأعجبنى الشيء ، إذا كان ذلك العجب من مكروه أو محبوب ، وهو عند الناس بمعنى سرنى لاغير ، وفى الحديث ، وكلام العرب شواهد كثيرة على هذا المعنى منها فى الكامل: فلأعجبنى أن أعجبه بكاء أبيه وفى حديث ذكره عن عبد الرحمن بن حسان ، وكذلك أنشد :

ألا هزئت بنا قرشية يهتز منكبها
تقول لى ابن قيس ذا وبعض الشيب يعجبها

وقال كعب بن زهير :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبنى   سعى الفتى وهو مخبوء له القدر

وقوله عليه السلام : أتشوهت على قومى أن هداهم الله ، معناه : أقبحت ذلك من فعلهم حين سميتهم بالجلابيب من أجل هجرتهم إلى الله وإلى رسوله ؟

بئر بيرحاء : وقوله فأعطاه عوضاً منها بيرحاء ، وذكر بعضهم أن هذه البئر سميت بيرحاء بزجر الإبل عنها ، وذلك أن الإبل يقال لها إذا زجرت عن الماء ، وقد رويت حاحا ، وهكذا كان الأصيلى يقيده برفع الراء إذا كان الاسم مرفوعاً ، وبالمد ، وغير الأصيلى يقول : بيرحاء بالفتح على كل حال وبالقصر يجعله اسماً واحداً ، وقد حـــكى عن بعضهم فيه بيرحا بفتح الباء مع القصر ، وفى الصحيح أن أبا طلحة دفـــع بيرحاء إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وجعلها صدقة فأمره النبى صلى الله عليه وسلم — أن يجعلها فى الأقربين ، فقسمها بين أبى وحسان ، وفسر البخارى وأبو داود القربة التى بين أبى طلحة وبينهما قالا : فأما حسان فهو ابن المنذر بن ثابت بن حرام ، وأبو طلحة هو زيد بن سهل بن حرام ، فهذه قرابة قريبة ، وأما أبى فيجتمع معه فى الأب السادس ، وهو عمرو بن مالك بن النجار ، وقد كان أبى غنياً فكيف ترك من هو أقرب منه ، وخصه ؟

والوجه فى ذلك أن أبياً كان ابن عمة أبى طلحة ، وهى صهيلة بنت الأسود بن حرام وهو معروف عند أهل النسب فمن أجل ذلك النسب خصه بها ، لا من أجل النسب الذى ذكرناه فإنه بعيد ، وإنما قال له النبى صلى الله عليه وسلم : اجعلها فى الأقربين .

براءة عائشة : وفى المسند من حديث عائشة أنه لما أنزل الله براءتها قام إليها أبو بكر ، فقبل رأسها ، فقالت له : هلا كنت عذرتنى ، فقال : أى سماء تظلنى ، وأى أرض تقلنى ، إن قلت بما لا أعلم ، وكان نزول براءة عائشة ـ رضى الله عنها ـ بعد قدومهم المدينة بسبع وثلاثين ليلة فى قول بعض المفسرين .

حسان يمدح عائشة : وقول حسان فى عائشة :

حصان رزان ماتزن بريبة ... وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

حصان : فعال بفتح الحاء يكثر فى أوصاف المؤنث ، وفى الأعلام منها ، كأنهم قصدوا بتوالى الفتحات مشاكلة خفة اللفظ لخفة المعنى ، أى المسمى بهذه الصفات خفيف على النفس ، وحصان من الحصن والتحصن وهو الامتناع على الرجال من نظرهم إليها ، وقالت جارية من العرب لأمها :

يا أمتا أبصرنى راكب ... يسير فى مسحنفر لاحب

جعلت أحثى التراب فى وجهه ... حصنا وأحمى حوزة الغائب

فقالت لها أمها :

الحصن أدنى لو تأبيته ... من حثيك الترب على الراكب

ذكر هذه الأبيات أحمد بن أبى سعيد السيرافى فى شرح أبيات الإيضاح ، والرزان والثقال بمعنى واحد ، وهى القليلة الحركة .

وقوله : وتصبح غرثى من لحوم الغوافل ، أى خميصة البطن من لحوم الناس ، أى اغتيابهم وضرب الغرث مثلا ، وهو عدم الطعم وخلو الجوف وفى التنزيل « أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا » ضرب المثل لأخذه فى العرض بأكل اللحم ، لأن اللحم ستر على العظم ، والشاتم لأخيه كأنه يقشر ويكشف ما عليه من ستر .

وقال : ميتا ، لأن الميت لايحس ، وكذلك الغائب لا يسمع ما يقول فيه المغتاب ، ثم هو فى التحريم كأكل لحم الميت .

وقوله : من لحوم الغوافل ، يريد : العفائف الغافلة قلوبهن عن الشر ، كما قال سبحانه : « إن الذين يرمون المحصنات الغافلات المؤمنات » جعلهن غافلات ، لأن الذى رمين به من الشر لم يهممن به قط ولا خطر على قلوبهن ، فهن فى غفلة عنه ، وهذا أبلغ ما يكون من الوصف بالعفاف .

وقوله : ... له رتب عال على الناس كلهم

الرتب : ما ارتفع من الأرض وعلا ، والرتب أيضا : قوة فى الشىء وغلظ فيه ، والسورة رتبة رفيعة من الشرف مأخوذة اللفظ من سور البناء .

وقوله : فإن الذى قد قيل ليس بلائط ، أى : بلاصق ، يقال : ما يليط ذلك بفلان ، أى : ما يلصق به ، ومنه سمى الربا : لياطا ، لأنه ألصق بالبيع ، وليس ببيع . وفى الكتاب الذى كتب لثقيف : وما كان من دين ليس فيه رهن ، فإنه لياط مبرأ من الله وسيأتى حديثه مفسراً إن شاء الله .

وقوله فى الشعر : ... فلا رفعت سوطى إلى أناملى

دعاء على نفسه ، وفيه تصديق لمن قال : إن حسان لم يجلد فى الإفك ولا خاض فيه ، وأنشدوا البيت الذى ذكره ابن إسحاق :

أمر الحديبية آخر سنة ست وذكر بيعة الرضوان

والصلح بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين سهيل بن عمرو

قال ابن اسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة شهر رمضان وشوالا ، وخرج فى ذى القعدة معتمراً لا يريد حربا .

قال ابن هشام واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى.

قال ابن اسحاق : واستنفر العرب ومن حوله من أهل البوادى من الأعراب ليخرجوا معه ، وهو يخشى من قريش الذى صنعوا ، أن يعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت فأبطأ عليه كثير من الأعراب ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن معه من المهاجرين والأنصار ومن لحق به من العرب ، وساق معه الهدى ، وأحرم بالعمرة ليأمن الناس من حربه ، وليعلم الناس أنه إنما خرج زائراً لهذا البيت ومعظما له .

لقد ذاق حسان الذى كان أهله

على خلاف هذا اللفظ :

لقد ذاق عبد الله ما كان أهله وحمنة - إذ قالوا : هجيراً - ومسطح

ما نزل فى أصحاب الافك: وذكر ما أنزل الله تعالى فى أصحاب الإفك وقوله تعالى : « إذ تلقونه بألسنتكم » وكانت عائشة — رضى الله عنها تقرؤها : إذ تلقونه بألسنتكم من الولق ، وهو استمرار اللسان بالكذب ، وأما إقامة الحد عليهم ففيه التسوية بين أفضل الناس بعد النبى — صلى الله عليه وسلم — وأدنى الناس درجة فى الإيمان، لا يزاد القاذف على الثمانين ، وإن شتم خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا ينقص منها ، فإن قذف قاذف اليوم إحدى أمهات المؤمنين سوى عائشة ، فيتوجه فيه للفقهاء قولان : أحدهما: أن يجلد ثمانين كما يقتضيه عموم التنزيل وكما فعل النبى - صلى الله عليه وسلم — بالذين قذفوا أهله قبل نزول القرآن ببراءتها وأما بعد نزول القرآن ببراءتها فيقتل قاذفها قتل كفر ، ولا يصلى عليه ، ولا يورث ، لأنه كذب الله تعالى .

والقول الثانى فى قاذف أمهات المؤمنين غير عائشة — رضى الله عنهن — أن يقتل أيضا ، وبه كان يأخذ شيخنا - رحمه الله تعالى — ويحتج بقوله تعالى : « إن الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله فى الدنيا والآخرة » ، وإذا قذف أزواج النبى عليه السلام ، فقد سبه . فمن أعظم الإذاية ، أن يقال عن الرجل : قرنان، وإذا سب نبى بمثل هذا فهو كفر صراح وقد قال المفسرون فى قوله تعالى « فخانتاهما » ، أى خانتا فى الطاعة لهما، والإيمان ، وما بغت امرأة نبى قط ،أى ما زنت.

اهداء سيرين الى حسان : وذكر أن النبى — صلى الله عليه وسلم — أعطى حسان جاريته بضرب صفوان بن المعطل له ، وهذه الجارية اسمها سيرين بنت شمعون أخت مارية سرية النبى — صلى الله عليه وسلم — وهى أم عبد الرحمن بن حسان الشاعر ، وكان عبد الرحمن يفخر بأنه ابن خالة إبراهيم بن النبى صلى الله عليه وسلم — وقد روت سيرين هذه عن النبى صلى الله عليه وسلم حديثا قالت رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم خللا فى قبر إبراهيم ابنه فأصلحه، وقال : إن الله يحب من العبد إذا عمل عملا أن يصلحه .

قال ابن إسحاق : حدثني محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عروة بن الزبير عن مسور بن مخرمة ومروان بن الحكم أنهما حدثاه قالا : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية يريد زيارة البيت ، لا يريد قتالا ، وساق معه الهدى سبعين بدنة ، وكان الناس سبع مائة رجل ، فكانت كل بدنة عن عشرة نفر .

وكان جابر بن عبد الله ، فيما بلغني ، يقول : كنا أصحاب الحديبية أربع عشرة مائة .

قال الزهرى : وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا كان بعسفان لقيه بشر بن سفيان الكعبي ـ قال ابن هشام : ويقال بسر ـ فقال : يارسول الله هذه قريش ، قد سمعت بمسيرك ، فخرجوا معهم العوذ المطافيل ، قد لبسوا جلود النمور ، وقد نزلوا بذى طوى ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم أبداً ، وهذا خالد بن الوليد فى خيلهم قد قدموها إلى كراع الغميم ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا ويح قريش ! لقد أكلتهم الحرب ، ماذا عليهم لو خلوا بيني وبين سائر العرب ، فإن هم أصابوني كان الذى أرادوا ، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين ، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ، فما تظن قريش ، فوالله لا أزال أجاهد على الذى بعثني الله به حتى يظهره الله أو تنفرد هذه السالفة .

ثم قال : من رجل يخرج بنا على طريق غير طريقهم التى هم بها ؟

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبى بكر : أن رجلا من أسلم قال : أنا يارسول الله ، قال : فسلك بهم طريقاً وعراً أجرل بين شعاب ، فلما خرجوا منه ، وقد شق ذلك على المسلمين وأفضوا إلى أرض سهلة عند منقطع الوادى ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس : قولوا : نستغفر الله ونتوب إليه ؛ فقالوا ذلك ، فقال : والله إنها للحطة التى عرضت على بنى إسرائيل : فلم يقولوها .

قال ابن شهاب : فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس فقال : اسلكوا ذات اليمين بين ظهرى الحمش ، فى طريق تخرجه على ثنية المرار مهبط الحديبية من أسفل مكة ؛ قال : فسلك الجيش ذلك الطريق ، فلما رأت خيل قريش قترة الجيش قد خالفوا عن طريقهم ، رجعوا راكضين إلى قريش ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا سلك ، فى ثنية المرار بركت ناقته ، فقالت الناس : خلأت الناقة ، قال : ما خلأت وما هو لها بخلق ، ولكن حبسها حابس الفيل عن مكة . لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة يسألوننى فيها صلة الرحم إلا أعطيتهم إياها ، ثم قال للناس : أنزلوا ، قيل له : يارسول الله : مابالوادى ماء ننزل عليه ، فأخرج سهماً من كنانته ، فأعطاه رجلا من أصحابه ، فنزل به فى قليب من تلك القلب . فغرزه فى جوفه فجاش بالرواء حتى ضرب الناس عنه بعطن .

قال ابن إسحاق : فحدثني بعض أهل العلم عن رجال من أسلم : أن الذى نزل فى القليب بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ناجية بن جندب بن عمير بن يعمر بن دارم بن عمرو بن وائلة بن سهم بن مازن بن سلامان بن أسلم بن أفصى ابن أبى حارثة ، وهو سائق بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : أفصى بن حارثة .

قال ابن إسحاق : وقد زعم لى بعض أهل العلم : أن البراء بن عازب كان يقول : أنا الذى نزلت بسهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالله أعلم أى ذلك كان .

وقد أنشدت أسلم أبياتاً من شعر قالها ناجية ، قد ظننا أنه هو الذى نزلت بالسهم ، فزعمت أسلم أن جارية من الأنصار أقبت بدلوها ، وناجية فى القليب يميح على الناس ، فقالت :

يا أيها المائح دلوى دونكا ... إنى رأيت الناس يحمدونكا

يثنون خيراً ويمجدونكا

قال ابن هشام : ويروى :

إنى رأيت الناس يمدحونكا

قال ابن إسحاق . فقال ناجية ، وهو فى القليب يميح على الناس :

قد علمت جارية يمانيه أنى أنا المائح واسمى ناجيه
وطعنة ذات رشاش واهيه طعنتها عند صدور العاديه

فقال الزهرى فى حديثه : فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه بديل بن ورقاء الخزاعى ، فى رجال من خزاعة ، فكلموه وسألوه : ما الذى جاء به ؟ فأخبرهم أنه لم يأت يريد حرباً ، وإنما جاء زائراً للبيت ، ومعظماً لحرمته ، ثم قال لهم نحواً مما قال لبشر بن سفيان ، فرجعوا إلى قريش فقالوا : يامعشر قريش ، إنكم تعجلون على محمد ، إن محمداً لم يأت لقتال ، وإنما جاء زائراً هذا البيت ، فاتهموهم وجبهوهم وقالوا : وإن كان جاء ولا يريد قتالا ، فوالله لا يدخلها علينا عنوة أبداً ، ولا تحدث بذلك عنا العرب .

قال الزهرى : وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مسلمها ومشركها ، لا يخفون عنه شيئاً كان بمكة .

قال : ثم بعثوا إليه مكرز بن حفص الأخيف أخا بنى عامر بن لؤى ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا قال هذا رجل غادر ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلمه ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم نحواً مما قال لبديل وأصحابه ، فرجع إلى قريش فأخبرهم بما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زبان ، وكان يومئذ سيد الأحابيش ، وهو أحد بنى الحارث بن عبد مناة بن كنانة ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : إن هذا من قوم يتألهون ، فابعثوا الهدى فى وجهه حتى يراه ، فلما رأى الهدى يسيل عليه من عرض الوادى فى قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله ، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم إعظاماً لما رأى ، فقال لهم ذلك . قال : فقالوا له : اجلس ، فإنما أنت أعرابى لا علم لك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر : أن الحليس غضب عند ذلك وقال : يامعشر قريش ، والله ما على هذا حالفناكم ، ولا على هذا عاقدناكم . أيصد عن بيت الله من جاء معظماً له ؟ والذى نفس الحليس بيده ، لتخلن بين محمد وبين ما جاء له ، أو لأنفرن بالأحابيش نفرة رجل واحد . قال : فقالوا له : مه ، كف عنا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا ما نرضى به .

قال الزهرى فى حديثه : ثم بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عروة بن مسعود الثقفى ؛ فقال يامعشر قريش ، إنى قد رأيت ما يلقى منكم من بعثتموه إلى محمد إذ جاءكم من التعنيف وسوء اللفظ ، وقد عرفتم أنكم والد وإنى ولد — وكان عروة لسبيعة بنت عبد شمس — وقد سمعت بالذى نابكم ، فجمعت من أطاعنى من قومى ، ثم جئتكم حتى آسيتكم بنفسى ، قالوا : صدقت ، ما أنت عندنا بمتهم ، فخرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجلس بين يديه ، ثم قال : يا محمد ، أجمعت أوشاب الناس ، ثم جئت بهم إلى بيضتك لتفضها بهم ، إنها قريش قد خرجت معها العوذ المطافيل : قد لبسوا جلود النمور ، يعاهدون الله لا تدخلها عليهم عنوة أبداً وايم الله ، لكأنى بهؤلاء قد انكشفوا عنك غداً . قال :

وأبو بكر الصديق خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم قاعد؛ فقال: امصص بظر اللات، أنحن ننكشف عنه؟ قال: من هذا يا محمد؟ قال: ابن أبي قحافة، قال: أما والله لولا يد كانت لك عندي لكافأتك بها، ولكن هذه بها، قال: ثم جعل يتناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يكلمه قال: والمغيرة بن شعبة واقف على رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديد، فجعل يقرع يده إذا تناول لحية رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن لا تصل إليك، قال: فيقول عروة: ويحك! ما أفظك وأغلظك! قال: فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال له عروة: من هذا يا محمد؟ قال: هذا ابن أخيك المغيرة بن شعبة، قال: أي غدر، وهل غسلت سوءتك إلا بالأمس.

قال ابن هشام: أراد عروة بقوله هذا أن المغيرة بن شعبة قبل إسلامه قتل ثلاثة عشر رجلا من بني مالك من ثقيف، فتهايج الحيان من ثقيف: بنو مالك رهط المقتولين، والأحلاف رهط المغيرة، فودى عروة المقتولين ثلاث عشرة دية، وأصلح ذلك الأمر.

قال ابن إسحاق: قال الزهري: فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحو مما كلم به أصحابه، وأخبره أنه لم يأت يريد حرباً.

فقام من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد رأى ما يصنع به أصحابه، لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، ولا يبصق بصاقاً إلا ابتدروه، ولا يسقط من شعره شيء إلا أخذوه. فرجع إلى قريش، فقال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه، والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في قوم قط مثل محمد في أصحابه، ولقد رأيت قوماً لا يسلمونه لشيء أبداً، فروا رأيكم.

قال ابن إسحاق: وحدثني بعض أهل العلم: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خراش بن أمية الخزاعي، فبعثه إلى قريش بمكة، وحمله على بعير له يقال له الثعلب، ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأرادوا قتله، فمنعته الأحابيش، فخلوا سبيله، حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق: وقد حدثني بعض من لا أتهم عن عكرمة مولى ابن عباس عن ابن عباس: أن قريشاً كانوا بعثوا أربعين رجلا منهم أو خمسين رجلا، وأمروهم أن يطيفوا بعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليصيبوا لهم من أصحابه أحداً، فأخذوا أخذاً، فأتي بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعفا عنهم وخلى سبيلهم، وقد كانوا رموا في عسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجارة والنبل.

ثم دعا عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فيبلغ عنه أشراف قريش ما جاء له، فقال: يا رسول الله، إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عدي بن كعب أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، وغلظتي عليها ولكني أدلك على رجل أعز بها مني، عثمان بن عفان. فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عثمان بن عفان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنه إنما جاء زائراً لهذا البيت، ومعظماً لحرمته.

قال ابن إسحاق: فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فانطلق عثمان حتى أتى أبا سفيان وعظماء قريش، فبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أرسله به؛ فقالوا لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم: إن شئت أن تطوف بالبيت فطف؛ فقال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبسته قريش عندها، فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين أن عثمان بن عفان قد قتل.

بيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال حين بلغه أن عثمان قد قتل : لانبرح حتى تناجز القوم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس إلى البيعة . فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، فكان الناس يقولون : بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، وكان جابر بن عبد الله يقول : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يبايعنا على الموت ، ولكن بايعنا على أن لانفر .

فبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ، ولم يتخلف عليه أحد من المسلمين حضرها ، إلا الجد بن قيس ،أخو بني سلمة . فكان جابر بن عبد الله يقول :والله لكأني أنظر إليه لاصقاً بإبط ناقته . قدضبأ إليها ، يستتر بها من الناس. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الذى ذكر من أمر عثمان باطل .

قال ابن هشام : فذكر وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي : أن أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم بيعة الرضوان أبو سنان الأسدي .

قال ابن هشام : وحدثني من أثق به عمن حدثه بإسناد له ، عن ابن أبي مليكة عن ابن عمر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بايع لعثمان ، فضرب بإحدى يديه على الأخرى .

أمر الهدنة قال ابن إسحاق : قال الزهري : ثم بعثت قريش سهيل بن عمرو ، أخا بني عامر بن لؤى ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالوا له : ائت محمداً فصالحه ولا يكن في صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا . فوالله لا تحدث العرب عنا أنه دخلها علينا عنوة أبداً . فأتاه سهيل بن عمرو ؛ فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قال : قد أراد القوم الصلح حين بعثوا هذا الرجل . فلما انتهى سهيل بن عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تكلم فأطال الكلام وتراجعا ثم جرى بينهما الصلح .

فلما التأم الأمر ولم يبق إلا الكتاب ، وثب عمر بن الخطاب ، فأتى أبا بكر ، فقال : ياأبا بكر أليس برسول الله؟ قال : بلى : قال أو لسنا بالمسلمين ؟ قال بلى ، قال أوليسوا بالمشركين ؟ قال بلى ، قال فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ قال أبو بكر : ياعمر ، الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله ؛ قال عمر : وأنا أشهد أنه رسول الله ؛ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يارسول الله ألست برسول الله ؟ قال : بلى قال: أولسنا بالمسلمين ؟ قال : بلى ، قال : أوليسوا بالمشركين ؟ قال : بلى ، قال : فعلام نعطى الدنية في ديننا ؟ قال أنا عبد الله ورسوله ، لن أخالف أمره ، ولن يضيعني! قال : فكان عمر يقول : مازلت أتصدق وأصوم وأصلي وأعتق ، من الذى صنعت يومئذ مخافة كلامي الذى تكلمت به ، حتى رجوت أن يكون خيراً .

شروط الصلح : قال ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ، فقال : اكتب : بسم الله الرحمن الرحيم ، قال : فقال سهيل : لا أعرف هذا ، ولكن اكتب باسمك اللهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اكتب باسمك اللهم ، فكتبها ، ثم قال : اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو ، قال : فقال سهيل : لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك ، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو ، اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، على أنه من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه ، وإن بيننا عيبة مكفوفة ، وأنه لا إسلال ولا إغلال ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد

وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم دخل فيه .

فتواثبت خزاعة فقالوا : نحن فى عقد محمد وعهده ، وتواثبت بنو بكر ، فقالوا : نحن فى عقد قريش وعهدهم ، وأنك ترجع عنا عامنا هذا فلا تدخل علينا مكة ، وأنه إذا كان عام قابل ، خرجنا عنك فدخلتها بأصحابك ، فأقمت بها ثلاثاً ، معك سلاح الراكب ، السيوف فى القرب ، لا تدخلها بغيرها .

أبو جندل بن سهل : فبينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتب الكتاب هو وسهيل بن عمرو ، إذا جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرسف فى الحديد ، قد انفلت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا وهم لا يشكون فى الفتح ، لرؤيا رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما رأوا من الصلح والرجوع ، وما تحمل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفسه دخل على الناس من ذلك أمر عظيم ، حتى كادوا يهلكون ؛ فلما رأى سهيل أبا جندل قام إليه فضرب وجهه ، وأخذ بتلبيبه ؛ ثم قال : يا محمد ! قد لجت القضية بينى وبينك قبل أن يأتيك هذا ، قال صدقت ، فجعل ينتره بتلبيبه ، ويجره ليرده إلى قريش ، وجعل أبو جندل يصرخ بأعلى صوته : يا معشر المسلمين ، أأرد إلى المشركين يفتنونى فى دينى ؟ فزاد ذلك الناس إلى ما بهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا جندل ؛ اصبر واحتسب فإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً ، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم صلحاً ، وأعطيناهم على ذلك ، وأعطونا عهد الله ، وإنا لا نغدر بهم ؛ قال : فوثب عمر بن الخطاب مع أبى جندل يمشى إلى جنبه ، ويقول : اصبر يا أبا جندل ، فإنما هم المشركون وإنما دم أحدهم دم كلب . قال : ويدنى قائم السيف منه . قال : يقول عمر : رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه ، قال : فضن الرجل بأبيه ، ونفذت القضية .

من شهدوا على الصلح: فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكتاب أشهد على الصلح رجالا من المسلمين ورجالا من المشركين : أبو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعبد الله بن سهيل بن عمرو ، وسعد بن أبى وقاص ، ومحمود بن مسلمة ، ومكرز بن حفص ، وهو يومئذ مشرك ، وعلى بن أبى طالب وكان هو كاتب الصحيفة .

الاحلال : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم مضطرباً فى الحل ، وكان يصلى فى الحرم ، فلما فرغ من الصلح قدم إلى هديه فنحره ، ثم جلس فحلق رأسه وكان الذى حلقه ، فيما بلغنى ، فى ذلك اليوم خراش بن أمية ابن الفضل الخزاعى ، فلما رأى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد نحر وحلق واثبوا ينحرون ويحلقون .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : حلق رجال يوم الحديبية ، وقصر آخرون . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحم الله المحلقين ، قالوا : والمقصرين يارسول الله ؟ قال يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين : يارسول الله ؟ قال يرحم الله المحلقين ، قالوا والمقصرين يارسول الله ، قال : والمقصرين ، فقالوا : يارسول الله : فلم : ظاهرت الترحيم للمحلقين دون المقصرين ؟ قال : لم يشكوا .

وقال عبد الله بن أبى نجيح : حدثنى مجاهد ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدى عام الحديبية فى هداياه جملا لأبى جهل ، فى رأسه برة من فضة ، يغيظ بذلك المشركين .

نزول آية الفتح : قال الزهرى فى حديثه : ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهه ذلك قافلا ، حتى إذا كان بين مكة والمدينة ، نزلت سورة الفتح : « إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً . ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيما »

ثم كانت القصة فيه وفي أصحابه ، حتى انتهى إلى ذكر البيعة ، فقال جل ثناؤه : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله ، يد الله فوق أيديهم ، فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله ، فسيؤتيه أجراً عظيما » .

ثم ذكر من تخلف عنه من الأعراب ، ثم قال : حين استنفرهم للخروج معه فأبطئوا عليه : « سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا » . ثم القصة عن خبرهم ، حتى تنتهى إلى قوله « سيقول المخلفون إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها ذرونا نتبعكم ، يريدون أن يبدلوا كلام الله ، قل لن تتبعونا ، كذلكم قال الله من قبل » .. ثم القصة عن خبرهم وما عرض عليهم من جهاد القوم أولى البأس الشديد .

قال ابن إسحاق : حدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال فارس قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري أنه قال : أولو البأس الشديد : حنيفة مع الكذاب .

ثم قال تعالى : « لقد رضى الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم ، فأنزل السكينة عليهم ، وأثابهم فتحاً قريباً » ومغانم كثيرة يأخذونها ، وكان الله عزيزاً حكيماً » وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، وكف أيدى الناس عنكم ولتكون آية للمؤمنين ويهديكم صراطاً مستقيما » وأخرى لم تقدروا عليها قد أحاط الله بها ، وكان الله على كل شيء قديراً » .

ثم ذكر محبسه وكفه إياه عن القتال ، بعد الظفر منه بهم ، يعني النفر الذين أصاب منهم وكفهم عنه ، ثم قال تعالى : « وهو الذي كف أيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم ، وكان الله بما تعملون بصيراً » ثم قال تعالى . « هم الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهدى معكوفاً أن يبلغ محله » .

قال ابن هشام : المعكوف : المحبوس ، قال أعشى بني قيس بن ثعلبة .

وكأن السموط عكفه السلك بعطفى جيداء أم غزال

وهذا البيت في قصيدة له .

قال ابن إسحاق : « ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطئوهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم » ، والمعرة : الغرم ، أي أن تصيبوا منهم معرة بغير علم فتخرجوا ديته ، فأما إثم فلم يخشه عليهم .

قال ابن هشام : بلغني عن مجاهد أنه قال : نزلت هذه الآية في الوليد بن الوليد بن المغيرة وسلمة بن هشام ، وعياش ابن أبي ربيعة ، وأبي جندل بن سهيل وأشباههم .

قال ابن إسحاق : ثم قال تبارك وتعالى : « إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية ، حمية الجاهلية » يعني سهيل بن عمرو حين حمى أن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، وأن محمداً رسول الله ثم قال تعالى : « فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ، وألزمهم كلمة التقوى ، وكانوا أحق بها وأهلها » : أي التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

ثم قال تعالى : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا » أي لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم التي رأى ، أنه سيدخل مكة آمناً لا يخاف ؛ يقول : محلقين رءوسكم ومقصرين معه لا تخافون ، فعلم من ذلك ما لم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً ، صلح الحديبية .

يقول الزهري : فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه ، إنما كان القتال حيث التقى الناس ؛ فلما كانت الهدنة ، ووضعت الحرب ، وآمن الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا ، فتفاوضوا في الحديث والمنازعة ، فلم يكلم أحد بالإسلام

يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل فى تينك السنتين مثل من كان فى الإسلام قبل ذلك أو أكثر .

قال ابن هشام : والدليل على قول الزهرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى الحديبية فى ألف وأربع مائة ، فى قول جابر بن عبد الله ، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بسنتين فى عشرة آلاف .

قال ابن إسحاق : فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه أبو بصير عتبة بن أسيد بن جارية ، وكان ممن حبس بمكة ، فلما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم على كتب فيه أزهر بن عبد عوف بن عبد الحارث بن زهرة ، والأخنس بن شريق بن عمرو بن وهب الثقفى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعثا رجلا من بنى لؤى ومعه مولى لهم فقدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتاب الأزهر والأخنس ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا أبا بصير إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت ، ولا يصلح لنا فى ديننا الغدر ، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجا ، فانطلق إلى قومك ، قال : يارسول الله ، أتردنى إلى المشركين يفتنوننى فى دينى ؟ قال : يا أبا بصير ، فإن الله تعالى سيجعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً .

فانطلق معهما ، حتى إذا كان بذى الحليفة ، جلس إلى جدار ، وجلس معه صاحباه ، فقال أبو بصير : أصارم سيفك هذا يا أخا بنى عامر ؟ فقال نعم ؛ قال : أنظر إليه ؟ قال : انظر ، إن شئت قال : فاستله أبو بصير ، ثم علاه به حتى قتله ، وخرج المولى سريعاً حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو جالس فى المسجد ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم طالعاً قال : إن هذا الرجل قد رأى فزعاً ، فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ويحك ! مالك ؟ قال : قتل صاحبكم صاحبى فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحاً بالسيف ، حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، وفت ذمتك ، وأدى الله عنك ، أسلمتنى بيد القوم وقد امتنعت بدينى أن أفتن فيه ، أو يعبث بى . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ويل امه محش حرب لو كان معه رجال !

ثم خرج أبو بصير حتى نزل العيص ، من ناحية ذى المروة ، على ساحل البحر ، بطريق قريش التى كانوا يأخذون عليها إلى الشام ، وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بصير : « ويل امه محش حرب لو كان معه رجال ! » ، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ، فاجتمع إليه منهم قريب من سبعين رجلا ، وكانوا قد ضيقوا على قريش ، لا يظفرون بأحد منهم إلا قتلوه ، ولا تمر بهم عير إلا اقتطعوها ، حتى كتبت قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تسأل بأرحامها إلا آواهم ، فلا حاجة لهم بهم . فآواهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدموا عليه المدينة .

قال ابن هشام : فلما بلغ سهيل بن عمرو قتل أبى بصير صاحبهم العامرى ، أسند ظهره إلى الكعبة ، ثم قال : والله لا أؤخر ظهرى عن الكعبة حتى يودى هذا الرجل ، فقال أبو سفيان بن حرب : والله إن هذا لهو السفه ، والله لا يودى ثلاثاً . فقال فى ذلك موهب بن رياح أبو أنيس ، حليف بنى زهرة :

قال ابن هشام : أبو أنيس أشعرى .

أتانى عن سهيل ذرو قول ... فأيقظنى وما بى من رقاد

فإن تكن العتاب تريد منى ... فعاتبنى فما بك من بعادى

أتوعدنى وعبد مناف حولى ... بمخزوم ألهفا من تعادى
فإن تغمز قناتى لا تجدنى ... ضعيف العود فى الكرب الشداد
أسامى الأكرمين أباً بقومى ... إذا وطىء الضعيف بهم أرادى
هم منعوا الظواهر غير شك ... إلى حيث البواطن فالعوادى
بكل طمرة وبكل نهد ... سواهم قد طوين من الطراد
لهم بالخيف قد علمت معد ... رواق المجد رفع بالعماد

فأجابه عبد الله بن الزبعرى فقال :

وأمسى موهب كحمار سوء ... أجاز ببلدة فيها ينادى
فإن العبد مثلك لا يناوى ... سهيلا ضل سعيك من تعادى
فاقصر بابن قين السوء عنه ... وعد عن المقالة فى البلاد
ولا تذكر عتاب أبى يزيد ... فهيهات البحور من الثماد

أمر المهاجرات بعد الهدنة

قال ابن إسحاق : وهاجرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط فى تلك المدة فخرج أخواها عمارة والوليد ابنا عقبة ، حتى قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألانه أن يردها عليهما بالعهد الذى بينه وبين قريش فى الحديبية ، فلم يفعل ، أبى الله ذلك .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى ، عن عروة ابن الزبير ، قال : دخلت عليه وهو يكتب كتاباً إلى ابن أبى هنيدة ، صاحب الوليد بن عبد الملك . وكتب إليه يسأله عن قول الله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات فامتحنوهن . الله أعلم بإيمانهن . فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار . لاهن حل لهم ، ولاهم يحلون لهن . وآتوهم ما أنفقوا . ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ، ولا تمسكوا بعصم الكوافر »

ــ قال ابن هشام : واحدة العصم : عصمة ، وهى الحبل والسبب . قال أعشى بنى قيس بن ثعلبة :

إلى المرء قيس نطيل السرى ... ونأخذ من كل حى عصم

وهذا البيت فى قصيدة له .

« واسألوا ما أنفقتم ، وليسألوا ما أنفقوا ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم » .

قال : فكتب إليه عروة بن الزبير : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح قريشاً يوم الحديبية على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليه ، فلم هاجر النساء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى الإسلام أبى الله أن يرددن إلى المشركين إذا هن امتحن بمحنة الإسلام ، فعرفوا أنهن إنما جئن رغبة فى الإسلام ، وأمر برد صدقاتهن إليهم إن احتبسن عنهم ، إن هم ردوا على المسلمين صداق من حبسوا عنهم من نسائهم ، ذلكم حكم الله يحكم بينكم ، والله عليم حكيم . فأمسك رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء ورد الرجال ، وسأل الذى أمره الله به أن يسأل من صدقات نساء من حبسوا منهن ، وأن يردوا عليهم مثل الذى يردون عليهم ، إن هم فعلوا ، ولولا الذى حكم الله به من هذا الحكم لرد رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء كما رد الرجال ، ولولا الهدنة والعهد الذى كان بينه وبين قريش يوم الحديبية لأمسك النساء ، ولم يردد لهن صداقاً ، وكذلك كان يصنع بمن جاءه من المسلمات قبل العهد .

قال ابن إسحاق : وسألت الزهرى عن هذه الآية ، وقول الله عز وجل فيها : « وإن فاتكم شىء من أزواجكم إلى الكفار فعاقبتم ، فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون » ، فقال : يقول : إن فات أحداً منكم أهله إلى الكفار ، ولم تأتكم امرأة تأخذون بها مثل الذى يأخذون منكم فعوضوهم من فىء إن أصبتموه ،

فلما نزلت هذه الآية : « يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات » . . إلى قول الله عز وجل : « ولا تمسكوا بعصم الكوافر » ، كان ممن طلق عمر بن الخطاب ، طلق امرأته قريبة بنت أبي أمية بن المغيرة ، فتزوجها بعده معاوية ابن أبي سفيان وهما على شركهما بمكة ، وأم كلثوم بنت جرول أم عبيد الله بن عمر الخزاعية ، فتزوجها أبو جهم بن حذيفة بن غانم ، رجل من قومه ، وهما على شركهما .

بشرى فتح مكة : قال ابن هشام : حدثنا أبو عبيدة أن بعض من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لما قدم المدينة : ألم تقل يا رسول الله إنك تدخل مكة آمناً ؟ قال : بلى ، أفقلت لكم من عامي هذا ؟ قالوا : لا ، قال : فهو كما قال لي جبريل عليه السلام .

غزوة الحديبية

يقال فيها : الحديبية بالتخفيف ، وهو الأعرف عند أهل العربية . قال الخطابي : أهل الحديث يقولون : الحديبية بالتشديد ، والجعرانة كذلك ، وأهل العربية يقولونهما : بالتخفيف. وقال البكري : أهل العراق يشددون الراء والياء في الجعرانة والحديبية ، وأهل الحجاز يخففون ، وقال أبو جعفر النحاس : سألت كل من لقيته ممن أثق بعلمه عن الحديبية، فلم يختلفوا على أنها بالتخفيف.

الميقات والاشعار : فصل : وذكر خروج النبي — صلى الله عليه وسلم — معتمراً إلى مكة ، ولم يذكر في حديثه: من أين أحرم ، وفي الصحيح من رواية الزهري أنه أحرم من ذي الحليفة ، وهو خلاف ما يروى عن علي رحمه الله من قوله : تمام العمرة أن تحرم بها من دويرة أهلك ، وهذا من قول علي متأول فيمن كان منزله من وراء الميقات ، فهو الذي يحرم من دويرة أهله ، كما يحرم أهل مكة من مكة في الحج .

وفيه : أنه أشعر الهدى ، وهو خلاف قول النخعي وأهل الكوفة في قولهم إن الإشعار منسوخ بنهيه عن المثلة ، ويقال لهم : إن النهي عن المثلة كان بإثر غزوة أحد ، فلا يكون الناسخ متقدماً على المنسوخ .

وفيه أنهم مروا بطريق أجرد . ومعناه : كثير الحجارة ، والجرد : الحجر .

وفيه أنه بعث عيناً له من خزاعة إلى مكة ، فدل على أنه يجوز للرجل أن يسافر وحده ، إذا مست الحاجة إلى ذلك أو كان في ذلك صلاح للمسلمين .

وفي البخاري والنسوي أن عينه الذي أرسل جاءه بغدير الأشطاط ، والأشطاط : جمع شط ، وهو السنام ، قال الراجز:

شطا رميت فوقه بشط

وشط الوادي : أيضاً جانبه ، وبعضهم يقول فيه الأشظاظ بالظاء المعجمة ، واسم عينه ذلك بسر بن سفيان بن عمرو ابن عمير الخزاعي وهو الذي بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مع بديل بن أم أصرم وهو بديل بن سلمة إلى خزاعة يستنفرهم إلى قتال أهل مكة عام الفتح .

وفيه أن قريشاً خرجت ومعها العوذ المطافيل . العوذ : جمع عائذ وهي الناقة التي معها ولدها يريد أنهم خرجوا بذوات الألبان من الإبل ، ليتزودوا ألبانها ، ولا يرجعوا ، حتى يناجزوا محمداً وأصحابه في زعمهم ، وإنما قيل للناقة: عائذ ، وإن كان الولد هو الذي يعوذ بها ، لأنها عاطف عليه ، كما قالوا تجارة رابحة ، وإن كانت مربوحاً فيها، لأنها في معنى نامية وزاكية ، وكذلك عيشة راضية لأنها في معنى صالحة ، ومن نحو هذا قوله : « والهدى معكوفاً » وإن كان عاكفاً ، لأنه محبوس في المعنى ، فتحول وزنه في اللفظ إلى وزن ما هو في معناه ، كما قالوا في المرأة : تهراق الدماء، وقياسه تهريق الدماء ولكنه في معنى : تستحاض ، فحول إلى وزن ما لم يسم فاعله وبقيت الدماء منصوبة على المفعول كما كانت .

. . . .

وقوله فى بئر الحديبية : إنما يتبرض ماؤها تبرضاً ، من البرض ، وهو الماء الذى يقطر قليلا قليلا ، والبارض من النبات الذى كأنه يقطر من الرى والنعمة ، قال الشاعر :

رعى بارض البهمى جميا وبسرة   وصمعاء حتى آنفته نصالهـــا

يقال لـكل شىء فى أوله : بسرة حتى للشمس عند طلوعها ، وصمعاء : متحدة قد شوكت ، قاله أبو حنيفة .

وذكر أن رجلا من أسلم سلك بهم طريقاً وعراً أجرل يقـال : إن ذلك الرجل هو ناجية الأسلمى ، وهو سائق بدنه . وهو ناجية بن جندب ، ويقـال فيه ابن عمير ، وكان اسمه : ذكوان ، فسماه النبى صلى الله عليه وسلم : ناجية حين نجـا من كفار قريش ، وعاش إلى زمن معاوية ، وأما صاحب بدن رسول الله صلى الله عليه وسلم المذكور فى حديث آخر فى الموطأ وغيره ، فاسمه : ذؤيب بن حلحلة بن عمرو بن كليب بن أصرم بن عبد الله بن قمير بن حبشية ابن سلول بن كعب بن عمـــرو بن ربيعة ، وهو لحى بن حارثة جد خزاعة ، وذؤيب هذا هو والد قبيصة بن ذؤيب القاضى صاحب عبد الملك بن مروان ، وعاش ذؤيب إلى خلافة معاوية أيضاً .

وذكر فى نسب أسلم بن أفصى بن أبى حارثة ، وهو وهم ، وقد أصلحه ابن هشام ، فقال : هو حارثة يعنى بن ثعلبة ابن عمرو بن عامر بن ماء السماء بن حارثة الغطريف بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأسد ، ويحتمل أن يكون ابن إسحاق لم يهم فيه ، ولكنه نسبه إلى أبى حارثة بن عمرو بن عامر ، وهو عم حارثة بن ثعلبة ، وحارثة هو أبو الأوس والخزرج .

وذكر قوله عليه السلام : لا تدعونى قريش اليوم إلى خطة ، الحديث ، وفى غير رواية ابن إسحاق عن الزهرى أنه قال : والذى نفسى بيده ، لا تدعونى قريش ولم يقل فى الحديث : إن شاء الله ، وقد تكلموا فى ذلك فقيل : إنما أسقط الاستثناء لأنه أمر واجب كان قد أمر به ، ألا تراه يقول فى الحديث : إنما أنا عبد الله ورسوله لن أخالف أمره ، ولن يضيعنى ، وقيل إن إسقاط الاستثناء إنما هو من الراوى ؛ إما نسيه وإما لم يحفظه .

وفى الحديث : أو تنفرد هذه السالفة . السالفة : صفحة العنق ، وانفرادها عبارة عن القتل أو الذبح ، وفى الرجز الذى أنشده :

يا أيها المائح دلوى دونـــكا

لو قال دونك دلوى لـكان الدلو فى موضع نصب على الإغراء ، فلما قدمها على دونك ، لم يجز نصبها بدونك ، ولـكنه بفعل آخر ، كأنه قال : املأ دلوى ، فقوله : دونـكا أمر بعد أمر .

وفيه قوله صلى الله عليه وسلم : فى الحليس : إن هذا من قوم يتألهون ، أى : يعظمون أمر الإله ، ومنه قول رؤبة :

سبحن واسترجعن من تأله

أى : من تنسك وتعظيم لله سبحانه .

وصف الجمع بالمفرد : وقول عروة بن مسعود لقريش : قد عرفتم أنكم والد : أى كل واحد منكم كالوالد ، وقيل معناه : أنتم حى قد ولدنى ، لأنه كان لسبيعة بنت عبد شمس وقد يجوز أن يقال فى الجماعة : هم لى صديق وعدو . وفى التنزيل : «وحسن أولئك رفيقاً» فيفرد لأنه صفة لفريق وحزب ، ويقبح أن تقول : قومك ضاحك أو باك ، وإنما يحسن هذا إذا وصفت بصديق ورفيق وعدو لأنها صفة تصلح للفريق والحزب ، لأن العداوة والصداقة صفتان متضادتان ، فإذا كان على أحدهما الفريق الواحد ، كان الآخـــر على ضدها ، وكانت قلوب أحد الفريقين فى تلك الصفة على قلب رجل واحد فى عرف العادة ، لحسن الإفراد ، وليس يلزم مثل هذا فى القيام والقعود ونحوه ، حتى يقال : هم قاعد أو قائم ، كما يقال هم صديق ، لما قدمناه من الاتفاق والاختلاف . وأما قوله تعالى : «يخرجكم طفلا» بلفظ الإفراد ، وقال

. . . .

فى موضع آخر « وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم » فالأحسن فى حكم البلاغة أن يعبر عن الأطفال الرضع بالطفل فى الواحد والجميع : لأنهم مع حدثان الولادة كالجنس الذى يقع على القليل والكثير بلفظ واحد ، ألا ترى أن بدء الخلق طين ، ثم منى ، والمنى جنس لا يتميز بعضه من بعض فلذلك لا يجمع ، وكذلك الطين ، ثم يكون الخلق علقة وهو الدم ، فيكون ذلك جنساً ثم يخرجهم الله طفلا أى : جنساً تالياً للعلق والمنى لا يكاد يتميز بعضهم من بعض إلا عند آبائهم . فإذا كبروا وخالطوا الناس ، وعرف الناس صورهم بعضهم من بعض فصاروا كالرجال والصبيان ، قيل فيهم حينئذ أطفال ، كما يقال : رجال وفتيان ، ولا يعترض على هذا الأصل بالأجنة أنهم مغيبون فى البطون ، فلم يكونوا كالجنس الظاهر للعيون كالماء والطين والعلق ، وإنما جمع الجنين على أجنة ، وحسن ذلك فيه ، لأنه تبع البطن الذى هو فيه ، ويقوى هذا الغرض الذى صمدنا إليه فى الطفل قول رجل من بنى مجاعة لعمر بن عبد العزيز ، وقد سأله : هل بقى من كهول بنى مجاعة أحد ؟ قال : نعم ، وشكير كثير ، فانظر كيف قال : الكهول وجمع ، وقال فى الصغار : شكير كما تقول : حشيش ، ونبات ، فتفرد ، لأنه جنس واحد ، والطفل فى معنى الشكير ما داموا رضعاً ، حتى يتميزوا بالأسماء والصور عند الناس ، فهذا حكم البلاغة ، ومساق الفصاحة فافهمه .

وأما قول عروة : جمعت أوشاب الناس ، يريد : أخلاطاً ، وكذلك الأوباش .

وقوله فى حديث المغيرة : أما المال فلست منه فى شىء : فيه من الفقه أن أموال المشركين حرام إذا أمنوك وأمنتهم . وإنما يحل بالمحاربة والمغالبة لا عند طمأنينتهم إليك وأمنتهم منك ، فإن ذلك هو الغـدر ، وفى هذا المعنى آثار قد مضى بعضها ، وسيأتى بعضها فى غزوة خيبر وغيرها .

وفيه : أنهم كانوا يتدلكون بنخامة النبى — صلى الله عليه وسلم — إذا تنخم . وفى ذلك دليل على طهارة النخامة خلافاً للنخعى ، وما يروى فى ذلك عن سلمان الفارسى : وحديث : إذا تنخم أحدكم فى الصلاة أبين فى الحجة ، لأن حديث السيرة يحتمل الخصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم .

المصالحة فصل : وذكر مصالحة النبى — صلى الله عليه وسلم — لقريش وشرطهم أن لا يأتيه منهم أحد ممن هو على دينه إلا رده عليهم ، وفى هـذا الحديث مصالحة المشركين على غير مال يؤخذ منهم ، وذلك جائز إذا كان بالمسلمين ضعف ، وقد تقدم مصالحتهم على مال يعطونه فى غزوة الخندق ، واختلف : هل يجوز صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ؟ فقال بعضهم : يجوز ذلك إذا رآه الإمام ، وقالت طائفة : لا يتجاوز فى صلحهم إلى أكثر من عشر سنين ، وحجتهم أن خطر الصلح هو الأصل لدليل آية القتال ، وقد ورد التحديد بالعشر فى حديث ابن إسحاق فحصلت الإباحة فى هذا المقدار متحققة ، وبقيت الزيادة على الأصل وهو الخطر ، وفيه الصلح على أن يرد المسلم إلى دار الكفر ، وهذا منسوخ عند أبى حنيفة بحديث سرية خالد حـين وجهه النبى — صلى الله عليه وسلم إلى خثعم ، وفيهم ناس مسلمون فاعتصموا بالسجود فقتلهم خالد فوداهم النبى — صلى الله عليه وسـلم — نصف الدية ، وقال أنا برىء من مسلم بين مشركين ، وقال فقهاء الحجاز : هو جائز ، ولكن للخليفة الأكبر لا من دونه ، وفيه : نسخ السنة بالقرآن على أحد القولين ، فإن هذا العهد كان يقتضى أن لا يأتيه مسلم إلا رده ، فنسخ الله تعالى ذلك فى النساء خاصة ، فقال عز وجل : « فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار » ، هذا على رواية عقيل بن خالد عن الزهرى ، فإنه قال فى الحديث : أن لا يأتيه أحد ، وأحد يتضمن الرجال والنساء ، والأحسن أن يقال فى مثل هذا تخصيص عموم لا نسخ ، على أن بعض حذاق الأصوليين قد قال فى العموم . إذا عمل بمقتضاه فى عصر النبى — صلى الله عليه وسلم — واعتقد فيه العموم ، ثم ورد التخصيص فهو نسخ ، وهو قول حسن ، وفى رواية أخرى أن لا يأتيه رجل . فهذا اللفظ لا يتناول

. . . .

النساء . وقالت طائفة : إنما استجاز النبي صلى الله عليه وسلم — رد المسلمين إليهم فى هذا الصلح لقوله عليه السلام : لاتدعونى قريش إلى خطة يعظمون فيها الحرم إلا أجبتهم إليها ، وفى رد المسلم إلى مكة عمارة البيت ، وزيادة خير له فى الصلاة بالمسجد الحرام والطواف بالبيت ، فكان هذا من تعظيم حرمات الله تعالى ، فعلى هذا القول يكون مخصوصاً بمكة ، وبالنبي صلى الله عليه وسلم، ويكون غير جائز لمن بعده كما قال العراقيون .

حكم المهاجرات : فصل : وذكر قول الله سبحانه : «إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات ، فامتحنوهن» هذا عند أهل العلم مخصوص بنساء أهل العهد والصلح ، وكان الامتحان أن يستحلف المرأة المهاجرة أنها ماخرجت ناشزاً ولا هاجرت إلا لله ولرسوله ، فإذا حلفت لم ترد ورد صداقها إلى بعلها وإن كانت من غير أهل العهد لم تستحلف ؛ ولم يرد صداقها .

وفيه : أن النبي صلى الله عليه وسلم محا اسمه ، وهو رسول الله ، وكتب : هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله ، لأنه قول حق كله ، وظن بعض الناس أنه كتب بيده ، وفى البخارى أنه كتب وهو لا يحسن الكتابة ، فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة فى تلك الساعة خاصة ، وقال : هى آية ، فيقال له كانت تكون آية لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أمياً لا يكتب ، وبكونه أمياً فى أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحد ، وانحسمت الشبهة فكيف يطلق الله يده، لتكون آية ؟ وإنمـــا الآية أن لا يكتب والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً ، وإنما معنى ، كتب أى : أمر أن يكتب . وكان الكاتب فى ذلك اليوم على بن أبى طالب ، وقد كتب له عدة من أصحابه ، منهم عبد الله بن الأرقم ، وخالد ابن سعيد ، وأخوه أبان ، وزيد بن ثابت ، وعبد الله بن عبد الله بن أبى بن سلول ، وأبى بن كعب القـــارى ، وقد كتب له أيضاً فى بعض الأوقات أبو بكر وعمر وعثمان رضى الله عنهم ،وكتب له كثيراً معاوية بن أبى سفيان بعد عام الفتح ، وكتب له أيضا الزبير بن العوام، ومعيقب بن أبى فاطمة ، والمغيرة بن شعبة ، وشرحبيل بن حسنة وخالد ابن الوليد ، وعمرو بن العاصى ، وجهيم بن الصلت ، وعبد الله بن رواحة ، ومحمد بن مسلمة ، وعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، وحنظلة الأسيدى ، وهو حنظلة بن الربيع وفيه يقـــول الشاعر بعد موته :

إن سواد العين أودى به ... حزن على حنظـــلة الكاتب

والعلاء بن الحضرمى ، ذكرهم عمر بن شبة فى كتاب الكتاب له .

باسمك اللهم: وأما قول سهيل بن عمرو له : ولكن اكتب : باسمك اللهم ، فإنها كلمة كانت قريش تقولها ولقولهم لها سبب قد ذكرناه فى كتاب التعريف والإعلام ، وأول من قالها أمية بن أبى الصلت ، ومنه تعلموها وتعلمها هو من رجل من الجن فى خبر طويل ذكره المسعودى وهو الخبر الذى لخصناه فى الكتاب المذكور .

عيبة مكفوفة : فصل : وذكر فى الكتاب :وإن بيننا عيبة مكفوفة أى : صدور منطوية على مافيها لا تبدى عداوة ، وضرب العيبة مثلا ، وقال الشاعر :

وكادت عياب الود منا ومنهم ... وإن قيل أبناء العمومة تصفر

وقال صلى الله عليه وسلم: الأنصار كرشى وعيبتى فضرب العيبة مثلا لموضع السر ، وما يعتد به من ودهم . والكرش وعاء يصنع من كرش البعير ، يجعل فيه مايطبخ من اللحم ، يقال ، ما وجدت لهذه البضعة فاكرش ، أى : إن الكرش قد امتلأ ، فلم يسعها فه . ويضرب أيضاً هذا مثلا ، كما قال الحجاج : ماوجدت إلى دم فلان فاكرش .

وقوله : ولا إغلال ، هى الخيانة ، يقال : فلان مغل الأصبع ، أى خائن اليد . قال الشاعر :

حدثت نفسك بالوفاء ، ولم تكن ... بالغدر خائنة مغـــل الأصبع

والإسلال : السرقة ، والخلسة ونحوها ، وهي السلة . قالوا في المثل : الخلة تدعو إلى السلة .

أبو جندل : فصل : وذكر خروج أبي جندل يرسف في الحديد . أبو جندل ، هو العاصي بن سهيل ، وأما أخوه عبد الله بن سهيل : فكان قد فر يوم بدر إلى المسلمين ، فلحق بهم ، وشهد بدراً ، والمشاهد كلها ، وقتل يوم اليمامة شهيداً ، وأما أبو جندل ، فاستشهد مع أبيه بالشام في خلافة عمر ، وهو الذي شرب الخمر متأولا لقوله تبارك وتعالى « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا » فجلده أبو عبيدة بأمر عمر وجلد صاحبه ، وهو ضرار ، ثم إن أبا جندل أشفق من الذنب حتى قال : لقد هلكت ، فبلغ ذلك عمر رضي الله عنه ، فكتب إليه : إن الذي زين لك الخطيئة هو الذي حظر عليك التوبة : « بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب » الآية . وكان شربها معه ضرار بن الخطاب ، وأبو الأزور ، فلما أمر عمر أن يجلدوا ، قالوا : دعنا نلق العدو ، فإن قتلنا فذاك ، وإلا حددتمونا ؛ فقتل أبو الأزور ، وحد الآخران .

رفض عمر الدنية : فصل : وذكر قول عمر - رضي الله عنه - فعلام نعطى الدنية في ديننا ، هي فعيلة من الدناءة ، وأصلها الهمز ، وفي غير رواية ابن إسحاق أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعمر : إني عبد الله ولست أعصيه ، وهو ناصري ، وأنه أتى أبا بكر - رضي الله عنه - فقال له مثل ما قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، فجاوبه أبو بكر بمثل ما جاوبه به النبي صلى الله عليه وسلم حرفاً بحرف ، ثم قال له : ياعمر الزم غرزه ، فإني أشهد أنه رسول الله ، قال عمر : وما شككت منذ أسلمت إلا الساعة ، وفي هذا أن المؤمن قد يشك ، ثم يجدد النظر في دلائل الحق فيذهب شكه ، وقد روى عن ابن عباس أنه قال : هو شيء لا يسلم منه أحد ، ثم ذكر ابن عباس قول إبراهيم — صلى الله عليه وسلم « ولكن ليطمئن قلبي » ولولا الخروج عما عمدنا إليه في هذا الكتاب لذكرنا ما للعلماء في قول إبراهيم صلى الله عليه وسلم « ولكن ليطمئن قلبي » وذكرنا النكتة العظمى في ذلك ، ولعلنا أن نلقى لها موضعاً ، فنذكرها والشك الذي ذكره عمر وابن عباس ما لا يصر عليه صاحبه ، وإنما هو من باب الوسوسة التي قال فيها عليه السلام مخبراً عن إبليس : الحمد لله الذي رد كيده إلى الوسوسة .

موقف أم سلمة — وفي غير رواية ابن إسحاق من الصحيح أنه عليه السلام دخل على أم سلمة ، وشكا إليها ما لقي من الناس حين أمرهم أن يحلقوا وينحروا ، فلم يفعلوا لما بهم من الغيظ ، فقالت : يارسول الله أخرج إليهم . فلا تكلمهم ، حتى تحلق وتنحر ، فإنهم إذا رأوك قد فعلت ذلك ، لم يخالفوك . ففعل صلى الله عليه وسلم ، وفعل الناس ، وكان الذي حلق رأس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك اليوم خراش بن أمية الخزاعي وهو الذي كان بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ إلى مكة فعقروا جمله ، وأرادوا قتله ، فحينئذ بعث إليهم عثمان بن عفان رضي الله عنه ، ففي تركهم للبدار دليل على أن الأمر ليس على الفور كما ذهب إليه بعض الأصوليين ، وفيه أنهم حملوا الأمر على غير الوجوب لقرينة ، وهي أنهم رأوه لم يحلق ولم ينحر ولم يقصر ، فلما رأوه قد فعل اعتقدوا وجوب الأمر وامتثلوه . وفيه أيضاً إباحة مشاورة النساء وذلك أن النهي عن مشاورتهن إنما هو عندهم في أمر الولاية خاصة . كذلك قال أبو جعفر النحاس في شرح هذا الحديث .

المقصرون فصل : وذكر ابن إسحاق استغفار النبي صلى الله عليه وسلم المحلقين ثلاثاً وللمقصرين مرة واحدة . ولم يكن المقصر يومئذ من أصحابه إلا رجلين . أحدهما عثمان بن عفان ، والآخر أبو قتادة الأنصاري ، كذلك جاء في مسند حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

حديث أبو بصير : وذكر حديث أبي بصير واختلف في اسمه ، فقيل : عبيد بن أسيد بن جارية ، وقيل عتبة .

وذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم حين قتل أحد الرجلين : ويل أمه محش حرب . وفي الصحيح ويل أمه مسعر حرب ، يقال حششت النار ، وأرثتها ، وأذكيتها ، وأثقبتها وسعرتها بمعنى واحد ، وسمى الأسعر الجعفي أسعر بقوله :

فلا يدعني قومي لسعد بن مالك   لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

وكان اسمه مرثد بن حمران ، ومالك في هذا البيت هو مذحج . وأما لحوق أبي بصير بسيف البحر ، ففي رواية معمر

عن الزهرى ، أنه كان يصلى بأصحابه هنالك ، حتى لحق بهم أبو جندل بن سهيل فقدموه لأنه قرشى فلم يزل أصحابه يكثرون حتى بلغوا ثلاثمائة ، وكان أبو بصير كثيراً ما يقول هنالك . الله العلى الأكبر ، من ينصر الله فسوف ينصر فلما جاءهم الفرج من الله تعالى وكلمت قريش النبى عليه السلام أن يؤويهم إليه لما ضيقوا عليهم ، ورد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم وأبو بصير فى الموت ، يجود بنفسه فأعطى الكتاب فجعل يقرأه ويسر به حتى قبض والكتاب على صدره فبنى عليه هنالك مسجد ، يرحمه الله .

قبول الله عمرتهم : وفى الحديث من غير السيرة أن المسلمين حين حلقوا فى ذلك اليوم وهم بالحل قد منعوا أن يدخلوا الحرم جاءت الريح ، فاحتملت شعورهم حتى ألقتها فى الحرم ، فاستبشروا بقبول الله عمرتهم ذكره أبو عمر .

والعمرة مشتقة من عمارة المسجد الحرام وبنيت على فعلة ؛ لأنها فى معنى قربة ووصلة إلى الله تعالى ، وليس قول من قال : إنها الزيارة فى اللغة ببين ، ولا فى قول الأعشى حجة لهم لأنه محتمل التأويل وهو قوله :

وجاشت النفس لما جاء فلهم وراكب جاء من تثليث معتمر

من حديث أبى بصير فصل : ومما يستدل عنه فى حديث أبى بصير قتله الرجل الكافر ، وهو فى العهد . أكان ذلك حراماً أم مباحاً له ، وظاهر الحديث رفع الحرج عنه لأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يثرب بل مدحه وقال : ويل أمه محش حرب . فإن قيل : كيف يكون ذلك جائزاً له ، وقد حقن الصلح الدماء ؟ قلنا : إنما ذلك فى حق أبى بصير على الخصوص لأنه دافع عن نفسه ودينه ، ومن قتل دون دينه فهو شهيد ، وإنما لم يطالبه رسول الله صلى الله عليه وسلم بدية ، لأن أولياء المقتول لم يطالبوه إما لأنهم كانوا قد أسلموا ، وإما لأن الله شغلهم عن ذلك حتى انتكث العهد وجاء الفتح .

فإن قيل : فإن النبى صلى الله عليه وسلم كان يدى من قتل خطأ من أهل الصلح كما ودى العامريين وغيرهما ؛ قلنا عن هذا جوابان . أحدهما أن أبا بصير كان قد رده إلى المشركين ، فصار فى حكمهم ولم يكن فى فئة المسلمين وحزبهم . فيحكم عليه بما يحكم عليهم .

والجواب الثانى : أنه كان قتل عمداً ولم يكن قتل خطأ كما كان قتل العامريين . وقد قال عمر بن الخطاب لا تعقل العاقلة عمداً ولا عبداً .

من مواقف عمر فى الحديبية فصل : وقول عمر للنبى صلى الله عليه وسلم ألم تعدنا أنا نأتى البيت ونطوف به ؟ فقال نعم وذكر الحديث . كان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد رأى ذلك فى منامه ورؤيا الأنبياء وحى ، ثم أنزل الله تعالى « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق » الآية ويسأل عن قوله : إن شاء الله آمنين : ما فائدة هذا الاستثناء . وهو خبر واجب ؟ وفى الجواب أقوال . أحدها : أنه راجع إلى قوله آمنين . لا إلى نفس الدخول وهذا ضعيف لأن الوعد بالأمان قد اندرج فى الوعد بالدخول .

الثانى أنه وعد على الجملة والاستثناء راجع التفصيل . إذ لا يدرى كل إنسان منهم هل يعيش إلى ذلك ، أم لا فرجع الشك إلى هذا المعنى ، لا إلى الأمر الموعود به ، وقد قيل إنما هو تعليم للعباد أن يقولوا هذه الكلمة ويستعملونها فى كل فعل مستقبل أعنى : إن شاء الله .

اول من بايع بيعة الشجرة فصل : وذكر بيعة الشجرة وبيعتها ولم يذكر أول من بايع . وذكر الواقدى أن أول من بايع بيعة الرضوان سنان بن أبى سنان الأسدى . وقال موسى بن عقبة أول من بايع أبو سنان . واسمه وهب بن محصن أخى عكاشة بن محصن الأسدى ، وقال الواقدى : كان أبو سنان أسن من أخيه عكاشة بعشر سنين ، شهد بدراً وتوفى يوم بنى قريظة : ويروى أنه حين قال للنبى صلى الله عليه وسلم ابسط يدك أبايعك ، قال : علام تبايعنى ؟ قال :

ذكر المسير إلى خيبر فى المحرم سنة سبع

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال : حدثنا زياد بن عبد الله البكائى عن محمد بن إسحاق المطلبى قال : ثم أقام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالمدينة حين رجع من الحديبية ذا الحجة وبعض المحرم ، وولى تلك الحجة المشركون ، ثم خرج فى بقية المحرم إلى خيبر .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة نميلة بن عبد الله الليثى ، ودفع الراية إلى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، وكانت بيضاء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى عن أبى الهيثم بن نصر بن دهر الأسلمى أن أباه حدثه : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم - يقول فى مسيره إلى خيبر لعامر بن الأكوع ، وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ، وكان اسم الأكوع سنان : انزل يابن الأكوع ، فخذلنا من هناتك ، قال : فنزل يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال :

والله لولا الله ما اهتدينا ... ولا تصدقنا ولا صلينا
إنا إذا قوم بغوا علينا ... وإن أرادوا فتنة أبينا
فأنزلن سكينة علينا ... وثبت الأقدام إن لاقينا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يرحمك الله ؛ فقال عمر بن الخطاب : وجبت والله يارسول الله ، لو أمتعتنا به ! فقتل يوم خيبر شهيداً ، وكان قتله ، فيما بلغنى ، أن سيفه رجع عليه وهو يقاتل ، فكلمه كلماً شديداً ، فمات منه ؛ فكان المسلمون قد شكوا فيه ، وقالوا ، إنما قتله سلاحه ، حتى سأل ابن أخيه سلمة بن عمرو بن الأكوع رسول الله

على ما فى نفسك يارسول الله : وأما سنان ابنه فهو أيضاً بدرى : مات سنة ثلاث وثلاثين ، وأما مبايعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة وكانوا ألفاً وأربعمائة فى إحدى الروايتين عن جابر وألفاً وخمسمائة فى الرواية الأخرى عنه ، فبايعوه فى قول جابر على أن لا يفروا قال : ولم يبايعوه على الموت : وقال سلمة بن الأكوع ، بايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الموت ، قال الترمذى وكلا الحديثين صحيح : لأن بعضهم بايع على أن لا يفروا ، ولم يذكروا الموت : وبعضهم قال : أبايعك على الموت .

ماقاله ابو جندل : فصل : ومما قاله أبو جندل بن سهيل أيام كونه مع أبى بصير بسيف البحر :

أبلغ قريشاً عن أبى جندل ... أنا بذى المروة فالساحل
فى معشر تخفق أيمانهم ... بالبيض فيها والقنا الذابل
يأبون أن تبقى لهم رفقة ... من بعد إسلامهم الواصل
أو يجعل لهم مخرجاً ... والحق لا يغلب بالباطل
فيسلم المرء بإسلامه ... أو يقتل المرء ولم يأتل

صلى الله عليه وسلم عن ذلك ، وأخبره بقول الناس ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنه لشهيد ، وصلى عليه ، فصلى عليه المسلمون .

قال ابن إسحاق : حدثني من لا أتهم ، عن عطاء بن أبي مروان الأسلمي ، عن أبيه ، عن أبي معتب بن عمرو : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أشرف على خيبر قال لأصحابه ، وأنا فيهم : قفوا ، ثم قال : اللهم رب السماوات وما أظللن ورب الأرضين وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرين ، فإنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير مافيها ، ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر مافيها ، أقدموا بسم الله . قال : وكان يقولها عليه السلام لكل قرية دخلها .

قال ابن إسحاق : وحدثني من لاأتهم عن أنس بن مالك ، قال . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يغر عليهم حتى يصبح : فإن سمع أذاناً أمسك ، وإن لم يسمع أذاناً أغار . فنزلنا خيبر ليلا : فبات رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا أصبح لم يسمع أذاناً ، فركب وركبنا معه . فركبت خلف أبي طلحة : وإن قدمي لتمس قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم : واستقبلنا عمال خيبر غادين ، قد خرجوا بمساحيهم ومكاتلهم : فلما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وا لجيش ، قالوا محمد والخميس معه ؟

فأدبروا هراباً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الله أكبر ، خربت خيبر ، إنا إذا نزلنا بساحة قوم ، فساء صباح المنذرين .

قال إبن إسحاق ، حدثنا هارون عن حميد ، عن أنس بمثله .

قال ابن إسحاق ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج من المدينة إلى خيبر سلك على عصر فبنى له فيها مسجد ، ثم على الصهباء ، ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بجيشه ، حتى نزل بواد يقال له ، الرجيع ، فنزل بينهم وبين غطفان : ليحول بينهم وبين أن يمدوا أهل خيبر ، وكانوا لهم مظاهرين على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فبلغني أن غطفان لما سمعت بمنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر جمعوا له ثم خرجوا ليظاهروا يهود عليه ، حتى إذا ساروا منقلة سمعوا خلفهم في أموالهم وأهليهم حساً ظنوا أن القوم قد خالفوا إليهم ، فرجعوا على أعقابهم ، فأقاموا في أهليهم وأموالهم ، وخلوا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين خيبر .

وتدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الأموال يأخذها مالا مالا ، ويفتتحها حصناً حصناً ، فكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم ، وعنده قتل محمود بن مسلمة ، ألقيت عليه منه رحا فقتلته ، ثم القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم سبايا ، منهن صفية بنت حي بن أخطب ، وكانت عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق وبنتي عم لها ، فاصطفى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية لنفسه .

وكان دحية بن خليفة الكلبي قد سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية ، فلما أصفاها لنفسه أعطاه ابنتي عمها ، وفشت السبايا من خيبر في المسلمين.

. . . .

النهى عن أكل الحمر الأهلية : وأكل المسلمون لحوم الحمر الأهلية من حمرها ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنهى الناس عن أمور سماها لهم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن عمرو بن ضمرة الفزارى عن عبد الله بن أبى سليط ، عن أبيه ، قال : أتانا نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل لحوم الحمر الإنسية ، والقدور تفور بها ، فكفأناها على وجوهها .

قال ابن إسحاق . وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح ، عن مكحول : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهاهم يومئذ عن أربع : عن إتيان الحبالى من السبايا ، وعن أكل الحمار الأهلى ، وعن أكل كل ذى ناب من السباع ، وعن بيع المغانم حتى تقسم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سلام بن كركرة ، عن عمرو بن دينار ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، ولم يشهد جابر خيبر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نهى الناس عن أكل لحوم الحمر ، أذن لهم فى أكل لحوم الخيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن أبى حبيب ، عن أبى مرزوق مولى تجيب ، عن حنش الصنعانى ، قال : غزونا مع رويفع بن ثابت الأنصارى المغرب ، فافتتح قرية من قرى المغرب يقال لها جربة ، فقام فينا خطيباً ، فقال : ياأيها الناس ، إنى لاأقول فيكم إلا ما سمعت من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقوله فينا يوم خيبر ، قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسق ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، ولا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يصيب امرأة من السبى حتى يستبرئها ، ولايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبيع مغنماً حتى يقسم ، ولايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يركب دابة من فىء المسلمين حتى إذا أعجفها ردها فيه ، ولايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يلبس ثوباً من فىء المسلمين حتى إذا أخلقه رده فيه .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، أنه حدث عن عبادة بن الصامت ، قال : نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر عن نبيع أو نبتاع تبر الذهب بالذهب العين ، وتبر الفضة بالورق العين ، وقال : ابتاعوا الذهب بالورق العين ، وتبر الفضة بالذهب العين .

قال ابن إسحاق : ثم جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يتدنى الحصون والأموال .

بنى سهم : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدثه بعض أسلم : أن بنى سهم من أسلم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : والله يا رسول الله لقد جهدنا وما بأيدينا من شىء ؛ فلم يجدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً يعطيهم إياه ؛ فقال : اللهم إنك قد عرفت حالهم وأن ليست بهم قوة ، وأن ليس بيدى شىء أعطيهم إياه ، فافتح عليهم أعظم حصونها عنهم غناء ، وأكثرها طعاماً وودكا ، فغدا الناس ، ففتح الله عز وجل حصن الصعب بن معاذ ، وما بخيبر حصن كان أكثر طعاماً وودكا منه .

مقتل مرحب : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم ما افتتح ، وحاز من الأموال ما حاز ، انتهوا إلى حصنيهم الوطيح والسلالم وكان آخر حصون أهل خيبر افتتاحاً ، فحاصرهم صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة .

قال ابن هشام : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم خيبر : يامنصور ، أمت أمت .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن سهل بن عبد الرحمن بن سهل ، أخو بنى حارثة ، عن جابر بن عبد الله ، قال : خرج مرحب اليهودى من حصنهم ، قد جمع سلاحه ، يرتجز وهو يقول :

قد علمت خيبر أنى مرحب ... شاكى السلاح بطل مجرب

أطعن أحياناً وحيناً أضرب ... إذا الليوث أقبلت تحرب

إن حماى للحمى لايقرب

وهو يقول : من يبارز ؟

فأجابه كعب بن مالك ، فقال :

قد علمت خيبر أنى كعب مفرج الغمى جرىء صلب
إذ شبت الحرب تلتها الحرب معى حسام كالعقيق عضب
نطؤكم حتى يذل الصعب نعطى الجزاء أو يفىء النهب
بكف ماض ليس فيه عتب

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى :

قد علمت خيبر أنى كعب وأننى متى تشب الحرب
ماض على الهول جرىء صلب معى حسام كالعقيق عضب
بكف ماض ليس فيه عتب ندككم حتى يذل الصعب

قال ابن هشام : ومرحب من حمير .

قال ابن إسحاق . فحدثنى عبد الله بن سهل ، عن جابر بن عبد الله الأنصارى ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لهذا ؟ قال محمد بن مسلمة : أنا له يارسول الله ، أنا والله الموتور الثائر ، قتل أخى بالأمس ؛ فقال : فقم إليه ، اللهم أعنه عليه . قال : فلما دنا أحدهما من صاحبه ؛ دخلت بينهما شجرة عمرية من شجر العشر فجعل أحدهما يلوذ بها من صاحبه ، كلما لاذ بها منه اقتطع صاحبه بسيفه مادونه منها ، حتى برز كل واحد منهما لصاحبه ، وصارت بينهما كالرجل القائم ، مافيها فنن ، ثم حمل مرحب على محمد بن مسلمة ، فضربه ، فاتقاه بالدرقة ، فوقع سيفه فيها ، فعضت به فأمسكته ، وضربه محمد بن مسلمة حتى قتله .

مقتل ياسر : قال ابن إسحاق : ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر ، وهو يقول : من يبارز ؟ فزعم هشام بن عروة أن الزبير بن العوام خرج إلى ياسر ، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب : يقتل ابنى يارسول الله ! قال : بل ابنك يقتله إن شاء الله . فخرج الزبير فالتقيا ، فقتله الزبير .

قال ابن إسحاق فحدثنى هشام بن عروة : أن الزبير كان إذا قيل له : والله إن كان سيفك يومئذ لصارماً عضباً ، قال : والله ماكان صارماً ، ولكنى أكرهته .

فتح خيبر على يد على : قال ابن إسحاق : وحدثنى بريدة بن سفيان بن فروة الأسلمى ، عن أبيه سفيان ، عن سلمة ابن عمرو بن الأكوع ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضى الله عنه برايته ، وكانت بيضاء ، فيما قال ابن هشام ، إلى بعض حصون خيبر ، فقاتل ، فرجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، ثم بعث الغد عمر بن الخطاب ، فقاتل ، ثم رجع ولم يك فتح ، وقد جهد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله، يفتح الله على يديه ، ليس بفرار . قال : يقول سلمة : فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً رضوان الله عليه وهو أرمد ، فتفل فى عينه ، ثم قال : خذ هذه الراية ، فامض بها حتى يفتح الله عليك .

قال : يقول سلمة : فخرج والله بها يأنح ، يهرول هرولة ، وإنا لخلفه نتبع أثره ، حتى ركز رايته فى رضم من حجارة تحت الحصن ، فاطلع إليه يهودى من رأس الحصن ، فقال : من أنت ؟ قال أنا على بن أبى طالب . قال يقول اليهودى: علوتم ، وما أنزل على موسى ، أو كما قال . قال : فما رجع حتى فتح الله على يديه .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبد الله بن الحسن ، عن بعض أهله ، عن أبى رافع ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال : خرجنا مع على بن أبى طالب رضى الله تعالى عنه ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم برايته ؛ فلما دنا من

الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم ، فضربه رجل من يهود ، فطاح ترسه من يده ، فتناول علي عليه السلام باباً كان عند الحصن فترس به عن نفسه ، فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه من يده حين فرغ ، فلقد رأيتني في نفر سبعة معي ، أنا ثامنهم ، نجهد على أن نقلب ذلك الباب ، فما نقلبه .

حديث أبي اليسر: قال ابن إسحاق : وحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي . عن بعض رجال بني سلمة عن أبي اليسر كعب بن عمرو ، قال : والله إنا لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيبر ذات عشية ، إذ أقبلت غنم لرجل من يهود تريد حصنهم ، ونحن محاصروهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من رجل يطعمنا من هذه الغنم ؟ قال أبو اليسر : فقلت : أنا يارسول الله ؛ قال : فافعل . قال : فخرجت أشتد مثل الظليم ، فلما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم موليا قال : اللهم أمتعنا به ؛ قال : فأدركت الغنم وقد دخلت أولاها الحصن فأخذت شاتين من آخرها ، فاحتضنتهما تحت يدي ، ثم أقبلت بهما أشتد ، كأنه ليس معي شيء ، حتى ألقيتهما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذبحوهما فأكلوهما ، فكان أبو اليسر من آخر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هلاكا . فكان إذا حدث هذا الحديث بكى ، ثم قال: أمتعوا بي ، لعمري ، حتى كنت من آخرهم هلاكا .

صفية رضي الله عنها : قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم القموص ، حصن بني أبي الحقيق ، أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية بنت حيي بن أخطب ، وبأخرى معها ، فمر بهما بلال ، وهو الذي جاء بهما ، على قتلى من قتلى يهود ، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت ، وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها ؛ فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أعزبوا عني هذه الشيطانة ، وأمر بصفية فحيزت خلفه ، وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اصطفاها لنفسه . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبلال ، فيما بلغني ، حين رأى بتلك اليهودية ما رأى : أنزعت منك الرحمة يابلال ، حين تمر بامرأتين على قتلى رجالهما ؟ وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق ، أن قمراً وقع في حجرها ، فعرضت رؤياها على زوجها ، فقال : ما هذا إلا أنك تمنين ملك الحجاز محمداً ، فلطم وجهها لطمة خضر عينيها منها ؛ فأتى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها أثر منه ، فسألها ما هو ؟ فأخبرته هذا الخبر .

وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بكنانة بن الربيع ، وكان عنده كنز بني النضير ، فسأله عنه ، فجحد أن يكون يعرف مكانه ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من يهود ، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إني رأيت كنانة يطيف بهذه الخربة كل غداة ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنانة : أرأيت إن وجدناه عندك أأقتلك ؟ قال نعم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخربة فحفرت ، فأخرج منها بعض كنزهم ، ثم سأله عما بقي ، فأبى أن يؤديه فأمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم الزبير بن العوام ، فقال : عذبه حتى تستأصل ما عنده ، فكان الزبير يقدح بزند في صدره ، حتى أشرف على نفسه ، ثم دفعه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محمد بن مسلمة ، فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة .

صلح خيبر : وحاصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أهل خيبر في حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى إذا أيقنوا بالهلكة ، سألوه أن يسيرهم وأن يحقن لهم دماءهم ، ففعل وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد حاز الأموال كلها : الشق ونطاة والكتيبة وجميع حصونهم ، إلا ما كان من ذينك الحصنين . فلما سمع بهم أهل فدك قد صنعوا ، بعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه أن يسيرهم ، وأن يحقن دماءهم ويخلوا له الأموال . ففعل . وكان فيمن مشى بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهم في ذلك محيصة بن مسعود أخو بني حارثة ، فلما نزل أهل خيبر على

ذلك ، سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاملهم فى الأموال على النصف وقالوا : نحن أعلم بها منكم ، وأعمر لها: فصالحهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على النصف ، على أنا إذا شئنا أن نخرجكم أخرجناكم ؛ فصالحه أهل فدك على مثل ذلك. فكانت خيبر فيئاً بين المسلمين ، وكانت فدك خالصة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

قصة الشاة المسمومة: فلما اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أهدت له زينب بنت الحارث ، امرأة سلام بن مشكم ، شاة مصلية ، وقد سألت أى عضو من الشاة أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقيل لها : الذراع ، فأكثرت فيها من السم ، ثم سمت الشاة ، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم تناول الذراع ، فلاك منها مضغة ، فلم يسغها ، ومعه بشر بن البراء بن معرور قد أخذ منها كما أخذ رسول الله صلى الله عليه وأسلم ؛ فأما بشر فأساغها ؛ وأما رسول الله صلى الله عليه وسلم فلفظها ، ثم قال : إن هذا العظم ليخبرنى أنه مسموم ؛ ثم دعا بها فاعترفت ، فقال : ما حملك على ذلك ؟ قالت بلغت من قومى مالم يخف عليك ، فقلت : إن كان ملكا إسترحت منه وإن كان نبياً فسيخبر ، قال : فتجاوز عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ ومات بشر من أكلته التى أكل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى مروان بن عثمان بن أبى سعيد بن المعلى ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال فى مرضه الذى توفى فيه ، ودخلت أم بشر بنت البراء بن معرور تعوده : يا أم بشر ، إن هذا الأوان وجدت فيه انقطاع أبهرى من الأكلة التى أكلت مع أخيك بخيبر . قال فإن كان المسلمون ليرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر انصرف إلى وادى القرى ؛ فحاصر أهله ليالى ، ثم انصرف راجعاً إلى المدينة .

جزاء الغال من الغنيمة: قال ابن إسحاق : فحدثنى ثور بن زيد ، عن سالم مولى عبد الله بن مطيع ، عن أبى هريرة ، قال : فلما انصرفنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خيبر إلى وادى القرى نزلنا بها أصيلا مع مغرب الشمس ، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم غلام له أهداه له رفاعة بن زيد الجذامى ، ثم الضبينى .

قال ابن هشام : جذام ، أخو لخم .

قال : فوالله إنه ليضع رحل رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أتاه سهم غرب فأصابه فقتله ، فقلنا : هنيئاً له الجنة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كلا ، والذى نفس محمد بيده ، إن شملته الآن لتحترق عليه فى النار ، كان غلها من فىء المسلمين يوم خيبر . قال : فسمعها رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتاه فقال : يا رسول الله ، أصبت شراكين لنعلين لى ، قال : فقال : يقد لك مثلهما من النار .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مغفل المزنى ، قال : أصبت من فىء خيبر جراب شحم ، فاحتملته على عاتقى إلى رحلى وأصحابى . قال : فلقينى صاحب المغانم الذى جعل عليها . فأخذ بناحيته وقال : هلم هذا نقسمه بين المسلمين . قال : قلت : لا والله لا أعطيكه ، قال : فجعل يجابذنى الجراب . قال : فرآنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نصنع ذلك . قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ضاحكا . ثم قال لصاحب المغانم : لا أبالك ، خل بينه وبينه . قال : فأرسله ، فانطلقت به إلى رحلى وأصحابى ، فأكلناه .

أبو أيوب يحرس الرسول صلى الله عليه وسلم : قال ابن إسحاق : ولما أعرس رسول الله صلى الله عليه وسلم بصفية ، بخيبر أو ببعض الطريق ، وكانت التى جملتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشطتها وأصلحت من أمرها أم سليم بنت ملحان ، أم أنس بن مالك . فبات بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة له ، وبات أبو أيوب خالد ابن زيد ، أخو بنى النجار متوشحاً سيفه ، يحرس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويطيف بالقبة ، حتى أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رأى مكانه قال : مالك يا أبا أيوب ؟ قال : يا رسول الله ، خفت عليك من هذه المرأة ،

وكانت امرأة قد قتلت أباها وزوجها وقومها ، وكانت حديثة عهد بكفر ، فخفتها عليك . فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : اللهم احفظ أبا أيوب كما بات يحفظني .

بلال يغلبه النوم وهو يرقب الفجر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر ، فكان ببعض الطريق ، قال من آخر الليل : من رجل يحفظ علينا الفجر لعلنا ننام؟ قال بلال : أنا يا رسول الله أحفظه عليك فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونزل الناس فناموا ، وقام بلال يصلى ، فصلى ما شاء الله عز وجل أن يصلى ثم استند إلى بعيره ، واستقبل الفجر يرمقه ، فغلبته عينه ، فنام ، فلم يوقظهم إلا مس الشمس ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أول أصحابه هب ، فقال : ماذا صنعت بنا يا بلال ؟ قال: يا رسول الله ، أخذ بنفسى الذى أخذ بنفسك ، قال : صدقت ، ثم اقتاد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعيره غير كثير ، ثم أناخ فتوضأ ، وتوضأ الناس ، ثم أمر بلالا فأقام الصلاة ، فصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس ، فلما سلم أقبل على الناس فقال : « إذا نسيتم الصلاة فصلوها إذا ذكرتموها ، فإن الله تبارك وتعالى يقول : « أقم الصلاة لذكرى» .

شعر ابن لقيم فى فتح خيبر : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى ، قد أعطى ابن لقيم العبسى ، حين افتتح خيبر ، ما بها من دجاجة أو داجن ، وكان فتح خيبر فى صفر ، فقال ابن لقيم العبسى فى خيبر :

رميت نطاة من الرسول بفيلق ... شهباء ذات مناكب وفقار
واستيقنت بالذل لما شيعت ... ورجال أسلم وسطها وغفار
صبحت بنى عمرو بن زرعة غدوة ... والشق أظلم أهله بنهار
جرت بأبطحها الذيول فلم تدع ... إلا الدجاج تصيح فى الأسحار
ولكل حصن شاغل من خيلهم ... من عبد أشهل أو بنى النجار
ومهاجرين قد اعلموا سيماهم ... فوق المغافر لم ينوا لفرار
ولقد علمت ليغلبن محمد ... وليثوين بها إلى أصفار
فرت يهود يوم ذلك فى الوغى ... تحت العجاج غمائم الأبصار

قال ابن هشام : فرت : كشفت ، كما تفر الدابة بالكشف عن أسنانها ، يريد كشفت عن جفون العيون غمائم الأبصار ، يريد الأنصار .

قال ابن إسحاق : وشهد خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نساء من نساء المسلمين ، فرضخ لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفىء ولم يضرب لهن بسهم .

قال ابن إسحاق : حدثنى سليمان بن سحيم ، عن أمية بن أبى الصلت ، عن امرأة من بنى غفار ، قد سماها لى ، قالت : أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نسوة من بنى غفار ، فقلنا : يا رسول الله ، قد أردنا أن نخرج معك إلى وجهك هذا ، وهو يسير إلى خيبر ، فنداوى الجرحى ، ونعين المسلمين بما استطعنا ، فقال : على بركة الله . قالت : فخرجنا معه ، وكنت جارية حدثة ، فأردفنى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الصبح وأناخ : ونزلت عن حقيبة رحله وإذا بها دم منى ، وكانت أول حيضة حضتها ، قالت : فتقبضت إلى الناقة واستحييت ، فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم مابى ورأى الدم ، قال : مالك ؟ لعلك نفست ، قالت : قلت : نعم ، قال : فأصلحى من نفسك ، ثم خذى إناء من ماء ، فاطرحى فيه ملحاً ، ثم اغسلى به ما أصاب الحقيبة من الدم ، ثم عودى لمركبك .

قالت : فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر ، رضخ لنا من الفىء ، وأخذ هذه القلادة التى ترين فى عنق فأعطانيها ، وعلقها بيده فى عنق ، فوالله لا تفارقنى أبداً .

قالت : فكانت فى عنقها حتى ماتت ، ثم أوصت أن تدفن معها . قالت : وكانت لا تطهر من حيضة إلا جعلت فى طهورها ملحاً ، وأوصت به أن يجعل فى غسلها حين ماتت .

شهداء خيبر : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد بخيبر من المسلمين ، من قريش ثم من بني أمية بن عبد شمس ثم من حلفائهم : ربيعة بن أكثم بن سخبرة بن عمرو بن لكيز بن عامر بن غنم بن دودان بن أسد ، وثقيف بن عمرو ، ورفاعة بن مسروح .

ومن بني أسد بن عبد العزى : عبد الله بن الهبيب ، (بضم الهاء) ويقال ابن الهبيب (بفتحها) . فيما قال ابن هشام ، ابن أهيب ابن سحيم بن غيرة ، من بني سعد بن ليث ، حليف لبني أسد ، وابن أختهم .

ومن الأنصار ثم من بني سلمة : بشر بن البراء بن معرور ، مات من الشاة التي سم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفضيل بن النعمان . رجلان .

ومن بني زريق : مسعود بن سعد بن قيس بن خلدة بن عامر بن زريق .

ومن الأوس ثم من بني عبد الأشهل : محمود بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مجدعة بن حارثة بن الحارث ، حليف لهم من بني حارثة .

ومن بني عمرو بن عوف : أبو ضياح بن ثابت بن النعمان بن أمية بن امرىء القيس بن ثعلبة بن عمرو بن عوف ، والحارث بن حاطب ، وعروة بن مراقة ، وأوس بن القائد ، وأنيف بن حبيب ، وثابت بن أثلة ، وطلحة .

ومن بني غفار : عمارة بن عقبة ، رمي بسهم .

ومن أسلم : عامر بن الأكوع ، والأسود الراعي ، وكان اسمه أسلم .

قال ابن هشام : الأسود الراعي من أهل خيبر .

وممن استشهد بخيبر فيما ذكر ابن شهاب الزهري ، من بني زهرة : مسعود بن ربيعة ، حليف لهم من القارة .

ومن الأنصار بني عمرو بن عوف : أوس بن قتادة

حديث الأسود الراعي في خيبر : قال ابن إسحاق : وكان من حديث الأسود الراعي ، فيما بلغني : أنه أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو محاصر لبعض حصون خيبر ، ومعه غنم له ، كان فيها أجيراً لرجل من يهود ، فقال : يارسول الله اعرض علي الإسلام ، فعرضه عليه ، فأسلم - وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحداً أن يدعوه إلى الإسلام ، ويعرضه عليه - فلما أسلم قال : يارسول الله ، إني كنت أجيراً لصاحب هذه الغنم ، وهي أمانة عندي ، فكيف أصنع بها ؟ قال : اضرب في وجوهها فإنها سترجع إلى ربها - أو كما قال - فقال الأسود : فأخذ حفنة من الحصى فرمى بها في وجوهها ، وقال : ارجعي إلى صاحبك ، فوالله لا أصحبك أبداً . فخرجت مجتمعة كأن سائقاً يسوقها ، حتى دخلت الحصن ، ثم تقدم إلى ذلك الحصن ليقاتل مع المسلمين ، فأصابه حجر فقتله ، وما صلى لله صلاة قط ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوضع خلفه ، وسجي بشملة كانت عليه ، فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومعه نفر من أصحابه . ثم أعرض عنه ، فقالوا : يارسول الله ، لم أعرضت عنه ؟ قال : إن معه الآن زوجتيه من الحور العين .

قال ابن إسحاق : وأخبرني عبد الله بن أبي نجيح أنه ذكر له : أن الشهيد إذا ما أصيب تدلت له زوجتاه من الحور العين ، تنفضان التراب عن وجهه ، وتقولان : ترب الله وجه من تربك ، وقتل من قتلك .

حديث الحجاج بن علاط السلمي قال ابن إسحاق : ولما فتحت خيبر ، كلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحجاج بن علاط السلمي ثم البهزي ، فقال : يارسول الله ، إن لي بمكة مالا عند صاحبتي أم شيبة بنت أبي طلحة - وكانت عنده ، له منها معرض بن الحجاج - ومال متفرق في تجار أهل مكة ، فأذن لي يارسول الله ، فأذن له ، قال : إنه لابد لي يارسول الله من أن أقول ، قال : قل قال الحجاج : فخرجت حتى إذا قدمت مكة وجدت بثنية البيضاء رجالا من قريش يتسمعون الأخبار ، ويسألون عن

أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد بلغهم أنه قد سار إلى خيبر ، وقد عرفوا أنها قرية الحجاز ، ريفاً ومنعة ورجالا ، فهم يتحسسون الأخبار ، ويسألون الركبان ، فلما رأوني قالوا : الحجاج بن علاط - قال : ولم يكونوا علموا بإسلامي ، عنده والله الخبر - أخبرنا يا أبا محمد ، فإنه قد بلغنا أن القاطع قد سار إلى خيبر ، وهي بلد يهود وريف الحجاز ، قال : قلت : قد بلغني ذلك وعندي من الخبر ما يسركم ، قال : فالتبطوا بجنبي ناقتي يقولون : إيه يا حجاج ، قال : قلت : هزم هزيمة لم تسمعوا بمثلها قط ، وقتل أصحابه قتلا لم تسمعوا بمثله قط ، وأسر محمد أسراً ، وقالوا : لا نقتله حتى نبعث به إلى أهل مكة ، فيقتلوه بين أظهرهم بمن كان أصاب من رجالهم .

قال : فقاموا وصاحوا بمكة ، وقالوا : قد جاءكم الخبر ، وهذا محمد إنما تنتظرون أن يقدم به عليكم ، فيقتل بين أظهركم . قال : قلت : أعينوني على جمع مالي بمكة وعلى غرمائي ، فإني أريد أن أقدم خيبر ، فأصيب من فل محمد وأصحابه قبل ان يسبقني التجار إلى ما هنالك .

قال ابن هشام : ويقال : من فيء محمد .

قال ابن إسحاق : قال : فقاموا فجمعوا لي مالي كأحث جمع سمعت به .

قال : وجئت صاحبتي فقلت ، مالي ، وقد كان لي عندها مال موضوع ، لعلي ألحق بخيبر ، فأصيب من فرص البيع قبل أن يسبقني التجار ، قال : فلما سمع العباس بن عبد المطلب الخبر ، وجاءه عني ، أقبل حتى وقف إلى جنبي وأنا في خيمة من خيام التجار ، فقال : يا حجاج ، ما هذا الخبر الذي جئت به ؟ قال : فقلت : وهل عندك حفظ لما وضعت عندك ؟ قال : نعم . قال : قلت : فاستأخر عني حتى ألقاك على خلاء ، فإني في جمع مالي كما ترى ، فانصرف عني حتى أفرغ : قال : حتى إذا فرغت من جمع كل شيء كان لي بمكة ، وأجمعت الخروج ، لقيت العباس ، فقلت : احفظ على حديثي يا أبا الفضل ، فإني أخشى الطلب ثلاثاً ، ثم قل ما شئت ، قال : أفعل . قلت : فإني والله لقد تركت ابن أخيك عروساً على بنت ملكهم يعني صفية بنت حيي ، ولقد افتتح خيبر ، وانتثل ما فيها ، وصارت له ولأصحابه ، فقال : ما تقول يا حجاج ؟ قال : قلت : إي والله فاكتم عني ، ولقد أسلمت وما جئت إلا لآخذ مالي ، فرقاً من أن أغلب عليه فإذا مضت ثلاث فأظهر أمرك ، فهو والله على ما تحب ، قال : حتى إذا كان اليوم الثالث لبس العباس له حلة ، وتخلق وأخذ عصاه ، ثم خرج حتى أتى الكعبة ، فطاف بها ، فلما رأوه قالوا : يا أبا الفضل ، هذا والله لتجلد لحر المصيبة ، قال : كلا ، والله الذي حلفتم به ، لقد افتتح محمد خيبر وترك عروساً على بنت ملكهم ، وأحرز أموالهم وما فيها فأصبحت له ولأصحابه ، قالوا : من جاءك بهذا الخبر ؟ قال : الذي جاءكم بما جاءكم به ، ولقد دخل عليكم مسلماً ، فأخذ ماله ، فانطلق ليلحق بمحمد وأصحابه فيكون معه . قالوا : يالعباد الله ! انفلت عدو الله ، أما والله لو علمنا لكان لنا وله شأن ، قال : ولم ينشبوا أن جاءهم الخبر بذلك .

ماقيل من الشعر في خيبر — قال ابن إسحاق : وكان مما قيل من الشعر في يوم خيبر قول حسان بن ثابت :

بئسما قاتلت خيابر عما جمعوا من مزارع ونخيل
كرهوا الموت فاستبيح حماهم وأقروا فعل اللئيم الذليل
أمن الموت يهربون فإن الـ ـموت موت الهزال غير جميل

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، وهو يعذر أيمن بن أم أيمن بن عبيد ، وكان قد تخلف عن خيبر ، وهو من بني عوف ابن الخزرج ، وكانت أمه أم أيمن مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهي أم أسامة بن زيد ، فكان أخا أسامة لأمه :

على حين أن قالت لأيمن أمه ... جبنت ولم تشهد فوارس خيبر
وأيمن لم يجبن ولكن مهره ... أضر به شرب المديد الخمر
ولولا الذى قد كان من شأن مهره ... لقاتل فيهم فارساً غير أعسر
ولكنه قد صده فعل مهره ... وما كان منه عنده غير أيسر

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد هذه الأبيات لكعب بن مالك ، وأنشدنى :

ولكنه قد صده شأن مهره ... وما كان لولا ذاكم بمقصر

قال ابن إسحاق : وقال ناجية بن جندب الأسلمى :

يالعباد لله فيم يرغب ... ماهو إلا مأكل ومشرب
وجنة فيها نعيم معجب

وقال ناجية بن جندب الأسلمى أيضاً :

أنا لمن أنكرنى ابن جندب ... يارب قرن فى مكرى أنكب
طاح بمغدى أنسر وثعلب

قال ابن هشام : وأنشدنى بعض الرواة للشعر قوله : « فى مكرى » ، و « طاح بمغدى » .

وقال كعب بن مالك فى يوم خيبر ، فيما ذكر ابن هشام ، عن أبى زيد الأنصارى

ونحن وردنا خيبراً وفروضه ... بكل فتى عارى الأشاجع مذود
جواد لدى الغايات لاواهن القوى ... جرىء على الأعداء فى كل مشهد
عظيم رماد القدر فى كل شتوة ... ضروب بنصل المشرفى المهند
يرى القتل مدحاً إن أصاب شهادة ... من الله يرجوها وفوزاً بأحمد
يذود ويحمى عن ذمار محمد ... ويدفع عنه باللسان وباليد
وينصره من كل أمر يريبه ... يجود بنفس دون نفس محمد
يصدق بالأنباء بالغيب مخلصاً ... يريد بذاك الفوز والعز فى غد

تقسيم خيبر وأموالها : قال ابن إسحاق : وكانت المقاسم على أموال خيبر ، على الشق ونطاة والكتيبة . فكانت الشق ونطاة فى سهمان المسلمين ، وكانت الكتيبة خمس الله ، وسهم النبى صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوى القربى واليتامى والمساكين ، وطعم أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ، وطعم رجال مشوا بين رسول الله صلى الله عليه وبين أهل فدك بالصلح ؛ منهم محيصة بن مسعود ، أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثين وسقاً من شعير ، وثلاثين وسقاً من تمر ، وقسمت خيبر على أهل الحديبية ، من شهد خيبر ، ومن غاب عنها ، ولم يغب عنها إلا جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام ، فقسم له رسول الله صلى الله عليه وسلم كسهم من حضرها ، وكان واديها ، وادى السريرة ، ووادى خاص ، وهما اللذان قسمت عليهما خيبر ، وكانت نطاة والشق ثمانية عشر سهماً ، نطاة من ذلك خمسة أسهم ، والشق ثلاثة عشر سهماً ، وقسمت الشق ونطاة على ألف سهم ، وثمانمائة سهم .

وكانت عدة الذين قسمت عليهم خيبر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ألف سهم وثمانمائة سهم ، برجالهم وخيلهم ، الرجال أربع عشرة مائة والخيل مائتا فارس ، فكان لكل فرس سهمان ، ولفارسه سهم ، وكان لكل راجل سهم ؛ فكان

لكل سهم رأس جمع إليه مائة رجل ، فكانت ثمانية عشر سهماً جمع

قال ابن هشام : وفى يوم خيبر عرب رسول الله صلى الله عليه وسلم العربى من الخيل ، وهجن الهجين .

قال ابن إسحاق : فكان على بن أبى طالب رأساً ، والزبير بن العوام ، وطلحة بن عبيد الله وعمر بن الخطاب ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى ، أخو بنى العجلان ، وأسيد بن حضير ، وسهم بنى الحارث بن الخزرج ، وسهم ناعم ، وسهم بنى بياضة ، وسهم بنى عبيد ، وسهم بنى حرام من بنى سلمة وعبيد السهام .

قال ابن هشام : وإنما قيل له عبيد السهام لما اشترى من السهام يوم خيبر ، وهو عبيد بن أوس ، أحد بنى حارثة ابن الحارث بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

قال ابن إسحاق : وسهم ساعدة ، وسهم غفار وأسلم ، وسهم النجار وسهم حارثة ، وسهم أوس . فكان أول سهم خرج من خيبر بنطاة سهم الزبير بن العوام ، وهو الخوع وتابعه السرير ، ثم كان الثانى سهم بياضة ، ثم الثالث سهم أسيد . ثم كان الرابع سهم بنى الحارث بن الخزرج ، ثم كان الخامس سهم ناعم لبنى عوف بن الخزرج ومزينة وشركائهم وفيه قتل محمود بن مسلمة ، فهذه نطاة .

ثم هبطوا إلى الشق ، فكان أول سهم خرج منه سهم عاصم بن عدى ، أخى بنى العجلان ، ومعه كان سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم سهم عبد الرحمن بن عوف ، ثم سهم ساعدة ، ثم سهم النجار ، ثم سهم على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، ثم سهم طلحة بن عبيد الله ، ثم سهم غفار وأسلم ، ثم سهم عمر بن الخطاب ، ثم سهما سلمة بن عبيد وبنى حرام ، ثم سهم حارثة ، ثم سهم عبيد السهام ، ثم سهم أوس ، وهو سهم اللفيف ، جمعت إليه جهينة ومن حضر خيبر من سائر العرب ، وكان حذوه سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الذى كان أصابه فى سهم عاصم بن عدى .

ثم قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم الكتيبة ، وهى وادى خاص بين قرابته وبين نسائه ، وبين رجال المسلمين ونساء أعطاهم منها ، فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لفاطمة ابنته مائتى وسق ، ولعلى بن أبى طالب مائة وسق ، ولأسامة بن زيد مائتى وسق ، وخمسين وسقاً من نوى ، ولعائشة أم المؤمنين مائتى وسق ، ولأبى بكر بن أبى قحافة مائة وسق ولعقيل بن أبى طالب مائة وسق وأربعين وسقاً ، ولبنى جعفر خمسين وسقاً ، ولربيعة بن الحارث مائة وسق ، وللصلت بن مخرمة وابنيه مائة وسق ، للصلت منها أربعون وسقاً ، ولأبى نبقة خمسين وسقاً ، ولركانة بن عبد يزيد خمسين وسقاً ، ولقيس بن مخرمة ثلاثين وسقاً ، ولأبى القاسم بن مخرمة أربعين وسقاً ، ولبنات عبيدة بن الحارث وابنة الحصين بن الحارث مائة وسق ، ولبنى عبيد بن عبد العزيز ستين وسقاً ، ولابن أوس بن مخرمة ثلاثين وسقاً ، ولمسطح ابن أثاثة وابن إلياس خمسين وسقاً ، ولأم رميثة أربعين وسقاً ، ولنعيم بن هند ثلاثين وسقاً ، ولبحينة بنت الحارث ثلاثين وسقاً ، ولعجير بن عبد يزيد ثلاثين وسقاً ، ولأم الحكم ثلاثين وسقاً ولجمانة بنت أبى طالب ثلاثين وسقاً ، ولابن الأرقم خمسين وسقاً ، ولعبد الرحمن بن أبى بكر أربعين وسقا ، ولحمنة بنت جحش ثلاثين وسقاً ، ولأم الزبير أربعين وسقاً ، ولضباعة بنت الزبير أربعين وسقاً ، ولابن أبى خنيس ثلاثين وسقاً ، ولأم طالب أربعين وسقاً ، ولأبى بصرة عشرين وسقاً ، ولنميلة الكلبى خمسين وسقاً ، ولعبد الله بن وهب وابنتيه تسعين وسقاً ، لابنيه منها أربعين وسقاً ، ولأم حبيب بنت جحش ثلاثين وسقاً ، ولملكو بن عبدة ثلاثين وسقاً ، ولنسائه صلى الله عليه وسلم سبع مائة وسق .

قال ابن هشام : قمح وشعير وتمر ونوى وغير ذلك ، قسمه على قدر حاجتهم وكانت الحاجة فى بنى عبد المطلب أكثر ، ولهذا أعطاهم أكثر .

بسم الله الرحمن الرحيم

ذكر ما أعطى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه من قمح خيبر .

قسم لهن مائة وسق وثمانين وسقاً ، ولفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وثمانين وسقاً ، ولأسامة ابن زيد أربعين وسقاً ، وللمقداد بن الأسود خمسة عشر وسقاً ، ولأم رميثة خمسة أوسق .

شهد عثمان بن عفان وعباس وكتب .

وصية الرسول عند موته : قال ابن إسحاق . وحدثنى صالح بن كيسان ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله ابن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : لم يوص رسول الله صلى الله عليه وسلم عند موته إلا بثلاث ، أوصى للرهاويين بجاد مائة وسق من خيبر ، وللداريين بجاد مائة وسق من خيبر ، وللسبائيين ، وللأشعريين بجاد مائة وسق من خيبر ، وأوصى بتنفيذ بعث أسامة بن زيد بن حارثة ، وألا يترك بجزيرة العرب دينان .

خبر فدك : قال ابن إسحاق : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر قذف الله الرعب فى قلوب أهل فدك ، حين بلغهم ما أوقع الله تعالى بأهل خيبر ، فبعثوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصالحونه على النصف من فدك ، فقدمت عليه رسلهم بخيبر ، أو بالطائف ، أو بعد ما قدم المدينة ، فقبل ذلك منهم ، فكانت فدك لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ، لأنه لم يوجف عليها بخيل ولا ركاب .

تسمية النفر الداريين

الذين أوصى لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من خيبر

وهم بنو الدار بن هانى بن حبيب بن نمارة بن لخم ، الذين ساروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشام : تميم ابن أوس ونعيم بن أوس أخوه ، ويزيد بن قيس ، وعرفة بن مالك ، سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الرحمن .

قال ابن هشام : ويقال : عزة بن مالك : وأخوه مران بن مالك .

قال ابن هشام : مروان بن مالك .

قال ابن إسحاق : وفاكه بن نعمان ، وجبلة بن مالك ، وأبو هند بن بر ، وأخوه الطيب بن بر ، فسماه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله .

فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى عبد الله بن أبى بكر ، يبعث إلى أهل خيبر عبد الله بن رواحة خارصاً بين المسلمين ويهود ، فيخرص عليهم ، فإذا قالوا : تعديت علينا ؛ قال إن شئتم فلكم ، وإن شئتم فلنا ، فتقول يهود : بهذا قامت السماوات والأرض .

وإنما خرص عليهم عبد الله بن رواحة عاماً واحداً ، ثم أصيب بمؤتة يرحمه الله ، فكان جبار بن صخر بن أمية ابن خنساء ، أخو بنى سلمة ، هو الذى يخرص عليهم بعد عبد الله بن رواحة .

فأقامت يهود على ذلك ، لا يرى بهم المسلمون بأساً فى معاملتهم ، حتى عدوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على عبد الله بن سهل ، أخى بنى حارثة ، فقتلوه . فاتهمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى الزهرى عن سهل بن أبى حثمة ؛ وحدثنى أيضاً بشير بن يسار ، مولى بنى حارثة ، عن سهل بن أبى حثمة قال : أصيب عبد الله بن سهل بخيبر ، وكان خرج إليها فى أصحاب له يمتار منها تمراً ، فوجد فى عين قد كسرت عنقه ، ثم طرح فيها ؛ قال : فأخذوه فغيبوه ، ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسم . فذكروا له

شأنه ، فتقدم إليه أخوه عبد الرحمن بن سهل ، ومعه ابنا عمه حويصة ومحيصة ابنا مسعود ، وكان عبد الرحمن من أحدثهم سنا ؛ وكان صاحب الدم وكان ذا قدم في القوم ، فلما تكلم قبل ابني عمه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الكبر الكبر .

قال ابن هشام : ويقال : كبر كبر — فيما ذكر مالك بن أنس — فسكت ؛ فتكلم حويصة ومحيصة ، ثم تكلم هو بعد ، فذكروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قتل صاحبهم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتسمون قاتلكم ، ثم تحلفون عليه خمسين يميناً فنسلمه إليكم ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنحلف على ما لا نعلم ؛ قال : أفيحلفون بالله خمسين يميناً ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ثم يبرءون من دمه ؟ قالوا : يا رسول الله ، ما كنا لنقبل أيمان يهود ، مافيهم من الكفر أعظم من أن يحلفوا على إثم ، قال : فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده مائة ناقة .

قال سهل : فوالله ما أنسى بكرة منها حمراء ضربتني وأنا أحوزها .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمي ، عن عبد الرحمن بن بجيد بن قيظي ، أخي بني حارثة

قال محمد بن إبراهيم : وايم الله ، ما كان سهل بأكثر علماً منه ، ولكنه كان أسن منه ؛ وإنه قال له : والله ما هكذا كان الشأن ! ولكن سهلا أوهم ، ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم احلفوا على ما لا علم لكم به ولكنه كتب إلى يهود خيبر حين كلمته الأنصار : إنه قد وجد قتيل بين أبياتكم فدوه ، فكتبوا إليه يحلفون بالله ما قتلوه ، ولا يعلمون له قاتلا . فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

قال ابن إسحاق : وحدثني عمرو بن شعيب مثل حديث عبد الرحمن بن بجيد ، إلا أنه قال في حديثه : دوه أو ائذنوا بحرب . فكتبوا يحلفون بالله ما قتلوه ولا يعلمون له قاتلا ؛ فوداه رسول الله صلى الله عليه وسلم من عنده .

اجلاء عمر ليهود خيبر : قال ابن إسحاق : وسألت ابن شهاب الزهري . كيف كان إعطاء رسول الله صلى الله عليه وسلم يهود خيبر نخلهم ، حين أعطاهم النخل على خرجها ، أبت ذلك لهم حتى قبض ، أم أعطاهم إياها للضرورة من غير ذلك ؟

فأخبرني ابن شهاب : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم افتتح خيبر عنوة بعد القتال ، وكانت خيبر مما أفاء الله عز وجل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خمسها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقسمها بين المسلمين ، ونزل من نزل من أهلها على الجلاء بعد القتال ، فدعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها ، وتكون ثمارها بيننا وبينكم ، وأقركم ما أقركم الله ، فقبلوا ، فكانوا على ذلك يعملونها . وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبعث عبد الله بن رواحة ، فيقسم ثمرها ، ويعدل عليهم في الخرص ، فلما توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، أقرها أبو بكر رضى الله تعالى عنه ، بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأيديهم ، على المعاملة التي عاملهم عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى توفى ، ثم أقرها عمر رضى الله عنه صدراً من إمارته . ثم بلغ عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في وجعه الذي قبضه الله فيه : لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان ؛ ففحص عمر ذلك ، حتى بلغه الثبت ، فأرسل إلى يهود ، فقال : إن الله عز وجل قد أذن في جلائكم ، قد بلغني أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يجتمعن بجزيرة العرب دينان فمن كان عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود فليأتني به ، أنفذه له ، ومن لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود ، فليتجهز للجلاء ، فأجلى عمر من لم يكن عنده عهد من رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر قال : خرجت أنا والزبير والمقداد ابن الأسود إلى أموالنا بخيبر نتعاهدها ، فلما قدمنا تفرقنا فى أموالنا ، قال : فعدى على تحت الليل ، وأنا نائم على فراشى ، ففدعت يداى من مرفقى ، فلما أصبحت استصرخ على صاحباى ، فأتيانى فسألانى . من صنع هذا بك ؟ فقلت : لا أدرى ؛ قال : فأصلحا من يدى ، ثم قدما بى على عمر رضى الله عنه ، فقال : هذا عمل يهود ، ثم قام فى الناس خطيباً فقال : أيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كان عامل يهود خيبر على أنا نخرجهم إذا شئنا ، وقد عدوا على عبد الله بن عمر ، ففدعوا يديه ، كما قد بلغكم ، مع عدوهم على الأنصارى قبله ، لا نشك أنهم أصحابه ، ليس لنا هناك عدو غيرهم ، فمن كان له مال بخيبر فليلحق به ، فإنى مخرج يهود فأخرجهم .

عمر يقسم وادى القرى : قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عبد الله بن مكنف ، أخى بنى حارثة ، قال : لما أخرج عمر يهود من خيبر ركب فى المهاجرين والأنصار ، وخرج معه جبار بن صخر بن خنساء ، أخو بنى سلمة ، وكان خارص أهل المدينة وحاسبهم ويزيد بن ثابت وهما قسما خيبر بين أهلها ، على أصل جماعة السهمان ، التى كانت عليها .

وكان ماقسم عمر بن الخطاب من وادى القرى ؛ لعثمان بن عفان خطر ، ولعبد الرحمن بن عوف خطر ، ولعمر بن أبى سلمة خطر ، ولعامر بن أبى ربيعة خطر ، ولعمرو بن سراقة خطر ولأشيم خطر .

قال ابن هشام : ويقال : ولأسلم ولبنى جعفر خطر ، ولمعيقيب خطر ، ولعبد الله بن الأرقم خطر ، ولعبد الله وعبيد الله خطران ، ولابن عبد الله بن جحش خطر ، ولابن البكير خطر ، ولمعتمر خطر ، ولزيد بن ثابت خطر ، ولأبى بن كعب خطر ، ولمعاذ بن عفراء خطر ، ولأبى طلحة وحسن خطر ، ولجبار بن صخر خطر ، ولجابر بن عبد الله بن رئاب خطر ، ولمالك بن صعصعة وجابر بن عبد الله بن عمرو خطر ، ولابن حضير خطر ، ولابن سعد بن معاذ خطر ، ولسلامة بن سلامة خطر ، ولعبد الرحمن بن ثابت وأبى شريك خطر ، ولأبى عبس بن جبر خطر ، ولمحمد بن مسلمة خطر ولعبادة بن طارق خطر .

قال ابن هشام : ويقال : لقتادة .

قال ابن إسحاق : ولجبر بن عتيك نصف خطر ، ولابنى الحارث بن قيس نصف خطر ، ولابن حزمة والضحاك خطر ، فهذا ما بلغنا من أمر خيبر ووادى القرى ومقاسمها .

قال ابن هشام : الخطر : النصيب يقال : أخطر لى فلان خطراً .

ذكر قدوم جعفر بن أبى طالب من الحبشة

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة عن الأجلح ، عن الشعبى : أن جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح خيبر ، فقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم بين عينيه ، والتزمه وقال : ما أدرى بأيهما أنا أسر : بفتح خيبر ، أم بقدوم جعفر ؟

قال ابن إسحاق : وكان من أقام بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بعث فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النجاشى عمرو بن أمية الضمرى ، فحملهم فى سفينتين ، فقدم بهم عليه ، وهو بخيبر بعد الحديبية .

من بنى هاشم بن عبد مناف : جعفر بن أبى طالب بن عبد المطلب ، معه امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية ، وابنه عبد الله بن جعفر ، وكانت ولدته بأرض الحبشة . قتل جعفر بمؤتة من أرض الشام أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل .

ومن بنى عبد شمس بن عبد مناف : خالد بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أمينة بنت خلف بن أسعد — قال ابن هشام : ويقال : همينة بنت خلف — وابناه سعيد بن خالد وأمة بنت خالد ، ولدتهما بأرض الحبشة . قتل بمرج الصفر فى خلافة أبى بكر الصديق بأرض الشام ؛ وأخوه عمرو بن سعيد بن العاص ، معه امرأته فاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانى ، هلكت بأرض الحبشة . قتل عمرو بأجنادين من أرض الشام فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه .

ولعمرو بن سعيد يقول أبوه سعيد بن أمية أبو أحيحة :

ألا ليت شعرى عنك يا عمرو سائلا ... إذا شب واشتدت يداه وسلحا
أتترك أمر القوم فيه بلابل ... تكشف غيظا كان فى الصدر موجحا

ولعمرو وخالد يقول أخوهما أبان بن سعيد بن العاص ، حين أسلما ، وكان أبوهم سعيد بن العاص هلك بالظريبة ، من ناحية الطائف ، هلك فى مال له بها :

ألا ليت ميتاً بالظريبة شاهد ... لما يفترى فى الدين عمرو وخالد
أطاعا بنا أمر النساء فأصبحا ... يعينان من أعدائنا من نكايد

فأجاب خالد بن سعيد فقال :

أخى ما أخى لا شاتم أنا عرضه ... ولا هو من سوء المقالة مقصر
يقول إذا اشتدت عليه أموره ... ألا ليت ميتاً بالظريبة ينشر
فدع عنك ميتاً قد مشى لسبيله ... وأقبل على الأدنى الذى هو أفقر

ومعيقيب بن أبى فاطمة ، خازن عمر بن الخطاب على بيت مال المسلمين وكان إلى آل سعيد بن العاص ؛ وأبو موسى الأشعرى عبد الله بن قيس ، حليف آل عتبة بن عبد شمس ، أربعة نفر .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : الأسود بن نوفل بن خويلد رجل .

ومن بنى عبد الدار بن قيس بن قصى : جهيم بن قيس بن عبد شرحبيل ، معه ابناه عمرو بن جهم وخزيمة بن جهم ، وكانت معه امرأته أم حرملة بنت عبد الأسود هلكت بأرض الحبشة ، وابناه لها . رجل .

ومن بنى زهرة بن كلاب : عامر بن أبى وقاص ، وعتبة بن مسعود . حليف لهم من هذيل . رجلان .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب : الحارث بن خالد بن صخر ، وقد كانت معه امرأته ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بأرض الحبشة . رجل .

ومن بنى جمح بن هصيص بن كعب : عثمان بن أهبان . رجل .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : محمية بن الجزء ، حليف لهم من بنى زبيد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ جعله على خمس المسلمين . رجل

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : معمر بن عبد الله بن نضلة . رجل .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب : أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس ؛ ومالك بن ربيعة بن قيس بن عبد شمس ، معه امرأته عمرة بنت السعدى ابن وقدان بن عبد شمس . رجلان .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : الحارث بن عبد قيس بن لقيط . رجل

وقد كان حمل معهم فى السفينتين من نساء من هلك هنالك من المسلمين .

. . . .

فهؤلاء الذين حمل النجاشي مع عمرو بن أمية الضمرى فى السفينتين ، فجميع من قدم فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ستة عشر رجلا .

وكان ممن هاجر إلى أرض الحبشة ، ولم يقدم إلا بعد بدر ، ولم يحمل النجاشي فى السفينتين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن هلك بأرض الحبشة ، من مهاجرة الحبشة .

من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب الأسدى ، أسد خزيمة ، حليف بنى أمية بن عبد شمس ، معه امرأته أم حبيبة بنت أبى سفيان ، وابنته حبيبة بنت عبيد الله ، وبها كانت تكنى أم حبيبة بنت أبى سفيان وكان اسمها رملة .

خرج مع المسلمين مهاجراً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر بها وفارق الإسلام ، ومات هناك نصرانياً ، فخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على امرأته من بعده أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن الزبير ، عن عروة ، قال خرج عبيد الله بن جحش مع المسلمين مسلماً ، فلما قدم أرض الحبشة تنصر ، قال فكان إذا مر بالمسلمين من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : فتحنا وصأصأتم ، أى قد أبصرنا وأنتم تلتمسون البصر ولم تبصروا بعد . وذلك أن ولد الكلب إذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ قبل ذلك فضرب ذلك له ولهم مثلا : أى أنا قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ، ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا ، وأنتم تلتمسون ذلك .

قال ابن إسحاق : وقيس بن عبد الله ، رجل من بنى أسد بن خزيمة ، وهو أبو أمية بنت قيس التى كانت مع أم حبيبة ؛ وامرأته بركة بنت يسار ، مولاة أبى سفيان بن حرب ، كانتا ظئرى عبيد الله بن جحش ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان ، فخرجا بهما معهما حين هاجرا إلى أرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قتل يوم أحد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم شهيداً ، وعمرو بن أمية الحارث بن أسد ، هلك بأرض الحبشة . رجلان .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : أبو الروم بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار ؛ وفراس بن النضر بن الحارث ابن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار . رجلان .

ومن بنى زهرة بن كلاب بن مرة : المطلب بن أزهر بن عبد عوف بن عبد بن الحارث بن زهرة ، معه امرأته رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة بن سعيد بن سعد بن سهم ، هلك بأرض الحبشة ، ولدت له هنالك عبد الله بن المطلب فكان يقال إن كان لأول رجل ورث أباه فى الإسلام . رجل .

ومن بنى تيم بن مرة بن كعب بن لؤى : عمرو بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم ، قتل بالقادسية مع سعد ابن أبى وقاص . رجل .

ومن بنى مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب : هبار بن سفيان بن عبد الأسد ، قتل بأجنادين من أرض الشام ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وأخوه عبد الله بن سفيان ، قتل عام اليرموك بالشام ، فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يشك فيه ، أقتل ثم أم لا ؛ وهشام بن أبى حذيفة بن المغيرة . ثلاثة نفر .

ومن بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب : حاطب بن الحارث بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح ، وابناه محمد والحارث ، معه امرأته فاطمة بنت المجلل ، هلك حاطب هنالك مسلماً . فقدمت امرأته وابناه ، وهى أمهما ، فى إحدى السفينتين ؛ وأخوه حطاب بن الحارث ، معه امرأته فكيهة بنت يسار هلك هنالك مسلماً ، فقدمت

امرأته فكيهة فى إحدى السفينتين ؛ وسفيان بن معمر بن حبيب ، وابناه جنادة وجابر ، وأمهما معه حسنة ، وأخوهما لأمهما شرحبيل بن حسنة ؛ وهلك سفيان وهلك ابناه جنادة وجابر فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه . ستة نفر .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم الشاعر ، هلك بأرض الحبشة ، وقيس بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ؛ وأبو قيس بن الحارث بن قيس بن عدى بن سعد ابن سهم ، قتل يوم اليمامة فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، وعبد الله بن حذافة بن قيس بن عدى بن سعد بن سهم ، وهو رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى كسرى ، والحارث بن الحارث بن قيس بن عدى ، ومعمر بن الحارث ابن قيس بن عدى ، وأخ له من أمه ، من بنى تميم ، يقال له سعيد بن عمرو ، قتل بأجنادين فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وسعيد بن الحارث بن قيس ، قتل عام اليرموك فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، والسائب بن الحارث ابن قيس ، جرح بالطائف مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقتل يوم فحل فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، ويقال : قتل يوم خيبر ، يشك فيه ، وعمير بن رئاب بن حذيفة بن مهشم بن سعد بن سهم ، قتل بعين التمر مع خالد بن الوليد ، منصرفه من اليمامة ، فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، أحد عشر رجلا .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف بن عبيد بن عويج بن عدى بن كعب ، هلك بأرض الحبشة ، وعدى بن نضلة بن عبد العزى بن حرثان ؛ هلك بأرض الحبشة . رجلان .

وقد كان مع عدى ابنه النعمان بن عدى ، فقدم النعمان مع من قدم من المسلمين من أرض الحبشة ، فبقى حتى كانت خلافة عمر بن الخطاب ، فاستعمله على ميسان ، من أرض البصرة ، فقال أبياتاً من شعر ، وهى :

ألا هل أتى الحسناء أن حليلها ... بميسان يسقى فى زجاج وحنتم
إذا شئت غنتنى دهاقين قرية ... ورقاصة تجذو على كل منسم
فإن كنت ندمانى فبالأكبر اسقنى ... ولا تسقنى بالأصغر المتثلم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه ... تنادمنا فى الجوسق المتهدم

فلما بلغت أبياته عمر ، قال : نعم والله ، إن ذلك ليسوءنى ، فمن لقيه فليخبره أنى قد عزلته ، وعزله . فلما قدم عليه اعتذر إليه وقال : والله يا أمير المؤمنين ، ماصنعت شيئاً مما بلغك أنى قلته قط ، ولكنى كنت امرأ شاعراً ، وجدت فضلا من قول ، فقلت فيما تقول الشعراء ، فقال له عمر : وايم الله ، لاتعمل لى عمل مابقيت ، وقد قلت ما قلت .

ومن بنى عامر بن لؤى بن غالب بن فهر : سليط بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر ، وهو كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على الحنفى باليمامة . رجل .

ومن بنى الحارث بن فهر بن مالك : عثمان بن عبد غنم بن زهير بن أبى شداد ، وسعد بن عبد قيس بن لقيط بن عامر بن أمية بن ظرب بن الحارث بن فهر ، وعياض بن زهير بن أبى شداد . ثلاثة نفر .

فجميع من تخلف عن بدر ، ولم يقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ومن قدم بعد ذلك ، ومن لم يحمل النجاشى فى السفينتين ، أربعة وثلاثون رجلا .

وهذه تسمية جملة من هلك منهم ومن أبنائهم بأرض الحبشة :

من بنى عبد شمس بن عبد مناف : عبيد الله بن جحش بن رئاب ، حليف بنى أمية ، مات بها نصرانياً .

ومن بنى أسد بن عبد العزى بن قصى : عمرو بن أمية بن الحارث بن أسد .

ومن بنى جمح : حاطب بن الحارث ، وأخوه حطاب بن الحارث .

ومن بنى سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب : عبد الله بن الحارث بن قيس .

ومن بنى عدى بن كعب بن لؤى : عروة بن عبد العزى بن حرثان بن عوف ، وعدى بن نضلة . سبعة نفر .

ومن أبنائهم ، من بنى تيم بن مرة : موسى بن الحارث بن خالد بن صخر بن عامر . رجل .

مهاجرات الحبشة : وجميع من هاجر إلى أرض الحبشة من النساء ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتى ولدن هنالك ، من قدم منهن ومن هلك هنالك ، ومن خرج به معهن حين خرجن ،

من قريش ، من بنى هاشم : رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى أمية : أم حبيبة بنت أبى سفيان ، معها ابنتها حبيبة ، خرجت بها من مكة ، ورجعت بها معها .

ومن بنى مخزوم : أم سلمة بنت أبى أمية ، قدمت معها بزينب ابنتها من أبى سلمة ولدتها هنالك .

ومن بنى تيم بن مرة : ريطة بنت الحارث بن جبيلة ، هلكت بالطريق ، وبنتان لها كانت ولدتهما هنالك : عائشة بنت الحارث وزينب بنت الحارث هلكن جميعاً ، وأخوهن موسى بن الحارث ، من ماء شربوه فى الطريق ، وقدمت بنت لها ولدتها هنالك ، فلم يبق من ولدها غيرها ، يقال لها فاطمة .

ومن بنى سهم بن عمرو : رملة بنت أبى عوف بن ضبيرة .

ومن بنى عدى بن كعب : ليلى بنت أبى حثمة بن غانم .

ومن بنى عامر بن لؤى : سودة بنت زمعة بن قيس ، وسهلة بنت سهيل بن عمرو ، وابنة المجلل ، وعمرة بنت السعدى ابن وقدان ، وأم كلثوم بنت سهيل بن عمرو .

ومن غرائب العرب : أسماء بنت عميس بن النعمان الخثعمية ، وفاطمة بنت صفوان بن أمية بن محرث الكنانية ، وفكيهة بنت يسار ، وحسنة ، أم شرحبيل بن حسنة .

وهذه تسمية من ولد من أبنائهم بأرض الحبشة .

ومن بنى هاشم : عبد الله بن جعفر بن أبى طالب .

ومن بنى عبد شمس : محمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد بن سعيد ، وأخته أمة بنت خالد .

ومن بنى مخزوم : زينب بنت أبى سلمة بن الأسد .

ومن بنى زهرة : عبد الله بن المطلب بن أزهر

ومن بنى تيم : موسى بن الحارث بن خالد ، وأخواته عائشة بنت الحارث ، وفاطمة بنت الحارث ، وزينب بنت الحارث .

الرجال منهم خمسة : عبد الله بن جعفر ، ومحمد بن أبى حذيفة ، وسعيد بن خالد ، وعبد الله بن المطلب ، وموسى بن الحارث

ومن النساء خمس : أمة بنت خالد ، وزينب بنت أبى سلمة ، وعائشة وزينب وفاطمة ، بنات الحارث بن خالد ابن صخر .

غزوة خيبر

ذكر البكرى أن أرض خيبر سميت باسم رجل من العماليق نزلها وهو خيبر بن قانية بن مهلايل ، وكذلك قال فى الوطيح ، وهو من حصونها أنه سمى بالوطيح بن مازن ، رجل من ثمود ولفظه مأخوذ من الوطح ، وهو ما تعلق بالأظافر ، ومخالب الطير من الطين .

لغويات : وذكر ابن إسحاق قوله عليه السلام لسلمة بن الأكوع : خذلنا من هناتك ، الهنة : كناية عن كل شىء لاتعرف اسمه ، أو تعرفه ، فتكنى عنه ، وأصل الهنة : هنهة وهنوة . قال الشاعر :

. . . .

☆ على هنوات شأنها متتابع ☆

وفى البخارى : أن رجلا قال لابن الأكوع : ألا تنزل فتسمعنا من هنيهاتك ، صغره بالهاء ، ولو صغره على لغة من قال هنوات ، لقال هنياتك ، وإنما أراد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يحدو بهم ، والإبل تستحث بالحداء ، ولا يكون الحداء إلا بشعر أو رجز ، وقد ذكرنا أول من سن حداء الإبل ، وهو مضر بن نزار ، والرجز شعر ، وإن لم يكن قريضاً ، وقد قيل ليس بشعر ، وإنما هى أشطار أبيات ، وإنما الرجز هو شعر سداسى الأجزاء ، نحو مقصورة ابن دريد أو رباعى الأجزاء نحو قول الشاعر :

يامر ياخير أخ نازعت در الحلمه

واحتج من قال فى مشطور الرجز أنه ليس بشعر أنه قد جرى على لسان النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكان لايجرى على لسانه الشعر ، وقد روى أنه أنشد هذا الرجز الذى قاله ابن الأكوع فى هذا الحديث ، وقال أيضاً إما متمثلا وإما منشئاً :

هل أنت إلا إصبع دميت وفى سبيل الله ما لقيت

وفى هذا الرجز من غير رواية ابن إسحاق مما وقع فى البخارى وغيره :

☆ فاغفر فداء لك ما أبقينا ☆

ويروى ما اقتفينا أى : ما تتبعنا من الخطايا ، من قفوت الأثر ، واقتفيته . وفى التنزيل : « ولا تقف ماليس لك به علم » ، وأما قوله : ما أبقينا ، أى : ماخلفنا مما اكتسبنا ، أو يكون معناه : ما أبقينا من الذنوب ، فلم نحقق التوبة منه كما ينبغى .

وقوله فداء لك قد قيل : إن الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ـ أى : اغفر لنا تقصيرنا فى حقك وطاعتك ، إذ لايتصور أن يقال لله تبارك وتعالى مثل هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم . فداء لك أى : فداء لك أنفسنا وأهلونا ، وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دوره فى الكلام مع العلم به ، وإنما يفدى الإنسان بنفسه من يجوز عليه الفناء .

وأقرب ما قيل فيه من الأقوال إلى الصواب أنها كلمة يترجم بها عن محبة وتعظيم ، فجاز أن يخاطب بها من لا يجوز فى حقه الفداء ، ولا يجوز عليه الفناء قصداً لإظهار المحبة والتعظيم له ، وإن كان أصل الكلمة ما ذكرنا ، فرب كلمة ترك أصلها ، واستعملت كالمثل فى غير ما وضعت له أول ، كما جاءوا بلفظ القسم فى غير موضع القسم ، إذا أرادوا تعجباً واستعظاماً لأمر ، كقوله عليه السلام فى حديث الأعرابى من رواية إسماعيل بن جعفر : « أفلح وأبيه إن صدق » ومحال أن يقصد صلى الله عليه وسلم القسم بغير الله تبارك وتعالى لاسيما برجل مات على الكفر ، وإنما هو تعجب من الأعرابى ، والمتعجب منه هو مستعظم ولفظ القسم فى أصل وضعه لما يعظم فاتسع فى اللفظ حتى قيل على هذا الوجه . وقال الشاعر :

فإن تك ليلى استودعتنى أمانة فلا وأبى أعدائها لا أخونها

لم يرد أن يقسم بأبى أعدائها ، ولكنه ضرب من التعجب ، وقد ذهب أكثر شراح الحديث إلى النسخ فى قوله أفلح وأبيه ، قالوا نسخه قوله عليه السلام . لا تحلفوا بآبائكم ، وهذا قول لا يصح ، لأنه لم يثبت أن النبى صلى الله عليه وسلم ـ كان يحلف قبل النسخ بغير الله ، ويقسم بقوم كفار ، وما أبعد هذا من شيمته صلى الله عليه وسلم ـ تالله ما فعل هذا قط ولا كان له بخلق . وقال قوم : رواية إسماعيل بن جعفر مصحفة ، وإنما هو أفلح والله إن صدق . وهذا أيضاً منكر من القول ، واعتراض على الأثبات العدول فيما حفظوا ، وقد خرج مسلم فى كتاب الزكاة قوله

. . . .

عليه السلام لرجل سأله . أى الصدقة أفضل ؟ فقال : وأبيك لأنبئك أو قال لأخبرنك ، وذكر الحديث ، وخرج فى كتاب البر والصلة قوله لرجل سأله : من أحق الناس بأن أبره ، أو قال : أصله ؟ فقال : وأبيك لأنبئك ، صل أمك ، ثم أباك ثم أدناك ، فأدناك . فقال فى هذه الأحاديث كما ترى وأبيك ، فلم يأت إسماعيل بن جعفر إذا فى روايته بشىء نكر ، ولا بقول بدع ، وقد حمل عليه فى روايته رجل من علماء بلادنا وعظماء محدثيها . وغفل ـ عفا الله عنه ـ عن الحديثين اللذين تقدم ذكرهما ، وقد خرجهما مسلم بن الحجاج . وفى تراجم أبى داود فى كتاب الأيمان فى مصنفه ما يدل على أنه كان يذهب إلى قول من قال بالنسخ ، وأن القسم بالآباء كان جائزاً ، والذى ذكرناه ليس من باب الحلف بالآباء كما قدمنا . ولا قال فى الحديث : وأبى ، وإنما قال ، وأبيه ، أو وأبيك بالإضافه إلى ضمير المخاطب أو الغائب ، وبهذا الشرط يخرج عن معنى الحلف إلى معنى التعجب الذى ذكرناه .

وذكر ابن إسحاق حديثه عليه السلام حين أشرف على خيبر ، وقال فى إسناده : عن عطاء بن أبى مروان ، وهذا هو الصحيح فى الإسناد . لأن عطاء بن أبى مروان الأسلمى معروف فى أهل المدينة يكنى أبا مصعب ، قاله البخارى فى التاريخ ، وبعض من يروى السيرة يقول فى هذا الإسناد عن عطاء بن أبى رباح ، عن مروان الأسلمى والصحيح ما قدمناه .

فصل : وذكر حديث أنس حين استقبلتهم عمال خيبر بمساحيهم ومكاتلهم . المكاتل : جمع مكتل وهى القفة العظيمة ، سميت بذلك لتكتل الشىء فيها ، وهو تلاصق بعضه ببعض ، والكتلة من التمر ونحوه فصيحة ، وإن ابتذلتها العامة .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم حين رآهم : « الله أكبر خربت خيبر » فيه إباحة التفاؤل وقوة لمن استجاز الرجز ، وقد قدمنا فى ذلك قولا مقنعاً ، وذلك أنه رأى المساحى والمكاتل وهى من آلة الهدم والحفر مع أن لفظ المسحاة من سحوت الأرض إذ قشرتها ، فدل ذلك على خراب البلدة التى أشرف عليها ، وفى غير رواية ابن هشام قال : حين ذكر المساحى : كانوا يؤتون الماء إلى زرعهم معناه : يسوقون . والآتى هى الصافية .

وقول اليهود : محمد والخميس ، سمى الجيش العظيم خميساً ، لأن له ساقة ومقدمة ، وجناحين وقلباً ، لا من أجل تخميس الغنيمة ، فإن الخمس من سنة الإسلام ، وقد كان الجيش يسمى خميساً فى الجاهلية . وقد ذكرنا الشاهد على ذلك فيما تقدم .

وقوله : يتدنى الحصون ، أى يأخذ الأدنى فالأدنى .

حكم أكل لحوم الحمر الأهلية والخيل : وذكر نهيه عليه السلام عن أكل لحوم الحمر الأهلية ، وحديث جابر أنه نهى عليه السلام يوم خيبر عن أكل لحوم الحمر الأهلية وأرخص لهم فى لحوم الخيل ، أما الحمر الأهلية فمجتمع على تحريمها إلا شيئاً يروى عن ابن عباس وعائشة ، وطائفة من التابعين . وحجة من أباحها قوله تعالى : « قل : لا أجد فيما أوحى إلى محرماً على طاعم » الآية وهى مكية ، وحديث النهى عن الحمر كان بخيبر فهو المبين للآية ، والناسخ للإباحة ، ومن حجتهم أيضاً قوله ، صلى الله عليه وسلم لرجل استفتاه فى أكل الحمار الأهلى ، يقال فى اسمه : غالب بن أبجر المزنى : أطعم أهلك من سمين مالك وهو حديث ضعيف لا يعارض بمثله حديث النهى مع أنه محتمل لتأويلين . أحدهما : أن يكون الرجل ممن أصابته مسغبة شديدة ، فأرخص له فيه ، أو يكون ذلك منسوخاً بالتحريم ، على أن بعض رواة الحديث زاد فيه بياناً ، وهو قوله عليه السلام للرجل : إنما نهيت عن حوالى القرية أو جوالى القرية على اختلاف فى الرواية ، وأما حديث جابر فى إباحة لحوم الخيل ، فصحيح ويعضده حديث أسماء أنها قالت : ضحينا على عهد رسول الله ـ صلى الله

عليه وسلم - بفرس . وقال بإباحة لحوم الخيل الشافعي والليث وأبو يوسف ، وذهب مالك والأوزاعي إلى كراهة ذلك ، وقد روى من طريق خالد بن الوليد أنه عليه السلام نهى عن أكل لحوم الحمر الأهلية والبغال والخيل ، وقد خرجه أبو داود ، وحديث الإباحة أصح غير أن مالكاً رحمه الله نزع بآية من كتاب الله ، وهى أن الله جل ذكره ذكر الأنعام فقال : « ومنها تأكلون » ثم ذكر الخيل والبغال والحمير فقال : « لتركبوها وزينة » وهذا انتزاع حسن . ووجه الدليل من الآية أنه قال : والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع » فذكر الدفء والمنافع والأكل ، ثم أفرد الخيل والبغال والحمير بالذكر ، ثم جاء بلام العلة والنسب ، فقال : لتركبوها ، أى لهذا سخرتها لكم ، فوجب أن لايتعدى ماسخرت له ، وأما نهيه يوم خيبر عن لحوم الجلالة وعن ركوبها ، فهى التي تأكل الجلة وهو الروث والبعر ، وفى السنن للدارقطنى أنه عليه السلام نهى عن أكل الجلالة ، حتى تعلف أربعين يوماً ، وهذا نحو مما روى عنه عليه السلام أنه كان لايأكل الدجاج المخلاة ، حتى تقصر ثلاثة أيام . ذكره الهروى .

احكام شرعية فى البيع : وذكر فى الحديث نهيه عليه الصلاة والسلام عن بيع الفضة بالفضة ، وإباحة بيع الذهب بالورق ، فدل على أن الورق والفضة شيء واحد ، وقد فرق بينهما أبو عبيد فى كتاب الأموال ، فقال : الرقة والورق ما كان سكة مضروبة ، فإن كان حلياً أو حلية ، أو نقراً لم يسم ورقاً ، يريد بهذه التفرقة أن لازكاة فى حلى الفضة والذهب ، لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - حين ذكر الزكاة قال : فى الرقة الخمس ، وحين ذكر الربا قال الفضة بالفضة .

قال المؤلف : وفى هذا الحديث الذى ذكره ابن إسحاق ، وفى أحاديث سواه قد تتبعها مايدل على خلاف ما قال ، منها قوله عليه السلام فى صفة الحوض : يصب فيه ميزابان من الجنة أحدهما من ذهب والآخر من ورق ، وفى حديث عرفجة حين أصيب أنفه يوم الكلاب قال : فاتخذت أنفاً من ورق الحديث ، فى شواهد كثيرة تدل على أن الفضة تسمى ورقاً على أى حال كانت .

وقوله بالذهب العين والورق العين ، يريد النقد ، لأن الغائب تسمى ضماراً ، كما قال . وعينه كالكالىء الضمار(١) ، وسمى الحاضر : عيناً لموضع المعاينة . فالعين فى الأصل مصدر عنته أعينه إذا أبصرته بعينك ، وسمى المفعول بالمصدر ، ونحو منه الصيد ، لأنه مصدر صدت أصيد ، وقد جاء فى التنزيل : « لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم » فسماه بالمصدر ، ولعلك ، أن تلحظ من هذا المطلع معنى العين من قوله تعالى : « ولتصنع على عينى » فقد أملينا فيها ، وفى مسألة اليد مسألتين لايعدل بقيمتهما الدنيا بحذافيرها .

نكاح المتعة : فصل : ومما يتصل بحديث النهى عن أكل الحمر تنبيه على إشكال فى رواية مالك عن ابن شهاب ، فإنه قال فيها : نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن نكاح المتعة يوم خيبر ، وعن لحوم الحمر الأهلية ، وهذا شيء لايعرفه أحد من أهل السير ، ورواة الأثر أن المتعة حرمت يوم خيبر ، وقد رواه ابن عيينة عن ابن شهاب عن عبد الله بن محمد ، فقال فيه : إن النبي صلى الله عليه وسلم — نهى عن أكل الحمر الأهلية عام خيبر ، وعن المتعة ، فمعناه على هذا اللفظ : ونهى عن المتعة بعد ذلك ، أو فى غير ذلك اليوم ، فهو إذاً تقديم وتأخير ، وقع فى لفظ ابن شهاب ، لافى لفظ مالك لأن مالكاً قد وافقه على لفظه جماعة من رواة ابن شهاب ، وقد اختلف فى تحريم نكاح المتعة فأغرب ماروى فى ذلك رواية من قال : إن ذلك كان فى غزوة تبوك ، ثم رواية الحسن أن ذلك كان فى عمرة القضاء ، والمشهور فى تحريم نكاح المتعة رواية الربيع بن سبرة عن أبيه أن ذلك كان عام الفتح ، وقد خرج مسلم الحديث بطوله وفى هذا أيضاً حديث آخر أخرجه أبو داود أن تحريم نكاح المتعة كان فى حجة الوداع ، ومن قال من الرواة كان فى غزوة أوطاس ،

---

(١) الضمار : الغائب غير المرجو .

. . . .

فهو موافق لمن قال عام الفتح ، فتأمله والله المستعان .

وذكر قوله — عليه السلام — : لأعطين الراية غداً رجلا يحب الله ورسوله ويفتح على يديه ، وفي غير رواية ابن إسحاق: فبات الناس يدوكون أيهم يعطاها ومعناه من الدوكة ، والدوكة ، [بضم الدال أو فتحها] وهو اختلاط الأصوات .

علي يحمل الراية : وذكر أن علياً — رضي الله عنه — انطلق بالراية يأنح ، وفي رواية ابن إسحاق يؤج ، فمن رواه يأنح ، فهو من الأنيح وهو علو النفس ، يقال فرس أنوح من هذا ، ويروى عن عمر — رضى الله عنه — أنه رأى رجلا يأنح ببطنه ، فقال : ماهذا ؟ فقال : بركة من الله ، فقال : بل هو عذاب عذبك به. ومن رواه يؤج ، فمعناه : يسرع ، يقال : أجت الناقة تؤج إذا أسرعت في مشيها ، وزاد الشيباني عن ابن إسحاق في هذا الحديث حين ذكر أن علياً كان أرمد ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم — تفل في عينيه فبرأ ، قال : فما وجعت عينه حتى مضى لسبيله ، قال : وكان علي يلبس القباء المحشو الثخين في شدة الحر ، فلا يبالي بالحر ، ويلبس الثوب الخفيف في شدة البرد ، فلا يبالي بالبرد ، وسئل عن ذلك ، فأخبر أن النبي — صلى الله عليه وسلم — دعا له يوم خيبر حين رمدت عينه أن يشفيه الله ، وأن يجنبه الحر والبرد ، فكان ذلك .

حديث عبد الله بن مغفل : فصل : وذكر حديث عبد الله بن مغفل حين احتمل جراب الشحم ، وأراد صاحب المغانم أخذه منه ، ولم يذكر اسم صاحب المغانم ، وروى عن ابن وهب أنه قال : كان على المغانم يوم خيبر أبو اليسر كعب بن عمرو بن زيد الأنصاري هكذا وجدته في بعض كتب الفقه مروياً عن ابن وهب ، ولم يتصل لى به إسناد .

الصفي والمرباع : فصل : وذكر صفية بنت حيي ، وأمها بردة بنت سموأل ، أخت رفاعة بن سموأل المذكور في الموطأ ، وأنه اصطفاها لنفسه ، وفي حديث آخر عن عائشة قالت : كانت صفية من الصفي ، والصفي ما يصطفيه أمير الجيش لنفسه قال الشاعر :

* لك المرباع منها والصفايا *

فالمرباع ربع الغنيمة . والصفي ما يصطفي للرئيس ، وكان هذا في الجاهلية ، فنسخ المرباع بالخمس وبقي أمر الصفي .

وكانت أموال النبي صلى الله عليه وسلم من ثلاثة أوجه : من الصفي والهدية تهدى إليه ، وهو في بيته لا في الغزو من بلاد الحرب ، ومن خمس الخمس ، وروى يونس عن إبراهيم بن إسماعيل بن مجمع الأنصاري قال : حدثني عثمان بن كعب القرظي قال : حدثني رجل من بني النضير ، كان في حجر صفية بنت حيي من رهطها يقال له : ربيع عن صفية بنت حيي قالت : ما رأيت أحداً قط أحسن خلقاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لقد رأيته ركب بي من خيبر حين أفاء الله عليه ناقته ليلا فجعلت أنعس فيضرب رأسي مؤخرة الرحل ، فيمسني بيده ، ويقول : ياهذه مهلا يا ابنة حيي ، حتى إذا جاء الصهباء قال : أما إني أعتذر إليك ياصفية مما صنعت بقومك ، إنهم قالوا لي : كذا ، وقالوا لي : كذا . وحديث اصطفائه صفية يعارضه في الحديث الآخر عن أنس أنها صارت لدحية فأخذها منه ، وأعطاه سبعة أرؤس ويروى أنه أعطاه بنتي عمها عوضاً منها ، ويروى أيضاً أنه قال : خذ رأساً آخر مكانها ولا معارضة بين الحديثين ، فإنما أخذها من دحية قبل القسم : وما عوضه منها ليس على جهة البيع ، ولكن على جهة النفل والهبة ، والله أعلم . غير أن بعض رواة الحديث في المسند الصحيح يقولون فيه : إنه اشترى صفية من دحية ، وبعضهم يزيد فيه : بعد القسم ، فالله أعلم أي ذلك كان .

وكان أمر الصفي أنه كان عليه السلام إذا غزا في الجيش اختار من الغنيمة قبل القسم رأساً وضرب له بسهم مع المسلمين فإذا قعد ، ولم يخرج مع الجيش ضرب له بسهم ، ولم يكن له صفي ، ذكره أبو داود ، وأمر الصفي :

. . . .

بعد الرسول عليه السلام لإمام المسمين فى قول أبى ثور ، وخالفه جمهور الفقهاء وقالوا : كان خصوصاً للنبى عليه السلام .

صداق صفية : وقوله : أعتقها ، وجعل عتقها صداقها ، هو صحيح فى النقل ، وقال به كثير من العلماء ، ومن لم يقل به من الفقهاء تأوله خصوصاً بالنبى صلى الله عليه وسلم أو منسوخاً ، وممن لم يقل به مالك بن أنس ، وجماعة سواه لايرون بمجرد العتق يغنى عن صداق .

حديث حنش الصنعانى : وذكر حديث حنش الصنعانى عن رويفع بن ثابت . هو حنش بن عبد الله السبائى جاء إلى الأندلس مع موسى بن نصير ، وهو الذى ابتنى جامع سرقسطة ، وأسس جامع قرطبة أيضاً ، فيما ذكروا ، وتوهم أنه حنش بن على ، وأن الاختلاف فى اسم أبيه وقد فرق بينهما على بن المدينى فقال : حنش بن على السبائى من صنعاء الشام ، ومنها أبو الأشعث الصنعانى ، وحنش بن عبد الله السبائى من صنعاء اليمن ، وكلاهما يروى عن على ، فمن ههنا دخل الوهم على البخارى ، هكذا ذكر أبو بكر الخطيب ، ويروى عن على أيضاً حنش بن ربيعة ، وحنش بن المعتمر وهما غير هذين .

وفيه : أن لاتوطأ حامل من السبايا حتى تضع ، وذكر باقى الحديث ، وقد ثبت عن النبى — صلى الله عليه وسلم فى حديث آخر أنه نظر إلى أمة مجح أى مقرب(١) ، فسأل عن صاحبها ، فقيل : إنه يلم بها ، فقال : لقد هممت أن ألعنه لعنة تدخل معه فى قبره : وذكر الحديث .

فهذا وجه فى معنى قوله : لايحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسق ماؤه زرع غيره ، يعنى إتيان الحبالى من السبايا ، فإن فعل فالولد مختلف فى إلحاقه به ، فقال مالك والشافعى : لا يلحق به ، وقال الليث : يلحق به لقول النبى صلى الله عليه وسلم : كيف يستعبده ، وقد غذاه فى سمعه وبصره .

مقتل مرحب اليهودى : فصل : ومما يتصل بقصة مرحب اليهودى مع على بن أبى طالب — رضى الله عنه — من رواية الكتاب قول على :

أنا الذى سمتنى أمى حيدره   أضرب بالسيف رءوس الكفره
أكيلهم بالصاع كيل السندره

أى أجزيهم بالوفاء . والسندرة : شجرة يصنع منها مكاييل عظام .

وفى قوله رضى الله عنه : سمتنى أمى حيدرة ثلاثة أقوال ، ذكرها قاسم بن ثابت ، أحدها : أن اسمه فى الكتب المتقدمة أسد ، والأسد : هو الحيدرة . الثانى : أن أمه فاطمة بنت أسد حين ولدته كان أبوه غائباً ، فسمته ، باسم أبيها أسد ، فقدم أبوه فسماه عليا . الثالث : أنه لقب فى صغره بحيدرة ، لأن الحيدرة الممتلئ لحماً من عظم بطن ، وكذلك كان على رضى الله عنه ، ولذلك قال بعض اللصوص حين فر من سجنه الذى كان يسمى نافعا ، وقيل فيه : يافع أيضاً بالياء :

ولو أنى مكثت لهم قليلا   لجرونى إلى شيخ بطين

بعد حصون خيبر : وذكر شقا والنطاة وشق بالفتح أعرف عند أهل اللغة كذلك قيده البكرى .

وذكر وادى خاص من أرض خيبر . وقال أبو الوليد : إنما هو وادى خلص باللام ، والأول تصحيف . وقال البكرى : هو خلص باللام وأنشد البكرى لخالد بن عامر :

وإن بخلص خلص آرة بدناً   نواعم كالغزلان مرضى عيونها

من أحكام الخال : فصل : وذكر فى أشعار خيبر قول العبسى ، وفى آخره :

---

(١) المقرب : التى قرب أوان وضعها .

. . . .

فرت يهود يوم ذلك فى الوغا　　تحت العجاج غمائم الأبصار

وهو بيت مشكل غير أن فى بعض النسخ ، وهى قليلة عن ابن هشام أنه قال : فرت فتحت ، من قولك : فررت الدابة ، إذا فتحت فاها . وغمائم الأبصار ، هى مفعول فرت ، وهى جفون أعينهم ، هذا قول ، وقد يصح أن يكون فرت من الفرار ، وغمائم الأبصار من صفة العجاج ، وهو الغبار ونصبه على الحال من العجاج ، وإن كان لفظه لفظ المعرفة عند من ليس بشاذ فى النحو ، ولا ماهر فى العربية ، وأما عند أهل التحقيق ، فهو نكرة ، لأنه لم يرد الغمائم حقيقة وإنما أراد مثل الغمائم ، فهو مثل قول امرىء القيس :

بمنجرد قيد الأوابد هيكل

فقيدها هنا نكرة ، لأنه أراد مثل القيد ، ولذلك نعت به منجرداً ، أو جعله فى معنى مقيد ، وكذلك قول عبدة بن الطبيب :

تحية من غادرته غرض الردى

فنصب غرضاً على الحال : وأصح الأقوال فى قوله سبحانه : «زهرة الحياة الدنيا» أنه حال من المضمر المخفوض ، لأنه أراد التشبيه بالزهرة من النبات ، ومن هذا النحو قولهم : جاء القوم الجماء الغفير انتصب على الحال ، وفيه الألف واللام ، وهو من باب ماقدمناه من التشبيه ، وذلك أن الجماء هى بيضة الحديد تعرف بالجماء والصلعاء ، فإذا جعل معها المغفر ، فهى غفير ، فإذا قالت : جاءوا الجماء الغفير ، فإنما أردت العموم والإحاطة بجميعهم ، أى جاءوا جيئة تشملهم وتستوعبهم ، كما تحيط البيضة الغفير بالرأس ، فلما قصدوا معنى التشبيه دخل الكلام الكثير كما تقدم ، وكذلك قولهم : تفرقوا أيدى سبا ، وأيادى سبا ، أى : مثل أيدى سبا ، فحسنت فيه الحال لذلك ، والذى قلناه فى معنى الجماء الغفير رواه أبو حاتم عن أبى عبيدة ، وكان علامة بكلام العرب ، ولم يقع سيبويه على هـــذا الغرض فى معنى الجماء ، فجعلها كلمة شاذة عن القياس ، واعتقد فيها التعريف وقرنها بباب وحده ، وفى باب وحده أسرار قد أمليناها فى غير هذا الكتاب ، ومسألة وحده تختص بباب وحده ، وهذا الذى ذكرنا من التنكير بسبب التشبيه ، إنما يكون إذا شبهت الأول باسم مضاف وكان التشبيه بصفة متعدية إلى المضاف إليه ، كقوله : قيد الأوابد ، أى مقيد الأوابد ، ولو قلت : مررت امرأة القمر على التشبيه لم يجز ، لأن الصفة التى وقع بها التشبيه غير متعدية إلى القمر ، فهذا شرط فى هذه المسألة ، ومما يحسن فيه التنكير وهو مضاف إلى معرفة اتفاق اللفظين كقوله : له صوت صوت الحمار وزئير زئير الأسد ، فإن قلت : فما بال الجماء الغفير ، جاز فيها الحال ، وليست بمضافة ؟ قلنا : لم تقل العرب جاء القوم البيضة ، فيكون مثل ما قدمناه من قولك : مررت بهذا القمر ، وإنما قالوا : الجماء الغفير بالصفة الجامعة بينها ، وبين ما هى حال منه ، وتلك الصفة الجم ، وهو الاستواء ، والغفر ، وهى التغطية فمعنى الكلام : جاءوا جيئة مستوية لهم ، موعبة لجمعهم ، فقوى معنى التشبيه بهذا الوصف ، فدخل التنكير لذلك ، وحسن النصب على الحال وهى حال من المجىء .

حديث الشاة المسمومة : فصل : وذكر حديث الشاة المسمومة ، وأكل بشر بن البراء منها ، وفيه : أن الذراع كانت تعجبه ، لأنها هادى الشاة ، وأبعدها من الأذى ، فلذلك جاء مفسراً فى هذا اللفظ .

فأما المرأة التى سمته ، فقال ابن إسحاق : صفح عنها ، وقد روى أبو داود أنه قتلها ، ووقع فى كتاب شرف المصطفى أنه قتلها وصلبها ، وهى زينب بنت الحارث بن سلام ، وقال أبو داود : وهى أخت مرحب اليهودى ، وروى أيضاً مثل ذلك ابن إسحاق . ووجه الجمع بين الروايتين أنه عليه السلام صفح عنها ، أول لأنه كان - صلى الله عليه وسلم - لا ينتقم لنفسه ، فلما مات بشر بن البراء من تلك الأكلة ، قتلها ، وذلك أن بشراً لم يزل معتلا من تلك الأكلة حتى

. . . .

مات منها بعد حول ، وقال النبي صلى الله عليه وسلم عند موته : « مازالت أكلة خيبر تعادني ، فهذا أوان قطعت أبهرى » وكان ينفث منها مثل عجم الزبيب . وتعادنى ، أى تعتادنى المرة بعد المرة ، قال الشاعر :

ألاقى من تذكر آل ليلى كما يلقى السليم من العداد

والأبهر : عرق مستبطن القلب . قال ابن مقبل :

وللفؤاد وجيب تحت أبهره لدم الوليد وراء الغيب بالحجر

وقد روى معمر بن راشد فى جامعه عن الزهرى أنه قال : أسلمت فتركها النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال معمر : هكذا قال الزهرى : أسلمت ، والناس يقولون : قتلها ، وأنها لم تسلم ، وفى جامع معمر بن راشد أيضاً أن أم بشر بن البراء قالت للنبى صلى الله عليه وسلم فى المرض الذى مات منه ما تتهم يا رسول الله ، فإنى لا أتهم ببشر إلا الأكلة التى أكلها معك بخيبر ، فقال : وأنا لا أتهم بنفسى إلا ذلك ، فهذا أوان قطعت أبهرى .

حديث الغفارية : فصل : وذكر حديث الغفارية التى شهدت خيبر ، ولم يسمها ، وقد يقال : اسمها ليلى ، ويقال هى امرأة أبى ذر الغفارى ، وقولها رضخ لى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أصل الرضخ أن تكسر من الشىء الرطب كسرة فتعطيها ، وأما الرضح بالحاء المهملة ، فكسر اليابس ، الصلب . قال الشاعر :

كما تطاير عن مرضاحه العجم

بعض أحكام الماء : وقولها : أمرنى أن اجعل فى طهورى ملحاً . فيه رد على من زعم من الفقهاء أن الملح فى الماء إذا غير طعمه صيره مضافاً طاهراً غير مطهر ، وفى هذا الحديث ما يدفع قوله . ومن طريق النظر أن المخالط للماء إذا غلب على أحد أوصافه الثلاثة : الطعم ، أو اللون ، أو الرائحة ، كان حكم الماء كحكم المخالط له ، فإن كان طاهراً غير مطهر كان الماء به كذلك ، وإذا كان لا طاهراً ولا مطهراً كالبول كان الماء لمخالطته كذلك ، وإن كان المخالط له طاهراً مطهراً كالتراب كان الماء طاهراً مطهراً ، والملح إن كان ماء جامداً ، فهو فى الأصل طاهر مطهر ، وإن كان معدنياً ترابياً ، فهو كالتراب فى مخالطة الماء ، فلا معنى لقول من جعله ناقلا للماء عن حكم الطهارة والتطهير ، ووقع فى رواية يونس فى السيرة أن النبى صلى الله عليه وسلم اغتسل عام الفتح من جفنة فيها ماء وكافور ، ومحمل هذه الرواية عندى إن صحت على أنه قصد بها التطيب ، وأنه لم يكن محدثاً ، ولأبى حنيفة فى هذه الرواية متعلق لترخيصه .

بعض من استشهد بخيبر : وذكر فيمن استشهد بخيبر : أبا الصباح بن ثابت ، ولم يسمه ، وقال الطبرى : اسمه النعمان بن ثابت بن النعمان ، وقال غيره اسمه عمير .

وذكر فيمن استشهد : عامر بن الأكوع ، وهو الذى رجع عليه سيفه فقتله ، فشك الناس فيه ، فقالوا . قتله سلاحه ، فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : إنه جاهد مجاهد ، وقل عربى ، مشابهاً مثله ، وفى رواية مشى بها مثله ، ويروى أيضاً : نشأ بها مثله ، كل هذا يروى فى الجامع الصحيح ، وهذا اضطراب من رواة الكتاب ، فمن قال : مشى بها مثله فالهاء عائدة على المدينة ، كما تقول : ليس بين لابتيها مثل فلان ، يقال هذا فى المدينة ، ولا يقال فى بلد ليس حوله لابتان ، أى حرتان ، ويجوز أن تكون الهاء عائدة على الأرض كما قال سبحانه : « كل من عليها فان » .

قد يأتى الحال من النكرة : ومن رواه مشابهاً مفاعلا من الشبه ، فهو حال من عربى ، والحال من النكرة لا بأس به إذا دلت على تصحيح معنى كما جاء فى الحديث : فصلى خلفه رجال قياماً . الحال هاهنا مصححة لفقه الحديث ، أى : صلوا فى هذه الحال ، ومن احتج فى الحال من النكرة بقولهم : وقع أمر فجأة ، فلم يصنع شيئاً ، لأن فجأة ، ليس

. . . .

حالا من أمر ، إنما هو حال من الوقوع ، كما تقول : جاءنى رجل مشياً ، فليس مشياً حال من رجل ، كما توهموا ، وإنما هى حال من المجىء لأن الحال هى صاحب الحال ، وتنقسم أقساماً : حال من فاعل كقولك : جاء زيد ماشياً ، وحال من الفعل ، كقولك : جاء زيد مشياً وركضاً ، وحال من المفعول ، كقولك : جاءنى القوم جالساً ، فهى صفة المفعول فى وقت وقوع الفعل عليه ، أو صفة الفاعل فى وقت وقوع الفعل منه ، أو صفة الفعل فى وقت وقوعه، ونعنى بالفعل : المصدر .

حديث الحجاج السلمى : فصل : وذكر حديث الحجاج بن علاط السلمى : وقد ذكرنا فى حديث إسلامه خبراً عجيباً اتفق له مع الجن ، وهو والد نصر بن حجاج الذى حلق عمر رأسه ، ونفاه من المدينة لما سمع قول المرأة فيه :

ألا سبيل إلى خمر فأشربها   أم لا سبيل إلى نصر بن حجاج

وهذه المرأة هى الفريعة بنت همام ، ويقال : إنها أم الحجاج بن يوسف ، ولذلك قال له عروة بن الزبير : يا ابن المتمنية ، وكان من أحسن الناس لمة ووجهاً ، فأتى الشام ، فنزل على أبى الأعور السلمى ، فهويته امرأته وهواها ، وفطن أبو الأعور لذلك بسبب يطول ذكره ، فابتنى له قبة فى أقصى الحى ، فكان بها ، فاشتد ضناه بالمرأة ، حتى مات كلفا بها ، وسمى المضنى وضربت به الأمثال . وذكر الأصبهانى فى كتاب الأمثال له خبره بطوله .

وقوله : الحجاج بن علاط ، والعلاط وسم فى العنق ، ويقال له : العلاطة أيضاً ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : لابد لى أن أقول ، فقال له قل ، يعنى التكذب ، فأباحه له ، لأنه من خدع الحرب ، وقال : المبرد : إنما صوابه : أتقول إذا أردت معنى التكذب ، وأخذ هذا المعنى حبيب فقال :

بحسب امرىء أثنى عليك بأنه   يقول ، وإن أربى فلا يتقول

أى : يقول الحق إذا مدحك ، وإن أفرط فليس إفراطه بتقول .

معنى أولى له : وذكر غير ابن إسحاق فى حديث حجاج أن قريشاً قالت : حين أفلتهم : أولى له ؛ وهى كلمة معناها : الوعيد ، وفى التنزيل : « أولى لك فأولى » ، فهى على وزن أفعل ، من ولى أى : قد وليه الشر ، وقال الفارسى : هى اسم علم ولذلك لم ينصرف ، وجدت هذا فى بعض مسائله ، ولا تتضح لى العلمية فى هذه الكلمة ، وإنما هو عندى كلام حذف منه ، والتقدير : الذى تصير إليه من الشر أو العقوبة أولى لك ، أى ألزم لك ، أى أنه يليك ، وهو أولى لك ، بما فررت منه ، فهو فى موضع رفع ، ولم ينصرف لأنه وصف على وزن أفعل ، وقول الفارسى : هو فى موضع نصب جعله من باب تبأ له ؛ غير أنه جعله علماً لما رآه غير منون .

ابن أم أيمن : فصل : وذكر شعر حسان فى ابن أم أيمن ، واسم أبيه عبيد ، واسم أمه أم أيمن بركة وهى أم أسامة ابن زيد يقال لها : أم الظباء ، قال الواقدى : اسمها بركة بنت ثعلبة وكانت أمة لعبد الله بن عبد المطلب ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم يقول : أم أيمن أمى بعد أمى ، ويقال ؛ كانت لآمنة بنت وهب أم النبى صلى الله عليه وسلم — وهى التى هاجرت على قدميها من مكة إلى المدينة ، وليس معها أحد . وذلك فى حر شديد ، فعطشت ، فسمعت حفيفاً فوق رأسها ، فالتفتت ، فإذا دلو قد أدليت لها من السماء فشربت منها ، فلم تظمأ أبداً ، وكانت تتعهد الصوم فى حمارة القيظ، لتعطش فلا تعطش وكان — النبى صلى الله عليه وسلم — يزورها ، وكان الخليفتان يزورانها بعده ، وقد روى مثل قصتها عن أم شريك الدوسية أنها عطشت فى سفر فلم تجد ماء إلا عند يهودى ، وأبى أن يسقيها إلا أن تدين بدينه ، فأبت إلا أن تموت عطشاً فدليت لها دلو من السماء فشربت ، ثم رفعت الدلو ، وهى تنظر . ذكر خبرها ابن إسحاق فى السيرة من غير رواية ابن هشام ، وهو أطول مما ذكرناه .

. . . .

وقول حسان

وأيمن لم يجبن ، ولكن مهره أضر به شرب المديد المخمر

المديد : وقع فى الأصل ، وهو معروف ، ولكن ألفيت فى حاشية الشيخ عن ابن دريد : المريد براء ، والمريس أيضاً ، وهو تمر ينقع ثم يمرس . وأنشد :

مسنفات تسق ضياح المريد

ابو ايوب يحرس النبى صلى الله عليه وسلم:وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لأبى أيوب حين بات يحرسه :حرسك الله يا أبا أيوب ، كما بت تحرس نبيه .

قال المؤلف : فحرس الله أبا أيوب بهذه الدعوة ، حتى إن الروم لتحرس قبره ويستسقون به ويستصحون ، وذلك أنه غزا مع يزيد بن معاوية سنة خمسين ، فلما بلغوا القسطنطينية مات أبو أيوب هنالك ،وأوصى يزيد أن يدفنه فى أقرب موضع من مدينة الروم ، فركب المسلمون ، ومشوا به حتى إذا لم يجدوا مساغاً ، دفنوه ، فسألتهم الروم عن شأنهم : فأخبروهم أنه كبير من أكابر الصحابة ، فقالت الروم ليزيد ما أحمقك وأحمق من أرسلك أأمنت أن ننبشه بعدك ، فنحرق عظامه ؟ فأقسم لهم يزيد لئن فعلوا ذلك ليهد من كل كنيسة بأرض العرب ، ولتنبش قبورهم ، فحينئذ حلفوا لهم بدينهم ليكرمن قبره ، وليحرسنه ما استطاعوا ، فروى ابن القاسم عن مالك ، قال : بلغنى أن الروم يستسقون بقبر أبى أيوب رحمه الله ، فيسقون .

اموال خيبر واراضيها:أما قسم غنائمها ، فلا خلاف فيه وفى كل مغنم بنص القرآن كما تقدم فى غزاة بدر ،وأما أرضها ، فقسمها النبى صلى الله عليه وسلم بين من حضرها من أهل الحديبية ، وأخرج الخمس لله ولرسوله ، ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل ، وقد تقدم الكلام فى معنى : لله ولرسوله ، ومامعنى سهم الله ، وسهم الرسول،ولولا الخروج عما صمدنا إليه لذكرنا سراً بديعاً وفقهاً عجيباً فى قوله تعالى ، « لله وللرسول ولذى القربى » باللام ، ولم يقل ذلك فى اليتامى والمساكين ، وقال : وللرسول، وقال فى أول السورة :« قل الأنفال لله وللرسول » وقال فى آية الفىء « ما أفاء الله على رسوله فلله وللرسول » ولم يقل : رسوله ، وكل هذا لحكمة وحاشا لله أن يكون حرف من التنزيل خالياً من حكمة . وقال أبو عبيد فى كتاب الأموال : قسم النبى صلى الله عليه وسلم أرض خيبر أثلاثاً أثلاثاً ، السلالم والوطيح والكتيبة ، فإنه تركها لنوائب المسلمين وما يعروهم ، وفى هذا ما يقوى أن الإمام مخير فى أرض العنوة إن شاء قسمها أخذاً بقول الله سبحانه :«واعلموا أنما غنمتم من شىء»الآية فيجريها مجرى الغنيمة،وإن شاء وقفها كما فعل عمر ـ رضى الله عنه ـ أخذاً بقول الله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى» إلى قوله : «والذين جاءوا من بعدهم»فاستوعبت آية الفىء جميع المسلمين ، ومن يأتى بعدهم ، فسمى آية القرى فيئاً وسمى الأخرى غنيمة ، فدل على افتراقهما فى الحكم ، كما افترقا فى التسمية ، وكما اختلف الفقهاء فى هذه المسألة على أقوال منهم: من يرى قسم الأرض كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم بخيبر ، وهو قول الشافعى، ومنهم من يراها وقفاً على المسلمين لبيت مالهم ، ومنهم من يقول بتخيير الإمام فى ذلك ، فكذلك افترق رأى الصحابة عند افتتاح البلاد ، فكان رأى الزبير القسم ، فكلم عمرو بن العاصى حين افتتح مصر فى قسمها فكتب عمرو بذلك إلى عمر بن الخطاب ، فكتب إليه عمر : أن دعها ، ولا تقسمها ، حتى يجاهد منها حبل الحبلة ، وقد شرحنا هذه الكلمة فى المبعث قبل هذا بإجزاء ، وكذلك استأمر عمر ـ رضى الله عنه ـ الصحابة فى قسم أرض السواد حين افتتحت ، فكان رأى على مع رأى عمر ـ رضى الله عنهما ـ أن يقفها ، ولا يقسمها ، وأرض السواد أولها من تخوم الموصل مدامع الماء إلى عبادان من الساحل عن يسار دجلة ، وفى العرض من جبال حلوان إلى

. . . .

القادسية متصلا بالعذيب من أرض العرب ، كذا قال أبو عبيد ، وكانت العرب تقول : دلع البر لسانه فى السواد ، لأن أرض القادسية كلسان من البرية داخل فى سواد العراق ، حكاها الطبرى .

ولما سار عمر إلى الشام ، وكان بالجابية شاور فيما افتتح من الشام : أيقسمها ؟ فقال له معاذ : إن قسمتها لم يكن لمن يأتى بعد من المسلمين شىء ، أو نحو هذا ، فأخذ بقول معاذ ، فألح عليه بلال فى جماعة من أصحابه ، وطلبوا القسم ، فلما أكثروا ، قال : اللهم اكفنى بلالا وذويه ، فلم يأت الحول ، ومنهم على الأرض عين تطرف ، وكانت أرض الشام كلها عنوة إلا مدائنها ، فإن أهلها صالحوا عليها ، وكذلك بيت المقدس فتحها عمر صلحاً بعد أن وجه إليها خالد بن ثابت الفهمى فطلبوا منه الصلح ، فكتب بذلك إلى عمر ، وهو بالجابية ، فقدمها ، وقبل صلح أهلها . وأرض السواد كلها عنوة إلا الحيرة فإن خالد بن الوليد صالح أهلها ، وكذلك أرض بانقيا أيضاً صلح ، وأخرى يقال لها : اليس . وأرض خراسان عنوة إلا ترمذ ، فإنها قلعة منيعة وقلاع سواها ، وأما أرض مصر ، فكان الليث بن سعد قد اقتنى بها مالا وعاب ذلك عليه جماعة منهم يحى بن أيوب ومالك بن أنس ، لأن أرض العنوة لاتشترى ، وكان الليث يروى عن يزيد ابن أبى حبيب ، أنها فتحت صلحاً ، وكلا الخبرين حق لأنها فتحت صلحاً أول ، ثم انتكثت بعد ، فأخذت عنوة ، فمن ههنا نشأ الخلاف فى أمرها ، قاله أبو عبيد ، وقد احتج من قال بالقسم فى أرض العنوة بأن عمر لم يقف أرض السواد وغيرها حتى استطاب نفوس المفتتحين لها ، أعطاهم حتى أرضاهم ، ورووا أن أم كرز البجلية سألت سهم أبيها فى أرض السواد ، وأبت أن تتركه فيئاً ، حتى أعطاها عمر راحلة وقطيفة حمراء وثمانين ديناراً ، وكذلك رووا عن جرير بن عبد الله البجلى فى سهمه بأرض العراق نحواً من هـــذا ، وقال من يحتج للفريق الآخر : إنما ترضى عمر جريراً ، لأنه كان نفله تلك الأرض ، فكانت ملكاً له ، حتى مات ، وكذلك أم كرز كان سهم أبيها نفلا أيضا ، جاءت بذلك كله الآثار الثابتة والله المستعان .

اسم أبى نبقة : وذكر فيمن قسم له يوم خيبر أبا نبقة قسم له خمسين وسقاً ، واسمه : علقمة بن المطلب ، ويقال : عبد الله بن علقمة ، وقال أبو عمر : هو مجهول ، وقال ابن الفرضى : أبو نبقة بن المطلب بن عبد مناف ، واسم أبى نبقة : عبد الله ، ومن ولده : محمد بن العلاء بن الحسين بن عبد الله بن أبى نبقة ، ومن ولده : أبو الحسين المطلبى إمام مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يحى بن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن الحسين بن العلاء بن المغيرة بن أبى نبقة بن المطلب بن عبد مناف .

ام الحكم : وذكر فيهم أم الحكم ، وهى بنت الزبير بن عبد المطلب أخت ضباعة ، هكذا قال : أم الحكم . والمعروف فيها أنها أم حكيم ، وكانت تحت ربيعة بن الحارث ، وأما أم حكم فهى بنت أبى سفيان . وهى من مسلمة الفتح . ولولا ذلك لقلت : إن ابن إسحاق إياها أراد ، لكنها لم تشهد خيبر ولا كانت أسلمت بعد .

أم رمثة وبحينة : وذكر فيمن قسم له أم رمثة ، ولا تعرف إلا بهذا الخبر ، وشهودها فتح خيبر .

وذكر بحينة بنت الحارث . وبحينة تصغير : بحنة ، وهى نخلة معروفة ، قاله أبو حنيفة ، ولفظها من البحونة ، وهى جلة التمر ، وهى أم عبد الله بن بحينة الفقيه ، وهو ابن مالك بن القشب الأزدى .

القسم للنساء : وفى قسمه لهؤلاء النساء حجة للأوزاعى لقوله : إن النساء يقسم لهن مع الرجال فى المغازى ، وأكثر الفقهاء لايرون للنساء مع الرجال قسماً . ولكن يرضخ لهن من المغنم أخذاً بحديث أم عطية قالت : كنا نغزو مع النبي — صلى الله عليه وسلم — فنداوى الجرحى ، ونمرض المرضى ويرضخ لنا من المغنم .

. . . .

جوز المعانقة : فصل وذكر قدوم أصحاب السفينة من أرض الحبشة ، وفيهم جعفر بن أبى طالب ، وأن النبى صلى الله عليه وسلم التزمه وقبل بين عينيه ، وقد احتج بهذا الحديث الثورى على مالك بن أنس فى جواز المعانقة ، وذهب مالك إلى أنه خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وما ذهب إليه سفيان من حمل الحديث على عمومه أظهر ، وقد التزم النبى صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة ، حين قدم عليه من مكة . وأما المصافحة باليد عند السلام ففيها أحاديث منها قوله عليه السلام : تمام تحيتكم المصافحة ، ومنها حديث آخر أن أهل اليمن حين قدموا المدينة صافحوا الناس بالسلام فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن أهل اليمن قد سنوا لكم المصافحة ، ثم ندب إليها بلفظ لا أذكره الآن غير أن معناه : تنزل عليهما مائة رحمة تسعون منها للبادى ، وعن مالك فيها روايتان : الإباحة والكراهة ، ولا أدرى ما وجه الكراهية فى ذلك .

ولد جعفر وولد النجاشى : وكان جعفر قد ولد له بأرض الحبشة محمد وعون وعبد الله ، وكان النجاشى قد ولد له مولود يوم ولد عبد الله ، فأرسل إلى جعفر يسأله : كيف أسميت ابنك ؟ فقال : أسميته عبد الله ، فسمى النجاشى ابنه عبد الله ، وأرضعته أسماء بنت عميس امرأة جعفر مع ابنها عبد الله ، فكانا يتواصلان بتلك الأخوة .

اجنادين وضبطه : وذكر عمرو بن سعيد ، وأنه استشهد بأجنادين ، هكذا تقيد فى الأصل بكسر الدال وفتح أوله ، وكذا سمعت الشيخ الحافظ أبا بكر ينطق به ، وقيدناه عن أبى بكر بن طاهر عن أبى على الغسانى : إجنادين بكسر أوله وفتح الدال . وقال أبو عبيد البكرى فى كتاب معجم ما استعجم : أجنادين بفتح أوله ، وفتح الدال ، كأنه تثنية أجناد .

القادسية ويوم الهرير : وذكر عمرو بن عثمان التيمى ، وأنه قتل بالقادسية مع سعد بن أبى وقاص والقادسية آخر أرض العرب ، وأول أرض السواد ، وفى أيامها قتل رستم ملك الفرس فى يوم من أيامها يسمى يوم الهرير ، وكان قد أقبل بالفيلة وجموع لم يسمع بمثلها ، والمسلمون فى عدد دون العشر من عدد المجوس فكان الظفر للمسلمين ، وكان الأمير عليهم سعد بن أبى وقاص ، وخبرها طويل يشتمل على أعاجيب من فتح الله تعالى على هذه الأمة استقصاها سيف بن عمر فى كتاب الفتوح ، ثم الطبرى بعده ، وسميت القادسية برجل من الهراة ، وكان كسرى قد أسكنه بها اسمه : قادس ، وقيل : سميت بقوم نزلوها من قادس ، وقادس بخراسان ، وأما القادس فى لغة العرب ، فمن أسماء السفينة .

بعض القادمين من الحبشة : فصل : وذكر فيمن قدم من أرض الحبشة هشام بن أبى حذيفة بن المغيرة بن عبد الله ابن مخزوم ، واسم أبى حذيفة مهشم ، وذكر الواقدى هشاماً . هذا فيمن قدم من الحبشة غير أنه قال فيه : هاشم ، ولم يذكره موسى بن عقبة ، ولا أبو معشر فى القادمين من الحبشة .

وذكر فيمن قدم من الحبشة عبد الله بن حذافة ، وأنه الذى أرسله النبى صلى الله عليه وسلم إلى كسرى .

وذكر أيضاً سليط بن عمرو ، وأنه كان رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هوذة بن على الحنفى صاحب اليمامة

فأما كسرى فهو أبرويز بن هرمز بن أنوشروان ، ومعنى أبرويز المظفر فيما ذكر المسعودى ، وهو الذى كان غلب الروم ؛ فأنزل الله فى قصتهم : « الم ۞ غلبت الروم فى أدنى الأرض » ، وأدنى الأرض هى بصرى وفلسطين ، وأذرعات من أرض الشام ، قاله الطبرى .

بعض رسل النبى إلى الملوك : وذكر أبو رفاعة وثيمة بن موسى بن الفرات ، قال : قدم عبد الله بن حذافة على كسرى قال : يا معشر الفرس إنكم عشتم بأحلامكم لعدة أيامكم بغير نبى ، ولا كتاب ، ولا تملك من الأرض إلا ما فى يديك ، ومالا تملك منها أكثر ، وقد ملك قبلك ملوك أهل دنيا وأهل آخرة ، فأخذ أهل الآخرة بحظهم من الدنيا ،

. . . .

وضيع أهل الدنيا حظهم من الآخرة ، فاختلفوا فى سعى الدنيا ، واستووا فى عدل الآخرة ، ولقد صغر هـذا الأمر عندك أنا أتيناك به ، وقد والله جاءك من حيث خفت ، وما تصغيرك إياه بالذى يدفعه عنك ، ولا تكذيبك به بالذى يخرجك منه ، وفى وقعة ذى قار على ذلك دليل ، فأخذ الكتاب فمزقه ، ثم قال : لى ملك هنىء لا أخشى أن أغلب عليه ، ولا أشارك فيه ، وقد ملك فرعون بنى إسرائيل ، ولستم بخير منهم ، فما يمنعنى أن أملككم ، وأنا خير منه ، فأما هذا الملك ، فقد علمنا أنه يصير إلى الكلاب ، وأنتم أولئك تشبع بطونكم ، وتأبى عيونكم . فأما وقعة ذى قار ، فهى بوقعة الشام . فانصرف عنه عبد الله . وإنما خص النبى — صلى الله عليه وسلم — عبد الله بن حذافة بإرساله إلى كسرى ، لأنه كان يتردد عليهم كثيراً ويختلف إلى بلادهم ، وكذلك سليط بن عمرو وكان يختلف إلى اليمامة ، قال وثيمة : لما قدم سليط بن عمرو العامرى على هوذة ، وكان كسرى قد توجه ، قال : يا هوذة إنك سودت أعظم حائلة ، وأرواح فى النار ، وإنما السيد من منع بالإيمان ، ثم زود التقوى ، وإن قوماً سعدوا برأيك فلا تشق به ، وإنى آمرك بخير مأمور به ، وأنهاك عن شر منهى عنه ، آمرك بعبادة الله ، وأنهاك عن عبادة الشيطان ، فإن فى عبادة الله الجنة وفى عبادة الشيطان النار ، فإن قبلت نلت ما رجوت ، وأمنت ما خفت ، وإن أبيت فبيننا وبينك كشف الغطاء ، وهول المطلع . فقال هوذة : ياسليط سودنى من لو سودك شرفت به ، وقد كان لى رأى أختبر به الأمور ، ففقدته فموضعه من قلبى هواء ، فاجعل لى فسحة يرجع إلى رأيى ، فأجيبك به إن شاء الله . قال : ومن شعر عبد الله بن حذافة فى رسالته إلى كسرى وقدومه عليه :

أبى الله إلا أن كسرى فريسة ... لأول داع بالعراق محمدا
تقاذف فى فحش الجواب مصغراً ... لأمر العريب الخائضين له الردى
فقلت له : أرود ، فإنك داخل ... من اليوم فى البلوى ومنتهب غدا
فأقبل وأدبر حيث شئت ، فإننا ... لنا الملك فابسط للمسالمة اليدا
وإلا فأمسك قارعاً سن نادم ... أقر بذل الخرج أو مت موحدا
سفهت بتمزيق الكتاب ، وهذه ... بتمزيق ملك الفرس يكفى مبددا

وقال هوذة بن على فى شأن سليط :

أتانى سليط والحوادث جمة ... فقلت لهم : ماذا يقول سليط ؟
فقال التى فيها على غضاضة ... وفيها رجاء مطمع وقنوط
فقلت له : غاب الذى كنت أجتلى ... به الأمر عنى فالصعود هبوط
وقد كان لى والله بالغ أمره ... أبا النضر جأش فى الأمور ربيط
فأذهبه خوف النبى محمد ... فهوذة فـه فى الرجال سقيط
فأجمع أمرى من يمين وشمأل ... كأنى ردود للنبال لقيط
فاذهب ذاك الرأى إذ قال قائل ... أتاك رسول للنبى خبيط
رسول رسول الله راكب ناضح ... عليه من اوبار الحجاز غبيط
سكرت ودبت فى المفارق وسنة ... لها نفس عالى الفؤاد غطيط
أحاذر منه سورة هاشمية ... فوارسها وسط الرجال عبيط
فلا تعجلنى ياسليط فإننا ... نبادر أمراً والقضاء محيط

عمرة القضاء

في ذي القعدة سنة سبع

قال ابن إسحاق : فلما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة من خيبر ، أقام بها شهرى ربيع وجمادين ورجباً وشعبان [وشهر] رمضان يبعث فيما بين ذلك من غزوه وسراياه صلى الله عليه وسلم. ثم خرج في ذي القعدة في الشهر الذي صده فيه المشركون معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدوه عنها .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة عويف بن الأضبط الديلي .

ويقال لها عمرة القصاص ، لأنهم صدوا رسول الله — صلى الله عليه وسلم — في ذي القعدة في الشهر الحرام من سنة ست ، فاقتص رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، فدخل مكة في ذي القعدة ، في الشهر الحرام الذي صدوه فيه ، من سنة سبع .

وبلغنا عن ابن عباس أنه قال : فأنزل الله في ذلك : « والحرمات قصاص »

قال ابن إسحاق : وخرج معه المسلمون ممن كان صد معه في عمرته تلك ، وهي سنة سبع ، فلما سمع به أهل مكة خرجوا عنه ، وتحدثت قريش بينها أن محمداً وأصحابه في عسرة وجهد وشدة .

قال ابن إسحاق : فحدثني من لا أتهم ، عن ابن عباس ، قال : صفوا له عند دار الندوة لينظروا إليه وإلى أصحابه ، فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد اضطبع بردائه ، وأخرج عضده اليمنى ، ثم قال : رحم الله امرءاً أراهم اليوم من نفسه قوة ، ثم استلم الركن ، وخرج يهرول ويهرول أصحابه معه ، حتى إذا واراه البيت منهم ، واستلم الركن اليماني ، مشى حتى يستلم الركن الأسود ، ثم هرول كذلك ثلاثة أطواف ، ومشى سائرها ، فكان ابن عباس يقول : كان الناس يظنون أنها ليست عليهم وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما صنعها لهذا الحي من قريش للذي بلغه عنهم ، حتى إذا حج حجة الوداع فلزمها ، فمضت السنة بها .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر : أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين دخل مكة في تلك العمرة دخلها وعبد الله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقول :

خلوا بني الكفار عن سبيله   خلوا فكل الخير في رسوله
يارب إني مؤمن بقيله   أعرف حق الله في قبوله
نحن قتلناكم على تأويله   كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله

وسنذكر بقية إرسال النبي صلى الله عليه وسلم إلى الملوك ، وما قالوا ، وما قيل لهم فيما بعد إن شاء الله .

حديث النوم عن الصلاة : وذكر حديث نوم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن الصلاة مقفله من خيبر ، وهذه الرواية أصح من قول من قال : كان ذلك في غزاة حنين ، ومن قال في روايته للحديث كان ذلك عام الحديبية ، فليس ذلك بمخالف للرواية الأولى ، وأما رواية ابن إسحاق للحديث عن الزهري عن سعيد بن المسيب مرسلا ، فهكذا رواه مالك ، وأكثر أصحاب الزهري ، ورواه عنه صالح بن أبي الأخضر ، وقال فيه عن أبي هريرة : قاله الترمذي ، وقال أبو داود : قد رواه أيضاً عن الزهري مسنداً يونس بن يزيد ومعمر من طريق أبان العطار عن معمر عنه ، وكذلك رواه الأوزاعي مسنداً أيضاً وذكر فيه هو وأبان العطار : أنه أذن وأقام في تلك الصلاة حين خرج من الوادي ، ولم يذكر الأذان من رواة الحديث إلا قليل .

قال ابن هشام : « نحن قتلناكم على تأويله » إلى آخر الأبيات ، لعمار بن ياسر فى غير هذا اليوم ، والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يقروا بالتنزيل ، وإنما يقتل على التأويل من أقر بالتنزيل .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبان بن صالح وعبد الله بن أبى نجيح ، عن عطاء بن أبى رباح ومجاهد أبى الحجاج ، عن ابن عباس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة بنت الحارث فى سفره ذلك وهو حرام ، وكان الذى زوجه إياها العباس بن عبد المطلب .

قال ابن هشام : وكانت جعلت أمرها إلى أختها أم الفضل ، وكانت أم الفضل تحت العباس ، فجعلت أم الفضل أمرها إلى العباس ، فزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، وأصدقها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن إسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثاً ، فأتاه حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل ، فى نفر من قريش ، فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ؛ فقالوا له : إنه قد انقضى أجلك ، فاخرج عنا ؛ فقال النبى صلى الله عليه وسلم : وما عليكم لو تركتمونى فأعرست بين أظهركم ، وصنعنا لكم طعاماً فحضرتموه ؟ قالوا : لا حاجة لنا فى طعامك ، فاخرج عنا ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلف أبا رافع مولاه على ميمونة ، أتاه بها بسرف ، فبنى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم هنالك ، ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة فى ذى الحجة .

قال ابن هشام : فأنزل الله عز وجل عليه ، فيما حدثنى أبو عبيدة : « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق ، لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين لاتخافون فعلم مالم تعلموا ، فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً » يعنى خيبر .

ذكر غزوة مؤتة

(فى جمادى الأولى سنة ثمان ، ومقتل جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة)

قال ابن إسحاق : فأقام بها بقية ذى الحجة ، وولى تلك الحجة المشركون والمحرم وصفراً وشهرى ربيع ، وبعث فى جمادى الأولى بعثه إلى الشام الذين أصيبوا بمؤتة .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ، قال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إلى مؤتة فى جمادى الأولى سنة ثمان ، واستعمل عليهم زيد بن حارثة وقال : إن أصيب زيد فجعفر بن أبى طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبد الله بن رواحة على الناس .

فتجهز الناس ثم تهيئوا للخروج ، وهم ثلاثة آلاف ، فلما حضر خروجهم ودع الناس أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلموا عليهم . فلما ودع عبد الله بن رواحة من ودع من أمراء رسول الله صلى الله عليه وسلم بكى ؛ فقالوا : ما يبكيك يابن رواحة ؟ فقال : أما والله مابى حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ آية من كتاب الله عز وجل ، يذكر فيها النار « وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً » فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، فقال المسلمون : صحبكم الله ودفع عنكم ، وردكم إلينا صالحين ؛ فقال عبد الله بن رواحة :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقال إذا مروا على جدثى ... أرشده الله من غاز وقد رشدا

قال ابن إسحاق : ثم إن القوم تهيئوا للخروج ، فأتى عبد الله بن رواحة رسول الله صلى الله عليه وسلم فودعه ، ثم قال :

فثبت الله ما آتاك من حسن — تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة — الله يعلم أنى ثابت البصر
أنت الرسول فمن يحرم نوافله — والوجه منه فقد أزرى به القدر

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر هذه الأبيات :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله — والوجه منه فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن — فى المرسلين ونصراً كالذى نصروا
إنى تفرست فيك الخير نافلة — فراسة خالفت فيك الذى نظروا

يعنى المشركين . وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : ثم خرج القوم ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا ودعهم وانصرف عنهم ، قال عبد الله بن رواحة :

خلف السلام على امرىء ودعته — فى النخل خير مشيع وخليل

ثم مضوا حتى نزلوا معان ، من أرض الشام ، فبلغ الناس أن هرقل نزل مآب ، من أرض البلقاء ، فى مائة ألف من الروم ، وانضم إليهم من لخم وجذام والقين وبهراء وبلى مائة ألف منهم ، عليهم رجل من بلى ثم أحد إراشة ، يقال له : مالك بن زافلة . فلما بلغ ذلك المسلمين أقاموا على معان ليلتين يفكرون فى أمرهم وقالوا : نكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يمدنا بالرجال ، وإما أن يأمرنا بأمره ، فنمضى له .

قال : فشجع الناس عبد الله بن رواحة ، وقال : ياقوم ، والله إن التى تكرهون ، للتى خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به ، فانطلقوا فإنما هى إحدى الحسنيين ، إما ظهور وإما شهادة . قال : فقال الناس : قد والله صدق ابن رواحة . فمضى الناس ، فقال عبد الله بن رواحة فى محبسهم ذلك :

جلبنا الخيل من أجإ وفرع — تغر من الحشيش لها العكوم
حذوناها من الصوان سبتاً — أزل كأن صفحته أديم
أقامت ليلتين على معان — فأعقب بعد فترتها جموم
فرحنا والجياد مسومات — تنفس فى مناخرها السموم
فلا وأبى مآب لنأتينها — وإن كانت بها عرب وروم
فعبأنا أعنتها فجاءت — عوابس والغبار لها بريم
بذى لجب كأن البيض فيه — إذا برزت قوانسها النجوم
فراضية المعيشة طلقتها — أسنتها فتنكح أو تئيم

قال ابن هشام : ويروى : « جلبنا الخيل من آجام » ، وقوله : « فعبأنا أعنتها » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق . ثم مضى الناس ، فحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث عن زيد بن أرقم ، قال : كنت يتيماً لعبد الله بن رواحة فى حجره ، فخرج بى فى سفره ذلك مردفى على حقيبة رحله ، فوالله إنه ليسير ليلة إذ سمعته وهو ينشد أبياته هذه :

. . . .

إذا أديتنى وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك أنعم وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المسلمون وغادرونى ... بأرض الشام مستنهى الثواء
وردك كل ذى نسب قريب ... إلى الرحمن منقطع الإخاء
هنالك لا أبالى طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

فلما سمعتهن منه بكيت . قال : فخفقنى بالدرة وقال : ما عليك يالكع أن يرزقنى الله شهادة وترجع بين شعبتى الرحل !
قال : ثم قال عبد الله بن رواحة فى بعض سفره ذلك وهو يرتجز :

يازيد زيد اليعملات الذبل ... تطاول الليل هديت فانزل

لقاء الروم وحلفائهم . قال ابن إسحاق : فمضى الناس ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل، من الروم والعرب ، بقرية من قرى البلقاء يقال لها مشارف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، فتعبأ لهم المسلمون ، فجعلوا على ميمنتهم رجلا من بنى عذرة ، يقال له : قطبة بن قتادة ، وعلى ميسرتهم رجلا من الأنصار يقال له عباية بن مالك .

قال ابن هشام : ويقال عبادة بن مالك .

مقتل زيد بن حارثة : قال ابن إسحاق : ثم التقى الناس واقتتلوا ، فقاتل زيد بن حارثة براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى شاط فى رماح القوم .

مقتل جعفر : ثم أخذها جعفر فقاتل بها . حتى إذا ألحمه القتال اقتحم عن فرس له شقراء ، فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل . فكان جعفر أول رجل من المسلمين عقر فى الإسلام .

وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد ، قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة ابن عوف ، وكان فى تلك الغزوة غزوة مؤتة قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء ، ثم عقرها ثم قاتل حتى قتل وهو يقول:

ياحبذا الجنة واقترابها ... طيبة وباردا شرابها
والروم روم قد دنا عذابها ... كافرة بعيدة أنسابها
على إذ لاقيتها ضرابها

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم أن جعفر بن أبى طالب أخذ اللواء بيمينه فقطعت، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه حتى قتل رضى الله عنه وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة ، فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة . يطير بهما حيث شاء . ويقال إن رجلا من الروم ضربه يومئذ ضربة ، فقطعه بنصفين .

مقتل عبد الله بن رواحة : قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : حدثنى أبى الذى أرضعنى ، وكان أحد بنى مرة بن عوف ، قال : فلما قتل جعفر أخذ عبد الله بن رواحة الراية ، ثم تقدم بها ، وهو على فرسه ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ثم قال :

أقسمت يانفس لتنزلنه ... لتنزلن أو لتكرهنه
إن أجلب الناس وشدوا الرنة ... مالى أراك تكرهين الجنه
قد طال ماقد كنت مطمئنه ... هل أنت إلا نطفة فى شنه

وقال أيضاً :

يانفس إلا تقتلى تموتى   هذا حمام الموت قد صليت
وما تمنيت فقد أعطيت   إن تفعلى فعلهما هديت

يريد صاحبيه : زيداً وجعفراً ؛ ثم نزل . فلما نزل أتاه ابن عم له بعرق من لحم فقال : شد بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت فى أيامك هذه مالقيت ، فأخذه من يده ثم انتهس منه نهسة ، ثم سمع الحطمة فى ناحية الناس ، فقال : وأنت فى الدنيا ؟ ! ثم ألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فقاتل حتى قتل.

امارة خالد : ثم أخذ الراية ثابت بن أقرم أخو بنى العجلان ، فقال : يامعشر المسلمين اصطلحوا على رجل منكم ، قالوا : أنت ، قال : ما أنا بفاعل ، فاصطلح الناس على خالد بن الوليد ، فلما أخذ الراية دافع القوم ، وحاشى بهم ثم انحاز وانحيز عنه ، حتى انصرف الناس .

الرسول (ص) يتنبأ بما حدث : قال ابن إسحاق : ولما أصيب القوم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : أخذ الراية زيد بن حارثة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم أخذها جعفر فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ قال : ثم صمت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تغيرت وجوه الأنصار ، وظنوا أنه قد كان فى عبد الله بن رواحة بعض ما يكرهون ، ثم قال : ثم أخذها عبد الله بن رواحة ، فقاتل بها حتى قتل شهيداً ؛ ثم قال : لقد رفعوا إلى فى الجنة، فيما يرى النائم ، على سرر من ذهب ، فرأيت فى سرير عبد الله بن رواحة ازوراراً عن سريرى صاحبيه ، فقلت : عم هذا؟ فقيل لى : مضيا وتردد عبد الله بعض التردد ثم مضى .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن أم عيسى الخزاعية ، عن أم جعفر بنت محمد بن جعفر بن أبى طالب ، عن جدتها أسماء بنت عميس ، قالت : لما أصيب جعفر وأصحابه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد دبغت أربعين منا — قال ابن هشام : ويروى . أربعين منيئة — وعجنت عجبنى ، وغسلت بنى ودهنتهم ونظفتهم. قالت : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ائتينى ببنى جعفر ، قالت : فأتيته بهم فتشممهم وذرفت عيناه، فقلت. يارسول الله ، بأبى أنت وأمى ، مايبكيك ؟! أبلغك عن جعفر وأصحابه شىء ؟ قال : نعم . أصيبوا هذا اليوم . قالت : فقمت أصيح ، واجتمعت إلى النساء ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : لا تغفلوا آل جعفر من أن تصنعوا لهم طعاماً فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم .

وحدثنى عبد الرحمن بن القاسم بن محمد ، عن أبيه ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : لما أتى نعى جعفر عرفنا فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم الحزن . قالت ، فدخل عليه رجل فقال : يارسول الله ، إن النساء عنيننا وفتننا قال : فارجع إليهن فأسكتهن . قالت : فذهب ثم رجع ، فقال له مثل ذلك — قال : تقول وربما ضر التكلف أهله — قالت : قال : فاذهب فأسكتهن ، فإن أبين فاحث فى أفواههن التراب ، قالت : وقلت فى نفسى : أبعدك الله ! فوالله ماتركت نفسك، وما أنت بمطيع رسول الله صلى الله عليه وسلم . قالت : وعرفت أنه لا يقدر على أن يحثى فى أفواههن التراب .

قال ابن إسحاق : وقد كان قطبة بن قتادة العذرى ، الذى كان على ميمنة المسلمين ، قد حمل على مالك بن زافلة فقتله، فقال قطبة بن قتادة :

طعنت ابن رافلة بن الإرا   ش برمح مضى فيه ثم انحطم
ضربت على جيده ضربة   فمال كما مال غصن السلم
وسقنا نساء بنى عمه   غداة رقوقين سوق النعم

قال ابن هشام : قوله : « ابن الإراش » عن غير ابن إسحاق .

والبيت الثالث عن خلاد بن قرة ؛ ويقال : مالك بن رافلة .

ما قالته كاهنة حدس :قال ابن إسحاق : وقد كانت كاهنة من حدس حين سمعت بجيش رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا ، قد قالت لقومها من حدس — وقومها بطن يقال لهم بنو غنم — أنذركم قوماً خـزراً ، ينظرون شزرا ، ويقودون الخيل تترى ، ويهريقون دماً عكراً . فأخذوا بقولها ، واعتزلوا من بين لخم ؛ فلم تزل بعد أثرى حدس . وكان الذين صلوا الحرب يومئذ بنو ثعلبة ، بطن من حدس ، فلم يزالو قليلا بعد . فلما انصرف خالد بالناس أقبل بهم قافلا .

الرسول (ص) يلتقى بالأبطال : قال ابن إسحاق فحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير ،قال : لما دنوا من حول المدينة تلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون ، قال : ولقيهم الصبيان يشتدون ، ورسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ مقبل مع القوم على دابة ، فقال : خذوا الصبيان فأحملوهم ، واعطونى ابن جعفر . فأتى بعبد الله فأخذه فحمله بين يديه . قال : وجعل الناس يحثون على الجيش التراب ، ويقولون :يافرار فررتم فى سبيل الله ؟ قال : فيقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ليسوا بالفرار ، ولكنهم الكرار ـ إن شاء الله تعالى ـ .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن عامر بن عبد الله بن الزبير ، عن بعض آل الحارث بن هشام : وهم أخـواله ، عن أم سلمة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : قالت أم سلمة لامرأة سلمة بن هشام بن العـاص بن المغيرة : مالى لا أرى سلمة يحضر الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ومع المسلمين ؟ قالت . والله ما يستطيع أن يخرج ، كلما خرج صاح به الناس يافرار ، فررتم فى سبيل الله ، حتى قعد فى بيته فما يخرج .

ما قيل من الشعر فى غزوة مؤتة : قال ابن إسحاق : وقد قال فيما كان من أمر الناس وأمر خالد ومحاشاته بالناس وانصرافه بهم ، قيس بن المسحر اليعمرى ، يعتذر مما صنع يومئذ وصنع الناس :

فوالله لا تنفك نفسى تلومنى ... على موقفى والخيل قابعة قبل
وقفت بها لا مستجيراً فنافذاً ... ولا مانعاً من كل حم له القتل
على أنى آسيت نفسى بخالد ... ألا خالد فى القوم ليس له مثل
وجاشت إلى النفس من نحو جعفر ... بمؤتة إذ لا ينفع النابل النبل
وضم إلينا حجزتيهم كليهما ... مهاجرة لا مشركون ولا عزل

فبين قيس ما اختلف فيـه الناس من ذلك فى شعره ، أن القوم حاجزوا وكرهوا الموت وحقق انحياز خالد بمن معـه .

قال ابن هشام : فأما الزهرى فقال فيما بلغنا عنه : أمر المسلمون عليهم خالد بن الوليد ، ففتح الله عليهم ، وكان عليهم حتى قفل إلى النبى صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وكان مما بكى به أصحاب مؤتة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قول حسان بن ثابت :

تأوبنى ليـل بيثرب أعسر ... وهم إذا ما نوم الناس مسهر
لذكرى حبيب هيجت لى عبرة ... سفوحاً وأسباب البكاء التذكر
بلى ! إن فقـدان الحبيب بليـة ... وكم من كريم يبتلى ثم يصبر
رأيت خيار المؤمنين تواردوا ... شعوب وخلفاً بعدهم يتأخر
فلا يبعدن الله قتـلى تتابعوا ... بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفر

وزيد وعبد الله حين تتابعوا ... جميعاً وأسباب المنية تخطر
غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم ... إلى الموت ميمون النقيبة أزهر
أغر كضوء البدر من آل هاشم ... أبى إذا سيم الظلامة يجسر
فطاعن حتى مال غير موسد ... لمعترك فيه قنا متكسر
فصار مع المستشهدين ثوابه ... جنان وملتف الحدائق أخضر
وكنا نرى فى جعفر من محمد ... وفاء وأمراً حازماً حين يأمر
فمازال فى الإسلام من آل هاشم ... دعائم عز لايزلن ومفخر
هم جبل الإسلام والناس حولهم ... رضام إلى طود يروق ويقهر
بهاليل منهم جعفر وابن أمه ... على ومنهم أحمد المتخير
وحمزة والعباس منهم ومنهم ... عقيل وماء العود من حيث يعصر
بهم تفرج اللأواء فى كل مأزق ... عماس إذا ماضاق بالناس مصدر
هم أولياء الله أنزل حكمه ... عليهم وفيهم ذا الكتاب المطهر

وقال كعب بن مالك :

نام العيون ودمع عينك يهمل ... سحاً كما وكف الطباب المخضل
فى ليلة وردت على همومها ... طوراً أخن وتارة أتململ
واعتادنى حزن فبت كأننى ... ببنات نعش والسماك موكل
وكأنما بين الجوانح والحشى ... مما تأوبنى شهاب مدخل
وجداً على النفر الذين تتابعوا ... يوماً بمؤتة أسندوا لم ينقلوا
صلى الإله عليهم من فتية ... وسقى عظامهم الغمام المسبل
صبروا بمؤتة للإله نفوسهم ... حذر الردى ومخافة أن ينكلوا
فمضوا أمام المسلمين كأنهم ... فنق عليهن الحديد المرفل
إذ يهتدون بجعفر ولوائه ... قدام أولهم فنعم الأول
حتى تفرجت الصفوف وجعفر ... حيث التقى وعث الصفوف مجدل
فتغير القمر المنير لفقده ... والشمس قد كسفت وكادت تأفل
قرم علا بنيانه من هاشم ... فرعا أشم وسؤددا ما ينقل
قوم بهم عصم الإله عباده ... وعليهم نزل الكتاب المنزل
فضلوا المعاشر عزة وتكرماً ... وتغمدت أحلامهم من يجهل
لايطلقون إلى السفاه حباهم ... ويرى خطيبهم بحق يفصل
بيض الوجوه ترى بطون أكفهم ... تندى إذا اعتذر الزمان الممحل
وبهديهم رضى الإله لخلقه ... وبجدهم نصر النبى المرسل

وقال حسان بن ثابت يبكى جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه :

ولقد بكيت وعز مهلك جعفر ... حب النبى على البرية كلها
ولقد جزعت وقلت حين نعيت لى ... من للجلاد لدى العقاب وظلها

بالبيض حين تسل من أغمادها ضرباً وإنهال الرماح وعلها
بعد ابن فاطمة المبارك جعفر خــير البرية كلها ، وأجلها
رزءاً ، وأكرمها جميعاً محتداً وأعــزها متظلما ، وأذلها
للحق حين ينوب غير تنحل كذباً ، وأنداها يداً ، وأقلها
فحشاً ، وأكثرها إذا ما يجتدى فضلا ، وأبذلها ندى ، وأبلها
بالعرف ، غير محمــد لامثله حى من احياء البرية كلها

وقال حسان بن ثابت فى يوم مؤتة يبكى زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة :

عين جودى بدمعك المنزور واذكرى فى الرخاء أهل القبور
واذكرى مؤتةوما كان فيها يوم راحوا فى وقعة التغوير
حين راحوا وغادروا ثم زيد نعم مأوى الضريك والمأسور
حب خــير الأنام طراً جميعاً سيد الناس حبــه فى الصدور
ذاكم أحمــد الذى لاسواه ذاك حزنى له معاً وسرورى
إن زيداً قد كان منا بأمر ليس أمر المكذب المغرور
ثم جودى للخزرجى بدمع سيداً كان ثم غير نزور
قــد أتانا من قتلهم ما كفانا فبحزن نبيت غــير سرور

وقال شاعر من المسلمين ممن رجع من غزوة مؤتة :

كفى حزناً أنى رجعت وجعفر وزيد وعبيد الله فى رمس أقبر
قضوا نحبهم لما مضوا لسبيلهم وخلفت للبــلوى مع المتغبر
ثلاثة رهط قدموا فتقدموا إلى ورد مكروه من الموت أحمر

تسمية شهداء مؤتة : وهذه تسمية من استشهد يوم مؤتة :
من قريش ، ثم من بنى هاشم : جعفر بن أبى طالب رضى الله عنه ، وزيد بن حارثة رضى الله عنه .
ومن بنى عدى بن كعب : مسعود بن الأسود بن حارثة بن نضلة .
ومن بنى مالك بن حسل : وهب بن سعد بن أبى سرح .
ومن الأنصار ثم من بنى الحارث بن الخزرج : عبد الله بن رواحة ، وعباد بن قيس .
ومن بنى غنم بن مالك بن النجار : الحارث بن النعمان بن أساف بن نضلة بن عبد بن عوف بن غنم .
ومن بنى مازن بن النجار : سراقة بن عمرو بن عطية بن خنساء .
قال ابن هشام : وممن استشهد يوم مؤتة ، فيما ذكر ابن شهاب .
من بنى مازن بن النجار : أبو كليب وجابر ، ابنا عمرو بن زيد بن عوف بن مبذول ، وهما لأب وأم .
ومن بنى مالك بن أفصى : عمرو وعامر ، ابنا سعد بن الحارث بن عباد بن سعد بن عامر بن ثعلبة بن مالك بن أفصى .
قال ابن هشام . ويقال أبو كلاب وجابر ، ابنا عمرو .

عمرة القضية

ويروى أيضاً : عمرة القضاء ، ويقال لهــا : عمرة القصاص ، وهذا الاسم أولى بها لقوله تعالى : « الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص » ، وهذه الآية فيها نزلت ، فهذا الاسم أولى بها ، وسميت عمرة القضاء ،

. . . .

لأن النبي صلى الله عليه وسلم قاضى قريشاً عليها ، لا لأنه قضى العمرة التي صد عن البيت فيها ، فإنها لم تك فسدت بصدهم عن البيت ، بل كانت عمرة تامة متقبلة ، حتى إنهم حين حلقوا رءوسهم بالحل احتملها الريح ، فألقتها في الحرم ، فهي معدودة في عمر النبي — صلى الله عليه وسلم — وهي أربع : عمرة الحديبية ، وعمرة القضاء ، وعمرة الجعرانة ، والعمرة التي قرنها مع حجه في حجة الوداع ، فهو أصح القولين أنه كان قارناً في تلك الحجة وكانت إحدى عمره عليه السلام في شوال كذلك. روى عروة عن عائشة وأكثر الروايات أنهن كن كلهن في ذي القعدة إلا التي قرن مع حجه ، كذلك روى الزهري ، وانفرد معمر عن الزهري بأنه عليه السلام كان قارناً ، وأن عمره كن أربعاً بعمرة القران .

وأما حجاته عليه السلام فقد روى الترمذي أنه حج ثلاث حجات ثنتين بمكة ، وواحدة بالمدينة وهي حجة الوداع ، ولا ينبغي أن يضاف إليه في الحقيقة إلا حجة الوداع ، وإن كان حج من الناس إذا كان بمكة كما روى الترمذي ، فلم يكن ذلك الحج على سنة الحج ، وكماله ، لأنه كان مغلوباً على أمره وكان الحج منقولا عن وقته ، كما تقدم في أول الكتاب، فقد ذكر أنهم كانوا ينقلونه على حسب الشهور الشمسية ، ويؤخرونه في كل سنة أحد عشر يوماً ، وهذا هو الذي منع النبي — صلى الله عليه وسلم — أن يحج من المدينة ، حتى كانت مكة دار إسلام ، وقد كان أراد أن يحج مقفله من تبوك ، وذلك بإثر فتح مكة بيسير ، ثم ذكر أن بقايا المشركين يحجون ، ويطوفون عراة فأخر الحج ، حتى نبذ إلى كل ذي عهد عهده ، وذلك في السنة التاسعة ، ثم حج في السنة العاشرة بعد امحاء رسوم الشرك ، وانحسام سير الجاهلية ؛ ولذلك قال في حجة الوداع : إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض .

حكم العمرة : والعمرة واجبة في قول أكثر العلماء ، وهو قول ابن عمر وابن عباس ، وقال الشعبي : ليست بواجبة ، وذكر عنه أنه كان يقرؤها : « وأتموا الحج والعمرة لله » بالرفع (١) لا يعطفها على الحج ، وقال عطاء : هي واجبة إلا على أهل مكة ، ويكره مالك أن يعتمر الرجل في العام مراراً ، وهو قول الحسن وابن سيرين ، وجمهور العلماء على الإباحة في ذلك ، وهو قول علي وابن عباس وعائشة والقاسم بن محمد قالوا : يعتمر الرجل في العام ما شاء .

تفسير الشعر الذي استشهد به ابن رواحة : وذكر قول عبد الله بن رواحة وهو آخذ بخطام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم :

خلوا بني الكفار عن سبيله

نحن قتلناكم على تأويله كما قتلناكم على تنزيله

ويروى : اليوم نضربكم على تأويله بسكون الباء ، وهو جائز في الضرورة نحو قول امرىء القيس :

فاليوم أشرب غير مستحقب

ولا يبعد أن يكون جائزاً في الكلام إذا اتصل بضمير الجمع ، فقد روى عن ابن عمرو أنه كان يقرأ « يأمركم وينصركم » وهذان البيتان الأخيران هما لعمار بن ياسر ، كما قال ابن هشام قالهما يوم صفين ، وهو اليوم الذي قتل فيه عمار ، قتله أبو الغادية الفزاري وابن جزء اشتركا فيه .

الزواج للمحرم : فصل : وذكر تزوج رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لميمونة بنت الحارث الهلالية ، وأمها هند بنت عوف الكنانية إلى آخر قصتها ، وفيه أن حويطب بن عبد العزى ، قال للنبي صلى الله عليه وسلم في اليوم الثالث : أخرج عنا ، وقد كان أراد أن يبتني بميمونة في مكة ، ويصنع لهم طعاماً ، فقال له حويطب : لا حاجة لنا بطعامك فاخرج عنا فقال له سعد : ياعاضا ببظر أمه أأرضك وأرض أمك ؟ هي دونه ؟ ! فأسكته النبي صلى الله عليه وسلم ، وخرج وفاء لهم بشرطهم ، وابتنى بها بسرف ، وبسرف ، كانت وفاتها رضى الله عنها حين ماتت ، وذلك سنة

---

(١) أي رفع لفظ العمرة وجعل جملة « والعمرة لله » كلاما مستأنفا .

. . . .

ثلاث وستين ، وقيل : سنة ست وستين ، وصلى عليها ابن عباس ، ويزيد بن الأصم : وكلاهما ابن أخت لها ، ويقال : فيها نزلت « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » فى أحد الأقوال ، وذلك أن الخاطب جاءها ، وهى على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لرسول الله صلى الله عليه وسلم . واختلف الناس فى تزويجه إياها أكان محرماً أم حلالا. فروى ابن عباس أنه تزوجها محرماً ، واحتج به أهل العراق فى تجويز نكاح المحرم ، وخالفهم أهل الحجاز ، واحتجوا بنهيه عليه السلام عن أن ينكح المحرم أو ينكح ، وزاد بعضهم فيه : أو يخطب من رواية مالك ، وعارضوا حديث ابن عباس بحديث يزيد بن الأصم أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة وهو حلال، وخرج الدارقطنى والترمذى أيضاً من طريق أبى رافع أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال . وروى الدارقطنى من طريق ضعيف عن أبى هريرة أنه تزوجها وهو محرم كرواية ابن عباس وفى مسند البزار من حديث مسروق وعائشة رضى الله عنها ، قالت : تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهو محرم ، واحتجم وهو محرم ، وإن لم تذكر فى هذا الحديث ميمونة ، فنكاحها أرادت ، وهو حديث غريب ، وخرج البخارى حديث ابن عباس ، ولم يعلله هو ، ولا غيره ، وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال : غلط ابن عباس أو قال وهم ، ما تزوجها النبى صلى الله عليه وسلم إلا وهو حلال ، ولما أجمعوا عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم - تزوجها محرماً ، ولم ينقل عنه أحد من المحدثين غير ذلك استغربت استغراباً شديداً ما رواه الدارقطنى فى السنن من طريق أبى الأسود يتيم عروة ، ومن طريق مطر الوراق عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم تزوج ميمونة ، وهو حلال ، فهذه الرواية عنه موافقة لرواية غيره ، فقف عليها ، فإنها غريبة عن ابن عباس ، وقد كان من شيوخنا رحمهم الله من يتأول قول ابن عباس : تزوجها محرماً ، أى : فى الشهر الحرام ، وفى البلد الحرام ، وذلك أن ابن عباس رجل عربى فصيح ، فتكلم بكلام العرب ، ولم يرد الإحرام بالحج ، وقد قال الشاعر :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ودعا فلم أر مثله مخـــذولا

وذلك أن قتله كان فى أيام التشريق ، والله أعلم أأراد ذلك ابن عباس ، أو لا .

غزوة مؤتة

وهى مهموزة الواو ، وهى قرية من أرض البلقاء من الشام ، وأما الموتة بلا همزة ، فضرب من الجنون ، وفى الحديث أن النبى - صلى الله عليه وسلم - كان يقول فى صلاته : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من همزه ونفخه ونفثه. وفسره راوى الحديث ، فقال : نفثه : الشعر ، ونفخه : الكبر ، وهمزه الموتة .

تفسير « وإن منكم الا واردها » ذكر فى هذه الغزوة قول عبد الله بن رواحة حين ذكر قول الله تعالى « وإن منـــكم إلا واردها » فلست أدرى كيف لى بالصدر بعد الورود ، وقد تكلم العلمـــاء فيها بأقوال ، منها أن الخطاب متوجه إلى الكفار على الخصوص ، واحتج قائلو هذه المقالة بقراءة ابن عباس ، وإن منهم إلا واردها . وقالت طائفة : الورود ههنا هو الإشراف عليها ومعاينتها ، وحكوا عن العرب : وردت الماء ، فلم أشرب . وقالت طائفة : الورود ههنـــا هو المرور على الصراط ، لأنه على متن جهنم أعاذنا الله منها ، وروى أن الله تبارك وتعالى يجمع الأولين والآخرين فيها ، ثم ينادى مناد : خذى أصحـــابك ودعى أصحابى ، وقالت طائفة : الورود أن يأخذ العبد بحظ منها ، وقد يكون ذلك فى الدنيا بالحميات ، فإن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : « الحمى كير من جهنم ، وهو حظ كل مؤمن من النار ».

شرح شعر ابن رواحة وذكر شعر عبد الله بن رواحة وفيه :

تغر من الحشيش لها العكوم

. . . .

تغر : أى يجمع بعضها إلى بعض ، والعكوم : جمع عكم .

وفيه : من الغبار لها بريم

البريم : خيط تحتزم به المرأة ، والبريم أيضاً : لفيف الناس ، وأخلاطهم ، ويقال : هم بريمان، أى لونان مختلطان.

وفيه : أقامت ليلتين على معان

قال الشيخ أبو بحر : معان بضم الميم ، وجدته فى الأصلين ، وأصلحه علينا القاضى - رحمه الله - حين السماع: معان بفتح الميم ، وهو اسم موضع ، وذكره البكرى بضم الميم ، وقال : هو اسم جبل ، والمعان أيضاً :حيث تحبس الخيل والركاب ، ويجتمع الناس ، ويجوز أن يكون من أمعنت النظر ، أو من الماء المعين ، فيكون وزنه فعالا ، ويجوز أن يكون من العون ، فيكون وزنه مفعلا ، وقد جنس المعرى بهذه الكلمة ، فقال :

معان من أحبتنا معـــان تجيب الصاهلات بها القيان

وقوله : فراضية المعيشة طلقتها

أى : المعيشة المرضية ، وبناها على فاعلة ، لأن أهلها راضون ، لأنها فى معنى صالحة ، وقد تقدم طرف من القول فى هذا المعنى .

وقوله : وخلاك ذم ، أى : فارقك الذم ، فلست بأهل له ، وقد أحسن فى قوله :

فشأنك أنعم وخلاك ذم

بعد قوله إذا أديتنى ، وأحسن أيضاً من اتبعه فى هذا المعنى ، كقول أبى نواس :

وإذا المطى بنا بلغن محمـــداً فظهورهن على الرجال حرام

وكقول الآخر :

نجوت من حل ومن رحـــلة يا ناق إن قربتـــنى من قثم

وقد أساء الشماخ حيث يقول :

إذا بلغتنى وحملت رحلى عرابة فاشرقى بدم الوتين

ويذكر عن الحسن بن هانىء أنه كان يشنؤه إذا ذكر هذا البيت ، وذكر مهلهل بن يموت بن المزرع عن أبى تمام انه قال : كان الحسن يشنؤ الشماخ ، وأنا ألعنه من أجل قوله هذا .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم للغفارية بئس ما جزيتها ، يشد الغرض المتقدم ، ويشهد لصحته .

وقوله : مستنهى الثواء : مستفعل من النهاية والانتهاء ، أى حيث انتهى مثواه ، ومن رواه : مشتهى الثواء ، أى لا أريد رجوعاً .

وقوله :

حذوناها من الصوان سبتاً

أى حذوناها نعالا من حديد جعله سبتاً لها ، مجازاً . وصوان من الصون ، أى : يصون حوافرها ، أو أخفافها ، إن أراد الإبل ، فهو فعال من الصون ، فقد كانوا يحذونها السريح وهو جلد يصون أخفافها ، وأظهر من هذا أن يكون أراد بالصوان يبيس الأرض ، أى لا سبت له إلا ذلك ، ووزنه فعلان من قولهم : نخلة خاوية أى يابسة ، وأنشد أبو على :

قد أوبيت كل ماء فهى صاوية

. . . .

ويشهد لمعنى الصوان هنا قول النابغة الذبيانى :

* يرى وقع الصوان حد نسورها *

وعين الفعل فى صوان ولامه واو ، وأدخل صاحب العين فى باب الصاد والواو والياء هذا اللفظ ، فقال : صوى يصوى : إذا يبس ، ونخلة صاوية ، ولو كان مما لامه ياء ، لقيل فى صوان صيان، كما قيل طيان وريان ، ولكن لما انقلبت الواو ياء من أجل الكسرة توهم الحرف من ذوات الياء .

وقول عبد الله : * هل أنت إلا نطفة فى شنة *

النطفة : القليل من الماء ، والشنة : السقاء البالى ، فيوشك أن تهراق النطفة ، وينخرق السقاء ، ضرب ذلك مثلا لنفسه فى جسده .

عقر جعفر فرسه ومقتله : وأما عقر جعفر فرسه . ولم يعب ذلك عليه أحد ، فدل على جواز ذلك إذا خيف أن يأخذها العدو ، فيقاتل عليها المسلمين ، فلم يدخل هذا فى باب النهى عن تعذيب البهائم ، وقتلها عبثاً . غير أن أبا داود خرج هذا الحديث فقال : حدثنا النفيلى قال : حدثنا محمد بن مسلمة عن محمد بن إسحاق عن ابن عباد عن أبيه عباد بن عبد الله بن الزبير ، قال حدثنى : أبى الذى أرضعنى ، وهو أحد بنى مرة بن عوف ، وكان فى تلك الغزاة غزاة مؤتة ، قال : والله لكأنى أنظر إلى جعفر حين اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها ، ثم قاتل القوم حتى قتل .

قال : أبو داود : وليس هذا الحديث بالقوى ، وقد جاء فيه نهى كثير عن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم .

وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم فى جعفر : فأثابه الله بذلك جناحين فى الجنة يطير بهما حيث شاء . وروى عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : دخلت الجنة البارحة ، فرأيت جعفراً يطير مع الملائكة ، وجناحاه مضرجان بالدم ، وعن سعيد بن المسيب ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : مثل لى جعفر وزيد وعبد الله بن رواحة فى خيمة من در على أسرة ، فرأيت زيداً وعبد الله وفى أعناقهما صدود ، ورأيت جعفراً مستقيماً . فقيل لى : إنهما حين غشيهما الموت أعرضا بوجوههما ، ومضى جعفر ، فلم يعرض ، وسمع النبى — صلى الله عليه وسلم — فاطمة حين جاء نعى جعفر تقول واعماه ، فقال : على مثل جعفر ، فلتبك البواكى . وكان أبو هريرة يقول : ما احتذى النعال ، ولا ركب المطايا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جعفر . وقال عبد الله ابن جعفر : كنت إذا سألت علياً حاجة ، فمنعنى أقسم عليه بحق جعفر فيعطينى .

ومما ينبغى الوقوف عليه فى معنى الجناحين أنهما ليسا كما يسبق إلى الوهم على مثل جناحى الطائر وريشه ، لأن الصورة الآدمية أشرف الصور ، وأكملها ، وفى قوله عليه السلام : إن الله خلق آدم على صورته تشريف له عظيم ، وحاشا لله من التشبيه والتمثيل ، ولكنها عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية ، أعطيها جعفر كما أعطيتها الملائكة ، وقد قال الله تعالى لموسى : « أضمم يدك إلى جناحك » فعبر عن العضد بالجناح توسعاً ، وليس ثم طيران ، فكيف بمن أعطى القوة على الطيران مع الملائكة أخلق به إذاً : أن يوصف بالجناح مع كمال الصورة الآدمية وتمام الجوارح البشرية ، وقد قال أهل العلم فى أجنحة الملائكة ليست كما يتوهم من أجنحة الطير ، ولكنها صفات ملكية لا تفهم إلا بالمعاينة ، واحتجوا بقوله تعالى : « أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع » فكيف تكون كأجنحة الطير على هذا ، ولم ير طائر له ثلاثة أجنحة ، ولا أربعة ، فكيف بستمائة جناح ، كما جاء فى صفة جبريل عليه السلام ، فدل على أنها صفات لا تنضبط كيفيتها للفكر ، ولا ورد أيضاً فى بيانها خبر ، فيجب علينا الإيمان بها ، ولا يفيدنا علماً إعمال الفكر فى كيفيتها ، وكل امرىء قريب من معاينة ذلك .

فإما أن يكون من الذين تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا ، وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون ، وإما أن يكون من الذين تقول لهم الملائكة ، وهم باسطو أيديهم : أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون .

ابن رواحة وفضله : وأما عبد الله بن رواحة فقد ذكر ابن إسحاق ما ذكر من فضائله .

وذكر قوله للنبي صلى الله عليه وسلم :

فثبت الله ما آتاك من حسن تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

وروى غيره أنه عليه السلام قال له : قل شعراً تقتضبه اقتضاباً ، وأنا أنظر إليك ، فقال من غير روية :

إنى تفرست فيك الخير

الأبيات ، حتى انتهى إلى قوله :

فثبت الله ما آتاك من حسن

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم : وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة .

زيد وفضله : وأما زيد فقد تقدم التعريف به وبجملة من فضائله فى أحاديث المبعث ، وحسبك بذكر الله له باسمه فى القرآن ، ولم يذكر أحد من الصحابة باسمه سواه ، وقد بينا النكتة فى ذلك فى كتاب التعريف والأعلام ، فلينظر هنا لك .

رجوع أهل مؤتة : فصل وذكر رجوع أهل مؤتة ، وما لقوا من الناس ، إذ قالوا لهم : يافرار ، فررتم فى سبيل الله ، ورواية غير ابن إسحاق أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم : نحن الفرارون يارسوله الله؟ فقال : بل أنتم الكرارون ، وقال لهم : أنا فئتكم ، يريد : أن من فر متحيزاً إلى فئة المسلمين فلا حرج عليه ، وإنما جاء الوعيد فيمن فر عن الإمام ، ولم يتحيز إليه ، أى لم يلجأ إلى حوزته ، فيكون معه ، فالمتحيز متفيعل من الحوز ، ولو كان وزنه متفعلا ، كما يظن بعض الناس لقيل فيه : متحوز . وروى أن عمر رضى الله عنه حين بلغه قتل أبى عبيد بن مسعود وأصحابه فى بعض أيام القادسية ، قال : هلا تحيزوا إلينا ، فإنا فيئة لكل مسلم .

وذكر ابن إسحاق مخاشاة خالد بن الوليد بالناس يوم مؤتة . والمخاشاة . المحاجزة ، وهى مفاعلة من الخشية ، لأنه خشى على المسلمين لقلة عددهم ، فقد قيل : كان العدو مائتى ألف من الروم ، وخمسين ألفاً من العرب ، ومعهم من الخيول والسلاح ماليس مع المسلمين ، وفى قول ابن إسحاق : وكان العدو مائة ألف وخمسين ألفاً ، وقد قيل . إن المسلمين لم يبلغ عددهم فى ذلك اليوم ثلاثة آلاف ، ومن رواه : حاشى بالحاء المهملة ، فهو من الحشى ، وهى الناحية ، وفى رواية قاسم بن أصبغ عن ابن قتيبة فى المعارف أنه سئل عن قوله : حاشى بهم ، فقال : معناه : انحاز بهم ، وشعر قطبة بن قتادة يدل على أنه قد كان ثم ظفر ومغنم لقوله :

وسقنا نساء بنى عمه غداة رقوقين سوق النعم

وفى هذا الشعر أنه قتل رئيساً منهم وهو مالك بن رافلة ، وقد اختلف فى ذلك كما ذكر ابن إسحاق : فقال ابن شهاب فأخذ خالد الراية حتى فتح الله على المسلمين ، فأخبر أنه قد كان ثم فتح ، وفى الرواية الأخرى حين قيل لهم : يا فرار ، دليل على أنه قد كان ثم محاجزة ، وترك للقتال ، حتى قالوا : نحن الفرارون ؟! فقال لهم النبى صلى الله عليه وسلم ما تقدم ؛ فالله أعلم .

أصل طعام التعزية : فصل : وذكر أن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أمر أن يصنع لآل جعفر طعام ، فإنهم قد شغلوا بأمر صاحبهم ، وهذا أصل فى طعام التعزية وتسميه العرب الوضيمة ، كما تسمى طعام العرس الوليمة ، وطعام القادم من السفر : النقيعة ، وطعام البناء الوكيرة ، وكان الطعام الذى صنع لآل جعفر فيما ذكر الزبير ، فى حديث

. . . .

طويل عن عبد الله بن جعفر قال : فعمدت سلمى مولاة النبى صلى الله عليه وسلم إلى شعير ، فطحنته ، ثم آدمته بزيت وجعلت عليه فلفلا ، قال عبد الله : فأكلت منه ، وحبسنى النبى صلى الله عليه وسلم مع إخوتى فى بيته ثلاثة أيام .

شرح ماقيل من الشعر فى غزوة مؤته : وذكر قول حسان يرثى جعفراً :

تأوبنى ليل بيثرب أعسر

أعسر : بمعنى : عسر ، وفى التنزيل « يوم عسر » ، وفيه أيضاً « عسير » والمعنى متقارب ، فمن قال : عسر يعسر [بضم السين فى المضارع] قال : عسير بالياء ، ومن قال : عسر يعسر [بفتح السين فى المضارع] قال فى الاسم : عسر وأعسر ، مثل حمق وأحمق .

وفى هذا الشعر قوله :

بهاليل منهم : جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخـــير

البهاليل : جمع بهلول ، وهو الوضىء الوجه مع طول .

وقوله : منهم أحمد المتخير ، فدعا به بعض الناس لما أضاف أحمد المتخير إليهم ، وليس بعيب ؛ لأنها ليست بإضافة تعريف ، وإنما هو تشريف لهم حيث كان منهم ، وإنما ظهر العيب فى قول أبى نواس :

كيف لا يدنيك من أمـــل من رســـول الله من نفره

لأنه ذكر واحداً ، وأضافه إليه ، فصار بمنزلة ما عيب على الأعشى :

شتان ما يومى على كورها ويوم حيان أخى جابر

وكان حيان أسن من جابر ، وأشرف ، فغضب على الأعشى حيث عرفه بجابر ، واعتذر إليه من أجل الروى ، فلم يقبل عذره ، ووجدت فى رسالة المهلهل بن يموت بن المزرع ، قال : قال على بن الأصفر ، وكان من رواة أبى نواس قال : لما عمل أبو نواس :

أيها المنتاب عن عفره

أنشدنيها فلما بلغ قوله :

كيف لا يدنيك من أمـــل من رســـول الله من نفره

وقع لى أنه كلام مستهجن فى غير موضعه ، إذ كان حق رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أن يضاف إليه ، ولا يضاف إلى أحد فقلت له : أعرفت عيب هذا البيت ؟ قال : ما يعيبه إلا جاهل بكلام العرب ، وإنما أردت أن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من القبيل الذى هذا الممدوح منه ، أما سمعت قول حسان بن ثابت شاعر دين الإسلام :

وما زال فى الإسلام من آل هاشم دعائم عز لا ترام ومفخرا
بهاليل منهم جعفر وابن أمه على ومنهم أحمد المتخـــير

وقوله :

بهم تفرج اللأواء فى كل مأزق عماس

المأزق : المضيق من مضائق الحرب والخصومة ، وهو من أزقت الشىء إذا ضيقته ، وفى قصة ذى الرمة قال : سمعت غلاماً يقول لغلبة ، قد أزقتم هذه الأوقة حتى جعلتموها كالميم ، ثم أدخل منجمه ، يعنى : عقبة فيها ، فجنجه حتى أفهقها ، أى حركه حتى وسعها . والعماس : المظلم ، والأعمس : الضعيف البصر ، وحفرة معمسة ، أى مغطاة ، قال الشاعر :

. . . .

فإنك قد غطيت أرجاء هوة معمسة لا يستبان ترابها
بثوبك فى الظلماء ، ثم دعوتنى فجئت إليها سادراً لا أهابها

أنشده ابن الأنبارى فى خبر لزرارة بن عدس .

وذكر شعر كعب وفيه :

سحا كما وكف الطباب المخضل

الطباب : جمع طبابة ، وهى سير بين خرزتين فى المزادة . فإذا كان غير محكم وكف منه الماء ، والطباب أيضاً : جمع طبة ، وهى شقة مستطيلة .

وقوله : طوراً أخن . الخنين بالخاء المنقوطة حنين بكاء ، فإذا كان بالحاء المهملة ، فليس معه بكاء ولا دمع .

وقوله : وسقى عظامهم الغمام المسبل . يرد قول من قال : إنما استسقت العرب لقبور أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجون إلى الانتقال عنها لمطلب النجعة فى البلاد . وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل : فهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بمؤتة ، وليس معهم ، وكذلك قول الآخر :

سقى مطغيات المحل جوداً وديمة عظام ابن ليلى حيث كان رميمها

فقوله : حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيما معه ، وإنما استسقاؤهم لأهل القبور استرحام لهم ، لأن السقى رحمة وضدها عذاب .

وقوله : كأنهم فنق ، جمع فنيق ، وهو الفحل ، كما قال الآخر ، وهو طخيم :

معى كل فضفاض الرداء كأنه إذا ماسرت فيه المدام فنيق

وقوله :

فتغير القمر المنير لفقده والشمس قد كسفت وكادت تأفل

قوله حق ، لأنه إن كان عنى بالقمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعله قمراً ، ثم جعله شمساً ، فقد كان تغير بالحزن لفقد جعفر وإن كان أراد القمر نفسه ، فمعنى الكلام ومغزاه حق أيضاً ، لأن المفهوم منه تعظيم الحزن والمصاب ، وإذا فهم مغزى الشاعر فى كلامه ، والمبالغ فى الشىء فليس بكذب ، ألا ترى إلى قوله عليه السلام : أما أبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، أراد به المبالغة فى شدة أدبه لأهله ، فكلامه كله حق ـ صلى الله عليه وسلم ـ وكذلك قالوا فى مثل قول الشاعر :

إذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا حجاب الشمس ، أو قطرت دما

قال : إنما أراد فعلنا فعله شنيعة عظيمة ، فضرب المثل بهتك حجاب الشمس ، وفهم مقصده ، فلم يكن كذباً ، وإنما الكذب أن يقول : فعلنا ، وهم لم يفعلوا ، وقتلنا وهم لم يقتلوا .

وذكر أبيات حسان ، وفى بعضها تضمين ، نحو قوله : وأذلها ، ثم قال فى أول بيت آخر : للحق ، وكذلك قال فى بيت آخر : وأقلها ، وقال فى الذى بعده : فحشاً ، وهذا يسمى التضمين .

وذكر قدامة فى كتاب نقد الشعر أنه عيب عند الشعراء ، ولعمرى إن فيه مقالا ، لأن آخر البيت يوقف عليه ، فيوهم الذم فى مثل قوله : وأذلها ، وكذلك . وأقلها ، وقد غلب الزبرقان على المخبل السعدى واسمه : كعب بكلمة قالها المخبل أشعر منه ، ولكنه لما قال يهجوه :

وأبوك بدر كان ينتهز الخصى وأبى الجواد ربيعة بن قتال

ذكر الأسباب الموجبة المسير إلى مكة وذكر فتح مكة

فى شهر رمضان سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد بعثه إلى مؤتة جماد الآخرة ورجباً .

ما وقع بين بنى بكر وخزاعة : ثم إن بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة عدت على خزاعة ، وهم على ماء لهم بأسفل مكة يقال له : الوتير ، وكان الذى هاج ما بين بنى بكر وخزاعة أن رجلا من بنى الحضرمى ، واسمه مالك بن عباد - وحلف الحضرمى يومئذ إلى الأسود بن رزن - خرج تاجراً ، فلما توسط أرض خزاعة ، عدوا عليه فقتلوه ، وأخذوا ماله ، فعدت بنو بكر على رجل من خزاعة فقتلوه ، فعدت خزعة قبيل الإسلام على بنى الأسود بن رزن الديلى - وهم منخر بنى كنانة وأشرافهم - سلمى وكلثوم وذؤيب - فقتلوهم بعرفة عند أنصاب الحرم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى رجل من بنى الديل ، قال : كان بنو الأسود بن رزن يودون فى الجاهلية ديتين ديتين ، ونودى دية دية ، لفضلهم فينا .

قال ابن إسحاق . فبينا بنو بكر وخزاعة على ذلك حجز بينهم الإسلام ، وتشاغل الناس به . فلما كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، كان فيما شرطوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وشرط لهم ، كما حدثنى الزهرى ، عن عروة بن الزبير ، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم ، وغيرهم من علمائنا : أنه من أحب أن يدخل فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده فليدخل فيه ، ومن أحب أن يدخل فى عقد قريش وعهدهم فليدخل فيه . فدخلت بنو بكر فى عقد قريش وعهدهم ، ودخلت خزاعة فى عقد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهده .

قال ابن إسحاق : فلما كانت الهدنة اغتنمها بنو الديل من بنى بكر من خزاعة ، وأرادوا أن يصيبوا منهم ثأراً بأولئك النفر الذين أصابوا منهم ببنى الأسود بن رزن ، فخرج نوفل بن معاوية الديلى فى بنى الديل ، وهو يومئذ

وصل الكلام بقوله : وأبى ، وأدركه بهر أو سعلة ، فقال له الزبرقان : فلا بأس إذاً ، فضحك من المخبل ، وغلب عليه الزبرقان ، وإذا كان هذا معيباً فى وسط البيت ، فأحرى أن يعاب فى آخره ، إذا كان يوهم الذم ولا يندفع ذلك الوهم إلا بالبيت الثانى ، فليس هذا من التحصين على المعانى والتوقى للاعتراض

وقول حسان : عين جودى بدمعك المنزور

النزر : القليل ، ولا يحسن ههنا ذكر القليل ، ولكنه من نزرت الرجل إذا ألححت عليه ، ونزرت الشىء إذا استنفدته ، ومنه قول عمر - رحمه الله - نزرت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الأصح فيه التخفيف

قال الشاعر :

فخذ عفو من تهواه لا تنزرنه ... فعند بلوغ الكدر نق المشارب

وقوله : يوم راحوا فى وقعة التغوير ، وهو مصدر غورت إذا توسط القائلة من النهار ، ويقال أيضاً : أغور فهو مغور ، وفى حديث الإفك مغورين فى نحر الظهيرة ، وإنما صحت الواو فى مغور ، وفى أغور من هذا ، لأن الفعل بنى فيه على الزوائد ، كما بنى استحوذ ، وأغيلت المرأة وليس كذلك أغار على العدو ، ولا أغار الحبل .

وذكر فيمن استشهد بمؤتة أبا كليب بن أبى صعصعة وقال ابن هشام : فيه أبو كلاب ، وهو المعروف عندهم ، وقال أبو عمر : لا يعرف فى الصحابة أحد يقال له أبو كليب .

قائدهم ، وليس كل بنى بكر تابعه حتى بيت خزاعة وهم على الوتير ، ماء لهم ، فأصابوا منهم رجلا ،وتحاوزوا واقتتلوا ورفدت بنى بكر قريش بالسلاح ، وقاتل معهم من قريش من قاتل بالليل مستخفياً ، حتى حازوا خزاعة إلى الحرم ، فلما انتهوا إليه ، قالت بنو بكر : يا نوفل ، إنا قد دخلنا الحرم ، إلهك إلهك ، فقال كلمة عظيمة ، لا إله له اليوم ، يا بنى بكر أصيبوا ثأركم ، فلعمرى إنكم لتسرقون فى الحرم ، أفلا تصيبون ثأركم فيه ؟! وقد أصابوا منهم ليلة بيتوهم بالوتير رجلا يقال له منبه ، وكان منبه رجلا مفئوداً خرج هو ورجل من قومه يقال له تميم بن أسد ، وقال له منبه : ياتميم ، انج بنفسك ، فأما أنا فوالله إنى لميت ، قتلونى أو تركونى لقد انبت فؤادى ، وانطلق تميم فأفلت ، وأدركوا منبها فقتلوه ، فلما دخلت خزاعة مكة ، لجئوا إلى دار بديل بن ورقاء ، ودار مولى لهم يقال له رافع ، فقال تميم بن أسد يعتذر من فراره عن منبه :

ماقيل من الشعر فى هذه المناسبة :

لما رأيت بنى نفاثة أقبلوا ... يغشون كل وتيرة وحجاب
صخرا ورزنا لاعريب سواهم ... يزجون كل مقلص خناب
وذكرت ذحلا عندنا متقادماً ... فيما مضى من سالف الأحقاب
ونشيت ريح الموت من تلقائهم ... ورهبت وقــع مهند قضاب
وعرفت أن من يثقفوه يتركوا ... لحما لمجرية وشلو غراب
قومت رجلا لاأخاف عثارها ... وطرحت بالمتن العراء ثيابى
ونجوت لاينجو نجائى أحقب ... علج أقب مشمر الأقراب
تلحى ولو شهدت لكان نكيرها ... بولا يبل مشافر القبقاب
القوم أعلم ما تركت منبهاً ... عن طيب نفس فاسألى أصحابى

قال ابن هشام : وتروى لحبيب بن عبد الله الهذلى . وبيته: « وذكرت ذحلا عندنا متقادماً » عن أبى عبيدة ،وقوله « خناب » و « علج أقب مشمر الأقراب » عنه أيضاً .

قال ابن إسحاق : وقال الأخزر بن لعط الديلى ، فيما كان بين كنانة وخزاعة فى تلك الحرب :

ألا هل أتى قصوى الأحابيش أننا ... رددنا بنى كعب بأفوق ناصل
حبسناهم فى دارة العبد رافــع ... وعند بديل محبساً غير طائل
بدار الذليل الآخذ الضيم بعدما ... شفينا النفوس منهم بالمناصل
حبسناهم حتى إذا طال يومهم ... نفحنا لهم من كل شعب بوابل
نذبحهم ذبح التيوس كأننا ... أسود تبارى فيهم بالقواصل
هم ظلمونا واعتدوا فى مسيرهم ... وكانوا لدى الأنصاب أول قاتل
كأنهم بالجزع إذ يطردونهم ... قفا ثور حفان النعام الجوافل

فأجابه بديل بن عبد مناة بن سلمة بن عمرو بن الأجب ، وكان يقال له بديل بن أم أصرم ، فقال :

تفاقد قوم يفخرون ولم ندع ... لهم سيداً ينـدوهم غير نافل
أمن خيفة القوم الألى تزدريهم ... تجيز الوتير خائفاً غير آيل
وفى كل يوم نحن نحبو حباءنا ... لعقل ولا يحبى لنا فى المعاقل

ونحن صبحنا بالتلاعة داركم　　بأسيافنا يسبقن لوم العواذل
ونحن منعنا بين بيض وعتود　　إلى خيف رضوى من مجر القنابل
ويوم الغميم قد تكفت ساعياً　　عبيس فجعناه بجلد حلاحل
أإن أجمرت فى بيتها أم بعضكم　　بجعموسها تنزون أن لم نقاتل؟!
كذبتم - وبيت الله - ما إن قتلتم　　ولكن تركنا أمركم فى بلابل

قال ابن هشام: قوله « غير نافل » ، وقوله « إلى خيف رضوى » عن غير ابن إسحاق.

قال ابن هشام: وقال حسان بن ثابت فى ذلك:

لحا الله قوماً لم ندع من سراتهم　　لهم أحداً يندوهم غير ناقب
أخصيي حمارمات بالأمس نوفلا　　متى كنت مفلاحاً عدو الحقائب

خزاعة تستنجد بالرسول (ص) : قال ابن إسحاق: فلما تظاهرت بنو بكر وقريش على خزاعة، وأصابوا منهم ما أصابوا، ونقضوا ما كان بينهم وبين رسول الله - صلى الله عليه وسلم - من العهد والميثاق بما استحلوا من خزاعة، وكان فى عقده وعهده، خرج عمرو بن سالم الخزاعى، ثم أحد بنى كعب، حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وكان ذلك مما هاج فتح مكة، فوقف عليه وهو جالس فى المسجد بين ظهرانى الناس، فقال:

يارب إنى ناشد محمداً　　حلف أبينا وأبيه الأتلدا
قد كنتم ولداً وكنا والداً　　ثمت أسلمنا فلم ننزع يدا
فانصر هداك الله نصراً أعتدا　　وادع عباد الله يأتوا مددا
فيهم رسول الله قد تجردا　　إن سيم خسفاً وجهه تربدا
فى فيلق كالبحر يجرى مزبدا　　إن قريشاً أخلفوك الموعدا
ونقضوا ميثاقك المؤكدا　　وجعلوا لى فى كداء رصدا
وزعموا أن لست أدعو أحدا　　وهم أذل وأقل عددا
هم بيتونا بالوتير هجدا　　وقتلونا ركعاً وسجداً

يقول: قتلنا وقد أسلمنا.

قال ابن هشام: ويروى أيضاً:　　فانصر هداك الله نصراً أيدا
قال ابن هشام: ويروى أيضاً:　　نحن ولدناك فكنت ولدا

قال ابن إسحاق: فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم: نصرت يا عمرو بن سالم. ثم عرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم عنان من السماء، فقال: إن هذه السحابة لتستهل بنصر بنى كعب.

ثم خرج بديل بن ورقاء فى نفر من خزاعة حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، فأخبروه بما أصيب منهم، وبمظاهرة قريش بنى بكر عليهم، ثم انصرفوا راجعين إلى مكة، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس: كأنكم بأبى سفيان قد جاءكم ليشد العقد، ويزيد فى المدة. ومضى بديل بن ورقاء وأصحابه حتى لقوا أبا سفيان ابن حرب بعسفان، قد بعثته قريش إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ليشد العقد، ويزيد فى المدة، وقد رهبوا الذى صنعوا فلما لقى أبو سفيان بديل بن ورقاء، قال: من أين أقبلت يا بديل؟ وظن أنه قد أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ قال تسيرت فى خزاعة فى هذا الساحل، وفى بطن هذا الوادى، قال. أوما جئت محمداً؟ قال: لا؛ فلما راح بديل إلى مكة، قال أبو سفيان: لئن جاء بديل المدينة لقد علف بها النوى، فأتى مبرك راحلته، فأخذ من بعرها ففته، فرأى فيه النوى فقال: أحلف بالله لقد جاء بديل محمداً.

أبو سفيان يرجو المصالحة : ثم خرج أبو سفيان حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخل على أم حبيبة بنت أبى سفيان ، فلما ذهب ليجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم طوته عنه ، فقال : يابنية ، ماأدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت بل هو فراش رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وأنت رجل مشرك نجس ، ولم أحب أن تجلس على فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ قال : والله لقد أصابك يابنية بعدى شر. ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلمه ، فلم يرد عليه شيئاً ، ثم ذهب إلى أبى بكر ، فكلمه أن يكلم له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : ماأنا بفاعل ، ثم أتى عمر بن الخطاب فكلمه ، فقال : أأنا أشفع لكم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فوالله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به . ثم خرج فدخل على على بن أبى طالب رضوان الله عليه وعنده فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضى عنها ، وعندها حسن بن على ، غلام يدب بين يديها ، فقال يا على ، إنك أمس القوم رحماً ، وإنى قد جئت فى حاجة . فلا أرجعن كما جئت خائباً ، فاشفع لى عند رسول الله ، فقال : ويحك ياأبا سفيان ! والله لقد عزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على أمر ما نستطيع أن نكلمه فيه فالتفت إلى فاطمة فقال : يابنة محمد ، هل لك أن تأمرى بنيك هذا فيجير بين الناس ، فيكون سيد العرب إلى آخر الدهر ؛ قالت: والله مابلغ بنى ذاك أن يجير بين الناس ، وما يجير أحد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ياأبا الحسن ، إنى أرى الأمور قد اشتدت على ، فانصحنى ؛ قال : والله ما أعلم لك شيئاً يغنى عنك شيئاً ، ولكنك سيد بنى كنانة ، فقم فأجر بين الناس ، ثم الحق بأرضك ؛ قال : أو ترى ذلك مغنياً عنى شيئاً ؟ قال : لا والله ، ماأظنه ، ولكنى لا أجد لك غير ذلك . فقام أبو سفيان فى المسجد ، فقال : أيها الناس ، إنى قد أجرت بين الناس . ثم ركب بعيره فانطلق ، فلما قدم على قريش ، قالوا : ماوراءك ؟ قال : جئت محمداً فكلمته ، فوالله ما رد على شيئاً ، ثم جئت ابن أبى قحافة ، فلم أجد فيه خيراً ثم جئت ابن الخطاب ، فوجدته أدنى العدو .

قال ابن هشام : أعدى العدو .

قال ابن إسحاق : ثم جئت علياً فوجدته ألين القوم ، وقد أشار على بشىء صنعته ، فوالله ما أدرى هل يغنى ذلك شيئاً أم لا ؟ قالوا وبم أمرك ؟ قال أمرنى أن أجير بين الناس ، ففعلت ؛ قالوا : فهل أجاز ذلك محمد ؟ قال :لا ، قالوا: ويلك ! والله إن زاد الرجل على أن لعب بك ، فما يغنى عنك ماقلت . قال : لا والله ، ما وجدت غير ذلك .

الاستعداد لفتح مكة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاز ، وأمر أهله أن يجهزوه ، فدخل أبو بكر على عائشة رضى الله عنها ، وهى تحرك بعض جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال : أى بنية : أأمركم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تجهزوه ؟ قالت نعم ، فتجهز ، قال فأين ترينه يريد ؟ قالت : والله ما أدرى . ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الناس أنه سائر إلى مكة ، وأمرهم بالجد والتهيؤ ، وقال : اللهم خذ العيون والأخبار عن قريش حتى نبغتها فى بلادها . فتجهز الناس

فقال حسان بن ثابت يحرض الناس ، ويذكر مصاب رجال خزاعة :

عنانى ولم أشهد ببطحاء مكة ... رجال بنى كعب تحز رقابها
بأيدى رجال لم يسلوا سيوفهم ... وقتلى كثير لم تجن ثيابها
ألا ليت شعرى هل تنالن نصرتى ... سهيل بن عمرو وخزها وعقابها
وصفوان عودحن من شفر استه ... فهذا أوان الحرب شد عصابها
فلا تأمننا يابن أم مجالد ... إذا احتلبت صرفا وأعصل نابها

ولا تجزعوا منا فإن سيوفنا لها وقعة بالموت يفتح بابها

حاطب يحذر اهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من علمائنا قالوا : لما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم المسير إلى مكة كتب حاطب بن أبى بلتعة كتاباً إلى قريش يخبرهم بالذى أجمع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأمر فى السير إليهم ، ثم أعطاه امرأة ، زعم محمد بن جعفر أنها من مزينة ، وزعم لى غيره أنها سارة ، مولاة لبعض بنى عبد المطلب ، وجعل لها جعلا على أن تبلغه قريشاً ، فجعلته فى رأسها ، ثم فتلت عليه قرونها . ثم خرجت به ، وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر من السماء بما صنع حاطب فبعث على بن أبى طالب والزبير بن العوام رضى الله عنهما ، فقال : أدركا امرأة قد كتب معها حاطب بن أبى بلتعة بكتاب إلى قريش ، يحذرهم ماقد أجمعنا له فى أمرهم ، فخرجا حتى أدركاها بالخليقة ، خليقة بنى أبى أحمد ، فاستنزلاها فالتمساه فى رحلها ، فلم يجدا شيئاً ، فقال لها على بن أبى طالب : إنى أحلف بالله ما كذب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كذبنا ؛ ولتخرجن لنا هذا الكتاب أو لنكشفنك ، فلما رأت الجد منه ، قالت : أعرض ، فأعرض ، فحلت قرون رأسها ، فاستخرجت الكتاب منها فدفعته إليه ، فأتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً ، فقال ياحاطب ، ماحملك على هذا ؟ فقال : يا رسول الله ، أما والله إنى لمؤمن بالله ورسوله ، ماغيرت ولابدلت ، ولكنى كنت امرءاً ليس لى فى القوم من أصل ولا عشيرة ، وكان لى بين أظهرهم ولد وأهل ، فصانعتهم عليهم ، فقال عمر بن الخطاب ، يارسول الله دعنى فلأضرب عنقه ، فإن الرجل قد نافق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وما يدريك ياعمر ، لعل الله قد اطلع على أصحاب بدر يوم بدر ، فقال اعملوا ماشئتم ، فقد غفرت لكم فأنزل الله تعالى : « ياأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة » ... إلى قوله: « قد كانت لكم أسوة حسنة فى إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده . . » إلى آخر القصة .

خروج الرسول الى مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن مسلم بن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن عبد الله بن عباس ، قال ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم لسفره ، واستخلف على المدينة أبا رهم ، كلثوم بن حصين بن عتبة بن خلف الغفارى وخرج لعشر مضين من رمضان ، فصام رسول الله صلى الله عليه وسلم وصام الناس معه ، حتى إذا كان بالكديد ، بين عسفان وأمج أفطر .

قال ابن إسحاق : ثم مضى حتى نزل مر الظهران فى عشرة آلاف من المسلمين ، فسبعت سليم ، وبعضهم يقول ألفت سليم ، وألفت مزينة ، وفى كل القبائل عدد وإسلام ، وأوعب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم المهاجرون والأنصار . فلم يتخلف عنه منهم أحد . فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران . وقد عميت الأخبار عن قريش فلم يأتهم خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . ولايدرون ماهو فاعل . وخرج فى تلك الليالى أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام . وبديل بن ورقاء ، يتحسسون الأخبار ، وينظرون هل يجدون خبراً أو يسمعون به . وقد كان العباس ابن عبد المطلب لقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ببعض الطريق .

قال ابن هشام : لقيه بالجحفة مهاجراً بعياله . وقد كان قبل ذلك مقيما بمكة على سقايته ورسول الله صلى الله عليه وسلم عنه راض فيما ذكر ابن شهاب الزهرى .

اسلام ابى سفيان : قال ابن إسحاق . وقد كان أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب وعبد الله بن أبى أمية بن المغيرة قد لقيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً بنيق العقاب . فيما بين مكة والمدينة فالتمسا الدخول عليه . فكلمته

أم سلمة فيهما ، فقالت : يارسول الله ، ابن عمك وابن عمتك وصهرك ؛ قال : لاحاجة لى بهما ، أما ابن عمى فهتك عرضى ، وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ماقال .

قال : فلما خرج الخبر إليهما بذلك ، ومع أبى سفيان بنى له . فقال : والله ليأذنن لى أو لآخذن بيدى بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض حتى نموت عطشاً وجوعاً ، فلما بلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لهما ، ثم أذن لهما ، فدخلا عليه ، فأسلما .

وأنشد أبو سفيان بن الحارث قوله فى إسلامه ، واعتذر إليه مما كان مضى منه ، فقال :

لعمرك إنى يوم أحمل راية ... لتغلب خيل اللات خيل محمد
لكالمدلج الحيران أظلم ليله ... فهذا أوانى حين أهدى وأهتدى
هدانى هاد غير نفسى ونالنى ... مع الله من طردت كل مطرد
أصد وأنأى جاهداً عن محمد ... وأدعى وإن لم أنتسب من محمد
هم ماهم من لم يقل بهواهم ... وإن كان ذا رأى يلم ويفند
أريد لأرضيهم ولست بلائط ... مع القوم مالم أهد فى كل مقعد
فقل لثقيف لا أريد قتالها ... وقل لثقيف تلك : غيرى أوعدى
فما كنت فى الجيش الذى نال عامراً ... وما كان عن جرا لسانى ولا يدى
قبائل جاءت من بلاد بعيدة ... نزائع جاءت من سهام وسردد

قال ابن هشام : ويروى « ودلنى على الحق من طردت كل مطرد » .

قال ابن إسحاق : فزعموا أنه حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم قوله : «ونالنى مع الله من طردت كل مطرد » ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صدره ، وقال : أنت طردتنى كل مطرد .

فلما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم مر الظهران ، قال العباس بن عبد المطلب : فقلت : واصباح قريش ، والله لئن دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة عنوة قبل أن يأتوه فيستأمنوه ، إنه لهلاك قريش إلى آخر الدهر . قال : فجلست على بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم البيضاء ، فخرجت عليها . قال : حتى جئت الأراك ، فقلت : لعلى أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتى مكة ، فيخبرهم بمكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عليهم عنوة . قال : فوالله إنى لأسير عليها ، وألتمس ماخرجت له ، إذ سمعت كلام أبى سفيان وبديل بن ورقاء ، وهما يتراجعان وأبو سفيان يقول : ما رأيت كالليلة نيراناً قط ولا عسكراً ، قال : يقول بديل : هذه والله خزاعة حمشتها الحرب . قال : يقول أبو سفيان : خزاعة أذل وأقل من أن تكون هذه نيرانها وعسكرها. قال : فعرفت صوته ؛ فقلت : يا أبا حنظلة! فعرف صوتى ، فقال : أبو الفضل ؟ قال : قلت : نعم ؛ قال : مالك ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : ويحك يا أبا سفيان ، هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس ، واصباح قريش والله ! قال : فما الحيلة ؟ فداك أبى وأمى ؛ قال : قلت : والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك ، فاركب فى عجز هذه البغلة حتى آتى بك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأستأمنه لك ؛ قال : فركب خلفى ورجع صاحباه ؛ قال : فجئت به ، كلما مررت بنار من نيران المسلمين قالوا : من هذا ؟ فإذا رأوا بغلة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عليها ، قالوا عم رسول الله صلى الله عليه وسلم على بغلته ، حتى مررت بنار عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقال : من هذا ؟ وقام إلى فلما رأى أبا سفيان على عجز الدابة ، قال : أبو سفيان عدو الله ! الحمد لله الذى أمكن منك بغير عقد ولا عهد ،

ثم خرج يشتد نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وركضت البغلة ، فسبقته بما تسبق الدابة البطيئة الرجل البطىء قال : فاقتحمت عن البغلة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل عليه عمر ، فقال : يارسول الله ، هذا أبو سفيان قد أمكن الله منه بغير عقد ولا عهد ، فدعنى فلأضرب عنقه ؛ قال : قلت : يارسول الله ، إنى قد أجرته ، ثم جلست إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت برأسه ، فقلت : والله لا يناجيه الليلة دونى رجل ؛ فلما أكثر عمر فى شأنه ، قال : قلت : مهلا ياعمر ، فوالله أن لو كان من بنى عدى بن كعب ماقلت هذا ، ولكنك قد عرفت أنه من رجال بنى عبد مناف ؛ فقال : مهلا ياعباس ، فوالله لإسلامك يوم أسلمت كان أحب إلى من إسلام الخطاب لو أسلم ، ومالى إلا أنى قد عرفت أن إسلامك كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم من إسلام الخطاب لو أسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهب به يا عباس إلى رحلك ، فإذا أصبحت فأتنى به ، قال فذهبت به إلى رحلى ، فبات عندى ، فلما أصبح غدوت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ويحك يا أبا سفيان ، ألم يأن لك أن تعلم أنه لا إله إلا الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إله غيره لقد أغنى عنى شيئاً بعد ، قال : ويحك ياأبا سفيان ! ألم يأن لك أن تعلم أنى رسول الله ؟ قال : بأبى أنت وأمى ، ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ! أما هذه والله فإن فى النفس منها حتى الآن شيئاً . فقال له العباس : ويحك ! أسلم واشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله قبل أن تضرب عنقك . قال : فشهد شهادة الحق ، فأسلم ، قال العباس : قلت : يارسول الله ، إن أباسفيان رجل يحب هذا الفخر ، فاجعل له شيئاً ، قال : نعم ، من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، ومن أغلق بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فلما ذهب لينصرف قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ياعباس ، احبسه بمضيق الوادى عند خطم الجبل ، حتى تمر به جنود الله فيراها . قال : فخرجت حتى حبسته بمضيق الوادى ، حيث أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أحبسه .

عرض الجيش على أبى سفيان : قال : ومرت القبائل على راياتها ، كلما مرت قبيلة قال : يا عباس ، من هذه ؟ فأقول : سليم ، فيقول : مالى ولسليم ، ثم تمر القبيلة فيقول : ياعباس من هؤلاء ؟ فأقول : مزينة ، فيقول : مالى ولمزينة ، حتى نفدت القبائل ، ماتمر به قبيلة إلا يسألنى عنها ، فإذا أخبرته بهم ، قال : مالى ولبنى فلان ، حتى مر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى كتيبته الخضراء .

قال ابن هشام : وإنما قيل لها الخضراء لكثرة الحديد وظهوره فيها .

قال الحارث بن حلزة اليشكرى :

ثم حجرا أعنى ابن أم قطام ... وله فارسية خضراء

يعنى الكتيبة ، وهذا البيت فى قصيدة له ، وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

لما رأى بدراً تسيل جلاهه ... بكتيبة خضراء من بلخزرج

وهذا البيت فى أبيات له قد كتبناها فى أشعار يوم بدر .

قال ابن إسحاق : فيها المهاجرون والأنصار ، رضى الله عنهم ، لايرى منهم إلا الحدق من الحديد ، فقال : سبحان الله ياعباس ! من هؤلاء ؟ قال : قلت : هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المهاجرين والأنصار ؛ قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل ، لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، قال : قلت : يا أبا سفيان ، إنها النبوة . قال : فنعم إذن .

قال : قلت : النجاء إلى قومك ، حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته : يامعشر قريش ، هذا محمد قد جاءكم فيما لاقبل لكم به ، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن ، فقامت إليه هند بنت عتبة ، فأخذت بشاربه ، فقالت : اقتلوا

الحميت الدسم الأحمس ، قبح من طليعة قوم ! قال : ويلكم لاتغرنكم هذه من أنفسكم فإنه قد جاءكم مالا قبل لكم به ، فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، قالوا : قاتلك الله ! وما تغني عنا دارك ، قال : ومن أغلق عليه بابه فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انتهى إلى ذي طوى وقف على راحلته معتجراً بشقة برد حبرة حمراء ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليضع رأسه تواضعاً لله حين رأى ما أكرمه الله به من الفتح ، حتى إن عثنونه ليكاد يمس واسطة الرحل .

اسلام أبي قحافة : قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه ، عن جدته أسماء بنت أبي بكر ، قالت : لما وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم بذي طوى قال أبو قحافة لابنة من أصغر ولده : أي بنية ! اظهري بي على أبي قبيس ، قالت : وقد كف بصره ، قالت : فأشرفت به عليه ، فقال : أي بنية ، ماذا ترين ؟ قالت: أرى سواداً مجتمعاً ، قال : تلك الخيل ، قالت : وأرى رجلا يسعى بين يدي ذلك مقبلا ومدبراً ، قال : أي بنية ، ذلك الوازع ، يعني الذي يأمر الخيل ويتقدم إليها ، ثم قالت : قد والله انتشر السواد ، قالت : فقال : قد والله إذن دفعت الخيل ، فأسرعي بي إلى بيتي ، فانحطت به ، وتلقاه الخيل قبل أن يصل إلى بيته ، قالت : وفي عنق الجارية طوق من ورق ، فتلقاها رجل فيقتطعه من عنقها ، قالت : فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، ودخل المسجد ، أتى أبو بكر بأبيه يقوده ، فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه ؟ قال أبو بكر : يارسول الله ، هو أحق من يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت ، قال : فأجلسه بين يديه ، ثم مسح صدره ثم قال له : أسلم فأسلم ، قالت : فدخل به أبو بكر وكأن رأسه ثغامة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيروا هذا من شعره ، ثم قام أبو بكر فأخذ بيد أخته ، وقال : أنشد الله والإسلام طوق أختي ، فلم يجبه أحد ؛ قالت : فقال : أي أخية احتسبي طوقك ، إن الأمانة في الناس اليوم لقليل .

دخول مكة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرق جيشه من ذي طوى ، أمر الزبير بن العوام أن يدخل في بعض الناس من كدى ، وكان الزبير على المجنبة اليسرى ، وأمر سعد ابن عبادة أن يدخل في بعض الناس من كداء .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض أهل العلم أن سعداً حين وجه داخلا قال : اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الحرمة ؛ فسمعها رجل من المهاجرين ـ قال ابن هشام : هو عمر بن الخطاب ـ فقال : يارسول الله : اسمع ماقال سعد بن عبادة ، ما نأمن أن يكون له في قريش صولة ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بن أبي طالب . أدركه ، فخذ الراية منه فكن أنت الذي تدخل بها .

قال ابن إسحاق : وقد حدثني عبد الله بن أبي نجيح في حديثه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر خالد بن الوليد فدخل من الليط ، أسفل مكة ، في بعض الناس ، وكان خالد على المجنبة اليمنى ، وفيها أسلم وسليم وغفار ومزينة وجهينة وقبائل من قبائل العرب . وأقبل أبو عبيدة بن الجراح بالصف من المسلمين ينصب لمكة بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أذاخر ، حتى نزل بأعلى مكة ، وضربت له هنالك قبته .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح وعبد الله بن أبي بكر : أن صفوان بن أمية وعكرمة بن أبي جهل وسهيل بن عمرو وكانوا قد جمعوا ناساً بالخندمة ليقاتلوا ، وقد كان حماس بن قيس بن خالد ، أخو بني بكر ، يعد سلاحاً قبل دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ويصلح منه ، فقالت له امرأته : لماذا تعد ماأرى ؟ قال لمحمد وأصحابه ،

قالت والله ما أراه يقوم لمحمد وأصحابه شيء ، قال : والله لأرجو أن أخدمك بعضهم ، ثم قال :

إن يقبلوا اليوم فما لى علة   هـذا سلاح كامل وألة
وذو غرارين سريع السله

ثم شهد الخندمة مع صفوان وسهيل وعكرمة ، فلما لقيهم المسلمون من أصحاب خالد بن الوليد ، ناوشوهم شيئاً من قتال ، فقتل كرز بن جابر ، أحد بنى محارب بن فهر ، وخنيس بن خالد بن ربيعة بن أصرم ، حليف بنى منقذ ، وكانا فى خيل خالد بن الوليد فشذا عنه فسلكا طريقاً غير طريقه فقتلا جميعاً ، قتل خنيس بن خالد قبل كرز ابن جابر ، فجعله كرز بن جابر بين رجليه ، ثم قاتل عنه حتى قتل ، وهو يرتجز ويقول :

قد علمت صفراء من بنى فهر   نقية الوجه نقية الصدر
لأضربن اليوم عن أبى صخر

قال ابن هشام : وكان خنيس يكنى أبا صخر ، قال ابن هشام : خنيس بن خالد ، من خزاعة .

قال ابن إسحاق : حدثنى عبدالله بن أبى نجيح وعبدالله بن أبى بكر ، قالا : وأصيب من جهينة سلمة بن الميلاء ، من خيل خالد بن الوليد ، وأصيب من المشركين ناس قريب من اثنى عشر رجلا ، أو ثلاثة عشر رجلا ، ثم انهزموا ، فخرج حماس منهزماً حتى دخل بيته ، ثم قال لامرأته : أغلقى على بابى ، قالت : فأين ما كنت تقول ؟! فقال :

إنك لو شهدت يوم الخندمه   إذ فر صفوان وفر عكرمه
وأبو يزيد قائم كالموتمه   واستقبلتهم بالسيوف المسلمه
يقطعن كل ساعد وجمجمه   ضرباً فلا يسمع إلا غمغمه
لهم نهيت خلفنا وهمهمه   لم تنطق فى اللوم أدنى كلمه

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالشعر قوله « كالموتمه » ، وتروى للرعاش الهذلى

شعار المسلمين يوم فتح مكة : وكان شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة وحنين والطائف ، شعار المهاجرين : يابنى عبد الرحمن ، وشعار الخزرج : يابنى عبد الله ، وشعار الأوس : يابنى عبيد الله .

من أمر الرسول بقتلهم : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عهد إلى أمرائه من المسلمين ، حين أمرهم أن يدخلوا مكة ، أن لا يقاتلوا إلا من قاتلهم ، إلا أنه عهد فى نفر سماهم أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، منهم عبد الله بن سعد ، أخو بنى عامر بن لؤى .

وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه قد كان أسلم ، وكان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم الوحى ، فارتد مشركاً راجعاً إلى قريش ، ففر إلى عثمان بن عفان ، وكان أخاه للرضاعة ، فغيبه حتى أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن اطمأن الناس وأهل مكة ، فاستأمن له : فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صمت طويلا ثم قال : نعم ؛ فلما انصرف عنه عثمان قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن حوله من أصحابه : لقد صمت ليقوم إليه بعضكم فيضرب عنقه . فقام رجل من الأنصار ، فهلا أومأت إلى يارسول الله ؟ قال إن النبى لا يقتل بالإشارة .

قال ابن هشام : ثم أسلم بعد ، فولاه عمر بن الخطاب بعض أعماله ثم ولاه عثمان بن عفان بعد عمر .

قال ابن إسحاق : وعبد الله بن خطل ، رجل من بنى تيم بن غالب : إنما أمر بقتله أنه كان مسلماً ، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً ، وبعث معه رجلا من الأنصار ، وكان معه مولى له يخدمه ، وكان مسلماً فنزل منزلا ،

• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

وأمر المولى أن يذبح له تيساً ، فيصنع له طعاماً . فنام . فاستيقظ ولم يصنع شيئاً ، فعدا عليه فقتله . ثم ارتد مشركاً ، وكانت له قينتان . فرتنى وصاحبتها . وكانتا تغنيان بهجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتلهما معه .

والحويرث بن نقيذ بن وهب بن عبد قصى . وكان ممن يؤذيه بمكة .

قال ابن هشام: وكان العباس بن عبدالمطلب حمل فاطمة وأم كلثوم . ابنتي رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يريد بهما المدينة . فنخس بهما الحويرث بن نقيذ فرمى بهما إلى الأرض .

قال ابن إسحاق : ومقيس بن حبابة؛ وإنما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله . لقتل الأنصارى الذى كان قتل أخاه خطأ ، ورجوعه إلى قريش مشركا . وسارة ،مولاة لبعض بنى عبد المطلب . وعكرمة بن أبى جهل ، وكانت سارة ، ممن يؤذيه بمكة، فأما عكرمة فهرب إلى اليمن ، وأسلمت امرأته أم حكيم بنت الحارث بن هشام؛ فاستأمنت له من رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمنه فخرجت فى طلبه إلى اليمن . حتى أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فأسلم . وأما عبدالله بن خطل ، فقتله سعيد بن حريث المخزومى وأبو برزة الأسلمى . اشتركا فى دمه ، وأما مقيس بن حبابة فقتله نميلة بن عبد الله ، رجل من قومه ، فقالت أخت مقيس فى قتله :

لعمرى لقد أخزى نميلة رهطه وفجع أضياف الشتاء بمقيس
فلله عيناً من رأى مثل مقيس إذا النفساء أصبحت لم تخرس

وأما قينتا ابن خطل فقتلت إحداهما ، وهربت الأخرى ، حتى استؤمن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد ، فأمنها . وأما سارة فاستؤمن لها فأمنها ، ثم بقيت حتى أوطأها رجل من الناس فرساً فى زمن عمر بن الخطاب بالأبطح فقتلها ، وأما الحويرث بن نقيذ فقتله على بن أبى طالب .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن أبى مرة ، مولى عقيل بن أبى طالب ، أن أم هانىء بنت أبى طالب قالت : لما نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بأعلى مكة ، فر إلى رجلان من أحمائى ، من بنى مخزوم ،وكانت عند هبيرة ابن أبى وهب المخزومى ، قالت : فدخل على على بن أبى طالب أخى ، فقال : والله لأقتلنهما ، فأغلقت عليهما باب بيتى ثم جئت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بأعلى مكة ، فوجدته يغتسل من جفنة إن فيها لأثر العجين ، وفاطمة ابنته تستره بثوبه ، فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى ثم انصرف إلى ، فقال : مرحباً وأهلا يا أم هانىء ، ما جاء بك ؟ فأخبرته خبر الرجلين وخبر على ، فقال : قد أجرنا من أجرت، وأمنا من أمنت فلا يقتلهما.

قال ابن هشام : هما الحارث بن هشام ، وزهير بن أبى أمية بن المغيرة

الرسول يدخل الحرم : قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عبيد الله بن عبد الله بن أبى ثور ، عن صفية بنت شيبة ،أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل مكة ، واطمأن الناس ، خرج حتى جاء البيت ، فطاف به سبعاً على راحلته ، يستلم الركن بمحجن فى يده ، فلما قضى طوافه ، دعا عثمان بن طلحة ، فأخذ منه مفتاح الكعبة ، ففتحت له ، فدخلها ، فوجد فيها حمامة من عيدان ، فكسرها بيده ثم طرحها ، ثم وقف على باب الكعبة وقد استكف له الناس فى المسجد .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أهل العلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قام على باب الكعبة ، فقال : « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمى هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج ، ألا وقتيل الخطأ شبه العمد بالسوط والعصا ففيه الدية مغلظة ، مائة من الإبل ، أربعون منها فى بطونها أولادها . يا معشر قريش ، إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية ،

وتعظمها بالآباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب ، ثم تلا هذه الآية : « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » : الآية كلها . ثم قال : يا معشر قريش ، ما ترون أنى فاعل فيكم ؟ قالوا : خيراً ، أخ كريم ، وابن أخ كريم قال : اذهبوا فأنتم الطلقاء » .

ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد ، فقام إليه على بن أبى طالب ومفتاح الكعبة فى يده ، فقال : يا رسول الله ، اجمع لنا الحجابة مع السقاية صلى الله عليك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أين عثمان بن طلحة؟ فدعى له ، فقال : هاك مفتاحك يا عثمان ، اليوم يوم بر ووفاء .

قال ابن هشام : وذكر سفيان بن عيينة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعلى : إنما أعطيكم ما ترزءون [بضم التاء] لا ما ترزءون [بفتح التاء]

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل البيت يوم الفتح ، فرأى فيه صور الملائكة وغيرهم ، فرأى إبراهيم عليه السلام مصوراً فى يده الأزلام يستقسم بها ، فقال : قاتلهم الله ، جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، ما شأن إبراهيم والأزلام ؟ « ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفاً مسلماً ، وما كان من المشركين » ، ثم أمر بتلك الصور كلها فطمست .

قال ابن هشام : وحدثنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة ومعه بلال ، ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وتخلف بلال ، فدخل عبد الله بن عمر على بلال ، فسأله : أين صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ ولم يسأله كم صلى ، فكان ابن عمر إذا دخل البيت مشى قبل وجهه ، وجعل الباب قبل ظهره ، حتى يكون بينه وبين الجدار قدر ثلاث أذرع ، ثم يصلى ، يتوخى بذلك الموضع الذى قال له بلال .

قال ابن هشام ، وحدثنى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل الكعبة عام الفتح ومعه بلال ، فأمره أن يؤذن وأبو سفيان بن حرب وعتاب بن أسيد والحارث بن هشام جلوس بفناء الكعبة ، فقال عتاب بن أسيد : لقد أكرم الله أسيداً ألا يكون سمع هذا ، فيسمع منه ما يغيظه فقال الحارث بن هشام : أما والله لو أعلم أنه محق لاتبعته ، فقال أبو سفيان : لا أقول شيئاً ، لو تكلمت لأخبرت عنى هذه الحصى ، فخرج عليهم النبى صلى الله عليه وسلم فقال : قد علمت الذى قلتم ، ثم ذكر ذلك لهم ، فقال الحارث وعتاب . نشهد أنك رسول الله ، والله ما اطلع على هذا أحد كان معنا ، فنقول : أخبرك .

قال ابن إسحاق . حدثنى سعيد بن أبى سندر الأسلمى ، عن رجل من قومه . قال : كان معنا رجل يقال له : أحمر بأساً ، وكان رجلا شجاعاً ، وكان إذا نام غط غطيطا منكراً لا يخفى مكانه ، فكان إذا بات فى حيه بات معتنزاً فإذا بيت الحى صرخوا يا أحمر ، فيثور مثل الأسد ، لا يقوم لسبيله شىء ، فأقبل غزى من هذيل يريدون حاضره ؛ حتى إذا دنوا من الحاضر ، قال ابن الأثوع الهذلى . لا تعجلوا على حتى أنظر ، فإن كان فى الحاضر أحمر فلا سبيل إليهم ، فإن له غطيطا لا يخفى ، قال . فاستمع ، فلما سمع غطيطه مشى إليه حتى وضع السيف فى صدره ، ثم تحامل عليه حتى قتله ، ثم أغاروا على الحاضر ، فصرخوا يا أحمر ولا أحمر لهم ، فلما كان عام الفتح ، وكان الغد من يوم الفتح . أتى ابن الأثوع الهذلى حتى دخل مكة ينظر ويسأل عن أمر الناس ، وهو على شركه ، فرأته خزاعة ، فعرفوه ، فأحاطوا به وهو إلى جنب جدار من جدر مكة ، يقولون : أأنت قاتل أحمر ؟ قال . نعم ، أنا قاتل أحمر فمه ؟ قال : إذ أقبل خراش بن أمية مشتملا على السيف ، فقال . هكذا عن الرجل ، ووالله ما نظن إلا أنه يريد أن يفرج الناس عنه . فلما انفرجنا عنه حمل عليه . فطعنه بالسيف فى بطنه ، فوالله لكأنى أنظر إليه وحشوته تسيل من بطنه . وإن عينيه

لترتقان فى رأسه .وهو يقول : أقد فعلتوها يا معشر خزاعة ؟ حتى انجعف فوقع . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يامعشر خزاعة ، ارفعوا أيديكم عن القتل ، فقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه .

قال ابن إسحاق: وحدثنى عبد الرحمن بن حرملة الأسلمى ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع خراش بن أمية ، قال : إن خراشاً لقتال ، يعيبه بذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى سعيد المقبرى ، عن أبى شريح الخزاعى ، قال : لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير ، جئته ، فقلت له : ياهذا ، إنا كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين افتتح مكة ، فلما كان الغد من يوم الفتح عدت خزاعة على رجل من هذيل فقتلوه وهو مشرك ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فقال «يا أيها الناس ، إن الله حرم مكة يوم خلق السماوات والأرض ، فهى حرام من حرام إلى يوم القيامة ، فلا يحل لامرىء يؤمن بالله واليوم الآخر ، أن يسفك فيها دماً ولا يعضد فيها شجراً ، لم تحلل لأحد كان قبلى ، ولا تحل لأحد يكون بعدى ، ولم تحلل لى إلا هذه الساعة ، غضباً على أهلها ألا : ثم قد رجعت كحرمتها بالأمس ، فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فمن قال لكم : إن رسول الله قاتل فيها ، فقولوا : إن الله قد أحلها لرسوله ، ولم يحللها لكم . يامعشر خزاعة ارفعوا أيديكم عن القتل ، فلقد كثر القتل إن نفع ، لقد قتلتم قتيلا لأدينه ، فمن قتل بعد مقامى هذا فأهله بخير النظرين : إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله . ثم ودى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك الرجل الذى قتلته خزاعة » فقال عمرو لأبى شريح : انصرف أيها الشيخ ، فنحن أعلم بحرمتها منك ، إنها لا تمنع سافك دم ، ولا خالع طاعة ، ولا مانع جزية ، فقال أبو شريح : إنى كنت شاهداً وكنت غائباً ، ولقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يبلغ شاهدنا غائبنا ، وقد أبلغتك فأنت وشأنك .

قال ابن هشام . وبلغنى أن أول قتيل وداه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح جنيدب بن الأكوع ، قتله بنو كعب ، فوداه بمائة ناقة .

تخوف الأنصار من بقاء الرسول (ص) فى مكة : قال ابن هشام : وبلغنى عن يحى بن سعيد : أن النبى صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة ودخلها ، قام على الصفا يدعو الله ، وقد أحدقت به الأنصار ، فقالوا فيما بينهم : أترون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ فتح الله عليه أرضه وبلده يقيم بها ؟ فلما فرغ من دعائه قال : ماذا قلتم ؟ قالوا لا شىء يارسول الله ، فلم يزل بهم حتى أخبروه ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : معاذالله ! المحيا محياكم ، والممات مماتكم.

بدء فتح مكة

ذكر فيه الأسود بن رزن الكنانى بفتح الراء ، وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر أن أبا الوليد أصلحه : رزناً بكسر الراء ، قال : والرزن : نقرة فى حجر يمسك الماء ، وفى كتاب العين : الرزن أكة تمسك الماء ، والمعنى متقارب ، وذكر أن بنى رزن من بنى بكر ، وقد قيل فيه : الدئل ، وقد أشبعنا القول فيه فى أول الكتاب ، وما قاله اللغويون والنسابون ، وذكرنا هنالك كل ديل فى العرب ، وكل دول والحمد لله .

ما قيل فى فتح مكة من الشعر : وذكر شعر تميم بن أسد ، وفيه :

يزجون كل مقلص خناب

الخناب : الطويل من الخيل ، وقع ذلك فى الجمهرة ، ويقال: الخناب : الواسع المنخرين ، والخنابة جانب الأنف ، وفى العين : الخناب الرجل الضخم ، وهو الأحمق أيضاً ، والمقلص من الخيل المنضم البطن والقوائم ، وإن قلت : المقلص بكسر اللام ، فهو من قلصت الإبل إذا شمرت ، قاله صاحب العين .

. . . .

وفيه : ظل عقاب ، وهى الراية ، وكان اسم راية النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ العقاب ، والدليل على أنه يقال لكل راية عقاب قول قطرى بن الفجاءة ويكنى أبا نعامة رئيس الخوارج :

يارب طل عقاب قد وقيت بها مهرى من الشمس والأبطال تجتلد

وفيه : يبل مشافر القبقاب ، القبقاب : أراد به الفرج ، والقبقب والقبقاب :البطن أيضاً .

وذكر قول الأخرز ، وفيه :

قفاثور حفان النعام الجوافل

قفاثور ، يعنى :الجبل،وقفا ظرف للفعل الذى قبله ، وقال :قفاثور ، ولم ينون لأنه اسم علم مع ضرورة الشعر ، وقد تكلمنا على هذا فيما قبل ، ولو قال : قفاثور بنصب الراء ، وجعله غير منصرف ، لم يبعد لأن مالا تنوين فيه، وهو غير معرب بألف ولام ولا إضافة ، فلا يدخله الخفض لئلا يشبه ما يضيفه المتكلم إلى نفسه ، وقفاثور بهذا اللفظ تقيد فى الأصل ، وظاهر كلام البرقى فى شرح هذا البيت أنه بفاثور . لأنه قال : الفاثور سبيكة الفضة ، وكأنه شبه المكان بالفضة لنقائه واستوائه ، فإن كانت الرواية كما قال ، فهو اسم موضع ، والفاثور : خوان من فضة ، ويقال : إبريق من فضة . قيل ذلك فى قول جميل :

وصدر كفاثور اللجين وجيد

وفى قول لبيد :

حقائبهم راح عتيق ودرمك ومسك وفاثورية وسلاسل

وكما قال البرقى : ألفيته فى نسخ صحيحة سوى نسخة الشيخ ، وإن صح ما فى نسخة الشيخ ، فهو كلام حذف منه ومعناه : قفا فاثور ، وحسن حذف الفاء الثانية ، كما حسن حذف اللام الثانية فى قولهم : علماء بنى فلان لا سيما مع ضرورة الشعر ، وترك الصرف ، لأنه جعله اسم بقعة ، ومن الشاهد على أن فاثور اسم بقعة قول لبيد :

ويوم طعنتم فاسمعدت وفودكم بأجماد فاثور كريم مصابر

أى أنا كريم مصابر ، ولذلك قال البكرى ولم يذكر فيه اختلافا وقال هو اسم جبل يعنى فاثور وقال ابن مقبل :

حى محاضرهم شتى وجمعهم دوم الإياد ، وفاثور إذا انتجعوا

وقال لبيد :

ولدى النعمان منى موطن بين فاثور أفاق فالدحل

وحفان النعام : صغارها ، وهو مرفوع لأنه خبر كأن .

وذكر شعر بديل بن أم أصرم وفيه : غير آيل ، هو فاعل من آل إذا رجع ، ولكنه قلب الهمزة التى هى بدل من الواو ياء ، لئلا تجتمع همزتان ، وكانت الياء أولى بها لانكسارها .

وفيه ذكر عبيس ، ووقع فى بعض روايات الكتاب عبيس بالباء المنقوطة بواحدة من أسفل .

وفيه :

أإن أجمرت فى بيتها أم بعضكم بجعموسها

أى : رمت به بسرعة ، وهو كناية عن ضرب من الحرث يسمج وصفه .

وذكر أبيات عمرو بن سالم ، وفيها :

قد كنتم ولداً وكنا والدا

يريد أن بنى عبد مناف أمهم من خزاعة، وكذلك : قصى أمه : فاطمة بنت سعد الخزاعية ، والوُلد بمعنى الوَلد .
وقوله : ثمت أسلمنا . هو من السلم لأنهم لم يكونوا آمنوا بعد ، غير أنه ، قال : ركعاً وسجداً ، فدل على أنه كان فيهم من صلى لله ،فقتل ، والله أعلم .

وذكر فيه الوتير ، وهو اسم ماء معروف فى بلاد خزاعة ، والوتير فى اللغة الورد الأبيض ، وقد يكون منه برى ، فيحتمل أن يكون هذا الماء سمى به ، وأما الورد الأحمر فهو الحوجم ويقال للورد كله: جل، قاله أبو حنيفة ، وكأن لفظ الحوجم من الحجمة وهى حمرة فى العينين ، يقال منه رجل أحجم .

قول عمر لأبى سفيان : وذكر قول عمر رضى الله عنه : «والله لو لم أجد إلا الذر لجاهدتكم به ،وهوكلام مفهوم المعنى ، وقد تقدم أن مثل هذا ليس بكذب ، وإن كان الذر لا يقاتل به ، وكذلك قول عمر فى حديث الموطأ : والله ليمرن به ولو على بطنك ، يعنى الجدول ، وهو من هذا القبيل لا يعد كذباً ، لأنه جرى فى كلامهم كالمثل .

قول فاطمة لأبى سفيان : وذكر قول فاطمة : والله مابلغ بنى أن يجير بين الناس ، وقد ذكر أبو عبيد هذا محتجاً به على من أجاز أمان الصبى وجواره ، ومن أجاز جواز الصبى إنما أجازه إذا عقل الصبى ، وكان كالمراهق .
وقولها : ولا يجير أحد على رسول الله ، وقد قال عليه السلام : يجير على المسلمين أدناهم ، فمعنى هذا - والله أعلم - كالعبد ونحوه يجوز جواره ، فيما قل ، مثل أن يجير واحداً من العدو ، أو نفراً يسيراً ، وأما أن يجير على الإمام قوماً يريد الإمام غزوهم وحربهم ، فلا يجوز ذلك عليهم ، ولا على الإمام ، وهذا هو الذى أرادت فاطمة — رضى الله عنها - والله أعلم ، وأما جوار المرأة وتأمينها فجائز عند جماعة الفقهاء إلا سحنون وابن الماجشون ، فإنهما قالا: هو موقوف على إجازة الإمام ، وقد قال عليه السلام لأم هانىء : قد أجرنا من أجرت يا أم هانىء ، وروى معنى قولهما عن عمرو بن العاصى وخالد بن الوليد . وأما جوار العبد ، فجائز إلا عند أبى حنيفة ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم: «يجير على المسلمين أدناهم» يدخل فيه العبد والمرأة .

حاطب بن أبى بلتعة : فصل : وذكر كتاب حاطب إلى قريش ، وهو حاطب بن أبى بلتعة مولى عبدالله بن حميد بن زهير بن أسد بن عبد العزى ، والبلتعة فى اللغة التظرف ، قاله أبو عبيد ، واسم أبى بلتعة ، عمرو ، وهو لخمى ، فيما ذكروا ، ومن ذريته : زياد بن عبد الرحمن الأندلسى الذى روى الموطأ عن مالك ، وهو زياد شبطون ، وكان قاضى طليطلة، وكان شبطون زوجاً لأمه، فعرف به رحمه الله.وقد قيل : إنه كان فى الكتاب أن النبى صلى الله عليه وسلم قد توجه إليكم بجيش كالليل يسير كالسيل ؛ وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم فإنه منجز له ما وعده ، وفى تفسير ابن سلام أنه كان فى الكتاب الذى كتبه حاطب أن النبى محمداً قد نفر إما إليكم وأما إلى غيركم ، فعليكم الحذر .

روضة خاخ : وذكر أن على بن أبى طالب والزبير والمقداد أدركوها بروضة خاخ بخائين منقوطتين ، وكان هشيم يرويه : حاج بالحاء والجيم ، وهو مما حفظ من تصحيف هشيم ، وكذلك كان يروى: سداداً من عون بن أبى شداد بفتح السين والمغيرة بن أبى بردة يقول فيه : برزة بالزاى وفتح الباء فى تصحيف كثير ، وهو مع ذلك ثبت متفق على عدالته، على أن البخارى قد ذكر عن أبى عوانة أيضاً أنه قال فيه : حاج كما قيل عن هشيم ،فالله أعلم. وفى هذا الخبر من رواية الشيبانى أن عائشة قالت : دخل على أبو بكر وأنا أغربل حنطة لنا ، فسألنى ، وذكر باقى الحديث ، وفيه من الفقه

. . . .

أكلهم للبر ، وإن كان أغلب أحوالهم أكل الشعير ، ولا يقال حنطة إلا للبر .

معنى « تلقون اليهم بالمودة » : فصل : وذكر قول الله عز وجل فى حاطب « تلقون إليهم بالمودة أى تبذلونها لهم ، ودخول الباء وخروجها عند الفراء سواء ، والباء عند سيبويه لا تزاد فى الواجب ، ومعنى الكلام عند طائفة من البصريين: تلقون إليهم النصيحة بالمودة ، قال النحاس : معناه تخبرونهم بما يخبر به الرجل أهل مودته ، وهذا التقدير إن نفع فى هذا الوضع لم ينفع فى مثل قول العرب : ألق إليه بوسادة أو بثوب، ونحو ذلك ، فيقال : إذاً إن ألقيت تنقسم قسمين أحدهما : أن تريد وضع الشيء فى الأرض ، فتقول : ألقيت السوط من يده، ونحو ذلك، والثانى :أن تريد معنى الرمى بالشيء ، فتقول : ألقيت إلى زيد بكذا أرميته به ، وفى الآية إنما هو إلقاء بكتاب ، وإرسال به ، فعبر عن ذلك بالمودة لأنه من أفعال أهل المودة ، فمن ثم حسنت الباء لأنه إرسال بشيء فتأمله .

الحكم فى قتل الجاسوس : وفى الحديث دليل على قتل الجاسوس فإن عمر — رضى الله عنه — قال : دعنى فلأضرب عنقه ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم : وما يدريك ياعمر لعل الله اطلع إلى أصحاب بدر ، الحديث ، فعلق حكم المنع من قتله بشهود بدر ، فدل على أن من فعل مثل فعله وليس ببدرى أنه يقتل . زاد البخارى فى بعض روايات الحديث، قال : فاغرورقت عينا عمر — رضى الله عنه — وقال : الله ورسوله أعلم ، يعنى حين سمعه يقول فى أهل بدر ما قال. وفى مسند الحارث أن حاطبا قال: يارسول الله كنت عريراً فى قريش ، وكانت أمى بين ظهرانيهم ، فأردت أن يحفظونى فيها ، أو نحو هذا ، ثم فسر العرير ، وقال : هو الغريب .

عبد الله بن ابى امية : وذكر قول النبى — صلى الله عليه وسلم — لأم سلمة حين استأذنته فى أخيها عبد الله ابن أمية : وأما ابن عمتى وصهرى فهو الذى قال لى بمكة ما قال ، يعنى حين قال له : والله لا آمنت بك حتى تتخذ سلماً إلى السماء فتعرج فيه وأنا أنظر ثم تأتى بصك وأربعة من الملائكة يشهدون لك أن الله قد أرسلك ، وقد تقدمت هذه القصة .

وعبد الله بن أبى أمية هو أخو أم سلمة لأبيها ، وأمه عاتكة بنت عبد المطلب ، وأم سلمة أمها عاتكة بنت جذل الطعان ، وهو عامر بن قيس الفراسى ، واسم أبى أمية حذيفة وكانت عنده أربع عواتك ، قد ذكرنا منهن ههنا ثنتين .

ابو سفيان : وقول أبى سفيان بن الحارث : أو لآخذن بيد بنى هذا ، ثم لنذهبن فى الأرض . لم يذكر ابن إسحاق اسم ابنه ذلك ، ولعله أن يكون جعفراً ، فقد كان إذ ذاك غلاماً مدركا ، وشهد مع أبيه حنيناً ، ومات فى خلافة معاوية ، ولا عقب له .

وذكر الزبير لأبى سفيان ولداً يكنى أبا الهياج فى حديث ذكره لا أدرى :أهو جعفر أم غيره ، ومات أبو سفيان فى خلافة عمر رضى الله عنه ، وقال عند موته : لا تبكن على ، فإنى لم أنتطف بخطيئة منذ أسلمت ، ومات من ثؤلول حلقه الحلاق فى حج فقطعه مع الشعر فنزف منه ، وقيل فى اسم أبى سفيان: المغيرة، وقيل :بل المغيرة ونوفل وعبد شمس وربيعه بنو الحارث بن عبد المطلب .

وقوله : « نزائع جاءت من سهام وسردد » على وزن فعال بفتح الفاء، وسردد بضم أوله وإسكان ثانيه هكذا ذكره سيبويه ويعقوب ، وبفتح الدال ذكره غيرهما ، وهما موضعان من أرض عك ، وذلك أن سيبويه من أصله أنه ليس فى الكلام فعلل بالفتح، وحكاه الكوفيون فى جندب وسردد، وغيرهما ، ولا ينبغى أيضاً على أصل سيبويه أن يمتنع الفتح فى سردد ، لأن إحدى الدالين زائدة من أجل التضعيف ،وإنما الذى يمتنع فى الأبنية مثل جعفر بضم أوله وفتح ثانيه، فمثل سردد والسوددو الحوللجمع حائل وماذكره بعضهم من طحلب وبرقع وجؤذر ، فهو دخيل فى الكلام ، ولا يجعل أصلا ، ولا يمتنع أيضاً جندب بفتح الدال ،لأن النون زائدة .

. . . .

وكان أبو سفيان رضيع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أرضعتهما حليمة ، وكان آلف الناس له قبل النبوة لايفارقه ، فلما نبيء كان أبعد الناس عنه ، وأهجاهم له إلى أن أسلم ، فكان أصح الناس إيماناً ، وألزمهم له صلى الله عليه وسلم ، ولأبي سفيان هذا قال النبي صلى الله عليه وسلم : أنت يا أبا سفيان ، كما قيل كل الصيد فى جوف الفرا ، وقيل: بل قالها لأبي سفيان بن حرب والأول أصح .

وقول بديل . حمشتم الحرب ، يقال : حمشت الرجل إذا أغضبته ، وحمشت النار أيضاً إذا أوقدتها ، ويقال : حمست بالسين .

وذكر عبد بن حميد فى إسلام أبي سفيان بن حرب أن العباس لما احتمله معه إلى قبته ، فأصبح عنده ، رأى الناس وقد ثاروا إلى ظهورهم ، فقال أبو سفيان : يا أبا الفضل ما للناس ! ! أأمروا فى بشيء ؟ قال : لا ، ولكنهم قاموا إلى الصلاة ، فأمره العباس فتوضأ ، ثم انطلق به إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما دخل عليه السلام فى الصلاة كبر فكبر الناس بتكبيره . ثم ركع فركعوا ، ثم رفع فرفعوا ، فقال أبو سفيان : مارأيت كاليوم طاعة قوم جمعهم من ههنا وههنا ، ولا فارس الأكارم ، ولا الروم ذات القرون بأطوع منهم له .

وفى حديث عبد بن حميد أن أبا سفيان قال للنبي صلى الله عليه وسلم ، حين عرض عليه الإسلام : كيف أصنع بالعزى ؟ فسمعه عمر رضى الله عنه من وراء القبة ، فقال له : تخرا عليها ، فقال له أبو سفيان : ويحك ياعمر ! ! إنك رجل فاحش دعنى مع ابن عمى ، فإياه أكلم .

وذكر قول أبي سفيان : لقد أصبح ملك ابن أخيك الغداة عظيماً ، وقول العباس له : إنها النبوة ، قال شيخنا أبو بكر رحمه الله : إنما أنكر العباس عليه أن ذكر الملك مجرداً من النبوة مع أنه كان فى أول دخوله فى الإسلام ، وإلا فجائز أن يسمى مثل هذا ملكاً ، وإن كان لنبي؛ فقد قال الله تعالى فى داود : « وشددنا ملكه » وقال سليمان : « وهب لى ملكاً » غير أن الكراهية أظهر فى تسمية حال النبي صلى الله عليه وسلم ملكاً لما جاء فى الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم خير بين أن يكون نبياً عبداً ، أو نبياً ملكاً ، فالتفت إلى جبريل ، فأشار إليه أن تواضع ، فقال : بل نبياً عبداً أشبع يوماً ، وأجوع يوماً . وإنكار العباس على أبي سفيان يقوى هذا المعنى ، وأمر الخلفاء الأربعة بعده يكره أيضاً أن يسمى ملكاً ، لقوله عليه السلام فى حديث آخر : يكون بعده خلفاء ، ثم يكون أمراء ، ثم يكون ملوك ، ثم جبابرة ، ويروى : ثم يعود الأمر بزيزياً ، وهو تصحيف ، ذل الخطابى : إنما هو بزيزى ، أى قتل وسلب .

وقول هند اقتلوا الحميت الدسم الأحمس . الحميت : الزق ، نسبته إلى الضخم والسمن ، والأحمس أيضاً الذى لاخير عنده ، من قولهم : عام أحمس إذا لم يكن فيه مطر ، وزاد عبد بن حميد فى حديثه أنها قالت : ياآل غالب اقتلوا الأحمق ، فقال لها أبو سفيان : والله لتسلمن أو لأضربن عنقك ، وفى إسلام أبي سفيان قبل هند وإسلامها قبل انقضاء عدتها ، ثم استقرا على نكاحهما ، وكذلك حكيم بن حزام مع امرأته حجة للشافعى ، فإنه لم يفرق بين أن تسلم قبله ، أو يسلم قبلها ، مادامت فى العدة . وفرق مالك بين المسألتين على مافى الموطأ وغيره .

إسلام أبى قحافة : وذكر إسلام أبي قحافة ، واسمه : عثمان بن عامر ، واسم أمه : قيلة بنت أذاة .

وقوله لبنت له : وهى أصغر ولده ، يريد والله أعلم أصغر أولاده الذين لصلبه ، وأولادهم ، لأن أبا قحافة لم يعش له ولد ذكر إلا أبو بكر ، ولا تعرف له بنت إلا أم فروة التى أنكحها أبو بكر رضى الله عنه من الأشعث ابن قيس ، وكانت قبله تحت تميم الداري ، فهي هذه التي ذكر ابن إسحاق والله أعلم . وقد قيل : كانت

. . . .

له بنت أخرى تسمى قريبة تزوجها قيس بن سعد بن عبادة ، فالمذكورة فى حديث أبى قحافة هى إحدى هاتين على هذا ، والله أعلم .

وفى الحديث : وكان رأسه ثغامة ، والثغام من نبات الجبال ، وهو من الجنبة ، وأشد ما يكون بياضاً إذا أمحل ، والحلى مثله ، يشبه به الشيب ، قال الراجز :

ولمتى كأنها حليـــة

حكم الخضاب وأنواعه : وقول النبى - صلى الله عليه وسلم - فى شيب أبى قحافة غيروا هذا من شعره ، هو على الندب ، لا على الوجوب ، لما دل على ذلك من الأحاديث عنه عليه السلام أنه لم يغير شيبه ، وقد روى من طريق أبى هريرة أنه خضب . وقال من جمع بين الحديثين : إنما كانت شيبات يسيرة يغيرها بالطيب . وقال أنس : لم يبلغ النبى صلى الله عليه وسلم حد الخضاب ، وفى البخارى عن عثمان بن موهب : قال : أرتنى أم سلمة شعراً من شعر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفيه أيضاً عن ابن موهب قال : بعثنى أهلى بقدح إلى أم سلمة ، وذكر الحديث ، وفيه اطلعت فى الجلجل فرأيت شعرات حمراً ، وهذا كلام مشكل وشرحه فى مسند وكيع بن الجراح قال : كان جلجلا من فضة صنع صيواناً لشعرات كانت عندهم من شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فإن قيل فهذا يدل على أنه كان مخضوب الشيب ، وقد صح من حديث أنس وغيره أنه عليه السلام لم يكن بلغ أن يخضب إنما كانت شعرات تعد .

فالجواب : أنه لما توفى خضب من كان عنده شىء من شعره : تلك الشعرات ليكون أبقى لها ، كذلك قال الدارقطنى فى أسماء رجال الموطأ له ، وكان أبو بكر يخضب بالحناء والكتم ، وكان عمر يخضب بالصفرة ، وكذلك عثمان وعبد الله ابن عمر ، وكان فيهم من يخضب بالخطر ، وهو الوسمة ، وأما الصفرة ، فكانت من الورس أو الكركم وهو الزعفران ، والورس ينبت باليمن يقال لجيده : بادرة الورس ، ومن أنواعه : العسف والحبشى وهو آخره ، ويقال من الحناء : حناء شيبه ورقنه ، وجمع الحناء حنان على غير قياس ، قال الشاعر :

ولقـــد أروح بلمة فينانة سوداء قد رويت من الحنان

من كتاب أبى حنيفة ، وبعض أهل الحديث يزيد على رواية ابن إسحاق فى شيب أبى قحافة : وجنبوه السواد ، وأكثر العلماء على كراهة الخضاب بالسواد من أجل هذا الحديث ، ومن أجل حديث آخر جاء فيه الوعيد والنهى لمن خضب بالسواد ، وقيل : أول من خضب بالسواد فرعون ، وقيل : أول من خضب به من العرب عبد المطلب ، وترخص قوم فى الخضاب بالسواد منهم محمد بن على ، وروى عن عمر أنه قال : أخضبوا بالسواد ، فإنه أنكى للعدو ، وأحب للنساء . وقال ابن بطال فى الشرح : إذا كان الرجل كهلا لم يبلغ الهرم جاز له الخضاب بالسواد ، لأن فى ذلك ما قال عمر رضى الله عنه من الإرهاب على العدو والتحبب إلى النساء ، وأما إذا قوس واحدودب فحينئذ يكره له السواد ، كما قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فى أبى قحافة : غيروا شيبه ، وجنبوه السواد .

كدى وكداء وموقف ابراهيم به : فصل : وذكر كداء بفتح الكاف والمد ، وهو بأعلى مكة ، وكدى وهو من ناحية عرفة ، وبمكة موضع ثالث يقال : كدا بضم الكاف والقصر ، وأنشدوا فى كداء وكدى .

أقفرت بعد عبد شمس كداء فكدى فالركن والبطحاء

والبيت لابن قيس الرقيات يذكر بنى عبد شمس بن عبدود العامريين رهط سهيل بن عمرو .

وبكداء وقف إبراهيم عليه السلام حين دعا لذريته بالحرم . كذلك روى سعيد بن جبير عن ابن عباس . فقال «فاجعل

. . . .

أفئدة من الناس تهوى إليهم » فاستجيبت دعوته ، وقيل له : أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا . ألا تراه يقول يأتوك » ولم يقل يأتونى . لأنها استجابة لدعوته فمن ثم - والله أعلم - استحب النبى صلى الله عليه وسلم إذا أتى لمكة أن يدخلها من كداء ، لأنه الموضع الذى دعا فيه إبراهيم بأن يجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم .

انتزاع الراية من سعد : فصل : وذكر نزع الراية من سعد حين قال : اليوم يوم الملحمة ، وزاد غير ابن إسحاق فى الخبر أن ضرار بن الخطاب قال يومئذ شعراً حين سمع قول سعد استعطف فيه النبى صلى الله عليه وسلم على قريش وهو من أجود شعر له :

يانبى الهدى إليك لجا حى قريش . ولات حين لجاء
حين ضاقت عليهم سعة الأر ض وعاداهم إله السماء
والتقت حلقتا البطان على القوم ونودوا بالصيلم الصلعاء
إن سعداً يريد قاصمة الظهر بأهل الحجون والبطحاء
خزرجى لو يستطيع من الغيظ رمانا بالنسر والعواء
فلئن أقحم اللواء ونادى ياحماة اللواء أهل اللواء
لتكونن بالبطاح قريش بقعة القاع فى أكف الإماء

فحينئذ انتزع النبى صلى الله عليه وسلم الراية من سعد بن عبادة فيما ذكروا والله أعلم : ومد فى هذا الشعر العواء ، وأنكر الفارسى فى بعض كتبه مدها ، وقال : لو مدت لقيل فيها العياء ، لأنها ليست بصفة كالعشواء . قال وإنما هى مقصورة كالشروى والنجوى . وغفل عن وجه ذكره أبو على القالى ، فإنه قال : من مد العواء فهى عنده فعال من عويت الشىء إذا لويت طرفه ، وهذا حسن جداً لاسيما وقد صح مدها فى الشعر الذى تقدم ، وغيره ، والأصح فى معناها : أن العواء من العوة . والعوة هى الدبر ، فكأنهم سموها بذلك ، لأنها دبر الأسد من البروج .

خنيس أو حبيش بن خالد : فصل : وذكر خنيس بن خالد ، وقول ابن هشام : خنيس من خزاعة ، لم يختلفوا عن ابن إسحاق أنه خنيس بالخاء المنقوطة والنون ، وأكثر من ألف فى المؤتلف والمختلف يقول : الصواب فيه : حبيش بالحاء المهملة والباء والشين المنقوطة ، وكذلك فى حاشية الشيخ عن أبى الوليد أن الصواب فيه حبيش ، وأبوه خالد هو الأشعر بن حنيف ، وقد رفعنا نسبه عند ذكر أم معبد ، لأنها بنته ، وهو بالشين المنقوطة ، وأما الأسعر بالسين المهملة ، فهو الأسعر الجعفى ، ، واسمه مرثد بن عمران ، وسمى الأسعر لقوله :

فلا يدعنى قومى لسعد بن مالك لئن أنا لم أسعر عليهم وأثقب

يعنى بمالك : مذحج .

الرجز الذى لكرز : وذكر الرجز الذى لكرز :

قد علمت صفراء من بنى فهر

أشار بقوله : صفراء إلى صفرة الخلوق وقيل : بل أراد معنى : قول امرىء القيس :

كبكر مقاناة البياض بصفرة غذاها نمير الماء غير محلل

وكقول الأعشى :

حمراء غدوتها ، وصفر اء العشية كالعرارة

وقوله : من بنى فهر بكسر الهاء ، وكذلك الصدر فى البيت الثانى ، وأبو صخر هذا على مذهب العرب فى الوقف

. . . .

على ماأوسطه ساكن ، فإن منهم من ينقل حركة لام الفعل إلى عين الفعل فى الوقف ، وذلك إذا كان الاسم مرفوعا أو مخفوضاً ، ولا يفعلون ذلك فى النصب ، وعلله مستقصاة فى النحو .

لغويات : وذكر خبر حماس وقول امرأته له : لماذا تعد السلاح بإثبات الألف ، ولا يجوز حذفها من أجل تركيب ذا معها ، والمعروف فى ما إذا كانت استفهاماً مجرورة أن تحذف منها الألف ، فيقال : لم وبم ، قال ابن السراج : الدليل على أن ذا جعلت مع ما اسماً واحداً أنهم اتفقوا على إثبات الألف مع حرف الجر ، فيقولون : لماذا فعلت وبماذا جئت ، وهو معنى قول سيبويه .

وقوله : وذو غرارين سريع السلة بكسر السين وهى الرواية ، ويريد الحالة من سل السيف ، ومن أراد المصدر فتح :

وقوله : وأبو يزيد قائم كالموتمة ، يريد المرأة لها أيتام ، والأعرف فى مثل هذا موتم مثل مطفل ، وجمعها مياتم. وقال ابن إسحاق فى غير هذه الرواية: الموتمة : الاسطوانة وهو تفسير غريب ، وهو أصح من التفسير الأول ، لأنه تفسير راوى الحديث . فعلى قول ابن إسحاق هذا يكون لفظ الموتمة من قولهم : وتم وأتم إذ ثبت ، لأن الاسطوانة تثبت ماعليها ، ويقال فيها على هذا مؤتمة بالهمزة ، وتجمع مآتم ، وموتمة بلا همزة ، ونجمع مواتم .

وقوله : وأبو يزيد بقلب الهمزة من أبو ألفاً ساكنة ، فيه حجة لورش(١) حيث أبدل الهمزة ألفاً ساكنة ، وهى متحركة ، وإنما قياسها عند النحويين أن تكون بين بين .

ومثل قوله : وابو يزيد ، قول الفرزدق .

فارعى فزارة لا هناك المرتع

وإنما هو هنأك بالهمزة وتسهيلها بين بين ، فقلبها ألفاً على غير القياس المعروف فى النحو ، وكذلك قولهم المنساة وهى العصا ، وأصلها الهمز ، لأنها مفعلة من نسأت ، ولكنها فى التنزيل كما ترى(٢) ، وأبو يزيد الذى عنى فى هذا البيت ، هو سهيل بن عمرو خطيب قريش .

وقوله : لهم نهيت : النهيت : صوت الصدر ، وأكثر ماتوصف به الأسد ، قال ابن الأسلت :

كأنهم أسد لدى أشبل ينهتن فى غيل وأجراع

والغمغمة : أصوات غير مفهومة من اختلاطها .

ذكر طرف من احكام ارض مكة : ونذكر هاهنا طرفاً من أحكام أرض مكة ، فقد اختلف هل افتتحها النبى صلى الله عليه وسلم عنوة أو صلحاً ، ليبتنى على ذلك الحكم . هل أرضها ملك لأهلها أم لا ؟ وذلك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يأمر بنزع أبواب دور مكة إذا قدم الحاج . وكتب عمر بن عبد العزيز إلى عامله بمكة أن ينهى أهلها عن كراء دورها إذا جاء الحاج فإن ذلك لا يحل لهم . وقال مالك ـ رحمه الله ـ إن كان الناس ليضربون فساطيطهم بدور مكة لاينهاهم أحد . وروى أن دور مكة كانت تدعى السوائب وهذا كله منتزع من أصلين أحدهما . قوله تبارك وتعالى: «والمسجد الحرام الذى جعلناه للناس سواء العاكف فيه والباد» وقال ابن عمر وابن عباس : الحرم كله مسجد . والأصل الثانى : أن النبى صلى الله عليه وسلم دخلها عنوة غير أنه من على أهلها بأنفسهم وأموالهم ، ولا يقاس عليها غيرها من البلاد ، كما ظن بعض الفقهاء فإنها مخالفة لغيرها من وجهين ، أحدهما . ما خص الله به نبيه ، فانه قال :

---

(١) ورش هو : عثمان بن سعيد بن عبد الله المصرى ولقب ورش لبياضه واحد من أصحاب القراءات المشهورة .

(٢) فى قوله تعالى فى قصة سليمان : « مادلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته » .

« قل الأنفال لله والرسول » والثانى ما خص الله تعالى به مكة فإنه جاء : لا تحل غنائمها ، ولا تلتقط لقطتها ، وهى حرم الله تعالى وأمنه ، فكيف تكون أرضها أرض خراج ، فليس لأحد افتتح بلداً أن يسلك به سبيل مكة . فأرضها إذاً ودورها لأهلها ، ولكن أوجب الله عليهم التوسعة على الحجيج إذا قدموها ، ولا يأخذوا منهم كراء فى مساكنها ، فهذا حكمها فلا عليك بعد هذا ، فتحت عنوة أو صلحاً ، وإن كانت ظواهر الحديث أنها فتحت عنوة .

الهذلى الذى قتل : وذكر الهذلى الذى قتل ، وهو واقف ، فقال : أقد فعلتموها يا معشر خــزاعة . وروى الدارقطنى فى السنن أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لو كنت قاتل مسلم بكافر لقتلت خراشاً بالهذلى ، يعنى بالهذلى : قاتل ابن أثوع ، وخراش هو قاتله ، وهو من خزاعة

هل تعيذ الكعبة عاصيا : فصل : وذكر قصة ابن خطل : واسمه : عبدالله . وقد قيل فى اسمه : هلال وقد قيل . هلال كان أخاه ، وكان يقال لهما الخطلان ، وهما من بنى تيم بن غالب بن فهر . وأن النبى صلى الله عليه وسلم أمر بقتله ، فقتل وهو متعلق بأستار الكعبة ، ففى هذا أن الكعبة لا تعيذ عاصياً ، ولا تمنع من إقامة حد واجب ، وأن معنى قوله تعالى : « ومن دخله كان آمناً » إنما معناه الخبر عن تعظيم حرمة الحرم فى الجاهلية نعمة منه على أهل مكة . كما قال تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس » إلى آخر الآية ، فكان فى ذلك قوام للناس ، ومصلحة لذرية إسماعيل ـ صلى الله عليه وسلم ـ وهم قطان الحرم ، وإجابة لدعوة إبراهيم عليه السلام حيث يقول : « اجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم » وعندما قتل النبى صلى الله عليه وسلم ابن خطل قال : لا يقتل قرشى صبراً بعد هذا ، كذلك قال يونس فى روايته .

صلاة الفتح : فصل : وذكر صلاة النبى صلى الله عليه وسلم فى بيت أم هانىء ، وهى صلاة الفتح ، تعرف بذلك عند أهل العلم ، وكان الأمراء يصلونها إذا افتتحوا بلداً . قال الطبرى : صلى سعد بن أبى وقاص ، حين افتتح المدائن ، ودخل إيوان كسرى ، قال : فصلى فيه صلاة الفتح ، قال : وهى ثمانى ركعات لا يفصل بينها ، ولا تصلى بإمام ، فبين الطبرى سنة هذه الصلاة وصفتها ، ومن سنتها أيضاً أن لا يجهر فيها بالقراءة ، والأصل ما تقدم من صلاة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ من حديث أم هانىء وذلك ضحى .

أم هانىء : وأم هانىء اسمها : هند تكنى بابنها هانىء بن هبيرة ولها ابن من هبيرة اسمه يوسف ، وثالث وهو الأكبر اسمه : جعدة ، وقيل : إياه عنت فى حديث مالك ، زعم ابن أمى على أنه قاتل رجلا أجرته فلان بن هبيرة ، وقد قيل فى اسم أم هانىء . فاختة .

عبد الله بن أبى سرح : فصل : وذكر عبد الله بن سعد بن أبى سرح أحد بنى عامر بن لؤى يكنى أبا يحيى ، وكان كاتب النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ارتد ولحق بمكة ، ثم أسلم وحسن إسلامه ، وعرف فضله وجهاده ، وكان على ميمنة عمرو بن العاصى حين افتتح مصر ، وهو الذى افتتح إفريقية سنة سبع وعشرين ، وغزا الأساود من النوبة ، ثم هادنهم الهدنة الباقية إلى اليوم ، فلما خالف محمد بن أبى حذيفة على عثمان ـ رضى الله عنه ـ اعتزل الفتنة ، ودعا الله عز وجل أن يقبضه ، ويجعل وفاته بإثر صلاة الصبح ، فصلى بالناس الصبح ، وكان يسلم تسليمتين عن يمينه ، وعن شماله ، فلما سلم التسليمة الأولى عن يمينه ، وذهب ليسلم الأخرى ، قبضت نفسه ، وكانت وفاته بعسفان ، وهو الذى يقول فى حصار عثمان :

أرى الأمر لا يزداد إلا تفاقما ... وأنصارنا بالمكتين قليــــل
وأسلمنا أهل المدينة والهوى ... إلى أهل مصر والذليــــل ذليل

كسر الأصنام

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل الرواية فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ، عن ابن عباس ، قال : دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على راحلته ، فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل النبى صلى الله عليه وسلم يشير بقضيب فى يده إلى الأصنام ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً » ، فما أشار إلى صنم منها فى وجهه إلا وقع لقفاه ، ولا أشار إلى قفاه إلا وقع لوجهه ، حتى ما بقى منها صنم إلا وقع ؛ فقال تميم بن أسد الخزاعى فى ذلك :

وفى الأصنام معتبر وعلم ... لمن يرجو الثواب أو العقابا

اسلام فضالة : قال ابن هشام : وحدثنى : أن فضالة بن عمير بن الملوح الليثى أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم : وهو يطوف بالبيت عام الفتح فلما دنا منه ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضالة ؟ قال : نعم فضالة يا رسول الله ؛ قال : ماذا كنت تحدث به نفسك ؟ قال لا شىء ، كنت أذكر الله ، قال : فضحك النبى صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : استغفر الله ؛ ثم وضع يده على صدره ، فسكن قلبه ، فكان فضالة يقول : والله ما رفع يده عن صدرى حتى ما من خلق الله شىء أحب إلى منه . قاله فضالة فرجعت إلى أهلى ، فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها ؛ فقالت : هلم

نميلة : وأما نميلة بن عبد الله الذى ذكره ابن إسحاق فهو ليثى أحد بنى كعب بن عامر بن ليث ، صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهد كثيراً من مشاهده وغزواته .

ابن نقيذ : وأما الحويرث بن نقيذ الذى أمر بقتله مع ابن خطل ، فهو الذى نخس بزينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أدركها ، هو وهبار بن الأسود ، فسقطت عن دابتها ، وألقت جنينها .

القينتان : وأما القينتان اللتان أمر بقتلهما ، وهما سارة وفرتنى فأسلمت فرتنى ، وآمنت سارة وعاشت إلى زمن عمر رحمه الله ، ثم وطئها فرس ، فقتلها .

احكام فى الديات : فصل : وذكر خطبة النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفيها ذكر الديات ، وذكر قتيل الخطأ ، وذكر شبه العمد وتغليظ الدية فيه ، وهى أن يقتل القتيل بسوط أو عصا ، فيموت ، وهو مذهب أهل العراق : أن لا قود فى شبه العمد ، والمشهور عن الشافعى أن فيه الدية مغلظة أثلاثاً وليس عند فقهاء الحجاز إلا قود فى عمد أو دية فى خطأ تؤخذ أخماساً على ما فسر الفقهاء . وهو قول الليث ، وكذلك قال أهل العراق إن القود لا يكون إلا بالسيف ، واحتجوا بأثر يروى عن ابن مسعود مرفوعاً أن لا قود إلا بحديدة ، وعن على مرفوعاً أيضاً : لا قود إلا بالسيف ، ومن طريق أبى هريرة لا قود إلا بحديدة ، وهو يدور على أبى معاذ سليمان بن أرقم ، وهو ضعيف بإجماع ، وكذلك حديث ابن مسعود يدور على المعلى بن هلال ، وهو ضعيف متروك الحديث ، وكذلك حديث على لا تقوم بإسناده حجة ، وحجة الآخرين فى أن القاتل يقتل بما قتل به قوله تعالى : « فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم » ، وحديث اليهودى الذى رضخ رأس الجارية على أوضاح لها ، فأمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يرضخ رأسه بين حجرين .

الدخول فى الكعبة والصلاة فيها : وأما دخوله عليه السلام الكعبة وصلاته فيها ، فحديث بلال أنه صلى فيها وحديث ابن عباس أنه لم يصل فيها ، وأخذ الناس بحديث بلال ، لأنه أثبت الصلاة وابن عباس نفى ، وإنما يؤخذ بشهادة المثبت لا بشهادة النافى ومن تأول قول بلال أنه صلى ، أى دعا ، فليس بشىء ، لأن فى حديث عمر أنه صلى فيها ركعتين ، ولكن رواية ابن عباس ورواية بلال صحيحتان ، لأنه عليه السلام دخلها يوم النحر فلم يصل ، ودخلها من الغد فصلى ، وذلك فى حجة الوداع ، وهو حديث مروى عن ابن عمر بإسناد حسن ، خرجه الدارقطنى ، وهو من فوائده .

إلى الحديث . فقلت : لا ، وانبعث فضالة يقول :

قالت هلم إلى الحديث فقلت لا ... يأبى عليك الله والإسلام

لو ما رأيت محمداً وقبيله ... بالفتح يوم تكسر الأصنام

لرأيت دين أضحى بيناً ... والشرك يغشى وجهه الإظلام

الأمان لصفوان بن أمية : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن جعفر ، عن عروة بن الزبير ، قال : خرج صفوان بن أمية يريد جدة ليركب منها إلى اليمن ، فقال عمير بن وهب : يا نبى الله إن صفوان بن أمية سيد قومه . وقد خرج هارباً منك ليقذف نفسه فى البحر ، فأمنه ، صلى الله عليك ، قال: هو آمن ، قال : يارسول الله ، فأعطنى آية يعرف بها أمانك . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم عمامته التى دخل فيها مكة ، فخرج بها عمير حتى أدركه ، وهو يريد أن يركب فى البحر ، فقال : يا صفوان فداك أبى وأمى ، الله الله فى نفسك أن تهلكها ، فهذا أمان من رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جئتك به ؛ قال : ويحك ! أغرب عنى فلا تكلمنى ؛ قال : أى صفوان فداك أبى وأمى ، أفضل الناس ، وأبر الناس ، وأحلم الناس ، وخير الناس ، ابن عمك ، عزه عزك ، وشرفه شرفك ، وملكه ملكك ؛ قال: إنى أخافه على نفسى قال: هو أحلم من ذاك وأكرم : فرجع معه ، حتى وقف به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال صفوان : إن هذا يزعم أنك قد أمنتنى ، قال : صدق ، قال : فاجعلنى فيه بالخيار شهرين . قال : أنت بالخيار فيه أربعة أشهر .

قال ابن هشام : وحدثنى رجل من قريش من أهل العلم أن صفوان قال لعمير ويلك ! اغرب عنى ، فلا تكلمنى ، فإنك كذاب ، لما كان صنع به ، وقد ذكرناه فى آخر حديث يوم بدر .

اسلام رءوس أهل مكة : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى : أن أم حكيم بنت الحارث بن هشام وفاختة بنت الوليد - وكانت فاختة عند صفوان بن أمية ، وأم حكيم عند عكرمة بن أبى جهل - أسلمتا ، فأما أم حكيم فاستأمنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لعكرمة فأمنه ، فلحقت به باليمن . فجاءت به ، فلما أسلم عكرمة وصفوان أقرهما رسول الله صلى الله عليه وسلم عندهما على النكاح الأول .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت : قال : رمى حسان ابن الزبعرى وهو بنجران ببيت واحد ما زاده عليه :

لا تعد من رجلا أحلك بغضه ... نجران فى عيش أحذ لئيم

فلما بلغ ذلك ابن الزبعرى خرج إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم . فقال حين أسلم :

يا رسول المليك إن لسانى ... راتق ما فتقت إذ أنا بور

إذ أبارى الشيطان فى سنن الغى ... ومن مال ميله مثبور

آمن اللحم والعظام لربى ... ثم قلبى الشهيد أنت النذير

إننى عنك زاجر ثم حيا ... من لؤى وكلهم مغرور

قال ابن إسحاق : وقال عبد الله بن الزبعرى أيضاً حين أسلم :

منع الرقاد بلابل وهموم ... والليل معتلج الرواق بهيم

مما أتانى أن أحمد لامنى ... فيه فبت كأننى محموم

يا خير من حملت على أوصالها ... عيرانة سرح اليدين غشوم

إنى لمعتذر إليك من الذى ... أسديت إذ أنا فى الضلال أهيم

أيام تأمرنى بأغوى خطة ... سهم وتأمرنى بها مخزوم

وأمد أسباب الردى ويقودنى … أمر الغواة وأمرهم مشئوم
فاليوم آمن بالنبى محمد … قلبى ومخطىء هذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها … ودعت أواصر بيننا وحلوم
فاغفر فدى لك والدى كلاهما … زللى ، فإنك راحم مرحوم
وعليك من علم المليك علامة … نور أغر وخاتم مختوم
أعطاك بعد محبة برهانه … شرفاً وبرهان الإله عظيم
ولقد شهدت بأن دينك صادق … حق وأنك فى العباد جسيم
والله يشهد أن أحمد مصطفى … مستقبل فى الصالحين كريم
قرم علا بنيانه من هاشم … فرع تمكن فى الذرا وأروم

قال ابن هشام : وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها له .

هبيرة يبقى على كفره : قال ابن إسحاق : وأما هبيرة بن أبى وهب المخزومى فأقام بها حتى مات كافراً ، وكانت عنده أم هانىء بنت أبى طالب ، واسمها هند ، وقد قال حين بلغه إسلام أم هانىء :

أشاقتك هند أم أتاك سؤالها … كذاك النوى أسبابها وانفتالها
وقد أرقت فى رأس حصن ممنع … بنجران يسرى بعد ليل خيالها
وعاذلة هبت بليل تلومنى … وتعذلنى بالليل ضل ضلالها
وتزعم أنى إن أطعت عشيرتى … سأردى وهل يردين إلا زيالها
فإنى لمن قوم إذا جد جدهم … على أى حال أصبح اليوم حالها
وإنى لحام من وراء عشيرتى … إذا كان من تحت العوالى مجالها
وصارت بأيديها السيوف كأنها … مخاريق ولدان ومنها ظلالها
وإنى لأقلى الحاسدين وفعلهم … على الله رزقى نفسها وعيالها
وإن كلام المرء فى غير كنهه … لكالنبل تهوى ليس فيها نصالها
فإن كنت قد تابعت دين محمد … وعطفت الأرحام منك حبالها
فكونى على أعلى سحيق بهضبة … ململمة غبراء يبس بلالها

قال ابن إسحاق : ويروى : « وقطعت الأرحام منك حبالها » .

عدة من فتح مكة : قال ابن إسحاق : وكان جميع من شهد فتح مكة من المسلمين عشرة آلاف . من بنى سليم سبع مائة ، ويقول بعضهم : ألف ، ومن بنى غفار أربع مائة ، ومن أسلم أربع مائة ، ومن مزينة ألف وثلاثة نفر ، وسائرهم من قريش والأنصار وحلفائهم ، وطوائف العرب من تميم وقيس وأسد .

ما قيل من الشعر فى فتح مكة : وكان مما قيل من الشعر فى يوم الفتح قول حسان بن ثابت الأنصارى :

عفت ذات الأصابع فالجواء … إلى عذراء منزلها خلاء
ديار من بنى الحسحاس قفر … تعفيها الروامس والسماء
وكانت لا يزال بها أنيس … خلال مروجها نعم وشاء
فدع هذا ولكن من لطيف … يؤرقنى إذا ذهب العشاء

لشعثاء التى قد تيمته ... فليس لقلبه منها شفاء
كأن خبيئة من بيت رأس ... يكون مزاجها عسل وماء
إذا ما الأشربات ذكرن يوماً ... فهن لطيب الراح الفداء
فوليها الملامة إن ألمنا ... إذا ما كان مغث أو لحاء
ونشربها فتتركنا ملوكا ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاء
عدمنا خيلنا إن لم تروها ... تثير النقع موعدها كداء
ينازعن الأعنة مصغيات ... على أكتافها الأسل الظماء
تظل جيادنا متمطرات ... يلطمهن بالخمر النساء
فإما تعرضوا عنا اعتمرنا ... وكان الفتح وانكشف الغطاء
وإلا فاصبروا لجلاد يوم ... يعين الله فيه من يشاء
وجبريل رسول الله فينا ... وروح القدس ليس له كفاء
وقال الله: قد أرسلت عبداً ... يقول الحق إن نفع البلاء
شهدت به فقوموا صدقوه ... فقلتم: لا نقوم ولا نشاء
وقال الله: قد سيرت جنداً ... هم الأنصار عرضتها اللقاء
لنا فى كل يوم من معد ... سباب أو قتال أو هجاء
فنحكم بالقوافى من هجانا ... ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عنى ... مغلغلة فقد برح الخفاء
بأن سيوفنا تركتك عبداً ... وعبد الدار سادتها الإماء
هجوت محمداً وأجبت عنه ... وعند الله فى ذاك الجزاء
أتهجوه ولست له بكفء؟! ... فشركما لخيركما الفداء
هجوت مباركا برا حنيفاً ... أمين الله شيمته الوفاء
أمن يهجو رسول الله منكم ... ويمدحه وينصره سواء؟!
فإن أبى ووالده وعرضى ... لعرض محمد منكم وقاء
لسانى صارم لا عيب فيه ... وبحرى لا تكدره الدلاء

قال ابن هشام: قالها حسان يوم الفتح. ويروى: «لسانى صارم لاعتب فيه» وبلغنى عن الزهرى أنه قال: لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم النساء يلطمن الخيل بالخمر تبسم إلى أبى بكر الصديق رضى الله عنه.

قال ابن إسحاق: وقال أنس بن زنيم الديلى يعتذر إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم مما كان قال فيهم عمرو بن سالم الخزاعى:

أأنت الذى تهدى معد بأمره ... بل الله يهديهم وقال لك اشهد
وما حملت من ناقة فوق رحلها ... أبر وأوفى ذمة من محمد
أحث على خير وأسبغ نائلا ... إذا راح كالسيف الصقيل المهند
وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ... وأعطى لرأس السابق المتجرد
تعلم رسول الله أنك مدركى ... وأن وعيداً منك كالأخذ باليد
تعلم رسول الله أنك قادر ... على كل صرم متهمين ومنجد

تعلم بأن الركب ركب عويمر هم الكاذبون المخلفو كل موعد
ونبوا رسول الله أنى هجوته فلا حملت سوطى إلى إذن يدى
سوى أننى قد قلت ويل ام فتية أصيبوا بنحس لا بطلق وأسعد
أصابهم من لم يكن لدمائهم كفاء فعزت عبرتى وتبلدى
فإنك قد أخفرت إن كنت ساعياً بعبد بن عبد الله وابنة مهود
ذويب وكلثوم وسلمى تتابعوا جميعاً فإلا تدمع العين أكمد
وسلمى ، وسلمى ليس حى كمثله وإخوته وهل ملوك كأعبد ؟
فإنى لا ذنباً فتقت ولا دماً هرقت تبين عالم الحق واقصد

فأجابه بديل بن عبد مناف بن أم أصرم ، فقال :

بكى أنس رزناً فأعوله البكا فألا عديا إذ تطل وتبعد
بكيت أبا عبس لقرب دمائها فتعذر إذ لا يوقد الحرب موقد
أصابهم يوم الخنادم فتية كرام فسل منهم : نفيل ومعبد
هنالك إن تسفح دموعك لاتلم عليهم وإن لم تدمع العين فاكمدوا

قال ابن هشام : وهذه الأبيات فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وقال بجير بن زهير بن أبى سلمى فى يوم الفتح :

نفى أهل الحبلق كل فج مزينة غدوة وبنو خفاف
ضربناهم بمكة يوم فتح النبى الخير بالبيض الخفاف
صبحناهم بسبع من سليم وألف من بنى عثمان واف
نطا أكتافهم ضرباً وطعناً ورشقاً بالمريشة اللطاف
ترى بين الصفوف لها حفيفاً كما انصاع الفواق من الرصاف
فرحنا والجياد تجول فيهم بأرماح مقومة الثقاف
فأبنا غانمين بما اشتهينا وآبوا نادمين على الخلاف
وأعطينا رسول الله منا مواثقنا على حسن التصافى
وقد سمعوا مقالتنا فهموا غداة الروع منا بانصراف

قال ابن هشام : وقال ابن مرداس السلمى فى فتح مكة :

منا بمكة يوم فتح محمد ألف تسيل به البطاح مسوم
نصروا الرسول وشاهدوا أيامه وشعارهم يوم اللقاء مقدم
فى منزل ثبتت به أقدامهم ضنك كأن الهام فيه الحنتم
جرت سنابكها بنجد قبلها حتى استقاد لها الحجاز الأدهم
الله مسكنه له وأذله حكم السيوف لنا وجد مزحم
عود الرياسة شامخ عرنينه متطلع ثغر المكارم خضرم

اسلام عباس بن مرداس : قال ابن هشام ؛ وكان إسلام عباس بن مرداس ، فيما حدثنى بعض أهل العلم بالشعر ، وحديثه أنه كان لأبيه مرداس وثن يعبده ، وهو حجر كان يقال له ضمار ، فلما حضر مرداس قال لعباس : أى بنى ، اعبد ضمار فإنه

يفعك ويضرك ، فبينا عباس يوماً عند ضمار ، إذ سمع من جوف ضمار منادياً يقول :

قل للقبائل من سليم كلها أودى ضمار وعاش أهل المسجد
إن الذى ورث النبوة والهدى بعد ابن مريم من قريش مهتدى
أودى ضمار وكان يعبد مرة قبل الكتاب إلى النبى محمد

فحرق عباس ضمار ، ولحق بالنبى صلى الله عليه وسلم فأسلم .

قال ابن هشام : وقال جعدة بن عبد الله الخزاعى يوم فتح مكة :

أكعب بن عمرو دعوة غير باطل لحين له يوم الحديد متاح
أتيحت له من أرضه وسمائه لتقتله ليلى بغير سلاح
ونحن الألى سدت غزال خيولنا ولفتاً سددناه وفج طلاح
خطرنا وراء المسلمين بجحفل ذوى عضد من خيلنا ورماح

وهذه الأبيات فى أبيات له .

وقال بجيد بن عمران الخزاعى :

وقد أنشأ الله السحاب بنصرنا ركام صحاب الهيدب المتراكب
وهجرتنا فى أرضنا عندنا بها كتاب أتى من خير ممل وكاتب
ومن أجلنا حلت بمكة حرمة لندرك ثأراً بالسيوف القواضب

مسير خالد بن الوليد بعد الفتح إلى بنى جذيمة من كنانة

ومسير على لتلافى خطأ خالد

قال ابن إسحاق : وقد بعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيما حول مكة السرايا تدعو إلى الله عز وجل ، ولم يأمرهم بقتال ، وكان ممن بعث خالد بن الوليد ، وأمره أن يسير بأسفل تهامة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ، فوطىء بنى جذيمة ، فأصاب منهم .

قال ابن هشام : وقال عباس بن مرداس السلمى فى ذلك :

فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره نصيب به فى الحق من كان أظلما

قال ابن هشام : وهذان البيتان فى قصيدة له فى حديث يوم حنين ، سأذكرها إن شاء الله فى موضعها .

قال ابن إسحاق : فحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد حين افتتح مكة داعياً ، ولم يبعثه مقاتلا ومعه قبائل من العرب : سليم بن منصور ومدلج بن مرة ، فوطئوا بنى جذيمة بن عامر بن عبد مناة بن كنانة ، فلما رآه القوم أخذوا السلاح ، فقال خالد : ضعوا السلاح ، فإن الناس قد أسلموا .

قال ابن إسحاق : فحدثنى بعض أصحابنا من أهل العلم من بنى جذيمة ، قال : لما أمرنا خالد أن نضع السلاح قال رجل منا يقال له جحدم : ويلكم بنى جذيمة ! إنه خالد والله ! ما بعد وضع السلاح إلا الإسار ، وما بعد الإسار إلا ضرب الأعناق ، والله لا أضع سلاحى أبداً . قال : فأخذه رجال من قومه ، فقالوا : ياجحدم ، أتريد أن

. . . .

تسفك دماءنا ؟ إن الناس قد أسلموا ، ووضعوا السلاح ، ووضعت الحرب وأمن الناس . فلم يزالوا به حتى نزعوا سلاحه ، ووضع القوم السلاح لقول خالد .

الرسول يتبرأ من فعل خالد : قال ابن إسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي ، قال : فلما وضعوا السلاح أمر بهم خالد عند ذلك ، فكتفوا ، ثم عرضهم على السيف فقتل من قتل منهم ؛ فلما انتهى الخبر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رفع يديه إلى السماء ، ثم قال : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد .

قال ابن هشام : حدثني بعض أهل العلم ، أنه حدث عن إبراهيم بن جعفر المحمودي ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت كأني لقمت لقمة من حيس ، فالتذذت طعمها . فاعترض في حلقي منها شيء حين ابتلعتها ، فأدخل علي يده فنزعه ؛ فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : يارسول الله ، هذه سرية من سراياك تبعثها ، فيأتيك منها بعض ما تحب ، ويكون في بعضها اعتراض . فتبعث علياً فيسهله .

قال ابن هشام . وحدثني أنه انفلت رجل من القوم فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هل أنكر عليه أحد ؟ فقال نعم ، قد أنكر عليه رجل أبيض ربعة ، فنهمه خالد ، فسكت عنه ، وأنكر عليه رجل آخر طويل مضطرب فراجعه ، فاشتدت مراجعتهما ، فقال عمر بن الخطاب : أما الأول يارسول الله فابني عبد الله ، وأما الآخر فسالم مولى أبي حذيفة .

قال ابن اسحاق : فحدثني حكيم بن حكيم ، عن أبي جعفر محمد بن علي قال : ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي ابن أبي طالب رضوان الله عليه . فقال : ياعلي ، أخرج إلى هؤلاء القوم ، فانظر في أمرهم ، واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك . فخرج علي حتى جاءهم ومعه مال قد بعث به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فودى لهم الدماء وما أصيب لهم من الأموال ، حتى أنه ليدي لهم ميلغة الكلب ، حتى إذا لم يبق شيء من دم ولا مال إلا وداه ، بقيت معه بقية من المال فقال لهم علي رضوان الله عليه حين فرغ منهم : هل بقي لكم بقية من دم أو مال لم يؤد لكم ؟ قالوا : لا ، قال : فإني أعطيكم هذه البقية من هذا المال ، احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، مما يعلم ولا تعلمون ، ففعل . ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره الخبر : فقال أصبت وأحسنت . قال ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستقبل القبلة قائماً شاهراً يديه حتى إنه ليرى مما تحت منكبيه ، يقول : اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات .

قال ابن إسحاق : وقد قال بعض من يعذر خالداً إنه قال : ماقتلت حتى أمرني بذلك عبد الله بن حذافة السهمي وقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقاتلهم لامتناعهم عن الإسلام .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدني . لما أتاهم خالد ، قالوا : صبأنا صبأنا .

قال ابن إسحاق : وقد كان جحدم قال لهم حين وضعوا السلاح ورأوا مايصنع خالد ببني جذيمة : يابني جذيمة ، ضاع الضرب ، قد كنت حذرتكم ماوقعتم فيه . وقد كان بين خالد وبين عبد الرحمن بن عوف ، فيما بلغني ، كلام في ذلك فقال له عبد الرحمن بن عوف عملت بأمر الجاهلية في الإسلام ، فقال : إنما ثأرت بأبيك ، فقال عبد الرحمن : كذبت قد قتلت قاتل أبي ولكنك ثأرت بعمك الفاكه بن المغيرة ، حتى كان بينهما شر ، فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : مهلا ياخالد ، دع عنك أصحابي ، فوالله لو كان لك أحد ذهباً ثم أنفقته في سبيل الله ماأدركت غدوة رجل من أصحابي ولا روحته .

ما كان بين قريش وبني جذيمة في الجاهلية : وكان الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، وعوف بن عبد مناف بن عبد الحارث بن زهرة ، وعفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس قد خرجوا تجاراً إلى اليمن ، ومع عفان ابنه عثمان ، ومع عوف ابنه عبد الرحمن ، فلما أقبلوا حملوا مال رجل من بني جذيمة بن عامر ، كان هلك باليمن إلى ورثته ، فادعاه رجل منهم يقال له خالد بن هشام ، ولقيهم بأرض بني جذيمة قبل أن يصلوا إلى أهل الميت ، فأبوا عليه . فقاتلهم بمن معه من قومه على المال ليأخذوه ، وقاتلوه ، فقتل عوف بن عبد عوف ، والفاكه بن المغيرة ، ونجا عفان بن أبي العاص وابنه عثمان ، وأصابوا مال الفاكه بن المغيرة ومال عوف بن عبد عوف ، فانطلقوا به ، وقتل عبد الرحمن بن عوف خالد بن هشام قاتل أبيه ، فهمت قريش بغزو بني جذيمة ، فقالت بنو جذيمة : ما كان مصاب أصحابكم عن ملإ منا ، إنما عدا عليهم قوم بجهالة ، فأصابوهم ولم نعلم ، فنحن نعقل لكم ما كان لكم قبلنا من دم أو مال فقبلت قريش ذلك ، ووضعوا الحرب .

وقال قائل من بني جذيمة ، وبعضهم يقول : امرأة يقال لها سلمى :

ولولا مقال القوم للقوم أسلموا ... للاقت سليم يوم ذلك ناطحا
لماصعهم بسر وأصحاب جحدم ... ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا
فكائن ترى يوم الغميصاء من فتى ... أصيب ولم يجرح وقد كان جارحا
ألظت بخطاب الأيامى وطلقت ... غداتئذ منهن من كان ناكحا

قال ابن هشام : قوله : « بسر » و « ألظت بخطاب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عباس بن مرداس ، ويقال بل الجحاف بن حكيم السلمي :

دعي عنك تقوال الضلال كفى بنا ... لكبش الوغى في اليوم والأمس ناطحا
فخالد أولى بالتعذر منكم ... غداة علا نهجاً من الأمر واضحا
معاناً بأمر الله يزجي إليكم ... سوانح لا تكبو له وبوارحا
نعوا مالكا بالسهل لما هبطنه ... عوابس في كابي الغبار كوالحا
فإن نك أثكلناك سلمى فمالك ... تركتم عليه نائحات ونائحا

وقال الجحاف بن حكيم السلمي :

شهدن مع النبي مسومات ... حنيناً وهي دامية الكلام
وغزوة خالد شهدت وجرت ... سنابكهن بالبلد الحرام
نعرض للطعان إذا التقينا ... وجوهاً لا تعرض للطام
ولست بخالع عني ثيابي ... إذا هز الكماة ولا أرامي
ولكني يجول المهر تحتي ... إلى العلوات بالعضب الحسام

خبر ابن أبي حدرد يوم الفتح : قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهري عن ابن أبي حدرد الأسلمي ، قال كنت يومئذ في خيل خالد بن الوليد ، فقال لي فتى من بني جذيمة ، وهو في سني ، وقد جمعت يداه إلى عنقه برمة ، ونسوة مجتمعات غير بعيد منه : يافتى ، فقلت : ماتشاء ؟ قال هل أنت آخذ بهذه الرمة ، فقائدي إلى هؤلاء النسوة حتى أقضي إليهن حاجة ثم تردني بعد ، فتصنعوا بي ما بدا لكم ؟ قال : قلت والله ليسير ما طلبت فأخذت برمته فقدته بها ، حتى وقف عليهن ؛ فقال : اسلمي حبيش ، على نفد من العيش :

أريتك إذ طالبتكم فوجدتكم بحلية أو ألفيتكم بالخوانق
ألم يك أهلا أن ينول عاشق تكلف إدلاج السرى و لودائق
فلا ذنب لى قد قلت إذ أهلنا معا أثيبى بود قبل إحدى الصفائق
أثيبى بود قبل أن تشحط النوى وينأى الأمير بالحبيب المفارق
فإنى لا ضيعت سر أمانة ولا راق عينى عنك بعدك رائق
سوى أن ما نال العشيرة شاغل عن الود إلا أن يكون التوامق

قال ابن هشام : وأكثر أهل العلم بالشعر ينكر البيتين الآخرين منها له .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، عن الزهرى عن ابن أبى حدرد الأسلمى قالت :

وأنت لحييت سبعاً وعشرا وتراً وثمانيا تترى

قال : ثم انصرفت به . فضربت عنقه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبو فراس بن أبى سنبلة الأسلمى ، عن أشياخ منهم ، عمن كان حضرها منهم ، قالوا : فقامت إليه حين ضربت عنقه ، فأكبت عليه ، فما زالت تقبله حتى ماتت عنده .

قال ابن إسحاق : وقال رجل من بنى جذيمة :

جزى الله عنا مدلجاً حيث أصبحت جزاءة بؤسى حيث سارت وحلت
أقاموا على أقضاضنا يقسمونها وقد نهلت فينا الرماح وعلت
فوالله لولا دين آل محمد لقد هربت منهم خيول فشلت
وما ضرهم أن لايعينوا كتيبة كرجل جراد أرسلت فاشمعلت
فإما ينيبوا أو يثوبوا لأمرهم فلا نحن نجزيهم بما قد أضلت

فأجابه وهب ، رجل من بنى ليث ، فقال :

دعونا إلى الإسلام والحق عامراً فما ذنبنا فى عامر إذ تولت
وما ذنبنا فى عامر لا أبا لهم لأن سفهت أحلامهم ثم ضلت

وقال رجل من بنى جذيمة :

ليهنىء بنى كعب مقدم خالد وأصحابه إذ صبحتنا الكتائب
فلا ترة يسعى بها ابن خويلد وقد كنت مكفياً لو انك غائب
فلا قومنا ينهون عنا غواتهم ولا الداء من يوم الغميصاء ذاهب

وقال غلام من بنى جذيمة ، وهو يسوق بأمه وأختين له وهو هارب بهن من جيش خالد :

رخين أذيال المروط وأربعن مشى حييات كأن لم يفزعن
إن تمنع اليوم نساء تمنعن

وقال غلمة من بنى جذيمة ، يقال لهم بنى مساحق ، يرتجزون حين سمعوا بخالد فقال أحدهم :

قد علمت صفراء بيضاء الإطل يحوزها ذو ثلة وذو إبل
لأغنين اليوم ما أغنى رجل

وقال الآخر :

قد علمت صفراء تلهى العرسا لا تملأ الحيزوم منها نهسا
لأضربن اليوم ضرباً وعسا ضرب المحلين مخاضاً قعسا

وقال الآخر :

أقسمت ما إن خادر ذو لبده شثن البنان فى غداة برده
جهم المحيا ذو سبال ورده يرزم بين أيكة وجحده
ضار بتأكال الرجال وحده بأصدق الغداة منى نجده

خالد يهدم العزى : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد إلى العزى ، وكانت بنخلة ، وكانت بيتاً يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر كلها ، وكانت سدنتها وحجابها بنى شيبان من بنى سليم حلفاء بنى هاشم ، فلما سمع صاحبها السلمى بمسير خالد إليها ، علق عليها سيفه ، وأسند فى الجبل الذى هى فيه وهو يقول :

أيا عز شدى شدة لاشوى لها على خالد ألقى القناع وشمرى
يا عز إن لم تقتلى المرء خالداً فبوئى بإثم عاجل أو تنصرى

فلما انتهى إليها خالد هدمها ، ثم رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، قال : أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة بعد فتحها خمس عشرة ليلة يقصر الصلاة .

قال ابن إسحاق : وكان فتح مكة لعشر ليال بقين من شهر رمضان سنة ثمان .

اسلام ابى سفيان وصاحبيه : فصل : وذكر كسر الأصنام ، وطمس التماثيل ، ومقالة الحارث بن هشام حين اجتمع هو وأبو سفيان ، وعتاب بن أسيد ، فتكلموا فأخبرهم النبى صلى الله عليه وسلم ، كما أخبره جبريل عليه السلام بالذى قالوه ، فصح بذلك يقينهم وحسن إسلامهم ، وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر قال : لعن النبى صلى الله عليه وسلم الحارث وأبا سفيان بن حرب وصفوان بن أمية فأنزل الله تعالى : « ليس لك من الأمر شىء أو يتوب عليهم » الآية قال : فتابوا بعد ، وحسن إسلامهم ، وروينا بإسناد متصل عن عبد الله بن أبى بكر ، قال : خرج النبى — صلى الله عليه وسلم — على أبى سفيان ، وهو فى المسجد ، فلما نظر إليه أبو سفيان قال فى نفسه : ليت شعرى بأى شىء غلبنى ، فأقبل النبى صلى الله عليه وسلم ؛ حتى ضرب بيده بين كتفيه ، وقال : بالله غلبتك يا أبا سفيان ، فقال أبو سفيان : أشهد أنك رسول الله . من مسند الحارث بن أبى أسامة ، وروى الزبير بإسناد يرفعه إلى من سمع النبى صلى الله عليه وسلم يمازح أبا سفيان فى بيت أم حبيبة وأبو سفيان يقول له تركتك ، فتركتك العرب ، ولم تنتطح بعدها جماء ولا قرناء ، والنبى صلى الله عليه وسلم يضحك ، ويقول : أنت تقول هذا يا أبا حنظلة . وقال مجاهد فى قوله جل وعز : « عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة » قال هى معاهدة النبى صلى الله عليه وسلم لأبى سفيان . وقال أهل التفسير : رأى النبى صلى الله عليه وسلم فى المنام أسيد بن أبى العيص والياً على مكة مسلماً ، فمات على الكفر ، فكانت الرؤيا لولده عتاب حين أسلم ، فولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وهو ابن إحدى وعشرين سنة ، ورزقه كل يوم درهماً ، فقال : أيها الناس أجاع الله كبد من جاع على درهم ، الحديث ، وقال عند موته : والله ما اكتسبت فى ولايتى كلها إلا قميصاً معقداً كسوته غلامى كيسان ، وكان قد قال قبل أن يسلم وسمع بلالا يؤذن على الكعبة ، لقد أكرم الله أسيداً ، يعنى : أباه ، أن لا يكون سمع هذا فيسمع منه ما يغيظه ، وكانت تحت عتاب

. . . .

جويرية بنت أبى جهل بن هشام ، وهى التى خطبها علىّ على فاطمة ، فشق ذلك على فاطمة ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : لا آذن ثم لا آذن ، إن فاطمة بضعة منى ، الحديث . فقال عتاب : أنا أريحكم منها فتزوجها ، فولدت له عبد الرحمن المقتول يوم الجمل ، يروى أن عقاباً طارت بكفه يوم قتل ، وفى الكف خاتمه ، فطرحتها باليمامة فى ذلك اليوم ، فعرفت بالخاتم .

الحنفاء بنت أبى جهل : وكانت لأبى جهل بنت أخرى ، يقال لها الحنفاء كانت تحت سهيل بن عمرو ، يقال : إنها ولدت له ابنه أنساً الذى كان يضعف ، وفيه جرى المثل : أساء سمعاً فأساء إجابة . ويقال : إنه نظر يوماً إلى رجل على ناقة يتبعها خروف فقال : يا أبت أذاك الخروف من تلك الناقة ؟ فقال أبوه : صدقت هند بنت عتبة ، وكانت حين خطبها قالت : إن جاءت منه حليلته بولد أحمقت ، وإن أنجبت فعن خطأ ما أنجبت ، وقد قيل فى بنت أبى جهل الحنفاء : إن اسمها صفية ، فالله أعلم .

وقال الحارث بن هشام ، وقد قيل له : ألا ترى ما يصنع محمد من كسر الآلهة ، ونداء هذا العبد الأسود على الكعبة فقال : إن كان الله يكره هذا ، فسيغيره ، ثم حسن إسلامه رضى الله عنه بعد ، وهاجر إلى الشام ، فلم يزل جاهداً مجاهداً ، حتى استشهد هنالك رحمه الله .

اسلام بنت أبى جهل : وأما بنت أبى جهل ، فقالت حين سمعت الأذان على الكعبة ، فلما قال المؤذن : أشهد أن محمداً رسول الله ، قالت : عمرى لقد أكرمك الله ورفع ذكرك ، فلما سمعت : حى على الصلاة ، قالت : أما الصلاة فسنؤديها ، ولكن والله ما تحب قلوبنا من قتل الأحبة ، ثم قالت : إن هذا الأمر لحق ، وقد كان الملك جاء به أبى ، ولكن كره مخالفة قومه ودين آبائه .

اسلام أبى محذورة : وأما أبو محذورة الجمحى ، واسمه : سلمة بن معير ، وقيل سمرة ، فإنه لما سمع الأذان ، وهو مع فتية من قريش خارج مكة أقبلوا يستهزءون ، ويحكون صوت المؤذن غيظاً ، فكان أبو محذورة من أحسنهم صوتاً ، فرفع صوته مستهزئاً بالأذان ، فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ، فأمر به فمثل بين يديه وهو يظن أنه مقتول ، فمسح النبى صلى الله عليه وسلم ناصيته وصدره بيده ، قال : فامتلأ والله إيماناً ويقيناً وعلمت أنه رسول الله ، فألقى عليه النبى — صلى الله عليه وسلم — الأذان ، وعلمه إياه ، وأمره أن يؤذن لأهل مكة ، وهو ابن ست عشرة سنة ، فكان مؤذنهم حتى مات ثم عقبه بعده يتوارثون الأذان كابراً عن كابر ، وفى أبى محذورة يقول الشاعر :

أما ورب الكعبة المستورة وما تلا محمد من سوره
والنغمات من أبى محذوره لأفعلن فعلة مذكوره

مبايعة هند والنساء : وأما هند بنت عتبة امرأة أبى سفيان ، فإن من حديثها يوم الفتح أنها بايعت النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو على الصفا ، وعمر دونه بأعلى العقبة ، فجاءت فى نسوة من قريش يبايعن على الإسلام ، وعمر يكلمهن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما أخذ عليهن أن لا يشركن بالله شيئاً قالت هند : قد علمت أنه لو كان مع الله غيره لأغنى عنا ، فلما قال : ولا يسرقن قالت : وهل تسرق الحرة ، لكن يارسول الله أبو سفيان رجل مسيك ربما أخذت من ماله بغير علمه ما يصلح ولده فقال النبى صلى الله عليه وسلم : خذى ما يكفيك وولدك بالمعروف ، ثم قال : إنك لأنت هند ؟ قالت : نعم يا رسول الله اعف عنى ، عفا الله عنك ، وكان أبو سفيان حاضراً ، فقال : أنت فى حل مما أخذت ، فلما قال : ولا يزنين ، قالت : وهل تزنى الحرة يارسول الله ، فلما قال : ولا يعصينك فى معروف ، قالت : بأبى أنت وأمى ما أكرمك ، وأحسن ما دعوت إليه ، فلما سمعت : ولا يقتلن أولادهن ، قالت : والله قد ربيناهم صغاراً ، حتى قتلتهم أنت وأصحابك ببدر كباراً ، قال : فضحك عمر من قولها حتى مال .

. . . .

استدراك على ابن هشام: فصل : وذكر حديث أبي شريح الخزاعي ، واسمه : خويلد بن عمرو ، وقيل : عمرو ابن خويلد ، وقيل : كعب بن عمرو ، وقيل : هانىء بن عمرو ' قال: لما قدم عمرو بن الزبير مكة لقتال أخيه عبد الله بن الزبير بمكة ، هذا وهم من ابن هشام ، وصوابه : عمرو بن سعيد بن العاصي بن أمية ، وهو الأشدق ، ويكنى أبا أمية ، وهو الذى كان يسمى لطيم الشيطان ، وكان جباراً شديد البأس ، حتى خافه عبد الملك على مكة ، فقتله بحيلة فى خبر طويل ، ورأى رجل عند موته فى المنام قائلا يقول :

ألا يالقومى للسفاهة والوهن ... وللعاجز الموهون والرأى ذى الأفن
ولابن سعيد بينما هو قائم ... على قدميه خر للوجه والبطن
رأى الحصن منجاة من الموت فالتجا ... إليه ، فزارته المنية فى الحصن

فقص رؤياه على عبد الملك ، فأمره أن يكتمها ، حتى كان من قتله ما كان ، وهو الذى خطب بالمدينة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرعف حتى سال الدم إلى أسفله فعرف بذلك معنى حديثه عليه السلام الذى يروى عنه كأنى بجبار من بنى أمية يرعف على منبرى هذا حتى يسيل الدم إلى أسفله، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فعرف الحديث فيه . فالصواب إذاً عمرو بن سعيد لا عمرو بن الزبير ، وكذلك رواه يونس بن بكير عن ابن إسحاق ، وهكذا وقع فى الصحيحين ذكر هذا التنبيه على ابن هشام أبو عمر — رحمه الله — فى كتاب الأجوبة عن المسائل المستغربة ، وهى مسائل من كتاب الجامع للبخارى تكلم عليها فى ذلك الكتاب ، وإنما دخل الوهم على ابن هشام أو على البكائى فى روايته من أجل أن عمرو بن الزبير ، كان معادياً لأخيه عبد الله ومعيناً لبنى أمية عليه فى تلك الفتنة ، والله أعلم .

ام حكيم بنت الحارث : فصل : وذكر أم حكيم بنت الحارث ، وكانت تحت عكرمة بن أبى جهل ، وأنها تبعته حين فر من الإسلام ، فاستأمنت له رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستشهد عكرمة بالشام ، فخطبها يزيد بن أبى سفيان وخالد بن سعيد ، فخطبت إلى خالد ، فتزوجها ، فلما أراد البناء بها ، وجموع الروم قد احتشدت ، قالت له : لو أمهلت حتى يفض الله جمعهم ، قال : إن نفسى تحدثنى أنى أصاب فى جموعهم ، فقالت : دونك ، فابتنى بها ، فلما أصبح التقت الجموع وأخذت السيوف من كل فريق مأخذها فقتل خالد ، وقاتلت يومئذ أم حكيم ، وإن عليها للردع الخلوق ، وقتلت سبعة من الروم بعمود الفسطاط بقنطرة تسمى إلى اليوم بقنطرة أم حكيم وذلك فى غزوة أجنادين .

دم ربيعة بن الحارث : وذكر فى خطبة النبى صلى الله عليه وسلم : ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى ، فهو تحت قدمى هاتين ، وفى بعض روايات الحديث : وأول دم أضعه دم ربيعة بن الحارث . كان لربيعة ابن قتل فى الجاهلية اسمه آدم ، وقيل تمام ، وهو ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، مات فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ثلاث وعشرين .

التخيير بين القصاص والدية : فصل : وذكر فى حديث ابن شريح قوله عليه السلام : فمن قتل بعد مقامى هذا ، فأهله بخير النظرين ، إن شاءوا فدم قاتله ، وإن شاءوا فعقله ، وهو حديث صحيح ، وإن اختلفت فيه ألفاظ الرواة وظاهره على الرواية أن ولى الدم ، هو المخير إن شاء أخذ الدية ، وهو العقل، وإن شاء قتل ، وقد اختلف الفقهاء فى فصل من هذه المسألة ، وهو أن يختار ولى المقتول أخذ الدية ، ويأبى القاتل إلا أن يقتص منه ، فقالت طائفة بظاهر الحديث ولا اختيار للقاتل ، وقالت طائفة بقتل القاتل ، ولا يجبر على إعطاء المال، وتأولوا الحديث ، وهى رواية ابن القاسم، وقال بها طائفة من السلف ، وقال آخرون بظاهر الحديث ، وهو قول الشافعى ، وأشهب ، ومنشأ الاختلاف من الاحتمال فى قوله تعالى : «فمن عفى له من أخيه شىء فاتباع بالمعروف» ، فاحتملت الآية عند قوم أن تكون (من) واقعة على ولى المقتول ، ومن أخيه أى من وليه المقتول ، أى : من ديته ، وعفى له أى : يسر له شىء من المال ، واحتمل

. . . .

أن تكون (من) واقعة على القاتل وعفى من العفو عن الدم ، ولا خلاف أن المتبع بالمعروف ، هو ولى الدم ، وأن المأمور بأداء بإحسان هو القاتل ، وإذا تدبرت الآية ، عرفت منشأ الخلاف منها ، ولاح من سياقة الكلام أى القولين أولى بالصواب .

وأما ماذكرت من اختلاف ألفاظ النقلة فى الحديث ، فيحصرها سبعة ألفاظ . أحدها : إما أن يقتل وإما أن يفادى. والثانى : إما أن يعقل أو يقاد . الثالث : إما أن يفدى وإما أن يقتل . الرابع : إما أن تعطى الدية أو يقاد أهل القتيل .الخامس : إما أن يعفو أو يقتل . السادس : يقتل أو يفادى . السابع : من قتل متعمداً دفع إلى أولياء المقتول، فإن شاءوا قتلوا وإن شاءوا أخذوا الدية . خرجه الترمذى . ورواية ابن إسحاق فى السيرة ثامنة وفى بعض هذه الروايات قوة لرواية ابن القاسم ، وفى بعضها قوة لرواية أشهب فتأملها .

السهيلى يذكر باقى خطبة الرسول (ص) وخطبته عليه السلام أطول مما ذكره ابن هشام ، وفيها من رواية الشيبانى عن ابن إسحاق نهيه عن صيام يومين ، وصلاة ساعتين : يعنى طلوع الشمس وغروبها ، وأن لايتوارث أهل ملتين ، وعن لبستين وطعمتين ، وفسرتا فى الحديث ، فقال : اللبستان : اشتمال الصماء وأن يحتبى الرجل وليس بين عورته والسماء حجاب ، والطعمتان : الأكل بالشمال ، وأن يأكل منبطحاً على بطنه .

شرح الاشعار الواردة فى فتح مكة : فصل : وذكر شعر ابن الزبعرى : البعير الأزب [كثير شعر الوجه] مع قصر ، وفيه:

راتق ما فتقت إذ أنا بور

قوله : فتقت يعنى : فى الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة ، رتق ، ومن أجل ذلك قيل للتوبة : نصوح ؛ من نصحت الثوب إذا خطته ؛ والنصاح : الخيط ، ويشهد لصحة هذا المعنى قول إبراهيم بن أدهم :

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا فلا ديننا يبقى ، ولا مانرقع

وقوله : إذ أنا بور أى : هالك ، يقال: رجل بور وبائر ، وقوم بور ، وهو جمع بائر كان الأصل فيه فعل بتحريك الواو ، وأما رجل بور فوزنه بالسكون لأنه وصف بالمصدر ، ومنه قيل : أرض بور من البوار ، وهو هلاك المرعى ويبسه .

وقول ابن الزبعرى : والليل معتلج الرواق بهيم

الاعتلاج : شدة وقوة ، وقد تقدم شرحها . والبهيم : الذى ليس فيه لون يخالط لونه .

وقوله : سرح اليدين غشوم الغشوم التى لا ترد عن وجهها ، ويروى سعوم وهى القوية على السير .

فصل : وذكر شعر حسان يوم الفتح وأوله : عفت ذات الأصابع فالجواء

ذات الأصابع : موضع بالشام ، والجواء كذلك ، وبالجواء كان منزل الحارث بن أبى شمر ، وكان حسان كثيراً مايرد على ملوك غسان بالشام يمدحهم ، فلذلك يذكر هذه المنازل .

وقوله : إلى عذراء ، وهى قرية عند دمشق ، فيها قتل حجر بن عدى وأصحابه .

وقوله : نعم وشاء . النعم : الإبل ، فإذا قيل أنعام دخل فيها الغنم والبقر والإبل والشاء والشوى اسم للجميع كالضأن والضئين والإبل والإبيل ، والمعز والمعيز ، وأما الشاة ، فليست من لفظ الشاء ، لأن لام الفعل منها هاء وبنو الحسحاس : حى من بنى أسد

وقوله الروامس والسماء ، يعني : الرياح والمطر . والسماء لفظ مشترك يقع على المطر ، وعلى السماء التى هى السقف

ولم يعلم ذلك من هذا البيت ونحوه ولا من قوله :

إذا سقط السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابا

لأنه يحتمل أن يريد مطر السماء ، فحذف المضاف ، ولكن إنما عرفناه من قولهم فى جمعه : سمى ، وهم يقولون فى جمع السماء : سماوات وأسمية ، فعلمنا أنه اسم مشترك بين شيئين .

وقوله : ولكن من لطيف . الطيف : مصدر طاف الخيال يطيف طيفاً ، ولكن لا يقال للخيال : هو طائف على وزن اسم الفاعل من طاف ، لأنه لاحقيقة للخيال ، فيرجع الأمر إلى أنه هو الطيف ، وهو توهم وتخيل ، فإن كان شيء له حقيقة قلت فيه : طائف ، وفى مصدره : طيف كما فى التنزيل « طائف من الشيطان » وقد قرىء أيضاً طيف من الشيطان ، وأمانيه تشبه بالخيال ، وما لاحقيقة له . وأما قوله : «فطاف عليها طائف من ربك» فليس فيه إلا اسم الفاعل دون المصدر ، لأن الذى طاف عليها له حقيقة ، وهو فاعل معروف بالفعل ، يقال إنه جبريل عليه السلام ، فتحصل من هذا ثلاث مراتب : الخيال ولا حقيقة له ، فلا يعبر عنه إلا بالطيف ، وحديث الشيطان ووسوسته ، يقال فيه : طائف وطيف ، وكل طائف سوى هذين فهو اسم فاعل ، لا يعبر عنه بطيف ، ولا بطواف ، فقف على هذه النكتة فيه .

وقوله : يؤرقنى إذا ذهب العشاء ، أى : يسهرنى ، فيقال : كيف يسهره الطيف . والطيف حلم فى المنام ؟ فالجواب : أن الذى يؤرقه لوعة يجدها عند زواله كما قال الطائى :

ظبي تقنصته لما نصبت له من آخر الليل أشراكا من الحلم
ثم انثنى ، وبنا من ذكره سقم باق ، وإن كان معسولا من السقم

وقد أحسن فى قوله: من آخر الليل - تنبيهاً على أنه سهر ليله كله ، إلا ساعة جاء الخيال من آخره ، فكأنه مسترق من قول حسان :

وخيال إذا تقوم النجوم

ونظير قوله : يؤرقنى ، أى يؤرقنى بزواله عنى . قول البحترى :

ألمت بنا بعد الهدو فسامحت بوصل متى تطلبه فى الجد تمنع
وولت كأن البين يخلج شخصها أوان تولت من حشائى وأضلعى

وقوله : لشعثاء التى قد تيمته : شعثاء التى يشبب بها حسان هى بنت سلام بن مشكم اليهودى ، وروى أنه قال : يامعشر يهود قد علمتم أن محمداً نبى ولولا أن تعير بها شعثاء ابنتى لتبعته ، وقد كان تحت حسان أيضاً امرأة اسمها شعثاء بنت كاهن الأسلمية ، ولدت له أم فراس .

وقوله : كأن خبيئة من بيت رأس - إلى آخره ، خبر كأن فى هذا البيت محذوف ، تقديره كأن فى فيها خبيئة ، ومثل هذا المحذوف فى النكرات حسن كقوله :

إن محلا وإن مرتحلا

أى : إن لنا محلا ، وكقول الآخر : ولكن زنجياً طويلا مشافره .

وفى صحيح البخارى فى صفة الدجال : أعور كأن عنبة طافية ، أى كأن فى عينه ، وزعم بعضهم أن بعد هذا البيت بيتاً فيه الخبر وهو :

على أنيابها أو طعم غض من التفاح هصره اجتناء

. . . .

وهذا البيت موضوع لايشبه شعر حسان ولالفظه .

وقوله : نوليها الملامة إن ألمنا ، أى إنأتينا بما نلام عليهصرفنا اللوم إلىالخمر واعتذرنا بالسكر ، والمغث :الضرب باليد ، واللحاء : الملاحاة باللسان ، ويروى أن حساناً مر بفتية يشربون الخمر فى الإسلام ، فنهاهم ، فقالوا والله لقد أردنا تركها فيزينها لنا قولك :

ونشربها فتتركنا ملوكا

فقال : والله لقد قلتها فى الجاهلية وماشربتها منذ أسلمت ، وكذلك قيل إن بعض هذه القصيدة قالها فى الجاهلية ، وقال آخرها فى الإسلام .

وفيها يقول لأبى سفيان : فشركما لخيركما الفداء . وفى ظاهر اللفظ بشاعة ، لأنالمعروف أنلايقال هو شرهما إلا وفى كليهما شر ، وكذلك : شر منك ، ولكن سيبويهقال فى كتابه : تقول مررت برجلشر منك : إذا نقص عنأن يكون مثله ، وهذا يدفع الشناعة عن الكلام الأول ، ونحو منه قوله عليه السلام : « شر صفوف الرجال آخرها » يريد : نقصان حظهم عن حظ الأول ، كما قال سيبويه ، ولايجوز أن يريد التفضيل فى الشر والله أعلم .

وفيها قوله فى صفة الخيل : يلطمهن بالخمر النساء . قال ابن دريد فى الجمهرة : كان الخليل رحمه الله يروى بيت حسان يلطمهن بالخمر ، وينكر يلطمهن ويجعله بمعنى : ينفض النساء بخمرهن ماعليهن من غبار أو نحو ذلك ، واتبع بذلكابن دريد قوله : الطلم ضربك خبزة الملة بيدك لتنفضماعليها من الرماد ، والطلمة : الخبزة ، ومنه حديث أبى هريرة :مررنا بقوم يعالجون طلمة لهم ، فنفرناهم عنها ، فاقتسمناها ، فأصابنى منها كسرة ، وكنت أسمع فى بلدى أنه من أكل الخبز سمن ، فجعلت أنظر فى عطفى : هل ظهر فى السمن بعد . ومما جاء فى الحديث من هذا المعنى أنالنبى صلىالله عليه وسلم رؤى يمسح وجه فرسه بردائه ، فقال : عوتبت الليلة فى الخيل .

وفيها :

ونحكم بالقوافى من هجانا

نحكم : أى نرد ونقرع ، هو من حكمة الدابة ، وهو لجامها ، ويكون المعنى أيضاً : نفحمهم ونخرسهم ، فتكون قوافينا لهم كالحكمات للدواب ، قال زهير :

قد أحكمت حكمات القد والأبقا

وفى هذه القصيدة : موعدها كداء . وفى رواية الشيبانى : يسيل بها كدى أو كداء .

وقد ذكرنا كدياً وكداء ، وذكرنا معهما كدى ، وزاد الشيبانى فى روايته أبياتاً فى هذه القصيدة وهى :

وهاجت دون قتل بنى لؤى   جذيمة إن قتلهم شفاء
وحلف الحارث بن أبى ضرار   وحلف قريظة فينا سواء
أولئك معشر ألبوا علينا   ففى أظفارنا منهم دماء
ستبصر كيف نفعل بابنحرب   بمولاك الذين هم الرداء

فصل : وذكر شعر أنس بن زنيم الديلى وفيه : ☆ وأكسى لبرد الخال قبل ابتذاله ☆

الخال : من برود اليمن وهو منرفيع الثياب ، واحسبه سمي بالخال الذى بمعني الخيلاء كما قال زيد بن عمرو بن نفيل : البر أبغي لا الخال ، وفيه :

تعلم رســـول الله أنك مدركى　　وأن وعيداً منك كالأخذ باليد

وهذا البيت سقط من رواية أبى جعفر بن الورد ، كذا ألفيته فى حاشية كتاب الشيخ ، رحمه الله ، ومعناه من أحسن المعانى . ينظر إلى قول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى　　وإن خلت أن المنتأى عنك واسع

خطاطيف حجن فى جبال متينة　　تمد بهـــا أيد إليك نوازع

فالقسيم الأول كالبيت الأول من قول النابغة ، والقسيم الثانى كالبيت الثانى ، لكنه أطبع منه ، وأوجز . وقول النابغة كالليل ؛ فيه من حسن التشبيه ماليس فى قولى الديلى ، إلا أنه يسمج مثل هذا التشبيه فى النبى صلى الله عليه وسلم ، لأنه نور وهدى ، فلا يشبه بالليل ، وإنما حسن فى قول النابغة أن يقول كالليل ، ولم يقل كالصبح ، لأن الليل ترهب غوائله ، ويحذر من إدراكه ما لا يحذر من النهار ، وقد أخذ بعض الأندلسيين هذا المعنى ، فقال فى هربه من ابن عباد :

كأن بلاد الله وهى عريضة　　تشد بأقصاها على الأناملا

فأين مفر المرء عنـــك بنفسه　　إذا كان يطوى فى يديك المراحلا

وهذا كله معنى منتزع من القدماء . روى الطبرى أن « منو شهر بن إيرج بن أفريدون بن أثفيان» وهو الذى بعث موسى عليه السلام فى زمانه أعنى زمان منوشهر قال حين عقد التاج على رأسه فى خطبة له طويلة : « أيها الناس إن الخلق للخالق ، وإن الشكر للمنعم ، وإن التسليم للقادر ، وإنه لا أضعف من مخلوق طالباً أو مطلوباً ، ولا أقوى من طالب طلبته فى يده ، ولا أعجز من مطلوب هو فى يد طالبه .

وأنشد لبجير بن زهير :

نفى أهل الحبلق كل فـــج　　مزينة غـــدوة وبنو خفاف

الحبلق : أرض يسكنها قبائل من مزينة ، وقيس ، والحبلق : الغنم الصغار ، ولعله أراد بقوله : أهل الحبلق أصحاب الغنم ، وبنو عثمان هم مزينة وهم بنو عثمان بن لاطم بن أد بن طابخة ، ومزينة أمهم بنت كلب بن وبرة بن تغلب ابن حلوان بن الحاف بن قضاعة ، وأختها : الحوأب التى عرف بها ماء الحوأب المذكور فى حديث عائشة ، وأصل الحوأب فى اللغة القدح الضخم الواسع ، وبنو خفاف : بطن من سليم ، وقوله :

ضربناهم بمكة يوم فتح النـــبى الخير بالبيض الخفاف

فى البيت مداخلة وهو انتهاء القسيم الأول فى بعض كلمة من القسيم الثانى ، وهو عيب عندهم إلا فى الخفيف والهزج ، ومعنى الخير أى ذو الخير ، ويجوز أن يريد الخير فخفف ، كما يقال هين وهين . وفى التنزيل : «خيرات حسان» .

وقوله : كما انصاع الفواق من الرصاف ، أى : ذهب ، والرصاف : عصبة تلوى على فوق السهم ، وأراد بالفواق الفوق ، وهو غريب .

وذكر صاحب العين فى الفواق صوت الصدر ، وهو بالهمز فى قول ابن الأعرابى ، لأنه من ذوات الواو .

عباس بن مرادس احد الذين حرموا الخمر فى الجاهلية : وذكر عباس بن مرداس ، ويكنى أبا الفضل ، وقيل : أبا الهيثم ، ومن ذريته عبد الملك بن حبيب فقيه الأندلس ، ونسبه : عباس بن مرداس بن أبى عامر بن جارية بن عبد ابن عباس بن رفاعة بن الحارث بن بهثة بن سليم السلمى كان أبوه حاجباً لحرب بن أمية ، وقتلتهما الجن فى خبر مشهور وعباس ممن حرم على نفسه الخمر فى الجاهلية ، وحرمها أيضاً على نفسه قبل الإسلام أبو بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف

وقيس بن عاصم ، وقبل هؤلاء حرمها على نفسه عبد المطلب بن هاشم وورقة بن نوفل وعبد الله بن جدعان وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة ، ومن قدماء الجاهلية عامر بن الظرب العدوانى .

وذكر فى سبب إسلام عباس ما سمع من جوف الصنم الذى كان يعبده ، وهو ضمار بكسر الراء وهو مثل حذام ورقاش ، ولا يكون مثل هذا البناء إلا فى أسماء المؤنث ، وكانوا يجعلون آلهتهم إناثاً كاللات والعزى ومناة ، لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة أنها بنات . وفى ضمار لغة أهل الحجاز ، وبنى تميم البناء على الكسر لا غير من أجل أن آخره راء ، وما لم يكن فى آخره راء كحذام ورقاش ، فهو مبنى فى لغه أهل الحجاز ومعرب غير مجرى(١) فى لغة غيرهم ، كذلك قال سيبويه .

وذكر ابن أبى الدنيا فى سبب إسلام عباس حديثاً أسنده عن رجاله عن الزهرى عن عبد الرحمن بن أنس السلمانى عن عباس بن مرداس أنه كان فى لقاح له نصف النهار ، فاطلعت عليه نعامة بيضاء عليها راكب عليه ثياب بياض فقال لى : ياعباس ألم تر أن السماء كفت أحراسها ، وأن الحرب جرعت أنفاسها ، وأن الخيل وضعت أحلاسها ، وأن الذى نزل عليه البر والتقى يوم الإثنين ليلة الثلاثاء صاحب الناقة القصواء . قال : فخرجت مرعوباً قد راعنى ما رأيت ، وسعيت ، حتى جئت وثناً لى ، يقال له الضمار كنا نعبده ، ونكلم من جوفه ، فكنست ما حوله . ثم تمسحت به ، فإذا صائح يصيح من جوفه :

قل للقبائل من قريش كلها   هلك الضمار وفاز أهل المسجد

هلك الضمار وكان يعبد مدة   قبل الصلاة على النبى محمد

إن الذى ورث النبوة والهدى   بعد ابن مريم من قريش مهتدى

قال فخرجت مذعوراً حتى جئت قومى ، فقصصت عليهم القصة ، وأخبرتهم الخبر فخرجت فى ثلاثمائة من قومى من بنى جارية إلى النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، فدخلنا المسجد ، فلما رآنى النبى صلى الله عليه وسلم تبسم ، وقال : إلى ياعباس ، كيف إسلامك ؟ فقصصت عليه القصة ، فقال : صدقت ، فأسلمت أنا وقومى .

شرح شعر جعدة : فصل وذكر فى شعر جعدة الخزاعى غزال ، وهو اسم طريق غير مصروف ، وقال كثير فى قصيدته المشهورة يذكر غزال :

أناديك ماحج الحجيج وكبرت   بفيفا غزال رفقة وأهلت

وكذلك لفت اسم موضع ، وفى لفت يقول معقل بن خويلد :

لعمرك ما خشيت وقد بلغنا   جبال الجوز من بلد تهام

نزيعاً محلباً من أهل لفت   لحى بين أثلة والنجام

وقد تقدم هذا البيت الأخير فى باب الهجرة .

سرية خالد الى بنى جذيمة : وذكر سرية خالد إلى بنى جذيمة ، وتعرف بغزوة الغميط ، وهو اسم ماء لبنى جذيمة .

وذكر شعر امرأة ، اسمها : سلمى ، وفيه :

ومرة حتى يتركوا البرك ضابحا

البرك : جماعة الإبل وماصع : جالد وقاتل ، وضابحاً من الضبح ، وهو نفس الخيل والإبل إذا عييت ، وفى التنزيل « والعاديات ضبحاً » وفى الخبر : من سمع ضبحة بليل ، فلا يخرج مخافة أن يصيبه شر . قال الراجز :

---

(١) غير المجرى : الممنوع من الصرف.

غزوة حنين فى سنة ثمان بعد الفتح

قال ابن إسحاق : ولما سمعت هوازن برسول الله صلى الله عليه وسلم وما فتح الله عليه من مكة ، جمعها مالك بن عوف النصرى ، فاجتمع إليه مع هوازن ثقيف كلها ، واجتمعت نصر وجشم كلها ، وسعد بن بكر ، وناس من بنى هلال ، وهم قليل ، ولم يشهدها من قيس عيلان إلا هؤلاء ، وغاب عنها فلم يحضرها من هوازن : كعب ولا كلاب . ولم يشهدها منهم أحد له اسم ، وفى بنى جشم دريد بن الصمة شيخ كبير ليس فيه شيء إلا التيمن برأيه ومعرفته بالحرب ،

نحن نطحناهم غداة الجمعين
بالضابحات فى غبار النقعين
نطحاً شديداً لا كنطح الطورين

والضبح والضبى مصدر ضبحت وضبيت أى شوبت وقليت ، قاله أبو حنيفة . قال : والمضابى والمضابح هو المقالى .

تبرأ النبى (ص) من فعل خالد : وذكر تبرأ النبى — صلى الله عليه وسلم — مما فعل خالد ، وهذا نحو ما روى عن عمر حين قال لأبى بكر الصديق رضى الله عنهما : إن فى سيف خالد رهقاً . إن فى سيف خالد رهقاً فاقتله ، وذلك حين قتل مالك بن نويرة ، وجعل رأسه تحت قدر حتى طبخ به [كذا] وكان مالك ارتد ، ثم راجع الإسلام ، ولم يظهر ذلك لخالد ، وشهد عنده رجلان من الصحابة برجوعه إلى الإسلام فلم يقبلهما ، وتزوج امرأته ، فلذلك قال عمر لأبى بكر: اقتله ، فقال : لا أفعل لأنه متأول ، فقال : اعزله ، فقال لا أغمد سيفاً سله الله على المشركين ، ولا أعزل والياً ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وذكر قول الرجل للمرأة : اسلمى حبيش على نفد العيش . النفد مصدر نفد إذا فنى ، وهو النفاد ، وحبيش مرخم من حبيشة .

شعر ابى حدرد : وحلية والخوانق : موضعان ، والودائق : جمع وديقة ، وهو شدة الحر فى الظهيرة ، سميت بذلك من الودق ، لأن فى ذلك الوقت يسيل لعاب الشمس ، وهو تراه العين كالسراب ونحوه ، وقال الراجز :

وقام ميزان النهار ، فاعتدل وسال للشمس لعاب فنزل

وقال الأحول : يقال : ودق إذا دنا من الأرض ، ويقال : هو وادق السرة إذا كانت مائلة إلى جهة الأرض وأنشد :

وادقاً سراتها

فعلى هذا تكون الوديقه من ودقت الشمس إذا دنت من الأفق ، فاشتد حرها ، والله أعلم .

وقوله : فنهمه خالد ، أى : زجره ، وبجهه ، وروى النسائى فى قصة المرأة التى ماتت مكبة على الرجل المقتول قال: حدثنا محمد بن على بن حرب عن على بن الحسين بن واقد عن أبيه عن يزيد النحوى عن عكرمة عن ابن عباس أن النبى صلى الله عليه وسلم بعث سرية ، قال : فغنموا وفيهم رجل فقال لهم : إنى لست منهم ، عشقت امرأة فلحقتها ، فدعونى أنظر إليها نظرة ، ثم اصنعوا بى ما بدا لكم ، قال : فإذا امرأة طويلة أدماء ، فقال لها : اسلمى حبيش قبل نفد العيش ، وذكر البيتين الأولين من القطعة القافية أول هذا الخبر ناقصى الوزن ، وبعدهما قالت : نعم فديتك، فقدموه فضربوا عنقه ، فجاءت المرأة فوقفت عليه فشهقت شهقة أو شهقتين ، ثم ماتت ، فلما قدموا على النبى صلى الله عليه وسلم أخبروه الخبر ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أما كان فيكم رجل رحيم . النسوى فى باب قتل الأسارى من مصنفه .

وكان شيخاً مجرباً ، وفى ثقيف سيدان لهم . فى الأحلاف : قارب بن الأسود بن مسعود بن معتب ، وفى بنى مالك : ذو الخمار سبيع بن الحارث بن مالك ، وأخوه أحمر بن الحارث ، وجماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى . فلما أجمع السير إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حط مع الناس أموالهم ونساءهم وأبناءهم ، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس ، وفيهم دريد بن الصمة فى شجار له يقاد به ، فلما نزل قال : بأى واد أنتم ؟ قالوا : بأوطاس ، قال : نعم مجال الخيل ! لا حزن ضرس ، ولا سهل دهس ، مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟! قالوا : ساق مالك بن عوف مع الناس أموالهم ونساءهم . قال : أين مالك ؟ قيل : هذا مالك ودعى له ، فقال : يامالك ، إنك قد أصبحت رئيس قومك ، وإن هذا يوم كائن له ما بعده من الأيام . مالى أسمع رغاء البعير ، ونهاق الحمير ، وبكاء الصغير ، ويعار الشاء ؟ قال : سقت مع الناس أموالهم وأبناءهم ونساءهم ، قال : ولم ذاك ؟ قال : أردت أن أجعل خلف كل رجل منهم أهله وماله ، ليقاتل عنهم ، قال : فأنقض به ، ثم قال : راعى ضأن والله ! وهل يرد المنهزم شىء ؟ إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه ورمحه ، وإن كانت عليك فضحت فى أهلك ومالك ، ثم قال : ما فعلت كعب وكلاب ؟ قالوا : لم يشهدها منهم أحد ، قال : غاب الحد والجد ، ولو كان يوم علاء ورفعة لم تغب عنه كعب ولا كلاب ، ولوددت أنكم فعلتم ما فعلت كعب وكلاب ، فمن شهدها منكم ؟ قالوا : عمرو بن عامر ، وعوف ابن عامر ، قال : ذانك الجذعان من عامر لا ينفعان ولا يضران ، يامالك ، إنك لم تصنع بتقديم البيضة بيضة هوازن إلى نحور الخيل شيئاً ، ارفعهم إلى متمنع بلادهم وعليا قومهم ، ثم الق الصباء على متون الخيل ، فإن كانت لك لحق بك من وراءك ، وإن كانت عليك ألفاك ذلك قد أحرزت أهلك ومالك : قال والله لا أفعل ذلك ، إنك قد كبرت وكبر عقلك . والله لتطيعننى يا معشر هوازن أو لأتكئن على هذا السيف حتى يخرج من ظهرى . وكره أن يكون لدريد ابن الصمة فيها ذكر أى رأى ؛ فقالوا : أطعناك ؛ فقال دريد بن الصمة : هذا يوم لم أشهده ولم يفتنى :

ياليتنى فيها جذع أخب فيها وأضع
أقود وطفاء الزمع كأنها شاة صدع

قال ابن هشام : أنشدنى غير واحد من أهل العلم بالشعر قوله :

« ياليتنى فيها جذع »

قال ابن إسحاق : ثم قال مالك للناس : إذا رأيتموهم فاكسروا جفون سيوفكم ، ثم شدوا شدة رجل واحد .

قال . وحدثنى أمية بن عبد الله بن عثمان أنه حدث : أن مالك بن عوف بعث عيوناً من رجاله ، فأتوه وقد تفرقت أوصالهم ، فقال : ويلكم ! ما شأنكم ؟ فقالوا : رأينا رجالا بيضاً على خيل بلق . فوالله ما تماسكنا أن أصابنا ماترى ، فوالله مارده عن وجهه أن مضى على مايريد .

قال ابن إسحاق : ولما سمع بهم نبى الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم عبد الله بن أبى حدرد الأسلمى ، وأمره أن يدخل فى الناس ، فيقيم فيهم حتى يعلم علمهم ، ثم يأتيه بخبرهم . فانطلق ابن أبى حدرد فدخل فيهم فأقام فيهم ، حتى سمع وعلم ما قد أجمعوا له من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسمع من مالك وأمر هوازن ماهم عليه . ثم أقبل حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره الخبر فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب ، فأخبره الخبر فقال عمر : كذب ابن أبى حدرد ؛ فقال ابن أبى حدرد : إن كذبتنى فربما كذبت بالحق ياعمر ، فقد كذبت من هو خير منى . فقال عمر : يارسول الله ، ألا تسمع ما يقول ابن أبى حدرد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قد كنت ضالا فهداك الله ياعمر .

استعارة أدراع صفوان : فلما أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى هوازن ليلقاهم ، ذكر له أن عند صفوان ابن أمية أدراعاً له وسلاحاً ، فأرسل إليه وهو يومئذ مشرك ، فقال : يا أبا أمية ، أعرنا سلاحك هذا نلق فيه عدونا غداً ؛ فقال صفوان : أغصباً يا محمد ؟ قال : بل عارية ومضمونة حتى نؤديها إليك ؛ قال : ليس بهذا بأس فأعطاه مائة درع بما يكفيها من السلاح ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سأله أن يكفيهم حملها ، ففعل .

قال : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ألفان من أهل مكة مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه ، ففتح الله بهم مكة ، فكانوا اثنى عشر ألفاً ، واستعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد بن أبى العيص بن أمية بن عبد شمس على مكة ، أميراً على من تخلف عنه من الناس ، ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على وجهه يريد لقاء هوازن .

قصيدة ابن مرداس : فقال عباس بن مرداس السلمى .

أصابت العام رعلا غول قومهم ... وسط البيوت ولون الغول ألوان

يا لهف أم كلاب إذ تبيتهم ... خيل ابن هوذة لا تنهى وإنسان

لا تلفظوها وشدوا عقد ذمتكم ... أن ابن عمكم سعد ودهمان

لن ترجعوها وإن كانت مجللة ... مادام فى النعم المأخوذ ألبان

شنعاء جلل من سوآتها حضن ... وسال ذو شوغر منها وسلوان

ليست بأطيب مما يشتوى حذف ... إذ قال : كل شواء العير جوفان

وفى هوازن قوم غير أن بهم ... داء اليمانى فإن لم يغدروا خانوا

فيهم أخ لو وفوا أو بر عهدهم ... ولو نهكناهم بالطعن قد لانوا

أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها ... منى رسالة نصح فيه تبيان

أنى أظن رسول الله صابحكم ... جيشاً له فى فضاء الأرض أركان

فيهم أخوكم سليم غير تارككم ... والمسلمون عباد الله غسان

وفى عضادته اليمنى بنو أسد ... والأجربان بنو عبس وذبيان

تكاد ترجف منه الأرض رهبته ... وفى مقدمه أوس وعثمان

قال ابن إسحاق : أوس وعثمان : قبيلا مزينة .

قال ابن هشام : من قوله : « أبلغ هوازن أعلاها وأسفلها » إلى آخرها ، فى هذا اليوم ، وما قبل ذلك فى غير هذا اليوم ، وهما مفصولتان ، ولكن ابن إسحاق جعلهما واحدة .

ذات أنواط : قال ابن إسحاق : وحدثنى ابن شهاب الزهرى ، عن سنان بن أبى سنان الدؤلى ، عن أبى واقد الليثى أن الحارث بن مالك ، قال : خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية ، قال فسرنا معه إلى حنين ، قال : وكانت كفار قريش ومن سواهم من العرب لهم شجرة عظيمة خضراء ، يقال لها ذات أنواط ، يأتونها كل سنة ، فيعلقون أسلحتهم عليها ، ويذبحون عندها ، ويعكفون عليها يوماً . قال : فرأينا ونحن نسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سدرة خضراء عظيمة ، قال : فتنادينا من جنبات الطريق : يارسول الله ، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله أكبر ، قلتم — والذى نفس محمد بيده — كما قال قوم موسى لموسى : « اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ، قال إنكم قوم تجهلون » ، إنها السنن ، لتركبن سنن من كان قبلكم .

ثبات الرسول وبعض الصحابة : قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر ابن عبد الله ، قال : لما استقبلنا وادي حنين انحدرنا في واد من أودية تهامة أجوف حطوط ، إنما ننحدر فيه انحداراً ، قال : وفي عماية الصبح ، وكان القوم قد سبقونا إلى الوادي ، فكمنوا لنا في شعابه وأحنائه ، وقد أجمعوا وتهيئوا وأعدوا ، فوالله ما راعنا ونحن منحطون إلا الكتائب قد شدوا علينا شدة رجل واحد ، وانشمر الناس راجعين لايلوي أحد على أحد .

وانحاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات اليمين ، ثم قال : أين أيها الناس ؟ هلموا إلي أنا رسول الله ، أنا محمد ابن عبد الله ، قال : فلا شيء ، حملت الإبل بعضها على بعض ، فانطلق الناس ، إلا أنه قد بقي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من المهاجرين والأنصار وأهل بيته .

وفيمن ثبت معه من المهاجرين أبو بكر وعمر ، ومن أهل بيته علي بن أبي طالب والعباس بن عبد المطلب ، وأبو سفيان بن الحارث ، وابنه ، والفضل بن العباس ، وربيعة بن الحارث ، وأسامة بن زيد ، وأيمن بن عبيد ، قتل يومئذ .

قال ابن هشام : اسم ابن أبي سفيان بن الحارث : جعفر ، واسم أبي سفيان : المغيرة ، وبعض الناس يعد فيهم قثم ابن العباس ، ولا يعد ابن أبي سفيان .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر ، عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : ورجل من هوازن على جمل له أحمر ، بيده راية سوداء في رأس رمح له طويل ، أمام هوازن ، وهوازن خلفه ، إذا أدرك طعن برمحه ، وإذا فاته الناس رفع رمحه لمن وراءه فاتبعوه .

قال ابن إسحاق : فلما انهزم الناس ورأى من كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من جفاة أهل مكة الهزيمة ، تكلم رجال منهم بما في نفسهم من الضغن ، فقال أبو سفيان بن حرب : لا تنتهي هزيمتهم دون البحر ، وإن الأزلام لمعه في كنانته . وصرخ جبلة بن الحنبل ـ قال ابن هشام : كلدة بن الحنبل ـ وهو مع أخيه صفوان بن أمية مشرك في المدة التي جعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ ألا بطل السحر اليوم ؟ فقال له صفوان : اسكت فض الله فاك ، فوالله لأن يربني رجل من قريش أحب إلي من أن يربني رجل من هوازن .

حسان يهجو كلدة : قال ابن هشام : وقال حسان بن ثابت يهجو كلدة :

رأيت سواداً من بعيد فراعني ... أبو حنبل ينزو على أم حنبل
كأن الذي ينزو به فوق بطنها ... ذراع قلوص من نتاج ابن عزهل

أنشدنا أبو زيد هذين البيتين ، وذكر لنا أنه هجا بهما صفوان بن أمية وكان أخا كلدة لأمه .

شيبة بن أبي طلحة يحاول قتل الرسول (ص) : قال ابن إسحاق : وقال شيبة بن عثمان بن أبي طلحة ، أخو بني عبد الدار . قلت : اليوم أدرك ثأري من محمد ، وكان أبوه قتل يوم أحد ، اليوم أقتل محمداً . قال : فأدرت برسول الله لأقتله ، فأقبل شيء حتى تغشى فؤادي ، فلم أطق ذاك ، وعلمت أنه ممنوع مني .

قال ابن إسحاق : وحدثني بعض أهل مكة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين فصل من مكة إلى حنين ، ورأى كثرة من معه من جنود الله : لن نغلب اليوم من قلة .

قال ابن إسحاق : وزعم بعض الناس أن رجلا من بني بكر قالها .

النصر : قال ابن إسحاق : وحدثني الزهري ، عن كثير بن العباس ، عن أبيه العباس بن عبد المطلب ، قال : إني لمع رسول الله صلى الله عليه وسلم آخذ بحكمة بغلته البيضاء قد شجرتها بها ، قال : وكنت امرأً جسيماً شديد الصوت ، قال : ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول حين رأى ما رأى من الناس : أين أيها الناس ؟ فلم أر الناس يلوون على شيء ، فقال : ياعباس ، اصرخ ، يامعشر الأنصار ، يامعشر أصحاب السمرة ، قال : فأجابوا : لبيك ، لبيك . فقال: فيذهب الرجل ليثني بعيره ، فلا يقدر على ذلك ، فيأخذ درعه ، فيقذفها في عنقه ؛ ويأخذ سيفه وترسه ، ويقتحم عن بعيره ويخلي سبيله ، فيؤم الصوت ، حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . حتى إذا اجتمع إليه منهم مائة ، استقبلوا الناس ، فاقتتلوا ، وكانت الدعوى أول ما كانت : يا للأنصار . ثم خلصت أخيراً : يا للخزرج . وكانوا صبراً عند الحرب ، فأشرف رسول الله صلى الله عليه وسلم في ركائبه فنظر إلى مجتلد القوم وهم يجتلدون ، فقال : الآن حمي الوطيس .

قال ابن إسحاق : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن عبد الرحمن بن جابر عن أبيه جابر بن عبد الله ، قال : بينا ذلك الرجل من هوازن صاحب الراية على جمله يصنع ما يصنع ، إذ هوى له علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ورجل من الأنصار يريدانه ، قال : فيأتيه علي بن أبي طالب من خلفه ، فضرب عرقوبي الجمل ، فوقع على عجزه ، ووثب الأنصاري على الرجل ، فضربه ضربة أطن قدمه بنصف ساقه ، فانجعف عن رحله : قال : واجتلد الناس ، فوالله ما رجعت راجعة الناس من هزيمتهم حتى وجدوا الأسارى مكتفين عند رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : والتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان ممن صبر يومئذ مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان حسن الإسلام حين أسلم ، وهو آخذ بثفر بغلته ، فقال من هذا ؟ قال : أنا ابن أمك يارسول الله .

أم سليم في المعركة : قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم التفت ، فرأى أم سليم بنت ملحان ، وكانت مع زوجها أبي طلحة وهي حازمة وسطها ببرد لها ، وإنها لحامل بعبد الله بن أبي طلحة ، ومعها جمل أبي طلحة ، وقد خشيت أن يعزها الجمل ، فأدنت رأسه منها ، فأدخلت يدها في خزامته مع الخطام . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أم سليم ؟ قلت نعم ، بأبي أنت وأمي يارسول الله ، اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك كما تقتل الذين يقاتلونك ، فإنهم لذلك أهل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أو يكفي الله ياأم سليم ؟ قال : ومعها خنجر ، فقال لها أبو طلحة ما هذا الخنجر معك ياأم سليم ؟ قالت : خنجر أخذته ، إن دنا مني أحد من المشركين بعجته به . قال : يقول أبو طلحة : ألا تسمع يارسول ماتقول أم سليم الرميصاء .

قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين وجه إلى حنين ، قد ضم بني سليم الضحاك بن سفيان الكلابي ، فكانوا إليه ومعه ، ولما انهزم الناس قال مالك بن عوف يرتجز بفرسه :

أقدم محاج إنه يوم نكر ... مثلي على مثلك يحمي ويكر
إذا أضيع الصف يوماً والدبر ... ثم احزألت زمر بعد زمر
كتائب يكل فيهن البصر ... قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر
حين يذم المستكين المنجحر ... وأطعن النجلاء تعوى وتسهر
لها في الجوف رشاش منهمر ... تفهق تارات وحيناً تنفجر

وأعلب العامل فيها منكسر   يازيد يابن همهم أين تفر
قد نفد الضرس وقد طال العمر   قد علم البيض الطويلات الخمر
أنى فى أمثالها غير غمر   إذ تخرج الحاصن من تحت الستر

وقال مالك بن عوف أيضاً :

أقدم محاج إنها الأساوره   ولا تغرنك رجل نادره

قال ابن هشام : وهذان البيتان لغير مالك بن عوف فى غير هذا اليوم .

من قتل قتيلا فله سلبه : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، أنه حدث عن أبى قتادة الأنصارى قال : وحدثنى من لا أتهم من أصحابنا ، عن نافع مولى بنى غفار أبى محمد عن أبى قتادة ، قالا : قال أبو قتادة : رأيت يوم حنين رجلين يقتتلان : مسلماً ومشركا ، قال : وإذا رجل من المشركين يريد أن يعين صاحبه المشرك على المسلم . قال : فأتيته فضربت يده فقطعتها ، واعتنقنى بيده الأخرى . فوالله ما أرسلنى حتى وجدت ريح الدم - ويروى : ريح الموت فيما قال ابن هشام . وكاد يقتلنى ، فلولا أن الدم نزفه لقتلنى ، فسقط فضربته فقتلته ، وأجهضنى عنه القتال ، ومر به رجل من أهل مكة فسلبه ، فلما وضعت الحرب أوزارها وفرغنا من القوم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من قتل قتيلا فله سلبه ، فقلت يارسول الله : والله لقد قتلت قتيلا ذا سلب ، فأجهضنى عنه القتال ، فما أدرى من استلبه ؟ فقال رجل من أهل مكة : صدق يارسول الله ، وسلب ذلك القتيل عندى ، فأرضه عنى من سلبه ، فقال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : لا والله لا يرضيه منه ، تعمد إلى أسد من أسد الله ، يقاتل عن دين الله ، تقاسمه سلبه !؟ اردد عليه سلب قتيله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق فاردد عليه سلبه ، فقال أبو قتادة : فأخذته منه ، فبعته ، فاشتريت بثمنه مخرفاً ، فإنه أول مال اعتقدته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن أبى سلمة ، عن إسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة ، عن أنس بن مالك ، قال : لقد استلب أبو طلحة يوم حنين وحده عشرين رجلا .

الملائكة تحضر القتال : قال ابن إسحاق : وحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، أنه حدث عن جبير بن مطعم ، قال : لقد رأيت -قبل هزيمة القوم ، والناس يقتتلون- مثل البجاد الأسود ، أقبل من السماء حتى سقط بيننا وبين القوم ، فنظرت ، فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادى ، لم أشك أنها الملائكة ، ثم لم يكن إلا هزيمة القوم .

قال ابن إسحاق : ولما هزم الله المشركين من أهل حنين ، وأمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم ، قالت امرأة من المسلمين :

قد غلبت خيل الله خيل اللات   والله أحق بالثبات

قال ابن هشام : أنشدنى بعض أهل العلم بالرواية للشعر :

غلبت خيل الله خيل اللات   وخيله أحق بالثبات

قال ابن إسحاق : فلما انهزمت هوازن استحر القتل من ثقيف فى بنى مالك . فقتل منهم سبعون رجلا تحت رايتهم فيهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حبيب ، وكانت رايتهم مع ذى الخمار فلما قتل أخذها عثمان بن عبد الله فقاتل بها حتى قتل .

قال ابن إسحاق : وأخبرنى عامر بن وهب بن الأسود ، قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قتله ، قال أبعده الله ! فإنه كان يبغض قريشاً .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أنه قتل مع عثمان بن عبد الله غلام له نصرانى أغرل قال : فبينا رجل من الأنصار يسلب قتلى ثقيف ، إذ كشف العبد يسلبه ، فوجده أغرل . قال : فصاح بأعلى صوته : يامعشر العرب : يعلم الله أن ثقيفاً غرل . قال المغيرة بن شعبة : فأخذت بيده ، وخشيت أن تذهب عنا فى العرب ؛ لاتقل ذاك ، فداك أبى وأمى ، إنما هو غلام لنا نصرانى ، قال : ثم جعلت أكشف له عن القتلى ، وأقول له : ألا تراهم مختتنين كما ترى .

قال ابن إسحاق : وكانت راية الأحلاف مع قارب بن الأسود ، فلما انهزم الناس أسند رايته إلى شجرة وهرب هو وبنو عمه وقومه من الأحلاف ، فلم يقتل من الأحلاف غير رجلين : رجل من غيرة ، يقال له وهب ، وآخر من بنى كبة ، يقال له الجلاح ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه قتل الجلاح : قتل اليوم سيد شباب ثقيف إلا ما كان من ابن هنيدة ، يعنى بابن هنيدة الحارث بن أويس .

فقال عباس بن مرداس السلمى يذكر قارب بن الأسود وفراره من بنى أبيه ، وذا الخمار وحبسه قومه للموت :

ألا من مبلغ غيلان عنى ... وسوف - إخال - يأتيه الخبير
وعروة إنما أهدى جواباً ... وقولا غير قولكما يسير
بأن محمداً عبد رسول ... لرب لايضل ولا يجور
وجدناه نبياً مثل موسى ... فكل فتى يخايره مخير
وبئس الأمر أمر بنى قسى ... بوج إذ تقسمت الأمور
أضاعوا أمرهم ولكل قوم ... أمير والدوائر قد تدور
فجئنا أسد غابات إليهم ... جنود الله ضاحية تسير
يؤم الجمع جمع بنى قسى ... على حنق نكاد له نطير
وأقسم لو هم مكثوا لسرنا ... إليهم بالجنود ولم يغوروا
فكنا أسد لية ثم حتى ... أبحناها وأسلمت النصور
ويوم كان قبل لدى حنين ... فأقلع والدماء به تمور
من الأيام لم تسمع كيوم ... ولم يسمع به قوم ذكور
قتلنا فى الغبار بنى حطيط ... على راياتها والخيل زور
ولم يك ذو الخمار رئيس قوم ... لهم عقل يعاقب أو مكير
أقام بهم على سنن المنايا ... وقد بانت لمبصرها الأمور
فأفلت من نجا منهم جريضاً ... وقتل منهم بشر كثير
ولا يغنى الأمور أخو التوانى ... ولا الغلق الصريرة الحصور
أحانهم وحان وملكوه ... أمورهم وأفلتت الصقور
بنو عوف تميح بهم جياد ... أهين لها الفصافص والشعير
فلولا قارب وبنو أبيه ... تقسمت المزارع والقصور
ولكن الرياسة عمموها ... على يمن أشار به المشير
أطاعوا قارباً ولهم جدود ... وأحلام إلى عز تصير

فإن يهدوا إلى الإسلام يلفوا ... أنوف الناس ما سمر السمير
وإن لم يسلموا فهم أذان ... بحرب الله ليس لهم نصير
كما حكت بنى سعد وحرب ... برهط بنى غزية عنقفير
كأن بنى معاوية بن بكر ... إلى الإسلام ضائنة تخور
فقلنا أسلموا إنا أخوكم ... وقد برأت من الإحن الصدور
كأن القوم إذ جاءوا إلينا ... من البغضاء بعد السلم عور

قال ابن هشام : غيلان : غيلان بن سلمة الثقفى ، وعروة : عروة بن مسعود الثقفى .

مقتل دريد : قال ابن إسحاق: ولما انهزم المشركون ، أتوا الطائف ومعهم مالك بن عوف وعسكر بعضهم بأوطاس ، وتوجه بعضهم نحو نخلة ، ولم يكن فيمن توجه نحو نخلة إلا بنو غيرة من ثقيف ، وتبعت خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلك فى نخلة من الناس ، ولم تتبع من سلك الثنايا .

فأدرك ربيعة بن رفيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة بن يربوع بن سمان بن عوف بن امرىء القيس ، وكان يقال له ابن الدغنة وهى أمه ، فغلبت على اسمه ، ويقال ابن لذعة فيما قال ابن هشام ـ دريد بن الصمة ، ، فأخذ بخطام جمله وهو يظن أنه امرأة ، وذلك أنه فى شجار له ، فإذا برجل ، فأناخ به ، فإذا شيخ كبير ، وإذا هو دريد بن الصمة ولا يعرفه الغلام ، فقال له دريد : ماذا تريد بى ؟ قال : أقتلك . قال : ومن أنت ؟ قال أنا ربيعة بن رفيع السلمى ، ثم ضربه بسيفه ، فلم يغن شيئاً ، فقال : بئس ما سلحتك أمك ! خذ سيفى هذا من مؤخر الرحل ، وكان الرحل فى الشجار ، ثم اضرب به وارفع عن العظام ، واخفض عن الدماغ ، فإنى كنت كذلك أضرب الرجال ، ثم إذا أتيت أمك فأخبرها أنك قتلت دريد بن الصمة ، فرب والله يوم قد منعت فيه نساءك . فزعم بنو سليم أن ربيعة لما ضربه فوقع تكشف ، فإذا عجانه وبطون فخذيه مثل القرطاس ، من ركوب الخيل أعراء ؛ فلما رجع ربيعة إلى أمه أخبرها بقتله إياه ، فقالت : أما والله لقد أعتق أمهات لك ثلاثاً .

فقالت عمرة بنت دريد فى قتل ربيعة دريداً :

لعمرك ماخشيت على دريد ... ببطن سميرة جيش العناق
جزى عنه الإله بنى سليم ... وعقتهم بما فعلوا عقاق
وأسقانا إذا قدنا إليهم ... دماء خيارهم عند التلاقى
فرب عظيمة دافعت عنهم ... وقد بلغت نفوسهم التراقى
ورب كريمة أعتقت منهم ... وأخرى قد فككت من الوثاق
ورب منوه بك من سليم ... أجبت وقد دعاك بلا رماق
فكان جزاؤنا منهم عقوقاً ... وهما ماع منه مخ ساقى
عفت آثار خيلك بعد أين ... بذى بقر إلى فيف النهاق

وقالت عمرة بنت دريد أيضاً :

قالوا قتلنا دريداً قلت قد صدقوا ... فظل دمعى على السربال ينحدر
لولا الذى قهر الأقوام كلهم ... رأت سليم وكعب كيف تأتمر
إذن لصبحهم غبا وظاهرة ... حيث استقرت نواهم جحفل ذفر

قال ابن هشام : ويقال اسم الذى قتل دريداً : عبد الله بن قنيع بن أهبان بن ثعلبة بن ربيعة .

استشهاد أبي عامر الأشعري : قال ابن إسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثار من توجه قبل أوطاس أبا عامر الأشعرى ، فأدرك من الناس بعض من انهزم ، فناوشوه القتال ، فرمى أبو عامر بسهم فقتل ؛ فأخذ الراية أبو موسى الأشعرى ، وهو ابن عمه ، فقاتلهم ، ففتح الله على يديه ، وهزمهم . فيزعمون أن سلمة بن دريد هو الذى رمى أبا عامر الأشعرى بسهم ، فأصاب ركبته ، فقتله ، فقال :

إن تسألوا عنى فإنى سلمه ابن سمادير لمن توسمه
أضرب بالسيف رءوس المسلمه

وسمادير : أمه .

واستحر القتل من بنى نصر فى بنى رئاب ، فزعموا أن عبد الله بن قيس ـ وهو الذى يقال له ابن العوراء ، وهو أحد بنى وهب بن رئاب ـ قال : يارسول الله ، هلكت بنو رئاب فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم أجبر مصيبتهم .

وخرج مالك بن عوف عند الهزيمة ، فوقف فى فوارس من قومه ، على ثنية من الطريق ، وقال لأصحابه : قفوا حتى تمضى ضعفاؤكم ، وتلحق أخراكم ، فوقف هناك حتى مضى من كان لحق بهم من منهزمة الناس ؛ فقال مالك بن عوف فى ذلك :

ولولا كرتان على محاج لضاق على العضاريط الطريق
ولولا كر دهمان بن نصر لدى النخلات مندفع الشديق
لآبت جعفر وبنو هلال خزايا محقبين على شقوق

قال ابن هشام : هذه الأبيات لمالك بن عوف فى غير هذا اليوم . ومما يدلك على ذلك قول دريد بن الصمة فى صدر هذا الحديث : ما فعلت كعب وكلاب ؟ فقالوا له : لم يشهدها منهم أحد . وجعفر : بن كلاب . وقال مالك بن عوف فى هذه الأبيات : « لآبت جعفر وبنو هلال » .

قال ابن هشام : وبلغنى أن خيلا طلعت ومالك وأصحابه على الثنية ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ فقالوا : نرى قوماً واضعى رماحهم بين آذان خيلهم ، طويلة بوادهم ؛ فقال : هؤلاء بنو سليم ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما أقبلوا سلكوا بطن الوادى . ثم طلعت خيل أخرى تتبعها ، فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى قوماً عارضى رماحهم ، أغفالا على خيلهم ؛ فقال : هؤلاء الأوس والخزرج ، ولا بأس عليكم منهم ، فلما انتهوا إلى أصل الثنية سلكوا طريق بنى حليم . ثم طلع فارس ؛ فقال لأصحابه : ماذا ترون ؟ قالوا : نرى فارساً طويل الباد ، واضعاً رمحه على عاتقه ، عاصباً رأسه بملاءة حمراء ، فقال هذا الزبير بن العوام وأحلف باللات ليخالطنكم ، فاثبتوا . فلما انتهى الزبير إلى أصل الثنية أبصر القوم ، فصمد لهم ، فلم يزل يطاعنهم حتى أزاحهم عنها .

قال ابن إسحاق : وقال سلمة بن دريد وهو يسوق بامرأته حتى أعجزهم :

نسيتنى ما كنت غير مصابة ولقد عرفت غداة نعف الأظرب
أنى منعتك والركوب محبب ومشيت خلفك مثل مشى الأنكب
إذ فر كل مهذب ذى لمة عن أمه وخليله لم يعقب

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم بالشعر ، وحديثه : أن أبا عامر الأشعرى لقى يوم أوطاس

عشرة إخوة من المشركين ، فحمل عليه أحدهم ، فحمل عليه أبو عامر وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم أشهد عليه ، فقتله أبو عامر ؛ ثم حمل عليه آخر ، فحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ، فقتله أبو عامر . ثم جعلوا يحملون عليه رجلا رجلا ، ويحمل أبو عامر وهو يقول ذلك ، حتى قتل تسعة ، وبقى العاشر ، فحمل على أبى عامر ، وحمل عليه أبو عامر ، وهو يدعوه إلى الإسلام ويقول : اللهم اشهد عليه ؛ فقال الرجل : اللهم لاتشهد على ، فكف عنه أبو عامر ، فأفلت ؛ ثم أسلم بعد فحسن إسلامه . فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا رآه قال : هذا شريد أبى عامر . ورمى أبا عامر أخوان : العلاء وأوفى ابنا الحارث ، من بنى جشم بن معاوية ، فأصاب أحدهما قلبه والآخر ركبته ، فقتلاه وولى الناس أبو موسى الأشعرى فحمل عليهما فقتلهما ، فقال رجل من بنى جشم بن معاوية يرثيهما :

إن الرزية قتل العلاء ... وأوفى جميعاً ولم يسندا
هما القاتلان أبا عامر ... وقد كان ذا هبة أربدا
هما تركاه لدى معرك ... كأن على عطفه مجسدا
فلم تر فى الناس مثليهما ... أقل عثاراً وأرمى يدا

النهى عن قتلهم : قال ابن إسحاق : وحدثنى بعض أصحابنا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر يومئذ بامرأة وقد قتلها خالد بن الوليد ، والناس متقصفون عليها ، فقال : ماهذا ؟ فقالوا : امرأة قتلها خالد بن الوليد ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لبعض من معه : أدرك خالداً ، فقل له : إن رسول الله ينهاك أن تقتل وليداً أو امرأة أو عسيفاً .

الشيماء اخت الرسول : قال ابن إسحاق ، وحدثنى بعض بنى سعد بن بكر : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يومئذ : إن قدرتم على بجاد ، رجل من بنى سعد بن بكر ، فلا يفلتنكم ، وكان قد أحدث حدثاً ، فلما ظفر به المسلمون ساقوه وأهله ، وساقوا معه الشيماء ، بنت الحارث بن عبد العزى أخت رسول الله صلى الله عليه وسلم من الرضاعة ، فعنفوا عليها فى السياق ، فقالت للمسلمين : تعلموا والله أنى لأخت صاحبكم من الرضاعة ، فلم يصدقوها حتى أتوا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى يزيد بن عبيد السعدى ، قال : فلما انتهى بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : يارسول الله ، إنى أختك من الرضاعة ، قال : وما علامة ذلك ، قالت : عضة عضضتنيها فى ظهرى وأنا متوركتك ، قال : فعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم العلامة ، فبسط لها رداءه ، فأجلسها عليه ، وخيرها ، وقال : إن أحببت فعندى محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعى إلى قومك فعلت ، فقالت : بل تمتعنى وتردنى إلى قومى ، فمتعها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وردها إلى قومها . فزعمت بنو سعد أنه أعطاها غلاماً له يقال له مكحول ، وجارية ، فزوجت أحدهما الأخرى ، فلم يزل فيهم من نسلهما بقية .

قال ابن هشام : وأنزل الله عز وجل فى يوم حنين : « لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » . . إلى قوله : « وذلك جزاء الكافرين » .

الشهداء يوم حنين : قال ابن إسحاق : وهذه تسمية من استشهد يوم حنين من المسلمين :

من قريش ثم من بنى هاشم : أيمن بن عبيد .

ومن بنى أسد بن عبدالعزى : يزيد بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، جمح به فرس له يقال له الجناح فقتل .

ومن الأنصار : سراقة بن الحارث بن عدى ، من بنى العجلان .

. . . .

ومن الأشعريين : أبو عامر الأشعري .

سبايا حنين وأموالها : ثم جمعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا حنين وأموالها ، وكان على المغانم مسعود ابن عمرو الغفاري ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسبايا والأموال إلى الجعرانة ، فحبست بها .

ما قيل من الشعر يوم حنين : وقال بجير بن زهير بن أبي سلمى في يوم حنين :

لولا الإله وعبده وليتم ... حين استخف الرعب كل جبان
بالجزع يوم حبا لنا أقراننا ... وسوابح يكبون للأذقان
من بين ساع ثوبه في كفه ... ومقطر بسنابك ولبان
والله أكرمنا وأظهر ديننا ... وأعزنا بعبادة الرحمن
والله أهلكهم وفرق جمعهم ... وأذلهم بعبادة الشيطان

قال ابن هشام ويروى فيها بعض الرواة :

إذ قام عم نبيكم ووليه ... يدعون : لكتيبة الإيمان
أين الذين هم أجابوا ربهم ... يوم العريض وبيعة الرضوان

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس في يوم حنين :

إني والسوابح يوم جمع ... وما يتلو الرسول من الكتاب
لقد أحببت مالقيت ثقيف ... بجنب الشعب أمس من العذاب
هم رأس العدو من اهل نجد ... فقتلهم ألذ من الشراب
هزمنا الجمع جمع بني قسي ... وحكت بركها ببني رئاب
وصرماً من هلال غادرتهم ... بأوطاس تعفر بالتراب
ولولا قين جمع بني كلاب ... لقام نساؤهم والنقع كابي
ركضنا الخيل فيهم بين بس ... إلى الأورال تنحط بالنهاب
بذي لجب رسول الله فيهم ... كتيبته تعرض للضراب

قال ابن هشام : قوله : « تعفر بالتراب » : عن غير ابن إسحاق .

فأجابه عطية بن عفيف النصري ، فيما حدثنا ابن هشام . فقال :

أفاخرة رفاعة في حنين ... وعباس بن راضعة اللجاب
فإنك والفجار كذات مرط ... لربتها وترفل في الإهاب

قال ابن إسحاق : قال عطية بن عفيف هذين البيتين لما أكثر عباس على هوازن في يوم حنين ورفاعة من جهينة .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

ياخاتم النباء إنك مرسل ... بالحق كل هدى السبيل هداكا
إن الإله بنى عليك محبة ... في خلقه ومحمداً سماكا
ثم الذين وفوا بما عاهدتهم ... جند بعثت عليهم الضحاكا
رجلا به ذرب السلاح كأنه ... لما تكنفه العدو يراكا
يغشى ذوى النسب القريب وإنما ... يبغي رضا الرحمن ثم رضاكا

أنبيك أنى قد رأيت مكره ... تحت العجاجة يدمغ الإشراكا
طوراً يعانق باليدين وتارة ... يفرى الجماجم صارماً بتاكا
يغشى به هام الكماة ولو ترى ... منه الذى عاينت كان شفاكا
وبنو سليم معنقون أمامه ... ضرباً وطعناً فى العدو دراكا
يمشون تحت لوائه وكأنهم ... أسد العرين أردن ثم عراكا
مايرتجون من القريب قرابة ... إلا لطاعة ربهم وهواكا
هذى مشاهدنا التى كانت لنا ... معروفة وولينا مولاكا

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

إما ترى ياأم فروة خيلنا ... منها معطلة نقاد وظلع
أوهى مقارعة الأعادى دمها ... فيها نوافذ من جراح تنبع
فلرب قائلة كفاها وقعنا ... أزم الحروب فسربها لا يفزع
لا وفدكالوفد الألى عقدوا لنا ... سبباً بحبل محمد لا يقطع
وفد أبو قطن حزابة منهم ... وأبو الغيوث وواسع والمقنع
والقائد المئة التي وفى بها ... تسع المئين فتم ألف أقرع
جمعت بنو عوف ورهط مخاشن ... ستاً وأحلب من خفاف أربع
فهناك إذ نصر النبي بألفنا ... عقد النبي لنا لواء يلمع
فزنا برايته وأورث عقده ... مجد الحياة وسودداً لاينزع
وغداة نحن مع النبي جناحه ... ببطاح مكة والقنا يتهزع
كانت إجابتنا لداعى ربنا ... بالحق منا حاسر ومقنع
فى كل سابغة تخير سردها ... داوود إذ نسج الحديد وتبع
ولنا على بئرى حنين موكب ... دمغ النفاق وهضبة ما تقلع
نصر النبي بنا وكنا معشراً ... فى كل نائبة نضر وننفع
ذدنا غداتئذ هوازن بالقنا ... والخيل يغمرها عجاج يسطع
إذ خاف خدهم النبي وأسندوا ... جمعاً تكاد الشمس منه تخشع
تدعى بنو جشم وتدعى وسطه ... أفناء نصر والأسنة شرع
حتى إذا قال الرسول محمد ... أبنى سليم قد وفيتم فارفعوا
رحنا ولولا نحن أجحف بأسهم ... بالمؤمنين وأحرزوا ماجمعوا

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حنين :

عفا مجدل من أهله فمتالع ... فمطلا أريك قد خلا فالمصانع
ديار لنا ياجمل إذ جل عيشنا ... رخى وصرف الدار للحى جامع
حبيبة ألوت بها غربة النوى ... لبين فهل ماض من العيش راجع
فإن تبتغي الكفار غير ملومة ... فإنى وزير للنبى وتابع

دعانا إليهم خير وفد علمتهم ... خزيمة والمرار منهم وواسع
فجئنا بألف من سليم عليهم ... لبوس لهم من نسج داود رائع
نبايعه بالأخشبين وإنما ... يد الله بين الأخشبين نبايع
فجسنا مع المهدى مكة عنوة ... بأسيافنا والنقع كاب وساطع
عدنية والخيل يغشى متونها ... حميم وآن من دم الجوف ناقع
ويوم حنين حين سارت هوازن ... إلينا وضاقت بالنفوس الأضالع
صبرنا مع الضحاك لا يستفزنا ... قراع الأعادى منهم والوقائع
أمام رسول الله يخفق فوقنا ... لواء كخذروف السحابة لامع
عشية ضحاك بن سفيان معتص ... بسيف رسول الله والموت كانع
نذود أخانا عن أخينا ولو نرى ... مصالا لكنا الأقربين نتابع
ولكن دين الله دين محمد ... رضينا به فيه الهدى والشرائع
أقام به بعد الضلالة أمرنا ... وليس لأمر حمه الله دافع

وقال عباس بن مرداس أيضاً فى يوم حنين :

تقطع باقى وصل أم مؤمل ... بعاقبة واستبدلت نية خلفا
وقد حلفت بالله لا تقطع القوى ... فما صدقت فيه ولا برت الحلفا
خفافية بطن العقيق مصيفها ... وتحتل فى البادين وجرة فالعرفا
فإن تتبع الكفار أم مؤمل ... فقد زودت قلبى على نأيها شغفا
وسوف ينبيها الخبير بأننا ... أبينا ولم نطلب سوى ربنا حلفا
وأنا مع الهادى النبى محمد ... وفينا ولم يستوفها معشر ألفا
بفتيان صدق من سليم أعزة ... أطاعوا فما يعصون من أمره حرفا
خفاف وذكوان وعوف تخالهم ... مصاعب زافت فى طروقتها كلفا
كأن النسيج الشهب والبيض ملبس ... أسوداً تلاقت فى مراصدها غضفا
بنا عز دين الله غير تنحل ... وزدنا على الحى الذى معه ضعفا
بمكة إذ جئنا كأن لواءنا ... عقاب أرادت بعد تحليقها خطفا
على شخص الأبصار تحسب بينها ... إذا هى جالت فى مراودها عزفا
غداة وطئنا المشركين ولم نجد ... لأمر رسول الله عدلا ولا صرفا
بمعترك لا يسمع القوم وسطه ... لنا زجمة إلا التذامر والنقفا
ببيض نطير الهام عن مستقرها ... ونقطف أعناق الكماة بها قطفا
فكائن تركنا من قتيل ملحب ... وأرملة تدعو على بعلها لهفا
رضا الله ننوى لا رضا الناس نبتغى ... ولله ما يبدو جميعاً وما يخفى

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

ما بال عينك فيها عائر سهر ... مثل الحماطة أغضى فوقها الشفر

عين تأوبها من شجوها أرق ... فالماء يغمرها طوراً وينحدر
كأنه نظم در عند ناظمة ... تقطع السلك منه فهو منتثر
يا بعد منزل من ترجو مودته ... ومن أتى دونه الصمان فالحفر
دع ما تقدم من عهد الشباب فقد ... ولى الشباب وزار الشيب والزعر
واذكر بلاء سليم فى مواطنها ... وفى سليم لأهل الفخر مفتخر
قوم هم نصروا الرحمن واتبعوا ... دين الرسول وأمر الناس مشتجر
لا يغرسون فسيل النخل وسطهم ... ولا تخاور فى مشتاهم البقر
إلا سوابح كالعقبان مقربة ... فى دارة حولها الأخطار والعكر
تدعى خفاف وعوف فى جوانبها ... وحى ذكوان لا ميل ولا ضجر
الضاربون جنود الشرك ضاحية ... ببطن مكة والأرواح تبتدر
حتى دفعنا وقتلاهم كأنهم ... نخل بظاهرة البطحاء منقعر
ونحن يوم حنين كان مشهدنا ... للدين عزاً وعند الله مدخر
إذ نركب الموت مخضراً بطائنه ... والخيل ينجاب عنها ساطع كدر
تحت اللواء مع الضحاك يقدمنا ... كما مشى الليث فى غاباته الخدر
فى مأزق من مجر الحرب كلكلها ... تكاد تأفل منه الشمس والقمر
وقد صبرنا بأوطاس أسنتنا ... لله ننصر من شئنا وننتصر
حتى تأوب أقوام منازلهم ... لولا المليك ولولا نحن ما صدروا
فما ترى معشراً قلوا ولا كثروا ... إلا قد اصبح منا فيهم أثر

وقال عباس بن مرداس أيضاً :

يا أيها الرجل الذى تهوى به ... وجناء مجمرة المناسم عرمس
إما أتيت على النبى فقل له ... حقاً عليك إذا اطمأن المجلس
ياخير من ركب المطى ومن مشى ... فوق التراب إذا تعد الأنفس
إنا وفينا بالذى عاهدتنا ... والخيل تقدع بالكماة وتضرس
إذ سال من أفناء بهثة كلها ... جمع تظل به المخارم ترجس
حتى صبحنا أهل مكة فيلقاً ... شهباء يقدمها الهمام الأشوس
من كل أغلب من سليم فوقه ... بيضاء محكمة الدخال وقونس
يروى القناة إذا تجاسر فى الوغى ... وتخاله أسداً إذا ما يعبس
يغشى الكتيبة معلما وبكفه ... عضب يقد به ولدن مدعس
وعلى حنين قد وفى من جمعنا ... ألف أمد به الرسول عرندس
كانوا أمام المؤمنين دريئة ... والشمس يومئذ عليهم أشمس
نمضى ويحرسنا الإله بحفظه ... والله ليس بضائع من يحرس
ولقد حبسنا بالمناقب محبساً ... رضى الإله به فنعم المحبس

وغداة أوطاس شددنا شدة　　كفت العدو وقيل منها : يا احبسوا
تدعو هوازن بالإخاوة بيننا　　ثدى تمد به هوازن أيبس
حتى تركنا جمعهم وكأنه　　عير تعاقبه السباع مفرس

قال ابن هشام : أنشدنى خلف الأحمر قوله : « وقيل منها يا احبسوا » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

نصرنا رسول الله من غضب له　　بألف كمى لا تعد حواسره
حملنا له فى عامل الرمح راية　　يذود بها فى حومة الموت ناصره
ونحن خضبناها دماً فهو لونها　　غداة حنين يوم صفوان شاجره
وكنا على الإسلام ميمنة له　　وكان لنا عقد اللواء وشاهره
وكنا له دون الجنود بطانة　　يشاورنا فى أمره ونشاوره
دعانا فسمانا الشعار مقدماً　　وكنا له عوناً على من يناكره
جزى الله خيراً من نبى محمداً　　وأيده بالنصر والله ناصره

قال ابن هشام : أنشدنى من قوله : « وكنا على الإسلام » إلى آخرها ، بعض أهل العلم بالشعر ، ولم يعرف البيت الذى أوله : « حملنا له فى عامل الرمح راية » . وأنشدنى بعد قوله : « وكان لنا عقد اللواء وشاهره » ، « ونحن خضبناه دماً فهو لونه » .

قال ابن إسحاق : وقال عباس بن مرداس أيضاً :

من مبلغ الأقوام أن محمداً　　رسول الإله راشد حيث يمما
دعا ربه واستنصر الله وحده　　فأصبح قد وفى إليه وأنعما
سرينا وواعدنا قديداً محمداً　　يؤم بنا أمراً من الله محكما
تماروا بنا فى الفجر حتى تبينوا　　مع الفجر فتياناً وغاباً مقوما
على الخيل مشدوداً علينا دروعنا　　ورجلا كدفاع الأتى عرمرما
فإن سراة الحى إن كنت سائلا　　سليم وفيهم منهم من تسلما
وجند من الأنصار لا يخذلونه　　أطاعوا فما يعصونه ما تكلما
فإن تك قد أمرت فى القوم خالداً　　وقدمته فإنه قد تقدما
بجند هداه الله أنت أميره　　تصيب به فى الحق من كان أظلما
حلفت يميناً برة لمحمد　　فأكملتها ألفاً من الخيل ملجما
وقال نبى المؤمنين تقدموا　　وحب إلينا أن نكون المقدما
وبتنا بنهى المستدير ولم يكن　　بنا الخوف إلا رغبة وتحزما
أطعناك حتى أسلم الناس كلهم　　وحتى صبحنا الجمع أهل يلملما
يضل الحصان الأبلق الورد وسطه　　ولا يطمئن الشيخ حتى يسوما
سمونا لهم ورد القطا زفه ضحى　　وكل تراه عن أخيه قد احجما

لدن غدوة حتى تركنا عشيـــة حنينا وقد سالت دوافعه دما
إذا شئت من كل رأيت طمرة وفارسها يهوى ورمحاً محطما
وقد أحرزت منا هوازن سربها وحب إليها أن نخيب ونحرما

قال ابن إسحاق : وقال ضمضم بن الحارث بن جشم بن عبد بن حبيب بن مالك بن عوف بن يقظة بن عصية السلمى فى يوم حنين ، وكانت ثقيف أصابت كنانة بن الحكم بن خالد بن الشريد ، فقتل به محجناً وابن عم له ،وهمامن ثقيف :

نحن جلبنا الخيل من غير مجلب إلى جرش من أهل زيان والفم
نقتل أشبال الأسود ونبتغى طواغى كانت قبلنا لم تهدم
فإن تفخروا بابن الشريد فإننى تركت بوج مأتما بعد مأتم
أباتهما بابن الشريد وغرة جواركم وكان غير مذمم
تصيب رجالا من ثقيف رماحنا وأسيافنا يكلمنهم كل مكلم

وقال ضمضم بن الحارث أيضاً :

أبلغ لديك ذوى الحلائل آية لا تأمنن الدهر ذات خمار
بعد التى قالت لجـــارة بيتها قد كنت لو لبث الغزى بدار
لما رأت رجـــلا تسفع لونه وغر المصيفة والعظام عوارى
مشط العظام تراه آخر ليـــله متسربلا فى درعه لغوار
إذا لا أزال على رحالة نهدة جرداء تلحق بالنجاد إزارى
يومـــاً على أثر النهاب وتارة كتبت مجاهدة مع الأنصار
وزهاء كل خميـــلة أزهقتها مهلا تمهـــله وكل خـــبار
كيما أغير ما بها من حاجة وتود أنى لا أؤوب فجار

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة ، قال : أسر زهير بن العجوة الهذلى يوم حنين . فكتف ، فرآه جميل بن معمر الجمحى ، فقال له أأنت الماشى لنا بالمغايظ ؟ فضرب عنقه ؛ فقال أبو خراش الهذلى يرثيه ، وكان ابن عمه :

عجف أضيافى جميل بن معمر بذى فجر تأوى إليه الأرامـــل
طويل نجاد السيف ليس بجيدر إذا اهتز واسترخت عليه الحمائل
تكاد يداه تسلمان إزاره من الجود لما أذلقته الشمائل
إلى بيته يأوى الضريك إذا شتا ومستنبح بالى الدريسين عائل
تروح مقروراً وهبت عشية لها حدب تحتثه فيوائل
فما بال أهل الدار لم يتصدعوا وقد بان منها اللوذعى الحلاحل
فأقسم لو لاقيته غير موثق لآبك بالنعف الضباع الجيائل
وإنك لو واجهـــته إذ لقيته فنازلته أو كنت ممن ينازل
لظل جميل أفحش القوم صرعة ولكن قرن الظهر للمرء شاغل
فليس كعهد الدار يا أم ثابت ولكن أحاطت بالرقاب السلاسل
وعاد الفتى كالشيخ ليس بفاعل سوى الحق شيئاً واستراح العواذل

وأصبح إخوان الصفاء كأنما أهال عليهم جانب الترب هائل
فلا تحسبى أنى نسيت لياليا بمكة إذ لم نعد عما نحاول
إذ الناس ناس والبلاد بغرة وإذ نحن لاتثنى علينا المداخل

قال ابن إسحاق : وقال مالك بن عوف وهو يعتذر يومئذ من فراره :

منع الرقاد فما أغمض ساعة نعم بأجزاع الطريق مخضرم
سائل هوازن هل أضر عدوها وأعين غارمها إذا ما يغرم
وكتيبة لبستها بكتيبة فئتين منها حاسر وملأم
ومقدم تعيا النفوس لضيقه قدمته وشهود قومى أعلم
فوردته وتركت إخوانا له يردون غمرته وغمرته الدم
فإذا انجلت غمراته أورثننى مجد الحياة ومجد غنم يقسم
كلفتمونى ذنب آل محمد والله أعلم من أعق وأظلم
وخذلتمونى إذ أقاتل واحداً وخذلتمونى إذ تقاتل خثعم
وإذا بنيت المجد يهدم بعضكم لا يستوى بان وآخر يهدم
وأقب مخماص الشتاء مسارع فى المجد ينمى للعلى متكرم
أكرهت فيه ألة يزنية سحماء يقدمها سنان سلجم
وتركت حنته ترد وليه وتقول ليس على فلانة مقدم
ونصبت نفسى للرماح مدججاً مثل الدريئة تستحل وتشرم

قال ابن إسحاق : وقال قائل فى هوازن أيضاً ، يذكر مسيرهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع مالك بن عوف بعد إسلامه :

أذكر مسيرهم للناس إذ جمعوا ومالك فوقه الرايات تختفق
ومالك مالك مافوقه أحد يوم حنين عليه التاج يأتلق
حتى لقوا الباس حين الباس يقدمهم عليهم البيض والأبدان والدرق
فضاربوا الناس حتى لم يروا أحداً حول النبى وحتى جنه الغسق
ثمت نزل جبريل بنصرهم من السماء فمهزوم ومعتنق
منا ولو غير جبريل يقاتلنا لمنعتنا إذن أسيافنا العتق
وفاتنا عمر الفاروق إذ هزموا بطعنة بل منها سرجه العلق

وقالت امرأة من بنى جشم ترثى أخوين لها أصيبا يوم حنين :

أعينى جودا على مالك معاً والعلاء ولا تجمدا
هما القاتلان أبا عامر وقد كان ذا هبة أربدا
هما تركاه لدى مجسد ينوء نزيفاً وما وسدا

وقال أبو ثواب زيد بن صحار ، أحد بنى سعد بن بكر :

ألا هل أتاك أن غلبت قريش هوازن والخطوب لها شروط

وكنا يا قريش إذا غضبنا يجيء من الغضاب دم عبيط
وكنا يا قريش إذا غضبنـا كأن أنوفنا فيها سعوط
فأصبحنا تسوقنـــا قريش سياق العير يحدوها النبيط
فلا أنا إن سئلت الخسف آب ولا أنا أن ألين لهم نشيط
سينقل لحمهــا فى كل فج وتكتب فى مسامعها القطوط

ويروى « الخطوط » ، وهذا البيت فى رواية أبى سعد .

قال ابن هشام : ويقال : أبو ثواب زياد بن ثواب : وأنشدنى خلف الأحمر قوله : «يجيء من الغضاب دم عبيط» وآخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : فأجابه عبد الله بن وهب رجل من بنى تميم ، ثم من بنى أسيد ، فقال :

بشرط الله نضرب من لقينا كأفضل مارأيت من الشروط
وكنا ياهوازن حـــين نلقى نبـل الهام من علق عبيط
بجمعكم وجمـــع بنى قسى نحك البرك كالورق الخبيط
أصبنا من سراتكم وملنا بقتل فى المباين والخليط
بين الملتاث مفترش يديه يمج الموت كالبكر النحيط
فإن تك قيس عيلان غضاباً فلا ينفك يرغمهم سعوطى

وقال خديج بن العوجاء النصرى :

لما دنونا من حنـــين ومائه رأينـا سواداً منكر اللون أخصفا
بملومة شهباء لو قذفوا بهـا شماريخ من عزوى إذن عاد صفصفا
ولو أن قومى طاوعتنى سراتهم إذن ما لقينا العارض المتكشفا
إذن ما لقينا جند آل محمـــد ثمانين ألفاً واستمدوا بخنـــدفا

ذكر غزوة حنين

وحنين الذى عرف به الموضع هو : حنين بن قانية بن مهلايل : كذا قال البكرى ، وقد قدمنا أنه قال فى خيبر مثل هذا أنه ابن قانية ، فالله أعلم .

ويقال لها أيضاً غزوة أوطاس سميت بالموضع الذى كانت فيه الوقعة وهو من وطست الشيء وطساً إذا كدرته ، وأثرت فيه . والوطيس : نقرة فى حجر توقد حوله النار ، فيطبخ به اللحم ، والوطيس التنور ، وفى غزوة أوطاس قال النبى صلى الله عليه وسلم : الآن حمى الوطيس ، وذاك حين استمرت الحرب ، وهى من الكلم التى لم يسبق إليها صلى الله عليه وسلم ، فمنها هذه ، ومنها : مات حتف أنفه ، قالها فى فضل من مات فى سبيل الله فى حديث رواه عنه عبد الله ابن عتيك ، قال ابن عتيك : وما سمعت هذه الكلمة يعنى : حتف أنفه من أحد العرب قبله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومنها لايلدغ المؤمن من جحر مرتين قالها لأبى عزة الجمحى يوم أحد ، وقد مضى حديثه ، ومنها لاينتطح فيها عنزان ، وسيأتى سببهما .

ومنها : قوله عليه السلام : ياخيل الله اركبى ، قالها يوم حنين أيضاً فى حديث خرجه مسلم ، وقال الجاحظ فى كتاب البيان عن يونس بن حبيب : لم يبلغنا من روائع الكلام ما بلغنا عن النبى صلى الله عليـــه وسلم(١) ،

---

(١) انظر تلك الأحاديث والمئات من أشباهها فى كتاب المجازات النبوية .

. . . .

وغلط فى هذا الحديث ، ونسب إلى التصحيف ، وإنما قال القـــائل : : مابلغنا عى البتى - يريد عثمان البتى - فصحفه الجاحظ ، قالوا: والنبى — صلى الله عليه وسلم — أجل من أن يخلط مع غيره من الفصحاء ، حتى يقال مابلغنا عنه من الفصاحة أكثر من الذى بلغنا عن غيره ، كلامه أجل من ذلك ، وأعلى ، صلوات الله عليه وسلامه .

ابن الصمة : فصل : وذكر دريد بن الصمة الجشمى أحد بنى جشم بن بكر بن هوازن ، وفيه تقول الخنساء حين خطبها : ما كنت تاركة بنى عمى ، كأنهم صدور الرماح ومرتثة شيخاً من بنى جشم ، وهو دريد بن الصمة بن بكر ابن علقمة بن خزاعة بن غزية بن جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن ، يكنى أبا قرة . ويروى عن ابن إسحاق من غير رواية زياد يقال : كان يومئذ ابن ستين ومائة ، وروى أبو صـــالح كاتب الليث عن الليث : كان دريد يومئذ ابن عشرين ومائة .

وقوله : فى شجار له ، الشجار : مثل الهودج ، وفى العين : الشجار خشب الهودج .

وقوله : فأنقض به ، أى صوت ، بلسانه فى فمه ، من النقيض ، وهو الصوت ، وقيل : الإنقاض بالأصبع الوسطى والإبهام ، كأنه يدفع بهما شيئاً وهو معنى قول البرقى .

وقوله : راعى ضأن ، يجهله بذلك ، كما قال الشاعر :

أصبحت هزءاً لراعى الضأن أعجبه ماذا يريبك منى راعى الضـأن

وقال عمر بن الخطاب - رضى الله عنه - لرجل : قم فما نفعك صداغ ولا راعى ضأن . والدريد فى اللغة : تصغير أدرد ، وهو تصغير الترخيم ، والصمة : الشجاع ، وجمعه صمم .

مالك بن عوف : وذكر مالك بن عوف النصرى رئيس المشركين يوم حنين ، وهو مالك بن عوف بن سعد بن ربيعة بن يربوع بن واثلة بن دهمان بن نصر بن معاوية بن بكر بن هوازن النصرى .

ابن حدرد : وذكر بعث النبى - صلى الله عليه وسلم - عبد الله بن أبى حدرد عيناً إلى هوازن ، وهو عبد الله بن سلامة ابن سعد ، وسلامة هو أبو حدرد ، وهو من بنى هوازن بن أسلم بن أفصى بن حارثة ، وهم إخوة الأوس والخزرج ، أعنى بنى أسلم بن أفصى ، مات عبد الله سنة إحدى وسبعين ، وهو العام الذى قتل فيه مصعب بن الزبير . شهد ابن أبى حدرد مع النبى - صلى الله عليه وسلم - الحديبية ، ومابعدها ، وفاته ما كان قبل ذلك .

شرح قصيدة عباس بن مرداس :

وذكر شعر عباس وفيه : ٭ أصابت العـــام رعلا ٭

وهى قبيلة من سليم ، وفى الحديث : قنت رسول الله صلى الله عليه وسلم شهرين يدعو على رعل وذكوان وعصية وهم الذين غدروا بأصحاب بئر معونة .

وقوله : خيل ابن هوذة لا تنهى وإنسان

إنسان : قبيلة من قيس ، ثم من بنى نصر ، قاله البرقى ، وقيل هم من بنى جشم بن بكر ، ومن بنى إنسان : شيطان بن مدلج صاحب حميدة ، وهى فرس له تضرب بها العرب المثل فى الشؤم ، فيقال أشأم من حميدة ، وسبب ذلك خبر يطول ذكره الأصبهانى فى الأمثال .

وسعد ودهمان ابنا نصر بن معاوية بن بكر ، كذا وجدته فى بعض المعلقات ، والمعروف فى قيس : دهمان بن أشجع ابن ريث بن غطفان والد نصر بن دهمان الذى عاش مائة وتسعين سنة حتى تقوم ظهره بعد انحناء ، واسود شعره بعد

. . . .

ابيضاض ، فكان أعجوبة فى العالم ، وقال الشاعر :

لنصر بن دهمان الهنيدة عاشها وتسعين حولا ثم قوم فانصاتا
وعاد سواد الرأس بعد ابيضاضه ولكنه من بعد ذلك قد ماتا

وممن ذكر هذا الخبر أبو الحسن الدارقطنى رحمه الله .

وحنين اسم جبل ، ومنه المثل : أنجد من رأى حنيناً .

وقوله : مما يشتوى حذف . الحذف : غنم سود صغار تكون باليمن ، وفى الحديث سودوا صفوفكم ، لا تتخللكم الشياطين كأنها بنات حذف ، يعنى فى الصف فى الصلاة ، هكذا قال البرقى فى تفسير هذا البيت ، والذى أراد الشاعر : إنما هو رجل ، فلعله كان يسمى بحذف ، والحذف هى الغنم السود التى ذكرنا .

وقوله : كل شواء العير جوفان

يقال : إنه شوى له غرمول حمار ، فأكله فى الشواء فوجده أجوف ، وقيل له إنه القنب ، أى : وعاء القضيب ، فقال : كل شواء العير جوفان ، فضرب هذا الكلام مثلا ، وقيل : كان فزارى وتغلبى وكلبى اجتمعوا فى سفر ، وقد اشتووا حمار وحش ، فغاب الفزارى فى بعض حاجاته ، فأكل صاحباه العير واختبآ له غرموله ، فلما جاء قالا له : هذا خبؤنا لك ، فجعل يأكل ، ولا يسيغه ، فضحكا منه ، فاخترط سيفه ، وقال : لأقتلنكما إن لم تأكلاه ، فأبى أحدهما فضربه بالسيف فأبان رأسه ، وكان اسمه : مرقة ، فقال صاحبه : طاح مرقة ، فقال الفزارى ، وأنت إن لم تلقمه أراد : تلقمها ، فطرح حركة الهاء على الميم ، وحذف الألف كما قد قيل فى الحيرة أى رجال به أى بها ، وقد عيرت فزارة بهذا الخبر حتى قال سالم بن دارة :

لا تأمنن فزاريا خلوت به على قلوصك ، واكتبها بأسيار
لا تأمننه ولا تأمن بوائقه بعد الذى امتل أير العير فى النار
أطعمتم الضيف غرمولا مخاتلة فلا سقاكم إلهى الخالق البارى

من كتاب الأمثال للأصفهانى . فهذا الفزارى هو : حذف المذكور فى البيت ، والله أعلم .

وقوله : والأجربان بنو عبس وذبيان

سماهما بالأجربين تشبيهاً بالأجرب الذى لا يقرب : وقال مجذوم من العرب :

بأى فعال رب أوتيت ما أرى أظل كأنى كلما قمت أجرب

أى : يفر منى ، وفى الخبر أن عمر لما نهى الناس عن مجالسة صبيغ بن عسل كان كلما حل موضعاً تفرق الناس عنه كأنه بعير أجرب ، ومن رواه الأجربان بضم النون ، فهو جائز فى كل اثنين متلازمين كالجلمين(١) ، يقال فيهما الجلمان بضم النون ، وكذلك القمران ، وروى أن فاطمة ـ رضى الله عنها ـ نادت ابنيها فى ليلة ظلمة : ياحسنان ياحسينان بضم النون قاله الهروى فى الغريبين .

أنا ابن عبد المطلب : فصل : وذكر قول النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ أين أيها الناس ؟ ! أنا محمد ، أنا رسول الله ، وفى غير هذه الرواية :

(١) طرفا المقراض .

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب

وهو كلام موزون ، وقد تقدم الكلام فى مثل هذا ، وأنه ليس بشعر حتى يقصد به الشعر . وللخطابى فى كتاب الأعلام تنبيه على قوله : أنا ابن عبد المطلب ، قال : إنما خص عبد المطلب بالذكر فى هذا المقام ، وقد انهزم الناس تشبيهاً لنبوته ، وإزالة للشك لما اشتهر ، وعرف من رؤيا عبد المطلب المبشرة بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقد تقدم ذكرها ، ولما أنبأت به الأحبار والرهبان ، فكأنه يقول : أنا ذاك ، فلا بد مما وعدت به لئلا ينهزموا عنه ، ويظنوا أنه مقتول ومغلوب ، فالله أعلم أأراد ذلك رسوله أم لا ؟

شيبة يحاول قتل الرسول (ص) : وذكر قصة شيبة بن عثمان حين أراد قتل النبى صلى الله عليه وسلم ، قال فجاء شىء حتى تغشى فؤادى ، وقد ذكر هذا الخبر أبو بكر بن أبى خيثمة فى تاريخه ، قال شيبة : اليوم آخذ بثارى ، فجئت النبى صلى الله عليه وسلم من خلفه ، فلما هممت به حال بينى وبينه خندق من نار وسور من حديد ، قال : فالتفت إلى النبى صلى الله عليه وسلم — وتبسم ، وعرف الذى أردت ، فمسح صدرى ، وذهب عنى الشك ، أو كما قال ، ذهب عنى بعض ألفاظ الحديث .

حكم الفرار من القتال : وذكر أم سليم وهى مليكة بنت ملحان ، وقال فى اسمها رميلة ، ويقال : سهيلة ، وتعرف بالغميصاء والرميصاء لرمص كان فى عينيها ، وأبو طلحة بعلها هو زيد بن سهل بن الأسود بن حرام وهو القائل

أنا أبو طلحة ، واسمى : زيد وكل يوم فى سلاحى صيد

وقول أم سليم : يارسول الله اقتل هؤلاء الذين ينهزمون عنك ؟

إن قيل : كيف فر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه حتى لم يبق معه منهم إلا ثمانية ، والفرار من الزحف من الكبائر ، وقد أنزل الله تعالى فيه من الوعيد ما أنزل قلنا : لم يجمع العلماء على أنه من الكبائر إلا فى يوم بدر ، وكذلك قال الحسن ونافع مولى عبد الله بن عمر وظاهر القرآن يدل على هذا ، فإنه قال . « ومن يولهم يومئذ دبره » فيومئذ إشارة إلى يوم بدر ، ثم نزل التحقيق من بعد ذلك فى الفارين يوم أحد وهو قوله : « ولقد عفا الله عنهم » وكذلك أنزل فى يوم حنين : « ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم » إلى قوله : « غفور رحيم » وفى تفسير ابن سلام : كان الفرار من الزحف يوم بدر من الكبائر ، وكذلك يكون من الكبائر فى ملحمة الروم الكبرى ، وعند الدجال ، وأيضاً فإن المنهزمين عنه عليه السلام رجعوا الحينهم ، وقاتلوا معه حتى فتح الله عليهم .

حول رجز مالك : وقول مالك فى رجزه :

قد أطعن الطعنة تقذى بالسبر

السبر : جمع سابر ، وهو الفتيل الذى يسبر به الجرح أى : يختبر .

وقوله فى الرجز الآخر :

أقدم محاج إنها الأساوره

وقول ابن هشام : هما لغير مالك فى غير هذا اليوم ، يعنى يوم القادسية ، وكانت الدولة فيه للمسلمين على الفرس ، والأساورة : ملوك الفرس ، وقتل فى ذلك اليوم رستم ملكهم دون الملك الأكبر ، وكان على المسلمين يومئذ سعد ابن أبى وقاص ، وقد ذكرنا قبل : بم سميت القادسية .

. . . .

وذكر حديث أبي قتادة في سلب القتيل، قال: فاشتريت بثمنه مخرفاً فإنه لأول مال اعتقدته، يقال: اعتقدت مالي، أي: اتخذت منه عقدة كما تقول: نبذة، أو قطعة، والأصل فيه من العقد، وأن من ملك شيئاً عقد عليه وأنشد القالي:

ولما رأيت الدهر أنحت صروفه على وأودت بالذخائر والعقد
حذفت فضول العيش حتى رددتها إلى القوت خوفاً أن أجاء إلى أحد

ويروى: تأثلته، وهي رواية الموطأ، ويقال: مخرف بفتح الراء وكسرها وأما كسر الميم فإنما هو للمخرف، وهي الآلة التي تخترف بها الثمرة أي تجتني. وبفتح الميم معناه البستان من النخل، هكذا فسروه، وفسره الحربي، وأجاد في تفسيره، فقال: المخرف: نخلة واحدة أو نخلات يسيرة إلى عشر. فما فوق ذلك، فهو بستان أو حديقة، ويقوى ما قاله الحربي ما قاله أبو حنيفة، قال: المخرف: مثل الخروفة: هي النخلة يخترفها الرجل لنفسه ولعياله، وأنشد:

مثل المخارف من خيلان أو هجرا

قال: ويقال للخروفة: خريفة أيضاً.

حكم السلب للقاتل: وفي هذا الحديث من الفقه أن السلب للقاتل حكماً شرعياً جعل ذلك الإمام له. أو لم يجعله، وهو قول الشافعي. وقال مالك: إنما ذلك إلى الإمام له أن يقول بعد معمعة الحرب: من قتل قتيلا فله سلبه، ويكره مالك رحمه الله أن يقول ذلك قبل القتال لئلا يخالط النية غرض آخر غير احتساب نفسه لله تعالى، وقد ذكرنا في غزوة بدر في هذه المسألة ما هو أكثر من هذا.

الملائكة في غزوة حنين: وقول جبير بن مطعم: لقد رأيت مثل البجاد، يعني الكساء من النمل مبثوثاً، يعني رآه ينزل من السماء. قال: لم أشك أنها الملائكة، وقد قدم ابن إسحاق قول الآخر: رأيت رجالا بيضاً على خيل بلق، وكانت الملائكة فأراهم الله لذلك الهوازني على صور الخيل والرجال ترهيباً للعدو، ورآهم جبير على صورة النمل المبثوث إشعاراً بكثرة عددها، إذ النمل لا يستطاع عدها مع أن النملة يضرب بها المثل في القوة: فيقال: أقوى من النملة لأنها تحمل ما هو أكبر من جرمها بأضعاف، وقد قال رجل لبعض الملوك: جعل الله قوتك قوة النملة. فأنكر عليه، فقال: ليس في الحيوان ما يحمل ما هو أكبر منه إلا النملة، وهذا المثل قد ذكره الأصبهاني في كتاب الأمثال مقروناً بهذا الخبر، وقد أهلك بالنمل أمة من الأمم، وهم جرهم.

لغويات: فصل: وذكر قول عباس:

وسوف إخال يأتيك الخبير

الفعل المستقبل هو: يأتيك، وإن كان حرف (سوف) داخلا على إخال في اللفظ، فإن ما يدل عليه من الاستقبال إنما هو الفعل الثاني كما قال:

وما أدري وسوف إخال أدري

وذلك أن إخال في معنى: أظن، وليس يريد أنه يظن فيما يستقبل، وإنما يريد أن يخال الآن أن سيكون ذلك، وقوله:

فإن يهدوا إلى الإسلام يلقوا أنوف الناس ما سمر السمير

أنوف الناس: انتصب على الحال، لأنه نكرة لم يعرف بالإضافة، لأنه لم يرد الأنوف بأعيانها، ولكن أشرافاً، وهذا كقوله:

بمنجرد قيد الأوابد

. . . .

لأنه جعله كالقيد ، ومثله ماذكرناه قبل فى : نصب : غمائم الأبصار ، على الحال ، وليس هذا من باب مامنعه سيبويه حين قال معترضاً على الخليل : لو قلت مررت بقصير الطويل ، تريد : مثل الطويل ، لم يجز ، والذى أراده الخليل هو ما ذكرناه فى غير موضع من استعارة الكلمة على جهة التشبيه ، نحو قيد الأوابد ، وأنوف الناس تريد : أشرافهم ، فمثل هذا يكون وصفاً للنكرة وحالا من المعرفة ، وقد ألحق بهذا الباب : له صوت صوت الحمار ، على الصفة ، وضعفه سيبويه فى الحال ، قال : وهو فى الصفة أقبح ، وإنما ألحقه الخليل بما تنكر ، وهو مضاف إلى معرفة من أجل تكرر اللفظ فيه ، فحسن لذلك .

وقوله : وأسلمت النصور . ذكر البرقى أن النصور هاهنا جمع : ناصر ، وليس هو عندى كذلك ؛ فإن فاعلا قل مايجمع على فعول ، وإن جمع فليس هو بالقياس المطرد ، وإنما هم بنو نصر من هوازن رهط مالك بن عوف النصرى يقال لهم النصور ، كما يقال لبنى المهلب المهالبة ، ولبنى المنذر : المناذرة ، وكما يقال الأشعرون . وهم بنو أشعر بن أدد ، والتوتيات لبنى توبت بن أسد .

وقوله : أنا أخوكم ، جمع أخاً جمعاً مسلماً بالواو والنون ، ثم حذفت النون للإضافة ، كما أنشدوا :

ولما تبين أصواتنا بكين وفـديننا بالأبينـا

ويجوز أن يكون وضع الواحد موضع الجمع ، كما تقدم فى قوله : أنتم الولد ، ونحن الولد .

وقوله فى صفة الزبير : طويل الباد ، أى : الفخر ، والبدد : تباعد مابين الفخذين .

الممنوعون من القتل : وقوله فى المرأة المقتولة : أدرك خالداً ، فقل : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهاك أن تقتل وليداً ، أو امرأة ، أو عسيفاً ، العسيف : الأجير ، وهذا منتزع من كتاب الله تعالى ، لأنه يقول : « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم » فاقتضى دليل الخطاب ألا تقتل المرأة إلا أن تقاتل ، وقد أخطأ من قاس مسألة المرتدة على هذه المسألة ، فإن المرتدة لاتسترق ولاتسبى كما تسبى نساء الحرب وذراريهم ، فتكون مالا للمسلمين ، فنهى عن قتلهن لذلك .

رفع اليدين فى الدعاء : وذكر فيمن استشهد أبا عامر ، واسمه : عبيد بن سليم بن حصار وهو عم أبى موسى عبد الله ابن قيس الأشعرى ، وهو الذى استغفر له رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حين قتل رافعاً يديه جدا ، يقول : اللهم اغفر لعبيد أبى عامر ثلاثاً ، وفيه من الفقه رفع اليدين فى الدعاء ، وقد كرهه قوم ، روى عبد الله بن عمر أنه رأى قوماً يرفعون أيديهم فى الدعاء ، فقال : أوقد رفعوها ؟ قطعها الله . والله لو كانوا بأعلى شاهق ماازدادوا من الله بذلك قرباً ، وذكر لمالك أن عامر بن عبد الله بن الزبير كان يدعو بأثر كل صلاة ، ويرفع يديه ، فقال : ذلك حسن ، ولا أرى أن يرفعهما جدا . وحجة من رأى الرفع أحاديث منها ماذكرناه آنفاً ، ومنها حديث تقدم فى سرية الغميصاء حين رفع النبى - صلى الله عليه وسلم - يديه ، وقال : اللهم إنى أبرأ إليك مما صنع خالد بن الوليد ثلاث مرات ، ولكل شىء وجه ، فمن كره ، الإفراط فى الرفع كما كره رفع الصوت بالدعاء جداً . قال صلى الله عليه وسلم : أربعوا على أنفسكم ، فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، وهو معنى قول مالك الذى قدمناه فى رفع اليدين .

شاهت الوجوه : فصل : ومما ذكر فى غزوة حنين من غير رواية ابن إسحاق الحفنة التى أخذها النبى صلى الله عليه وسلم من البطحاء ، وهو على بغلته ، فرمى بها أوجه الكفار ، وقال : شاهت الوجوه ، فانهزموا . والمستقبل من شاهت : تشاه لأن وزنه فعل ، وفيه أن البغلة حضجت به إلى الأرض حين أخذ الحفنة ، ثم قامت به ، وفسروا

. . . .

حضجت ، أى : ضربت بنفسها إلى الأرض ، وألصقت بطنها بالتراب ، ومنه الحضاج ، وهو زق مملوء قد أسند إلى شىء ، وأميل إليه ، والبغلة التى كان عليها يومئذ هى التى تسمى البيضاء وهى التى أهداها إليه فروة بن نفاثة ، وقد تقدم ذكر الأخرى ، واسمها : دلدل وذكر من أهداها إليه .

نداء أصحاب السمرة : وذكر نداء العباس : يامعشر أصحاب السمرة ، وكان العباس صيتاً جهيراً . وأصحاب السمرة : هم أصحاب بيعة الرضوان الذين بايعوا تحت الشجرة ، وكانت الشجرة سمرة .

الضحاك الكلابى : فصل : وذكر الضحاك بن سفيان الكلابى ، وهو الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب ابن أبى بكر بن كلاب الكلابى ، يكنى أبا سعيد ، وكان يقوم على رأس النبى - صلى الله عليه وسلم - متوشحاً بالسيف ، وكان يعد وحده بمائة فارس ، وكانت بنو سليم يوم حنين تسعمائة ، فأمره عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأخبره أنه قد تممهم به ألفاً ، وإياه أراد عباس بن مرداس بقوله : * جند بعثت عليهم الضحاكا *

وقال البرقى : ليس الضحاك بن سفيان هذا بالكلابى ، وإنما هو الضحاك بن سفيان السلمى .

وذكر من غير رواية البكائى عن ابن إسحاق نسبه مرفوعاً إلى بهثة بن سليم ، ولم يذكر أبو عمر فى الصحابة إلا الأول ، وهو الكلابى ، فالله أعلم .

شرح القصائد التى قيلت فى غزوة حنين : وذكر شعر عباس بن مرداس الذى أوله : *عفا مجدل من أهله فمتالع*
المجدل : القصر ، وهو فى هذا البيت اسم علم لمكان .

وفيه : * فمطلا أريك *

المطل : يمد ويقصر ، وهى أرض تعقل الرجل عن المشى ، فقيل : إنها مفعال من الطلى وهو الجرى ، يطلى ، أى تعقل رجله ، وقيل : إن المطلاء فعلاء من مطلت إذا مددت ، وجمعه : مطال ، وفى الأمالى :

أما تسألان الله أن يسقى الحمى ألا فسقى الله الحمى فالمطاليا

وفيه :

نذود أخانا عن أخينا ، ولو نرى مصالا لكنا الأقربين نتابع

يريد أنه من بنى سليم ، وسليم من قيس ، كما أن هوازن من قيس ، كلاهما ابن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس ، فمعنى البيت : نقاتل إخوتنا ، ونذودهم عن إخوتنا من سليم ، ولو نرى فى حكم الدين مصالا مفعلا من الصولة ، لكنا مع الأقربين هوازن .

ولكن دين الله دين محمـــد رضينا به فيه الهدى والشرائع

وفيه قوله :

دعانا إليه خير وفد علمتهم خزيمة والمدار منهم وواسع

هؤلاء وفد بنى سليم وفدوا على النبى - صلى الله عليه وسلم - فأسلموا ، ثم دعوا قومهم إلى الإسلام ، فذكر فيهم المدار السلمى ، وواسعاً السلمى ، وخزيمة بن جزى أخو حبان بن جزى [بفتح الجيم وكسر الزاى] وكان الدارقطنى يقول فيه : جزى بكسر الجيم والزاى .

وفيها : * يد الله بين الأخشبين نبايع *

من قول الله تعالى : « إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم » أقام يد رسول الله صلى الله عليه وسلم

. . . .

مقام يده ، كما قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ فى الحجر الأسود : هو يمين الله فى الأرض؛ أقامه فى المصافحة والتقبيل مقام يمين الملك الذى يصافح بها ، لأن الحاج وافد على الملك الأعلى وزائر بيته ، فجعل تقبيله الحجر مصافحة له ، وكما جعلت يمين السائل الآخذ للصدقة المتقبلة يمين الرحمن سبحانه ترغيباً فى الصدقة ، وتبشيراً بقبولها ، وتعظيما لحرمة من أعطيت له ، فإنما أعطاها المتصدق لله سبحانه ، وإياه سبحانه أقرض ، فقال سبحانه وتعالى « ويأخذ الصدقات » وقال صلى الله عليه وسلم : «إنما يضعها فى كف الرحمن يربيها له » الحديث .

وقول عباس فى الشعر الكافى :

إن الإله بنى عليك محبة　　فى خلقه ومحمداً سماكا

معنى دقيق وغرض نبيل وتفطن لحكمة نبوية قد بيناها فى غير موضع من هذا الكتاب وغيره فى تسمية الله تعالى لنبيه محمداً وأحمد ، وأنه اسم لم يكن لأحد من قومه قبله ، وأن أمه أمرت فى المنام أن تسميه محمداً ، فوافق معنى الاسم صفة المسمى به موافقة تامة قد بينا شرحها هنالك ، ولذلك قال : بنى عليك محبة ، لأن البناء تركيب على أس ، فأسس له سبحانه مقدمات لنبوته منها : تسميته بمحمد قبل أن يولد ، ثم لم يزل يدرجه فى محامد الأخلاق وما تحبه القلوب من الشيم ، حتى بلغ إلى أعلى المحامد مرتبة ،وتكاملت له المحبة من الخالق والخليقة ، وظهر معنى اسمه فيه على الحقيقة، فهو اللبنة التى استتم بها البناء ، كما أخبر عليه السلام ، وهذا كله معنى بيت عباس ، حيث قال : إن الإله بنى عليك ، البيت .

وقوله : فى العينية الأخرى يصف الخيل :　　* أوهى مقارعة الأعادى دمها *

يريد شحمها ، يقال : أدمم قدرك بودك ، ودممت الشىء : طليته ، ومنه : الداماء أحد جحرة اليربوع ، لأنه يدم بابه بقشر رقيق من الأرض ، فلا يراه الصائد ، فإذا طلب من القاصعاء أو الراهطاء أو النافقاء أو العانقاء ، وهى الأبواب الأخر نطح برأسه باب الداماء فخرقه ، وأما الدأماء بالتخفيف ، فهو البحر وهو فعلاء ، لأنه يهمز فيقال : دأماء ، قاله أبو عبيد .

وذكر شعر عباس الفاوى ، وفيه　　* بعاقبة واستبدلت نية خلفاً *

النية : من النوى وهو البعد . وخلفاً يجوز أن يكون مفعولا من أجله أى : فعلت ذلك من أجل الخلف ، ويجوز أن يكون مصدراً مؤكداً للاستبدال ، لأن استبدالها به خلف منها لما وعدته به ،ويقوى هذا البيت البيت الذى بعده :

* وقد حلفت بالله لا تقطع القوى *

يعنى : قوى الحبل هنا : هو العهد ، ثم قال :　　* فما صدقت فيه ، ولا برت الحلفا *

وهذا هو الخلف المتقدم ذكره .

وقوله :　　* وفينا ولم يستوفها معشر ألفا *

أى : وفينا ألفاً ولم يستوفها غيرنا ، أى : لم يستوف هذه العدة غيرنا من القبائل .

وقوله :　　* إذا هى حالت فى مراودها عزفا *

يجوز أن يكون جمع مرود وهو الوتد ، كما قال الآخر يصف طعنة :

ومستنة كاستنان الخرو　　ف قد قطع الحبل بالمرود

والخروف هاهنا فى قول بعضهم : المهر ، وقال : والفرس يسمى خروفاً ، ومعناه عندى فى هذا البيت أنها صفة من خرفت الثمرة إذا جنيتها فالفرس خروف للشجر والنبات ، لا نقول : إن الفرس يسمى خروفاً فى عرف اللغة ، ولكن خروف فى معنى أكول لأنه يخرف ، أى : يأكل ، فهو صفة لكل من فعل ذلك الفعل من الدواب ، ويجوز

أن يكون فى مراودها جمع مراد ، وهو حيث ترود الخيل : تذهب وتجىء ، فمراد ومراود ، مثل مقام ومقاوم ، ومنار ومناور.

وقوله : ٭ لنا زجمة إلا التذامر والنقفا ٭

يقال : مازجم زجمة أى مانبس بكلمة ، وقوس زجوم ، أى : ضعيفة الإرنان(١) .

وقوله : إلا التذامر ، أى يذمر بعضنا بعضاً ، ويحرضه على القتل ، والنقف : كسر الرءوس ، وناقف الحنظلة : كاسرها ومستخرج مافيها .

قال المؤلف : وإنما قلنا فى هذه القصيدة وفى التى بعدها الفاوية والراوية ، لأن النسب إلى حروف المعجم التى أواخرها ألف هكذا ، هو بالواو ، قاله أبو عبيد وغيره ، وفى التصغير تقلب ألفها ياء ، تقول فى تصغير باء : بيية ، وخاء : خيية ، وما كان آخره حرفا سالماً من هذه الحروف قلبت ألفه واواً فى التصغير ، فتقول فى الدال : ذويلة ، وفى الضاد : ضويدة ، وكذلك قال صاحب العين ، وقياس الواو فى النحو أن تصغر . أوية بهمزة فى أولها .

وقول عباس فى القصيدة الراوية : ٭ مثل الحماطه أغضى فوقها الشفر ٭

الحماطة من ورق الشجر : مافيه خشونة وحروشة وقال أبو حنيفة : الحماط : ورق التين الجبلى . وقال أيضا فى باب القطانى : الحماط : تبن الذرة ، إذا ذريت ، وله أكال فى الجلد . والعائر : كالشىء يتنخس فى العين كأنه يعورها وجعله سهراً ، وإنما السهر الرجل ، لأنه لم يفتر عنه ، فكأنه قد سهر ، ولم ينم ، كما قال آخر فى وصف برق :

حتى شئاها كليل موهنا عمل باتت طراباً وبات الليل لم ينم

شئاها : شاقها . يقال : شاه وشاءة بمعنى واحد ، أى شاقه ، وأنشد :

ولقد عهدت تشاء بالأظعان

فتأمله فإنه بديع من المعانى .

وقوله : الصمان والحفر : هما موضعان ، وإليه ينسب أبو داود الحفرى من أهل الحديث . والعكر : جمع عكرة ، وهى القطعة الضخمة من المال . وعكرة اللسان أيضاً : أصله ، وما غلظ منه ، وعكدته أيضاً بالدال .

وقوله فى السينية : ٭ وجناء مجمرة المناسم عرمس ٭

وجناء : غليظة الوجنات بارزتها ، وذلك يدل على غئور عينيها ، وهم يصفون الإبل بغئور العينين عند طول السفار ، ويقال : هى الوجنة فى الآدميين ، رجل موجن وامرأة موجنة ، ولا يقال : وجناء . قاله يعقوب . ومجمرة المناسم ، أى : نكبت مناسمها الجمار ، وهى الحجارة ، والعرمس : الصخرة الصلبة ، وتشبه بها الناقة الجلدة ، وقد يريد بمجمرة أيضاً أن مناسمها مجتمعة منضمة ، فذلك أقوى لها ، وقد حكى أجمرت المرأة شعرها إذا ظفرته . وأجمر الأمير الجيش أى حبسه عن القفول ، قال الشاعر :

معاوى إما أن يجهز أهلنا إلينا ، وإما أن نؤوب معاويا
أأجمرتنا إجمار كسرى جنوده ومنيتنا حتى نسينا الأمانيا

وقوله : ٭ كانوا أمام المؤمنين دريئة ٭

الدريئة : الحلقة التى يتعلم عليها الرمى ، أى : كانوا كالدريئة للرماح .

وقوله : ٭ والشمس يومئذ عليهم أشمس ٭

يريد : لمعان الشمس ، فى كل بيضة من بيضات الحديد ، والسيوف ، كأنها شمس . وهو معنى صحيح وتشبيه مليح.

وفيها قوله : ٭ والخيل تقرع بالكماة وتضرس ٭

أى : تضرب أضراسها باللجم . تقول : ضرسته ، أى ضربت أضراسه ، كما تقول : رأسته ، أى أصبت رأسه .

---

(١) الإرنان : القوة والنشاط .

. . . .

وقوله : فى كلمته الميمية : ٭ وفيهم منهم من تسلما ٭

يريد : وفى سليم من اعتزى إليهم من حلفائهم ، فتسلم بذلك ، كما تقول : تقيس الرجل ، إذا اعتزى إلى قيس. أنشد سيبويه :

وقيس عيلان ومن تقيسا

وأنشد لضمضم بن الحارث ، وهو ممن شهد حنينا مع المسلمين ، وكان ينبغى لأبى عمر رحمه الله أن يذكره فى الصحابة ، لأنه من شرطه ، فلم يفعل ، وقد أنشد له ابن إسحاق مايدل على أنه منهم لقوله :

يوماً على أثر النهاب وتارة ٭ كتبت مجاهدة مع الأنصار

يعنى : فرسه ، وكذلك لم يذكر أبو عمر : ضمضم بن قتادة العجلى ، وله حديث مشهور فى قدومه على النبى صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنه قال له : يارسول الله ، إنى قد تزوجت امرأة فولدت لى غلاما أسود فقال له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ هل لك من إبل ، فقال : نعم والحديث مشهور ، غير أنه لم يسم باسمه فى الصحيحين ، وسمى فى بعض المسندات ، وذكره عبد الغنى فى المبهمات ، وذكر عبد الغنى فى الحديث زيادة حسنة قال : كانت المرأة من بنى عجل ، فقدم المدينة عجائز من عجل ، فسئلن عن المرأة التى ولدت الغلام الأسود ، فقلن : كان فى آبائها رجل أسود .

وذكر شعر أبى خراش ، واسمه : خويلد بن مرة شاعر إسلامى مات فى خلافة عمر رحمه الله : من نهش حية نهشته ، كان سببها أضياف نزلوا به ، وخبره بذلك عجيب ؛ وله فيه شعر . والخراش : وسم لإبل يكون من الصدغ إلى الذقن ؛ فقوله :

تكاد يداه تسلمان إزاره ٭ من الجود لما أذلفته الشمائل

يريد : أنه من سخائه ، يريد أن يتجرد من إزاره لسائله ، فيسلمه إليه ، وألفيت بخط أبى الوليد الوقشى : الجود هاهنا ، وعلى هذه الرواية ، وبهذه الرتبة : السخاء ، وكذلك فسره الأصمعى والطوسى ، وأما على ما وقع فى شعر الهذلى ، وفسر فى الغريب المصنف ، فهو الجوع وموضعه فى الشعر المذكور يتلو قوله : تروح مقروراً .

وفى الغريب : رداءه بدل إزاره .

وقوله : ٭ ولكن قرن الظهر للمرء شاغل ٭

قرن بالقاف : جمعه : أقران ؛ ويروى : ٭ ولكن أقران الظهور مقاتل ٭

مقاتل جمع مقتل بكسر الميم ، مثل محرب من الحرب ، أى من كان قرن ظهر ، فإنه قاتل وغالب .

وقوله يصف الريح : ٭ لها حدب تحته فيوائل ٭

بالحاء المهملة وقع فى الأصل ، وقد يسمى انحدار الماء ونحوها حدباً ، فيكون هذا منه ، وإلا فالخدب بالخاء المنقوطة أشبه بمعنى البيت ، لأنهم يقولون : ريح خدباء كأن بها خدباً ، وهو الهوج .

وذكر فى آخر بيت من شعر مالك بن عوف :

مثل الدريئة تستحل وتشرم

الدريئة : الحلقة التى يتعلم عليها الطعن وهو مهموز ، وتستحل بالحاء المهملة ، وقع فى الأصل ، وفى غيره : تستخل بالخاء معجمة ، وهو أظهر فى المعنى من الخلال ، وقد يكون لتستحل وجه من الحل إذ بعده تشرم ، وكلاهما قريب فى المعنى .

ذكر غزوة الطائف بعد حنين فى سنة ثمان

ولما قدم فل ثقيف الطائف أغلقوا عليهم أبواب مدينتها ، وصنعوا الصنائع للقتال .

ولم يشهد حنينا ولا حصار الطائف عروة بن مسعود ، ولا غيلان بن سلمة ، كانا بجرش يتعلمان صنعة الدبابات والمجانيق والضبور .

ثم سار رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف حين فرغ من حنين فقال كعب بن مالك ، حين أجمع رسول الله صلى الله عليه وسلم السير إلى الطائف :

ماقيل من الشعر فى غزوة الطائف :

قضينا من تهامة كل ريب ... وخيبر ثم أجممنا السيوفا
نخيرها ولو نطقت لقالت ... قواطعهن : دوساً أو ثقيفا
فلست لحاضن إن لم تروها ... بساحة داركم منا ألوفا
وننتزع العروش ببطن وج ... وتصبح دوركم منكم خلوفا
ويأتيكم لنا سرعان خيل ... يغادر خلفه جمعاً كثيفاً
إذا نزلوا بساحتكم سمعتم ... لها مما أناخ بها رجيفا
بأيديهم قواضب مرهفات ... يزرن المصطلين بها الحتوفا
كأمثال العقائق أخلصتها ... قيون الهند لم تضرب كتيفا
تخال جدية الأبطال فيها ... غداة الزحف جادياً مدوفا
أجدهم أليس لهم نصيح ... من الأقوام كان بنا عريفا
يخبرهم بأنا قد جمعنا ... عتاق الخيل والنجب الطروفا
وأنا قد أتيناهم بزحف ... يحيط بسور حصنهم صفوفا
رئيسهم النبى وكان صلبا ... نقى القلب مصطبراً عزوفا
رشيد الأمر ذو حكم وعلم ... وحلم لم يكن نزقاً خفيفا
نطيع نبينا ونطيع ربا ... هو الرحمن كان بنا رءوفا
فإن تلقوا إلينا السلم نقبل ... ونجعلكم لنا عضداً وريفا
وإن تأبوا نجاهدكم ونصبر ... ولا يك أمرنا رعشا ضعيفا
نجالد ما بقينا أو تنيبوا ... إلى الإسلام إذعاناً مضيفا
نجاهد لانبالى من لقينا ... أأهلكنا التلاد أم الطريفا
وكم من معشر ألبوا علينا ... صميم الجذم منهم والحليفا
أتونا لايرون لهم كفاء ... فجدعنا المسامع والأنوفا
بكل مهند لين صقيل ... يسوقهم بها سوقاً عنيفا
لأمر الله والإسلام حتى ... يقوم الدين معتدلا حنيفا
وتنسى اللات والعزى وود ... ونسلبها القلائد والشنوفا
فأمسوا قد أقروا واطمأنوا ... ومن لايمتنع يقبل خسوفا

فأجابه كنانة بن عبد ياليل بن عمرو بن عمير ، فقال :

من كان يبغينا يريد قتالنا فإنا بدار معلم لا نريمها
وجدنا بها الآباء من قبل ماترى وكانت لنا أطواؤها وكرومها
وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر فأخبرها ذو رأيها وحليمها
وقد علمت إن قالت الحق أننا إذا ما أبت صعر الخدود نقيمها
نقومها حتى يلين شريسها ويعرف للحق المبين ظلومها
علينا دلاص من تراث محرق كلون السماء زينتها نجومها
نرفعها عنا ببيض صوارم إذا جردت فى غمرة لانشيمها

قال ابن إسحاق : وقال شداد بن عارض الجشمى فى مسير رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف :

لا تنصروا اللات إن الله مهلكها وكيف ينصر من هو ليس ينتصر
إن التى حرقت بالسد فاشتعلت ولم يقاتل لدى أحجارها هدر
إن الرسول متى ينزل بلادكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

الطريق الى الطائف : قال ابن إسحاق : فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم على نخلة اليمانية ، ثم على قرن ، ثم على المليح ، ثم على بحرة الرغاء من لية ، فابتنى بها مسجداً فصلى فيه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب . أنه أقاد يومئذ ببحرة الرغاء ، حين نزلها ، بدم ، وهو أول دم أقيد به فى الإسلام ، رجل من بنى ليث قتل رجلا من هذيل ، فقتله به وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بلية ، بحصن مالك بن عوف فهدم ، ثم سلك فى طريق يقال لها الضيقة فلما توجه فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم سأل عن اسمها ، فقال : ما اسم هذه الطريق؟ فقيل له : الضيقة ، فقال : بل هى اليسرى ، ثم خرج منها على نخب ، حتى نزل تحت سدرة يقال لها الصادرة . قريباً من مال رجل من ثقيف ، فأرسل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم : إما أن تخرج ، وإما أن نخرب عليك حائطك ؛ فأبى أن يخرج ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخرابه .

ثم مضى رسول الله صلى الله عليه سلم حتى نزل قريباً من الطائف ، فضرب به عسكره فقتل به ناس من أصحابه بالنبل ، وذلك أن العسكر اقترب من حائط الطائف ، فكانت النبل تنالهم ، ولم يقدر المسلمون على أن يدخلوا حائطهم ، أغلقوه دونهم ؛ فلما أصيب أولئك النفر من أصحابه بالنبل وضع عسكره ، عند مسجده الذى بالطائف اليوم ، فحاصرهم بضعاً وعشرين ليلة .

قال ابن هشام : ويقال سبع عشرة ليلة .

القتال : قال ابن إسحاق : ومعه امرأتان من نسائه ، إحداهما أم سلمة بنت أبى أمية ، فضرب لهما قبتين . ثم صلى بين القبتين . ثم أقام ، فلما أسلمت ثقيف بنى على مصلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عمرو بن أمية بن وهب ابن معتب بن مالك مسجداً ، وكانت فى ذلك المسجد سارية ، فيما يزعمون ، لا تطلع الشمس عليها يوماً من الدهر إلا سمع لها نقيض ، فحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقاتلهم قتالا شديداً ، وتراموا بالنبل .

قال ابن هشام : ورماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمنجنيق . حدثنى من أثق به ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من رمى فى الإسلام بالمنجنيق ، رمى أهل الطائف .

قال ابن إسحاق : حتى إذا كان يوم الشدخة عند جدار الطائف ، دخل نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم

تحت دبابة ، ثم زحفوا بها إلى جدار الطائف ليحرقوه ، فأرسلت عليهم ثقيف سكك الحديد محماة بالنار ، فخرجوا من تحتها ، فرمتهم ثقيف بالنبل ، فقتلوا منهم رجالا ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقطع أعناب ثقيف ، فوقع الناس فيها يقطعون .

ابو سفيان والمغيرة يتفاوضان مع ثقيف : وتقدم أبو سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة إلى الطائف ، فناديا ثقيفاً : أن أمنونا حتى نكلمكم ، فأمنوهما ، فدعوا نساء من نساء من قريش وبنى كنانة ليخرجن إليهما وهما يخافان عليهن السباء ، فأبين ، منهن : آمنة بنت أبى سفيان ، كانت عند عروة بن مسعود ، له منها داود بن عروة .

قال ابن هشام : ويقال إن أم داود ميمونة بنت أبى سفيان ، وكانت عند أبى مرة بن عروة بن مسعود ، فولدت داود بن أبى مرة .

قال ابن إسحاق : والفراسية بنت سويد بن عمرو بن ثعلبة ، لها عبد الرحمن بن قارب ، والفقيمية أميمة بنت الناسىء أمية بن قلع : فلما أبين عليهما ، قال لهما ابن الأسود بن مسعود : يا أبا سفيان ويامغيرة ، ألا أدلكما على خير مما جئتما له ، إن مال بنى الأسود بن مسعود حيث قد علمتما ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين الطائف ، نازلا بواد يقال له العقيق ، إنه ليس بالطائف مال أبعد رشاء ، ولا أشد مؤنة ، ولا أبعد عمارة من مال بنى الأسود ، وإن محمداً إن قطعه لم يعمر أبداً ، فكلماه فليأخذ لنفسه ، أو ليدعه لله والرحم . فإن بيننا وبينه من القرابة مالا يجهل؛ فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تركه لهم .

ابو بكر يفسر رؤيا للرسول (ص) : وقد بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لأبى بكر الصديق وهو محاصر ثقيفاً : يا أبا بكر ، إنى رأيت أنى أهديت لى قعبة مملوءة زبداً ، فنقرها ديك ، فهراق ما فيها . فقال أبو بكر : ما أظن أن تدرك منهم يومك هذا ما تريد . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأنا لا أرى ذلك .

ارتحال المسلمين عن الطائف ثم إن خويلة بنت حكيم بن أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية ، وهى امرأة عثمان ، قالت يارسول الله ، أعطنى إن فتح الله عليك الطائف حلى بادية ابنة غيلان بن سلمة ، أو حلى الفارعة بنت عقيل ، وكانتا من أحلى نساء ثقيف .

فذكر لى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها : وإن كان لم يؤذن لى فى ثقيف يا خويلة ؟ فخرجت خويلة ، فذكرت ذلك لعمر بن الخطاب ، فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ما حديث حدثتنيه خويلة ، زعمت أنك قلته ؟ قال : قد قلته ؛ قال : أو ما أذن لك فيهم يارسول الله؟ قال : لا . قال : أفلا أؤذن بالرحيل ؟ قال : بلى . قال : فأذن عمر بالرحيل .

فلما استقل الناس نادى سعيد بن عبيد بن أسيد بن أبى عمرو بن علاج : ألا إن الحى مقيم قال : يقول عيينة بن حصن : أجل ، والله مجدة كراماً : فقال له رجل من المسلمين : قاتلك الله يا عيينة ، أتمدح المشركين بالامتناع من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! ؟ فقال : إنى والله ما جئت لأقاتل ثقيفاً معكم ، ولكنى أردت أن يفتح محمد الطائف ، فأصيب من ثقيف جارية أتطئها ، لعلها تلد لى رجلا ، فإن ثقيفاً قوم مناكير .

عبيد الطائف ينزلون الى المسلمين : ونزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى إقامته ممن كان محاصراً بالطائف عبيد فأسلموا فأعتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم ، عن عبد الله بن مكدم ، عن رجال من ثقيف ، قالوا : لما أسلم أهل الطائف تكلم نفر منهم فى أولئك العبيد ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا ، أولئك عتقاء الله ؛ وكان ممن تكلم فيهم الحارث بن كلدة .

قال ابن هشام : وقد سمى ابن إسحاق من نزل من أولئك العبيد .

. . . .

شعر للضحاك بن سفيان وسببه : قال ابن إسحاق : وقد كانت ثقيف أصابت أهلا لمروان بن قيس الدوسى ، وكان قد أسلم ، وظاهر رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثقيف ، فزعمت ثقيف ، وهو الذى تزعم به ثقيف أنها من قيس : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لمروان بن قيس : خذ يا مروان بأهلك أول رجل من قيس تلقاه ، فلقى أبى بن مالك القشيرى ، فأخذه حتى يؤدوا إليه أهله ، فقام فى ذلك الضحاك بن سفيان الكلابى ، فكلم ثقيفاً حتى أرسلوا أهل مروان ، وأطلق لهم أبى بن مالك ، فقال الضحاك بن سفيان فى شىء كان بينه وبين أبى بن مالك :

أتنسى بلائى يا أبى بن مالك ... غداة الرسول معرض عنك أشوس
يقودك مروان بن قيس بحبله ... ذليلا كما قيد الذلول المخيس
فعادت عليك من ثقيف عصابة ... متى يأتهم مستقبس الشر يقبسوا
فكانوا هم المولى فعادت حلومهم ... عليك وقد كادت بك النفس تيأس

قال ابن هشام : « يقبسوا » ، عن غير ابن إسحاق.

الشهداء يوم الطائف : قال ابن إسحاق : هذه تسمية من استشهد من المسلمين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الطائف :

من قريش ، ثم من بنى أمية بن عبد شمس : سعيد بن سعيد بن العاص بن أمية ، وعرفطة بن جناب حليف لهم، من الأسد بن الغوث .

قال ابن هشام : ويقال ابن حباب .

قال ابن إسحاق : ومن بنى تيم بن مرة : عبد الله بن أبى بكر الصديق ، رمى بسهم ، فمات منه بالمدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ومن بنى مخزوم : عبد الله بن أبى أمية بن المغيرة ، من رمية رميها يومئذ .

ومن بنى عدى بن كعب : عبد الله بن عامر بن ربيعة ، حليف لهم .

ومن بنى سهم بن عمرو : السائب بن الحارث بن قيس بن عدى ، وأخوه عبد الله بن الحارث .

ومن بنى سعد بن ليث : جليحة بن عبد الله

واستشهد من الأنصار : من بنى سلمة : ثابت بن الجذع .

ومن بنى مازن بن النجار : الحارث بن سهل بن أبى صعصعة .

ومن بنى ساعدة : المنذر بن عبد الله .

ومن الأوس : رقيم بن ثابت بن ثعلبة بن زيد بن لوذان بن معاوية .

فجميع من استشهد بالطائف من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اثنا عشر رجلا سبعة من قريش ، وأربعة من الأنصار ، ورجل من بنى ليث .

قصيدة بجير بن زهير فى حنين والطائف : فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطائف بعد القتال والحصار ، قال بجير بن زهير بن أبى سلمى يذكر حنيناً والطائف :

كانت علالة يوم بطن حنين ... وغداة أوطاس ويوم الأبرق
جمعت بأغواء هوازن جمعها ... فتبددوا كالطائر المتمزق
لم يمنعوا منا مقاماً واحداً ... إلا جدارهم وبطن الخندق
ولقد تعرضنا لكيما يخرجوا ... فتحصنوا منا بباب مغلق
ترتد حسراناً إلى رجراجة ... شهباء تلمع بالمنايا فيلق

ملمومة خضراء لو قذفوا بها حضنا لظل كأنه لم يخلق
مشى الضراء على الهراس كأننا قدر تفرق فى القياد وتلتق
فى كل سابغة إذا ما استحصنت كالنهى هبت ريحه المترقرق
جدل تمس فضولهن نعالنا من نسج داود وآل محرق

أمر أموال هوازن وسباياها وعطايا المؤلفة قلوبهم منها

وإنعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حين انصرف عن الطائف على دحنا حتى نزل الجعرانة فيمن معه من الناس ، ومعه من هوازن سبى كثير وقد قال له رجل من أصحابه يوم ظعن عن ثقيف : يارسول الله ، ادع عليهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اهد ثقيفا وأت بهم » .

ثم أتاه وفد هوازن الجعرانة ، وكان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من سبى هوازن ستة آلاف من الذرارى والنساء ، ومن الإبل والشاء مالا يدرى ماعدته .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو : أن وفد هوازن أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أسلموا ، فقالوا : يارسول إنا أصل وعشيرة وقد أصابنا من البلاء مالم يخف عليك فامنن علينا ، من الله عليك . قال : وقام رجل من هوازن ، ثم أحد بنى سعد بن بكر ، يقال له زهير ، يكنى أبا صرد ، فقال : يارسول الله ، إنما فى الحظائر عماتك وخالاتك وحواضنك اللاتى كن يكفلنك ، ولو أنا ملحنا للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، ثم نزل منا بمثل الذى نزلت به ، رجونا عطفه وعائدته علينا ، وأنت خير المكفولين .

قال ابن هشام : ويروى : ولو أنا مالحنا الحارث بن أبى شمر ، أو النعمان بن المنذر .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عمرو بن شعيب ، عن أبيه ، عن جده عبد الله بن عمرو ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبناؤكم ونساؤكم أحب إليكم أم أموالكم ؟ فقالوا : يارسول الله ، خيرتنا بين أموالنا وأحسابنا ، بل ترد إلينا نساءنا وأبناءنا ، فهو أحب إلينا ، فقال لهم : أما ما كان لى ولبنى عبدالمطلب فهو لكم ، وإذا ما أنا صليت الظهر بالناس ، فقوموا فقولوا : إنا نستشفع برسول الله إلى المسلمين ، وبالمسلمين إلى رسول الله فى أبنائنا ونسائنا ، فسأعطيكم عند ذلك ، وأسأل لكم ، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس الظهر ، قاموا فتكلموا بالذى أمرهم به ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وأما ما كان لى ولبنى عبد المطلب فهو لكم . فقال المهاجرون : وما كان لنا فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال الأقرع بن حابس : أما أنا وبنو تميم فلا . وقال عيينة بن حصن : أما أنا وبنو فزارة فلا . وقال عباس بن مرداس : أما أنا وبنو سليم فلا . فقالت بنو سليم : بلى ، ما كان فهو لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال : يقول عباس بن مرادس لبنى سليم : وهنتمونى .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما من تمسك منكم بحقه من هذا السبى فله بكل إنسان ست فرائض ، من أول سبى أصيبه ، فردوا إلى الناس أبناءهم ونساءهم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو وجزة يزيد بن عبيد السعدى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى على بن أبى طالب رضى الله عنه جارية ، يقال لها ريطة بنت هلال بن حيان بن عميرة بن هلال بن ناصرة بن قصية بن نصر بن سعد

ابن بكر ، وأعطى عثمان بن عفان جارية ، يقال لها زينب بنت حيان بن عمرو بن حيان ، وأعطى عمر بن الخطاب جارية ، فوهبها لعبد الله بن عمر ابنه .

قال ابن إسحاق : فحدثني نافع مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، قال : بعثت بها إلى أخوالى من بنى جمح ليصلحوا لى منها ، ويهيئوها ، حتى أطوف بالبيت ، ثم آتيهم ، وأنا أريد أن أصيبها إذا رجعت إليها . قال فخرجت من المسجد حين فرغت ، فإذا الناس يشتدون ، فقلت : ما شأنكم ؟ قالوا : رد علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءنا وأبناءنا ، فقلت : تلكم صاحبتكم فى بنى جمح ، فاذهبوا فخذوها ، فذهبوا إليها ، فأخذوها .

قال ابن إسحاق : وأما عيينة بن حصن ، فأخذ عجوزاً من عجائز هوازن ، وقال حين أخذها : أرى عجوزاً إنى لأحسب لها فى الحى نسباً ، وعسى أن يعظم فداؤها . فلما رد رسول الله صلى الله عليه وسلم السبايا بست فرائض ، أبى أن يردها فقال له زهير أبو صرد : خذها عنك . فوالله مافوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا بطنها بوالد ، ولا زوجها بواجد ، ولا درها بماكد . فردها بست فرائض حين قال له زهير ما قال ، فزعموا أن عيينة لقى الأقرع بن حابس ، فشكا إليه ذلك ، فقال : إنك والله ما أخذتها بيضاء غريرة ، ولا نصفا وثيرة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لوفد هوازن ، وسألهم عن مالك بن عوف مافعل ؟ فقالوا : هو بالطائف مع ثقيف ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أخبروا مالكا أنه إن أتانى مسلما رددت عليه أهله وماله ، وأعطيته مائة من الإبل ، فأتى مالك بذلك ، فخرج إليه من الطائف . وقد كان مالك خاف ثقيفاً على نفسه أن يعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له ما قال ، فيحبسوه ، فأمر براحلته فهيئت له ، وأمر بفرس له فأتى به إلى الطائف ، فخرج ليلا ؛ فجلس على فرسه ، فركضه حتى أتى راحلته حيث أمر بها أن تحبس ، فركبها ، فلحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأدركه بالجعرانة أو بمكة ، فرد عليه أهله وماله ، وأعطاه مائة من الإبل . وأسلم فحسن إسلامه ، فقال مالك بن عوف حين أسلم :

ما إن رأيت ولا سمعت بمثله	فى الناس كلهم بمثل محمد
أوفى وأعطى للجزيل إذا اجتدى	ومتى تشأ يخبرك عما فى غد
وإذا الكتيبة عردت أنيابها	بالسمهرى وضرب كل مهند
فكأنه ليث على أشباله	وسط الهباءة خادر فى مرصد

فاستعمله رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه ، وتلك القبائل : ثمالة ، وسلمة ، وفهم ، فكان يقاتل بهم ثقيفا ، لايخرج لهم سرح إلا أغار عليه ، حتى ضيق عليهم ، فقال أبو محجن بن حبيب بن عمرو بن عمير الثقفى :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمة
وأتانا مالك بهم ناقضا للعهد والحرمة
وأتونا فى منازلنا ولقد كنا أولى نقمة

قال ابن إسحاق : ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من رد سبايا حنين إلى أهلها ، ركب واتبعه الناس يقولون : يارسول الله ، أقسم علينا فيئنا من الإبل والغنم ، حتى ألجئوه إلى شجرة ، فاختطفت عنه رداءه ، فقال : أدوا على ردائى أيها الناس ، فوالله أن لو كان لكم بعدد شجر تهامة نعما لقسمته عليكم ، ثم ما ألفيتمونى بخيلا ولا جبانا ولا كذابا ، ثم قام إلى جنب بعير ، فأخذ وبرة من سنامه ، فجعله بين أصبعيه ، ثم رفعها ، ثم قال : أيها الناس ، والله

. . . .

مالى من فيئكم ولا هذه الوبرة إلا الخمس ؛ والخمس مردود عليكم ؛ فأدوا الخياط والمخيط ، فإن الغلول يكون على أهله عاراً وناراً وشناراً يوم القيامة . قال : فجاء رجل من الأنصار بكبة من خيوط شعر ، فقال : يارسول الله ، أخذت هذه الكبة أعمل بها برذعة بعير لى دبر ، فقال : أما نصيبى منها فلك ! قال : أما إذ بلغت هذا فلا حاجة لى بها : ثم طرحها من يده .

قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن أبيه : أن عقيل بن أبى طالب دخل يوم حنين على امرأته فاطمة بنت شيبة بن ربيعة ، وسيفه متلطخ دماً ، فقالت : إنى قد عرفت أنك قد قاتلت ، فماذا أصبت من غنائم المشركين ؟ فقال : دونك هذه الإبرة تخيطين بها ثيابك ، فدفعها إليها ، فسمع منادى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من أخذ شيئاً فليرده ، حتى الخياط والمخيط . فرجع عقيل ، فقال : ما أرى إبرتك إلا قد ذهبت ، فأخذها ، فألقاها فى الغنائم

قال ابن إسحاق : وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم وكانوا أشرافاً من أشراف الناس ، يتألفهم ويتألف بهم قومهم ، فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة بعير ، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ، وأعطى حكيم بن حزام مائة بعير ، وأعطى الحارث بن الحارث بن كلدة ، أخا بنى عبد الدار مائة بعير .

قال ابن هشام : نصير بن الحارث بن كلدة ، ويجوز أن يكون اسمه الحارث أيضاً .

قال ابن إسحاق : وأعطى الحارث بن هشام مائة بعير ، وأعطى سهيل بن عمرو مائة بعير ، وأعطى حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس مائة بعير ، وأعطى العلاء بن جارية الثقفى ، حليف بنى زهرة مائة بعير ، وأعطى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر مائة بعير ، وأعطى الأقرع بن حابس التميمى مائة بعير . وأعطى مالك بن عوف النصرى مائة بعير ، وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير ، فهؤلاء أصحاب المئين .

وأعطى دون المائة رجالا من قريش ، منهم مخرمة بن نوفل الزهرى ، وعمير بن وهب الجمحى ، وهشام بن عمرو أخو بنى عامر بن لؤى ، لا أحفظ ما أعطاهم ، وقد عرفت أنها دون المائة ، وأعطى سعيد بن يربوع بن عنكثة بن عامر بن مخزوم خمسين من الإبل ، وأعطى السهمى خمسين من الإبل .

قال ابن هشام : واسمه عدى بن قيس :

قال ابن إسحاق : وأعطى عباس بن مرداس أباعر فسخطها ، فعاتب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال عباس بن مرداس يعاتب رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كانت نهاباً تلافيتها ... بكرى على المهر فى الأجرع
وإيقاظى القوم أن يرقدوا ... إذ هجع الناس لم أهجع
فأصبح نهبى ونهب العبيد ... بين عيينة والأقرع
وقد كنت فى الحرب ذا تدرإ ... فلم أعط شيئاً ولم أمنع
إلا أفائل أعطيتها ... عديد قوائمها الأربع
وما كان حصن ولا حابس ... يفوقان شيخى فى المجمع
وما كنت دون امرىء منهما ... ومن تضع اليوم لايرفع

قال ابن هشام . أنشدنى يونس النحوى :

فما كان حصن ولا حابس ... يفوقان مرداس فى المجمع

قال ابن إسحاق : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اذهبوا به ، فاقطعوا عنى لسانه، فأعطوه حتى رضى ، فكان ذلك قطع لسانه الذى أمر به رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن هشام : وحدثنى بعض أهل العلم : أن عباس بن مرداس أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنت القائل :

« فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة » ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : هما واحد ؛ فقال أبو بكر : أشهد أنك كما قال الله : « وما علمناه الشعر وما ينبغى له » .

قال ابن هشام : وحدثنى من أثق به من أهل العلم فى إسناد له ، عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم ، فأعطاهم يوم الجعرانة من غنائم حنين .

من بنى أمية بن عبد شمس : أبو سفيان بن أمية ، وطليق بن سفيان بن أمية ، وخالد بن أسيد بن أبى العيص بن أمية .

ومن بنى عبد الدار بن قصى : شيبة بن أبى طلحة بن عبد العزى بن عثمان بن عبد الدار ، وأبو السنابل بن بعكك بن الحارث بن عيلة بن السباق بن عبد الدار ، وعكرمه بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار .

ومن بنى مخزوم بن يقظة : زهير بن أبى أمية بن المغيرة ، والحارث بن هشام بن المغيرة وخالد بن هشام بن المغيرة ، وهشام بن الوليد بن المغيرة ، وسفيان بن عبد الأسد بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، والسائب بن أبى السائب بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن مخزوم .

ومن بنى عدى بن كعب مطيع بن حارثة بن نضلة ، وأبو جهم بن حذيفة بن غانم .

ومن بنى جمح بن عمرو : صفوان بن أمية بن خلف . وأحيحة بن أمية بن خلف ، وعمير بن وهب بن خلف .

ومن بنى سهم : عدى بن قيس بن حذافة .

ومن بنى عامر بن لؤى : حويطب بن عبد العزى بن أبى قيس بن عبد ود ، وهشام بن عمرو بن ربيعة بن الحارث بن حبيب .

ومن أفناء القبائل : من بنى بكر بن عبد مناة بن كنانة : نوفل بن معاوية بن عروة بن صخر بن رزن بن يعمر ابن نفاثة بن عدى بن الديل .

ومن بنى قيس ، ثم من بنى عامر بن صعصعة ، ثم من بنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة : علقمة بن علاثة بن عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، ولبيد بن ربيعة بن مالك بن جعفر بن كلاب .

من بنى عامر بن ربيعة : خالد بن هوذة بن ربيعة بن عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة ، وحرملة بن هوذة بن ربيعة بن عمرو .

ومن بنى نصر بن معاوية : مالك بن عوف بن سعيد بن يربوع .

ومن بنى سليم بن منصور : عباس بن مرداس بن أبى عامر ، أخو بنى الحارث بن بهثة بن سليم .

ومن بنى غطفان ثم من بنى فزارة : عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر .

ومن بنى تميم ثم من بنى حنظلة : الأقرع بن حابس بن عقال ، من بنى مجاشع بن دارم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى : أن قائلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه : يارسول الله ، أعطيت عيينة بن حصن والأقرع بن حابس مائة مائة ، وتركت جعيل بن سراقة الضمرى؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقة خير من طلاع الأرض ، كلهم مثل عيينة ابن حصن والأقرع بن حابس ، ولكنى تألفتهما ليسلما ، ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه .

قال ابن إسحاق : وحدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر ، عن مقسم أبي القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث ابن نوفل ، قال : خرجت أنا وتليد بن كلاب الليثي ، حتى أتينا عبد الله بن عمرو بن العاص ، وهو يطوف بالبيت ، معلقاً نعله بيده فقلنا له حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كلمه التميمي يوم حنين ؟ قال : نعم ، جاء رجل من بني تميم ، يقال له ذو الخويصرة ، فوقف عليه وهو يعطي الناس ، فقال : يامحمد ، قد رأيت ما صنعت في هذا اليوم ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أجل ، فكيف رأيت ؟ فقال : لم أرك عدلت قال : فغضب النبي — صلى الله عليه وسلم — ثم قال : ويحك ! إذا لم يكن العدل عندي ، فعند من يكون ؟ ! فقال عمر بن الخطاب : يارسول الله ، ألا أقتله ؟ فقال : لا ، دعه فإنه سيكون له شيعة يتعمقون في الدين حتى يخرجوا منه كما يخرج السهم من الرمية ، ينظر في النصل ، فلا يوجد شيء ، ثم في القدح ، فلا يوجد شيء ، ثم في الفوق ، فلا يوجد شيء ، سبق الفرث والدم .

قال ابن إسحاق : وحدثني محمد بن علي بن الحسين أبو جعفر بمثل حديث أبي عبيدة ، وسماه ذا الخويصرة .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي نجيح ، عن أبيه بمثل ذلك .

قال ابن هشام : ولما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى قريش وقبائل العرب ، ولم يعط الأنصار شيئاً ، قال حسان بن ثابت يعاتبه في ذلك :

زادت هموم فماء العين منحدر ... سحاً إذا حفلته عبرة درر
وجداً بشماء إذ شماء بهكنة ... هيفاء لاذنن فيها ولا خور
دع عنك شماء إذ كانت مودتها ... نزراً وشر وصال الواصل النزر
وأت الرسول فقل ياخير مؤتمن ... للمؤمنين إذا ما عدد البشر
علام تدعى سليم وهي نازحة ... قدام قوم هم آووا وهم نصروا
سماهم الله أنصاراً بنصرهم ... دين الهدى وعوان الحرب تستعر
وسارعوا في سبيل الله واعترفوا ... للنائبات وما خاموا وماضجروا
والناس ألب علينا فيك ليس لنا ... إلا السيوف وأطراف القنا وزر
نجالد الناس لا نبقي على أحد ... ولا نضيع ما توحي به السور
ولا تهر جناة الحرب نادينا ... ونحن حين تلظى نارها سعر
كما رددنا ببدر دون ما طلبوا ... أهل النفاق وفينا ينزل الظفر
ونحن جندك يوم النعف من أحد ... إذ حزبت بطراً أحزابها مضر
فما ونينا وما خمنا وما خبروا ... منا عثاراً وكل الناس قد عثروا

قال ابن هشام : حدثني زياد بن عبد الله ، قال : حدثنا ابن إسحاق : قال : وحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد عن أبي سعيد الخدري . قال : لما أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطى من تلك العطايا ، في قريش وفي قبائل العرب ، ولم يكن في الأنصار منها شيء ، وجد هذا الحي من الأنصار في أنفسهم ، حتى كثرت منهم القالة حتى قال قائلهم : لقد لقي والله رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ، فدخل عليه سعد بن عبادة ، فقال : يارسول الله ، إن هذا الحي من الأنصار قد وجدوا عليك في أنفسهم ، لما صنعت في هذا الفيء الذي أصبت ، قسمت في قومك ، وأعطيت عطايا عظاماً في قبائل العرب ، ولم يك في هذا الحي من الأنصار منها شيء . قال : فأين أنت من ذلك ياسعد ؟ قال : يا رسول الله ، ما أنا إلا من قومي . قال : فاجمع لي قومك في هذه الحظيرة . قال : فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة

قال فجاء رجال من المهاجرين فتركهم ، فدخلوا ، وجاء آخرون فردهم؛ فلما اجتمعوا له أتاه سعد ، فقال : قد اجتمع لك هذا الحي من الأنصار ، فأتاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال : يامعشر الأنصار : ماقالة بلغتني عنكم، وجدة وجدتموها على في أنفسكم ؟ ألم آتكم ضلالا فهداكم الله ، وعالة فأغناكم الله، وأعداء فألف الله بين قلوبكم ! قالوا : بلى ، الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال : ألا تجيبونى يا معشر الأنصار ؟ قالوا : بماذا نجيبك يا رسول الله ؟ لله ولرسوله المن والفضل . قال صلى الله عليه وسلم : أما والله لو شئتم لقلتم ، فلصدقتم ولصدقتم : أتيتنا مكذبا فصدقناك ، ومخذولا فنصرناك ، وطريداً فآويناك ، وعائلا فآسيناك . أوجدتم يامعشر الانصار فى أنفسكم فى لعاعة من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا ، ووكلتكم إلى إسلامكم ، ألا ترضون يا معشر الأنصار ، أن تذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ؟ فوالذى نفس محمد بيده .لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار ، ولو سلك الناس شعباً وسلكت الأنصار شعباً ، لسلكت شعب الأنصار . اللهم ارحم الأنصار ، وأبناء الأنصار ، وأبناء أبناء الأنصار .

قال : فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم ، وقالوا : رضينا برسول الله قسما وحظاً . ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتفرقوا .

عمرة الرسول من الجعرانة

واستخلافه عتاب بن أسيد على مكة ، وحج عتاب بالمسلمين سنة ثمان

قال ابن إسحاق : ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجعرانة معتمراً ، وأمر ببقايا الفيء فحبس بمجنة ، بناحية مر الظهران : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من عمرته انصرف راجعاً إلى المدينة واستخلف عتاب بن اسيد على مكة ، وخلف معه معاذ بن جبل ، يفقه الناس فى الدين ، ويعلمهم القرآن ، واتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ببقايا الفيء .

قال ابن هشام ، وبلغنى عن زيد بن أسيد أنه قال : لما استعمل النبى صلى الله عليه وسلم عتاب بن أسيد على مكة رزقه كل يوم درهما ، فقام فخطب الناس ، فقال : أيها الناس ، أجاع الله كبد من جاع على درهم ، فقد رزقنى رسول الله صلى الله عليه وسلم درهما كل يوم ، فليست بى حاجة إلى أحد .

قال ابن إسحاق : وكانت عمرة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذى القعدة ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فى بقية ذى القعدة أو فى ذى الحجة .

قال ابن هشام : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة لست ليال بقين من ذى القعدة فيما زعم أبو عمرو المدنى.

قال ابن إسحاق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد، وهى سنة ثمان ، وأقام أهل الطائف على شركهم وامتناعهم فى طائفهم ، ما بين ذى القعدة إذ انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شهر رمضان من سنة تسع .

أمر كعب بن زهير بعد الانصراف عن الطائف

ولما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن أبى سلمى إلى أخيه كعب ابن زهير يخبره أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل رجالا بمكة ، ممن كان يهجوه ويؤذيه، وأن من بقى من شعراء قريش ، ابن الزبعرى وهبيرة بن وهب ، قد هربوا فى كل وجه، فإن كانت لك فى نفسك حاجة ، فطر إلى رسول الله صلى الله

عليه وسلم : فإنه لا يقتل أحداً جاءه تائبا، وإن أنت لم تفعل فانج إلى نجائك من الأرض ، وكان كعب بن زهير قد قال :

ألا أبلغا عنى بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت ويحك هل لكا ؟

فبين لنا إن كنت لست بفاعل ... على أى شىء غير ذلك دلكا

على خلق لم ألف يوماً أبا له ... عليه وما تلفى عليه أبا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت : لعاً لكا

سقاك بها المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

قال ابن هشام : ويروى « المأمور » . وقوله « فبين لنا » عن غير ابن إسحاق .

وأنشدنى بعض أهل العلم بالشعر وحديثه :

من مبلغ عنى بجيراً رسالة ... فهل لك فيما قلت بالخيف هل لكا

شربت مع المأمون كأساً روية ... فأنهلك المأمون منها وعلكا

وخالفت أسباب الهدى واتبعته ... على أى شىء ويب غيرك دلكا

على خلق لم تلف أما ولا أباً ... عليه ولم تدرك عليه أخا لكا

فإن أنت لم تفعل فلست بآسف ... ولا قائل إما عثرت : لعاً لكا

قال : وبعث بها إلى بجير ، فلما أتت بجيراً كره أن يكتمها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنشده إياها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم - لما سمع « سقاك بها المأمون » - صدق وإنه لكذوب ، أنا المأمون : ولما سمع : « على خلق لم تلف أما ولا أباً عليه » قال : أجل ، لم يلف عليه أباه ولا أمه .

ثم قال بجير لكعب :

من مبلغ كعباً فهل لك فى التى ... تلوم عليها باطلا وهى أحزم

إلى الله - لا العزى ولا اللات - وحده ... فتنجو إذا كان النجاء وتسلم

لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت ... من الناس إلا طاهر القلب مسلم

فدين زهير وهو لا شىء دينه ... ودين أبى سلمى على محرم

قال ابن إسحاق : وإنما يقول كعب : « المأمون » ، ويقال : « المأمور » فى قول ابن هشام ، لقول قريش الذى كانت تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

كعب بن زهير وقصيدته : قال ابن إسحاق : فلما بلغ كعباً الكتاب ضاقت به الأرض ، وأشفق على نفسه ، وأرجف به من كان فى حاضره من عدوه ، فقالوا : هو مقتول : فلما لم يجد من شىء بدأ ، قال قصيدته التى يمدح فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر فيها خوفه وإرجاف الوشاة به من عدوه ، ثم خرج حتى قدم المدينة ، فنزل على رجل كانت بينه وبينه معرفة ، من جهينة ، كما ذكر لى ، فغدا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى الصبح فصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أشار له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : هذا رسول الله ، فقم إليه فاستأمنه فذكر لى أنه قام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى جلس إليه ، فوضع يده فى يده ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يعرفه ، فقال : يارسول الله ، إن كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائباً مسلماً ، فهل أنت قابل منه إن أنا جئتك به ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . نعم ، قال : أنا يارسول الله كعب بن زهير .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أنه وثب عليه رجل من الأنصار ، فقال : يارسول الله ، دعنى وعدو الله أضرب عنقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : دعه عنك ، فإنه قد جاء تائباً ، نازعا عما كان عليه قال فغضب كعب على هذا الحى من الأنصار ، لما صنع به صاحبهم ، وذلك أنه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين إلا بخير

فقال فى قصيدته التى قال حين قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول ... متيم إثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا ... إلا أغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة ... لا يشتكى قصر منها ولا طول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت ... كأنه منهل بالراح معلول
شجت بذى شبم من ماء محنية ... صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفى الرياح القذى عنه وأفرطه ... من صوب غادية بيض يعاليل
فيالها خلة لو أنها صدقت ... بوعدها أولو ان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها ... فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها ... كما تلون فى أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذى زعمت ... إلا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك مامنت وما وعدت ... إن الأمانى والأحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا ... وما مواعيدها إلا الأباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها ... وما إخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لايبلغها ... إلا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها إلا عذافرة ... لها على الأين إرقال وتبغيل
من كل نضاخة الذفرى إذا عرقت ... عرضتها طامس الأعلام مجهول
ترمى الغيوب بعينى مفرد لهق ... إذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها ... فى خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء وجناء علكوم مذكرة ... فى دفها سعة قدامها ميل
وجلدها من أطوم ما يؤيسه ... طلح بضاحية المتنين مهزول
حرف أخوها أبوها من مهجنة ... وعمها خالها قوداء شمليل
يمشى القراد عليها ثم يزلقه ... منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض ... مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأنما فات عينيها ومذبحها ... من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خصل ... فى غارز لم تخونه الأحاليل
قنواء فى حرتيها للبصير بها ... عتق مبين وفى الخدين تسهيل
تخدى على يسرات وهى لاحقة ... ذوابل مسهن الأرض تحليل
سمر العجايات يتركن الحصى زيماً ... لم يقهن رءوس الأكم تنعيل
كأن أوب ذراعيها وقد عرقت ... وقد تلفع بالقور العساقيل
يوماً يظل به الحرباء مصطخداً ... كأن ضاحيه بالشمس مملول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ... ورق الجنادب يركضن الحصا قيلوا
شد النهار ذراعا عيطل نصف ... قامت فجاوبها نكد مثاكيل

نواحة رخوة الضبعين ليس لها ... لما نعى بكرها الناعون معقول
تفرى اللبان بكفيها ومدرعها ... مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الغواة جنابيها وقولهم ... إنك يابن أبى سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله ... لا ألهينك إنى عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلى لا أبالكم ... فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن أنثى وإن طالت سلامته ... يوماً على آلة حدباء محمول
نبئت أن رسول الله أوعدنى ... والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة القـ ... رآن فيها مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم ... أذنب ولو كثرت فى الأقاويل
لقد أقوم مقاماً لو يقوم به ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تنويل
حتى وضعت يمينى ما أنازعه ... فى كف ذى نقمات قيله القيل
فلهو أخوف عندى إذ أكلمه ... وقيل إنك منسوب ومسئول
من ضيغم بضراء الأرض مخدره ... فى بطن عثر غيل دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما ... لحم من الناس معفور خراديل
إذا يساور قرناً لا يحل له ... أن يترك القرن إلا وهو مفلول
منه تظل سباع الجو نافرة ... ولا تمشى بواديه الأراجيل
ولا يزال بواديه أخو ثقة ... مضرج البز والدرسان مأكول
إن ارسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ... ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال أنكاس ولا كشف ... عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم ... من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق ... كأنها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح إن نالت رماحهم ... قوماً وليسوا مجازيعاً إذا نيلوا
يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن إلا فى نحورهم ... وما لهم عن حياض الموت تهليل

قال ابن هشام: قال كعب هذه القصيدة بعد قدومه على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبيته: « حرف أخوها أبوها »، وبيته: « يمشى القراد »، وبيته: « عيرانة قذفت »، وبيته: « تمر مثل عسيب النخل »، وبيته: « تفرى اللبان »، وبيته: « إذا يساور قرناً »، وبيته: « ولا يزال بواديه ». عن غير ابن إسحاق.

كعب يسترضى الأنصار بمدحهم: قال ابن إسحاق: وقال عاصم بن عمر بن قتادة: فلما قال كعب: « إذا عرد السود التنابيل »، وإنما يريدنا معشر الأنصار، لما كان صاحبنا صنع به ما صنع، وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمدحته، غضبت عليه الأنصار، فقال بعد أن أسلم يمدح الأنصار، ويذكر بلاءهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وموضعهم من اليمن.

من سره كرم الحياة فلا يزل	في مقنب من صالحى الأنصار
ورثوا المكارم كابراً عن كابر	إن الخيار هم بنو الأخيار
المكرهين السمهرى بأذرع	كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين بأعين محمرة	كالجمر غير كليلة الأبصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم	للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين الناس عن أديانهم	بالمشرفى وبالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم	بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية	غلب الرقاب من الأسود ضوارى
وإذا حللت ليمنعوك إليهم	أصبحت عند معاقل الأعفار
ضربوا علياً يوم بدر ضربة	دانت لوقعتها جميع نزار
لو يعلم الأقوام علمى كله	فيهم لصدقنى الذين أمارى
قوم إذا خوت النجوم فإنهم	للطارقين النازلين مقارى
فى الغر من غسان من جرثومة	أعيت محافرها على المنقار

قال ابن هشام : ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له حين أنشده : « بانت سعاد فقلبي اليوم متبول » لولا ذكرت الأنصار بخير ، فإنهم لذلك أهل ؟ فقال كعب هذه الأبيات ، وهى من قصيدة له .

قال ابن هشام : وذكر لى عن على بن زيد بن جدعان أنه قال : أنشد كعب بن زهير رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المسجد :

« بانت سعاد فقلبي اليوم متبول »

غزوة الطائف

أصل تسميتها . ذكر بعض أهل النسب أن الدمون بن الصدف ، واسم الصدف . ملك بن مالك بن مرتع ابن كندة من حضرموت أصاب دماً من قومه ، فلحق بثقيف ، فأقام فيهم ، وقال لهم : ألا أبنى لكم حائطاً يطيف ببلدكم ، فبناه ، فسمى به الطائف ، ذكره البكرى هكذا قال . إنما هو الدمون بن عبد بن مالك بن دهقل ، وهو من الصدف ، وله ابنان أدركا النبي — صلى الله عليه وسلم — وبايعاه ، اسم أحدهما : الهميل ، والآخر . قبيصة ، ولم يذكرهما أبو عمر فى الصحابة ، وذكرهما غيره .

وذكر أن أصل أعنابها أن قسى بن منبه ، وهو ثقيف أصاب دماً فى قومه أيضاً ، وهم إياد ففر إلى الحجاز ، فمر بامرأة يهودية فآوته ، وأقام عندها زماناً ، ثم انتقل عنها ، فأعطته قضباً من الحبلة وأمرته أن يغرسها فى أرض وصفتها له ، فأتى بلاد عدوان ، وهم سكان الطائف فى ذلك الزمان ، فمر بسخيلة جارية عامر بن الظرب العدوانى ، وهى ترعى غنما ، فأراد سباءها ، وأخذ الغنم ، فقالت له : ألا أدلك على خير مما هممت به ، اقصد إلى سيدى وجاوره فهو أكرم الناس ، فأتاه فزوجه من بنته زينب بنت عامر ، فلما جلت عدوان عن الطائف بالحروب التى وقعت بينهما أقام قسى ، وهو ثقيف ، فمنه تناسل أهل الطائف ، وسمى . قسياً بقسوة قلبه حين قتل أخاه أو ابن عمه ، وقيل سمى ثقيفا لقولهم فيه : ما أثقفه حين ثقف عامراً حتى أمنه وزوجه بنته .

وذكر بعض المفسرين وجهاً آخر فى تسميتها بالطائف ، فقال فى الجنة التى ذكرها الله سبحانه فى سورة « ن » حيث يقول : « فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون » . قال : كان الطائف جبريل عليه السلام اقتلعها من موضعها ، فأصبحت كالصريم ، وهو الليل ، أصبح موضعها كذلك ، ثم سار بها إلى مكة ، فطاف بها حول البيت ، ثم أنزلها حيث الطائف اليوم ، فسميت باسم الطائف الذى طاف عليها ، وطاف بها ، وكانت تلك الجنة بضروان على فراسخ من صنعاء ، ومن ثم كان الماء والشجر بالطائف دون ماحولها من الأرضين ، وكانت قصة أصحاب الجنة بعد عيسى بن مريم صلى الله على نبينا وعليه وسلم بيسير ، ذكر هذا الخبر النقاش وغيره .

فإن قيل . فإذا كان ثقيف هو قسى بن منبه ، كما قال ابن إسحاق وغيره ، فكيف قال سيبويه حاكياً عن العرب : ثقيف بن قسى ، فجعله ابناً لقسى ؟

قيل : إنما أراد سيبويه أن الحى سمى ثقيفاً ، وهم بنو قسى ، كما قالوا باهلة بن أعصر ، وإنما هى أمهم . ولكن سمى الحى بها ، ثم قيل فيه : ابن أعصر ، وكذلك قالوا : ثقيف بن قسى على هذا ، ويقوى هذا أن سيبويه إنما قال حاكياً : هؤلاء ثقيف بن قسى .

آلات الحرب المستعملة فى الطائف : فصل : وذكر تعلم أهل الطائف صنعة الدبابات والمجانيق والضبور . الدبابة : آلة من آلات الحرب يدخل فيها الرجال فيدبون بها إلى الأسوار لينقبوها ، والضبور : مثل رءوس الأسفاط يتقى بها فى الحرب عند الانصراف ، وفى العين : الضبر جلود يغشى بها خشب يتقى بها فى الحرب . وفى الحديث عن الزهرى أن الله ـ تبارك وتعالى ـ حين مسخ بنى إسرائيل قردة مسخ رمانهم المظ ، وبرهم الذرة ، وعنبهم الأراك ، وجوزهم الضبر ، وهو من شجر البرية وله ثمر كالجوز لانفع فيه ، فهذا معنى آخر غير الأول . وقال أبو حنيفة فى الضبر : إنه كالجوز ينور ولا يطعم قال : ويقال أظل الظلال : ظل الضبرة وظل التنعيمة ، وظل الحجر ، قال : وورقها كبار كثيفة ، فكان ظلها لذلك أملى [كثيف] وأما المظ الذى تقدم ذكره فى الحديث فهو رمان البر ينور ، ولا يثمر ، وله جلنار ، كما للرمان يمتص منه المذخ ، وهو عسل كثير يشبع من امتصه حتى يملأ بطنه ، ذكره أبو حنيفة فى النبات .

وأما المجانيق : فمعروفة وهى أعجمية عربتها العرب . قال كراع : كل كلمة فيها جيم وقاف ، أو جيم وكاف فهى أعجمية ، وذلك كالجوالق والجولق وجاق والكيلجة وهى مكيال صغير ، والكفجلار وهى المغرفة والقبج هو الحجل وما كان نحو ذلك ، والميم فى منجنيق أصلية عند سيبويه والنون زائدة ، ولذلك سقطت فى الجمع .

شرح شعر كعب : وذكر شعر كعب وفيه : وكم من معشر ألبوا علينا

أى جمعوا ، وصميم الجذم مفعول بألبوا ، وفيه يصف السيوف :

كأمثال العقائق أخلصتها قيون الهند لم تضرب كتيفا

العقائق : جمع عقيقة ، وهو البرق تنعق منه السحاب .

وقوله : لم تضرب كتيفاً ، جمع كتيفة ، وهى صحيفة من حديد صغيرة ، وأصل الكتيف : الضيق من كل شىء .

شرح شعر كنانة : وذكر شعر كنانة بن عبد ياليل الثقفى ، وفيه :

وكانت لنا أطواؤها وكرومها

الأطواء : جمع طوى ، وهى البئر ، جمعت على غير قياس توهموا سقوط ياء فعيل منها إذ كانت زائدة .

وفيها : وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر

إنما قال هذا جوابا للأنصار ، لأنهم بنو حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر ، وعمرو هو مزيقياء ، وعامر هو ماء السماء ، ولم يرد أن الأنصار جربتهم قبل ذلك ، وإنما أراد إخوتهم ، وهم خزاعة لأنهم بنو ربيعة بن حارثة بن عمرو ابن عامر فى أحد القولين ، وقد كانوا حاربوهم عند نزولهم مكة ، وقال البكرى فى معنى هذا البيت : إنما أراد بنى عمرو بن عامر بن صعصعة ، وكانوا مجاورين لثقيف وأمهم عمرة بنت عامر بن الظرب العدوانى ، وأختها زينب كانت تحت ثقيف ، وأكثر قبائل ثقيف منها ، وكانت ثقيف قد أنزلت بنى عمرو بن عامر فى أرضهم ليعملوا فيها ، ويكون لهم النصف فى الزرع والثمر ، ثم إن ثقيفاً منعتهم ذلك ، وتحصنوا منهم بالحائط الذى بنوه حول حاضرهم ، فحاربتهم بنو عمرو بن عامر ، فلم يظفروا منهم بشىء ، وجلوا عن تلك البلاد ، ولذلك يقول كنانة :

وقد جربتنا قبل عمرو بن عامر

البيت ذكره البكرى فى خبر طويل لخصته .

أول من رمى بالمنجنيق فى الجاهلية والاسلام فصل : وذكر حصار الطائف ، وأن أول من رمى بالمنجنيق فى الإسلام النبى صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وأما فى الجاهلية ، فيذكر أن جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس ، وهو المعروف بالأبرش أول من رمى بالمنجنيق ، وكان من ملوك الطوائف ، وكان يعرف بالوضاح ، ويقال له أيضاً منادم الفرقدين، لأنه ربأ بنفسه عن منادمة الناس ، فكان إذا شرب نادم الفرقدين عجباً بنفسه ، ثم نادم بعد ذلك مالكاً وعقيلا اللذين يقول فيهما متمم بن نويرة :

وكنا كندمانى جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

ويذكر أيضاً أنه أول من أوقد الشمع .

غيلان بن سلمة وابنته بادية : وذكر حلى بادية بنت غيلان ، وهو غيلان بن سلمة الثقفى ، وهو الذى أسلم ، وعنده عشر نسوة ، فأمره النبى صلى الله عليه وسلم أن يمسك أربعاً ، ويفارق سائرهن ، فقال فقهاء الحجاز : يختار أربعاً ، وقال فقهاء العراق : بل يمسك التى تزوج أولا ، ثم التى تليها إلى الرابعة ، واحتج فقهاء الحجاز بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يستفصله أيتهن تزوج أول ، وتركه للاستفصال دليل على أنه مخير حتى جعل الأصوليون منهم هذا أصلا من أصول العموم ، فقال أبو المعالى فى كتاب البرهان : ترك الاستفصال فى حكايات الأحوال مع الاحتمال يتنزل منزلة العموم فى المقال ، كحديث غيلان . وغيلان هذا هو الذى قدم على كسرى ، فسأله أى ولده أحب إليه ؟ فقال غيلان : الغائب حتى يقدم ، والمريض حتى يفيق ، والصغير حتى يكبر ، فقال له كسرى : ما غذاؤك فى بلدك ؟ قال : الخبز . قال : هذا عقل الخبز ؛ تفضيلا لعقله على عقول أهل الوبر ، ونسب المبرد هذه الحكاية مع كسرى إلى هوذة بن على الحنفى ، والصحيح عند الإخباريين ما قدمناه ، وكذلك قال أبو الفرج .

وأما بادية ابنته ، فقد قيل فيها : بادنة بالنون ، والصحيح بالياء ، وكذلك روى عن مالك ، وهى التى قال فيها هيت المخنث لعبد الله بن أبى أمية : إن فتح الله عليكم الطائف ، فإنى أدلك على بادية بنت غيلان ، فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان ، فسمعه النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : قاتلك الله لقد أمعنت النظر ، وقال : لا يدخلن هؤلاء عليكن ثم نفاه إلى روضة خاخ ، فقيل : إنه يموت بها جوعاً فأذن له أن يدخل المدينة كل جمعة يسأل الناس ، ويروى فى الحديث زيادة لم تقع فى الصحيح بعد قوله : وتدبر بثمان مع ثغر كالأقحوان ، إن قامت تثنت ، وإن قعدت تبنت ، وإن تكلمت تغنت ، يعنى من الغنة ، والأصل تغننت ، فقلبت إحدى النونين ياء ، وهى هيفاء شموع نجلاء كما قال قيس بن الخطيم :

. . . .

بيضاء فرعاء يستضاء بها كأنها خوط بانة قصف
تغترق الطرف ، وهي لاهية كأنما شف وجهها نزف
تنام عن كبر شأنها فإذا قا مت رويداً تكاد تنغرف

وفي هذا البيت صحف ابن دريد أعنى قوله : تغترق ، فقال هو بالعين المهملة ، حتى هجى بذلك ، فقيل :
ألست قدماً جعلت تعترق الـ طرف بجهل مكان تغترق
وقلت : كان الخباء من أدم وهو حباء يهدى ويصطدق

وكان صحف أيضاً قول مهلهل ، فقال فيه : الخباء ، وبادية هذه كانت تحت عبد الرحمن بن عوف ، فولدت له جويرية وهي امرأة المسور بن مخرمة .

المخنثون بالمدينة : وكان المخنثون على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعة : هيت هذا ، وهرم وماتع ، وإنه ، ولم يكونوا يزنون بالفاحشة الكبرى ، وإنما كان تأنيثهم ليناً في القول وخضاباً في الأيدي والأرجل كخضاب النساء ، ولعباً كلعبهن ، وربما لعب بعضهم بالكرج ، وفي مراسيل أبي داود أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، رأى لاعباً يلعب بالكرج ، فقال : لولا أني رأيت هذا يلعب به على عهد النبي – صلى الله عليه وسلم – لنفيته من المدينة .

عيينة وسبب تسميته : وذكر عيينة بن حصن ، واسمه : حذيفة ، وإنما قيل له : عيينة لشتر كان بعينه .

العبيد الذين نزلوا من الطائف : وذكر العبيد الذين نزلوا من الطائف ، ولم يسمهم ، ومنهم أبو بكرة نفيع ابن مسروح تدلى من سور الطائف على بكرة ، فكنى أبا بكرة ، وهو من أفاضل الصحابة ، ومات بالبصرة ، ومنهم الأزرق ، وكان عبداً للحارث بن كلدة المتطبب ، وهو زوج سمية مولاة الحارث أم زياد بن أبي سفيان ، وأم سلمة بن الأزرق ، وهو سلمة بن الأزرق ، ولهم صيت وذكر بالمدينة ، وقد انتسبوا إلى غسان ، وغلط ابن قتيبة في المعارف ، فجعل سمية هذه المذكورة أم عمار بن ياسر ، وجعل سلمة بن الأزرق أخا عمار بن ياسر لأمه ، وقد ذكر أن الأزرق خرج من الطائف ، فأسلم ، وسمية قد كانت قبل ذلك بزمان قتلها أبو جهل ، وهي إذ ذاك تحت ياسر أبي عمار ، كما تقدم في باب المبعث . فتبين غلط ابن قتيبة ووهمه ، وكذلك قال أبو عمر النمري كما قلت . ومن أولئك العبيد : المنبعث ، وكان اسمه المضطجع . فبدل النبي صلى الله عليه وسلم اسمه ، وكان عبداً لعثمان بن عامر ابن معتب .

ومنهم يحنس النبال ، وكان عبداً لبعض آل يسار .

ومنهم : وردان جد الفرات بن زيد بن وردان ، وكان لعبد الله بن ربيعة بن خرشة ، وإبراهيم بن جابر ، وكان أيضاً لخرشة ، وجعل النبي – صلى الله عليه وسلم – ولاء هؤلاء العبيد لسادتهم ، حين أسلموا . كل هذا ذكره ابن إسحاق في غير رواية ابن هشام .

وذكر أبو عمر فيهم نافع بن مسروح ، وهو أخو نفيع أبي بكرة ، ويقال فيه وفي أخيه ابن الحارث ابن كلدة .

وذكر ابن سلام فيهم نافعاً مولى غيلان بن سلمة الثقفي ، وذكر أن ولاءه رجع إلى غيلان حين أسلم وأحسبه وهماً من ابن سلام ، أو ممن رواه عنه ، وإنما المعروف نافع بن غيلان ، والله أعلم .

بجير وشعره : وذكر شعر بجير بن زهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى : ربيعة ، وهو من بني لاطم بن عثمان ،

. . . .

وهم مزينة ، عرفوا بأمهم ، وقد قدمنا أنها بنت كلب بن وبرة وأن أختها الحوأب ، وبها سمى ماء الحوأب ، وعثمان هو ابن أد بن طابخة .

وقوله : كانت علالة يوم بطن حنين

هذا من الإقواء الذى تقدم ذكره ، وهو أن ينقص حرفاً من آخر القسم الأول من الكامل ، وهو الذى كان الأصمعى يسميه المقعد .

وقوله : كانت علالة . العلالة : جرى بعد جرى ، أو قتال بعد قتال ، يريد : أن هوازن جمعت جمعها علالة فى ذلك اليوم ، وحذف التنوين من علالة ضرورة ، وأضمر فى كانت اسمها ، وهو القصة ، وإن كانت الرواية بخفض يوم ، فهو أولى من التزام الضرورة القبيحة بالنصب ، ولكن ألفيته فى النسخة المقيدة ، وإذا كان اليوم مخفوضاً بالإضافة جاز فى علالة أن يكون منصوباً على خبر كان ، فيكون اسمها عائداً على شىء تقدم ذكره ، ويجوز الرفع فى علالة مع إضافتها إلى يوم ، على أن تكون كان تامة مكتفية باسم واحد ، ويجوز أن تجعلها اسماً علماً للمصدر مثل برة وفجار ، وينصب يوم على الظرف كما تقيد فى النسخة .

وقوله : ترتد حسراناً ، جمع : حسير وهو الكليل . والرجراجة : الكتيبة الضخمة من الرجرجة ، وهى شدة الحركة والاضطراب . وفيلق : من الفلق ، وهى الداهية . والهراس : شوك معروف . والضراء : الكلاب ، وهى إذا مشت فى الهراس ابتغت لأيديها موضعاً ، ثم تضع أرجلها فى موضع أيديها ، شبه الخيل بها . والمدر : الوعول المسنة . والنهىء : الغدير ، سمى بذلك ، لأنه ماء نهاه ما ارتفع من الأرض عن السيلان فوقف .

وقوله : جدل : جمع جدلاء ، وهى الشديدة الفتل ، ومن رواه : جدل ، فمعناه : ذات جدل .

وقوله : وآل محرق يعنى عمر بن هند ملك الحيرة ، وقد تقدم فى أول الكتاب سبب تسميته بمحرق ، وفى زمانه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ذكروا - والله أعلم .

دحنا . ومسح ظهر آدم : فصل : وذكر انصراف النبى صلى الله عليه وسلم عن الطائف على دحنا . ودحنا هذه هى التى خلق من تربها آدم صلى الله على نبينا وعليه ، وفى الحديث : إن الله خلق آدم من دحنا ، ومسح ظهره بنعمان الأراك رواه ابن عباس ، وكان مسح ظهر آدم بعد خروجه من الجنة باتفاق من الروايات ، واختلفت الرواية فى مسح ظهره ، فروى ما تقدم ، وهو أصح ، وروى أن ذلك كان فى سماء الدنيا قبل هبوطه إلى الأرض ، وهو قول السدى ، وكلتا الروايتين ذكرهما الطبرى .

وقوله : حتى نزل الجعرانة ، بسكون العين فيها هو أصح الروايتين ، وقد ذكر أن المرأة التى نقضت غزلها من بعد قوة كانت تلقب بالجعرانة ، واسمها : ريطة بنت سعد ، وأن الموضع يسمى بها ، والله أعلم .

زهير أبو صرد وقوله : فصل : وذكر زهيراً أبا صرد ، وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم : ولو أنا ملحنا للحارث بن أبى شمر ، أو للنعمان بن المنذر ، وقد تقدم فى أول الكتاب التعريف بالحارث وبالنعمان ، وملحنا : أرضعنا ، والملح : الرضاع قال الشاعر :

فلا يبعد الله رب العبا ... د والملح ما ولدت خالدة
هم المطعمو الضيف شحم السنا ... م والكاسرو الليلة الباردة
وهم يكسرون صدور القنا ... بالخيل تطرد أو طاردة
فإن يكن الموت أفناهم ... فللموت ما تلد الوالده

وأما زهير الذى ذكره فهو ابن صرد يكنى أبا صرد ، وقيل أبا جرول ، وكان من رؤساء بنى جشم ، ولم يذكر ابن إسحاق شره فى النبى صلى الله عليه وسلم ذلك اليوم فى رواية البكائى وذكره فى رواية إبراهيم بن سعد عنه وهو :

أمنن علينا رسول الله فى كرم ... فإنك المرء نرجوه وننتظر
أمنن على بيضة قد عاقها قدر ... ممزق شملها فى دهرها غير
يا خير طفل ومولود ومنتخب ... فى العالمين إذا ماحصل البشر
إن لم تداركهم نعماء تنشرها ... يا أرجح الناس حلما حين يختبر
أمنن على نسوة قد كنت ترضعها ... إذ فوك تملأه من محضها الدرر
إذ كنت طفلا صغيراً كنت ترضعها ... وإذ يزينك ما تأتى وما تذر
لا تجعلنا كمن شالت نعامته ... واستبق منه فإنا معشر زهر
يا خير من مرحت كمت الجياد به ... عند الهياج إذا ما استوقد الشرر
إنا لنشكر آلاء وإن كفرت ... وعندنا بعد هذا اليوم مدخر
إنا نؤمل عفـواً منك تلبسه ... هذى البرية إذ تعفو وتنتصر
فاغفر عفا الله عما أنت راهبه ... يوم القيامة إذ يهدى لك الظفر

أحكام فى السبايا فصل وذكر رد السبايا إلى هوازن ، وأنه من لم تطب نفسه بالرد عوضه مما كان بيـده ، واستطاب نفوس الباقين ، وذلك أن المقاسم كانت قد وقعت فيهم ، ولا يجوز الإمام أن يمن على الأسرى بعد القسم ، ويجوز له ذلك قبل المقاسم ، كما فعل النبى — صلى الله عليه وسلم — بأهل خيبر حين من عليهم ، وتركهم عمالا للمسلمين فى أرضهم التى افتتحوها عنوة ، كذلك قال أبو عبيد ، قال : ولا يجوز للإمام أن يمن عليهم ، فيردهم إلى دار الحرب ، ولكن على أن يؤدوا الجزية ، ويكونوا تحت حكم المسلمين ، قال : والإمام مخير فى الأسرى بين القتل والفداء والمن والاسترقاق والفداء بالنفوس لا بالمال كذلك ، قال أكثر الفقهاء هذا فى الرجال ، وأما الذرارى والنساء ، فليس إلا الاسترقاق ، أو المفاداة بالنفوس دون المال كما تقدم .

وذكر الجارية التى أعطيها عبد الله بن عمر ، وأنه بعث بها إلى أخواله من بنى جمح ليصلحوا له منها كى يصيبها ، وهذا لأنها كانت قد أسلمت ، لأنه لا يجوز وطء وثنية ولا مجوسية بملك يمين ، ولا بنكاح حتى تسلم ، وإن كانت ذات زوج ، فلا بد أيضاً من استبرائها ، وأما الكتابيات ، فلا خلاف فى جواز وطئهن بملك اليمين ، وقد روى عن طائفة من التابعين منهم عمرو بن دينار إباحة وطء المجوسية والوثنية بملك اليمين ، وقول الله تعالى : « ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن » ، تحريم عام إلا ما خصصته آية المائدة من الكتابيات ، والنكاح يقع على الوطء بالعقد والملك .

سبى حنين : وكان سبى حنين ستة آلاف رأس ، وكان النبى — صلى الله عليه وسلم — قد ولى أبا سفيان بن حرب أمرهم ، وجعله أميناً عليهم ، قاله الزبير ، وفى حديث آخر ذكره الزبير بإسناد حسن أن أبا جهم بن حذيفة العدوى كان على الأنفال يوم حنين ، فجاءه خالد بن البرصاء ، فأخذ من الأنفال زمام شعر فمانعه أبو جهم ، فلما تمانعا ضربه أبو جهم بالقوس فشجه منقلة(١) . فاستعدى عليه خالد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فقال له : خذ خمسين شاة ودعه ، فقال أقدنى منه ، فقال خذ مائة ، ودعه فقال : أقدنى منه ، فقال : خذ خمسين ومائة ودعه ، وليس لك إلا ذلك ، ولا أقصك من وال عليك ، فقومت الخمسون والمائة بخمس عشرة فريضة من الإبل ، فمن هنالك جعلت دية المنقلة خمس عشرة فريضة .

(١) المنقلة : بكسر القاف — الشجة التى تنقل العظم ؛ أى تكسره حتى يخرج منها فراش العظام .

المؤلفة قلوبهم : فصل : وأما إعطاء رسول الله — صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من غنائم حنين حتى تكلمت الأنصار فى ذلك ، وكثرت منهم القالة ، وقالت : يعطى صناديد العرب ولا يعطينا ، وأسيافنا تقطر من دمائهم ، فللعلماء فى هذه المسألة ثلاثة أقوال : أحدها أنه أعطاهم من خمس الخمس ، وهذا القول مردود لأن خمس الخمس ملك له ولا كلام لأحد فيه .

القول الثانى : أنه أعطاهم من رأس الغنيمة ، وأن ذلك خصوص بالنبى صلى الله عليه وسلم لقوله تبارك وتعالى « قل الأنفال لله والرسول » وهذا القول أيضاً يرده ما تقدم من نسخ هذه الآية ، وقد تقدم الكلام عليها فى غزوة بدر ، غير أن بعض العلماء احتج لهذا القول بأن الأنصار لما انهزموا يوم حنين فأيد الله رسوله وأمده بملائكته ، فلم يرجعوا حتى كان الفتح ، رد الله تعالى أمر المغانم إلى رسوله من أجل ذلك فلم يعطهم منها شيئاً وقال لهم : ألا ترضون يامعشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير ، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم ، فطيب نفوسهم بذلك بعد ما فعل ما أمره به .

والقول الثالث : وهو الذى اختاره أبو عبيد أن إعطاءهم كان من الخمس حيث يرى أن فيه مصلحة للمسلمين .

فصل : ومما لم يذكر ابن إسحاق يوم حنين أن خالد بن الوليد أثقل بالجراحة يومئذ ، فأتاه النبى صلى الله عليه وسلم يقول : من يدلنى على رحل خالد حتى دل عليه ، فوجدوه قد أسند إلى مؤخرة رحله ، فنفث على جرحه فبرىء ، ذكره الكشى .

عيينة والعجوز التى اخذها : فصل : وذكر عيينة بن حصن وقول زهير بن صرد له فى العجوز التى أخذها ما فوها ببارد ، ولا ثديها بناهد ، ولا درها بماكد ، ويقال أيضاً بناكد ، يريد : ليست بغزيرة الدر ، والنوق النكد: الغزيرات اللبن ، وأحسبه من الأضداد ، لأنه قد يقال أيضاً نكد لبنها إذا نقص ، قاله صاحب العين ، والصحيح عند أكثرهم أن النكد هى القليلات اللبن من قوله عز وجل : « لا يخرج إلا نكداً » وأن المكد بالميم هى الغزيرات اللبن ، قال ابن سراج ، لأنه من مكد فى المكان إذا أقام فيه ، وقد يقال أيضاً نكد فى مكد ، أى ثبت .

الأقرع بن حابس :وذكر الأقرع بن حابس ، وكان من المؤلفة قلوبهم ، ثم حسن إسلامه بعد ، وهو الذى قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت : « ولله على الناس حج البيت » أفى كل عام يارسول الله ؟ قال : لو قلتها لوجبت ، وهو الذى قال للنبى صلى الله عليه وسلم حين أقطع أبيض بن حمال الماء الذى بمأرب : أتدرى ما أقطعته يارسول الله إنما أقطعته الماء العد(١) فاسترجعه النبى — صلى الله عليه وسلم — وهو حديث مشهور ، غير أنه لم يسم قائل هذا الكلام فيه إلا الدار قطنى فى روايته ، وزاد فيه أيضاً : قال أبيض : على أن يكون صدقة منى يارسول الله على المسلمين ، فقال : نعم ، وأما نسب الأقرع بن حابس فهو ابن حابس بن عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع التميمى المجاشعى الدرامى ، وأما عيينة ، فاسمه : حذيفة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى ، وقد تقدم ذكره .

مالك بن عوف : فصل : وذكر تولية النبى صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف على ثمالة وبنى سلمة وفهم . وثمالة هم بنو أسلم بن أحجن . أمهم : ثمالة . وقول أبى محجن فيه :

هابت الأعداء جانبنا ثم تغزونا بنو سلمه

هكذا تقيد فى النسخة بكسر اللام ، والمعروف فى قبائل قيس : سلمة بالفتح إلا أن يكونوا من الأزد ، فإن ثمالة المذكورين معهم حى من الأزد وفهم من دوس ، وهم من الأزد أيضاً ، وأمهم : جديلة وهى من غطفان بن قيس بن غيلان ، على أنه لايعرف فى الأزد سلمة إلا فى الأنصار ، وهم من الأزد وسلمة أيضاً فى جعفى هم ، وسلمة

(١) الماء الذى لا ينقطع

. . . .

ابن عمرو بن ذهل بن مران بن جعفى ، وسلمة فى جهينة أيضاً سلمة بن نصر بن غطفان بن قيس بن جهينة وجعفى من مذحج . وجهينة من قضاعة .

وأما محجن ، فاسمه : مالك بن حبيب ، وقيل : عبد الله بن حبيب بن عمرو بن عمير بن عوف بن عقدة بن غيرة بن عوف بن قيس الثقفى ، وقد تقدم نسب أحجن عند ذكرنا لهب بن أحجن قبل باب المبعث .

وذكر أبا السنابل بن بعكك ، واسمه : حبة أحد بنى عبد الدار ، وكان شاعراً وحديثه مع سبيعة الأسلمية حين آمت من زوجها مذكور فى الصحاح .

قول النبى (ص) لعباس بن مرداس : فصل : وذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم لعباس بن مرداس أنت القائل:
فأصبح نهبى ونهب العبيد بين الأقرع وعيينة ؟

فقال أبو بكر الصديق : بين عيينة والأقرع ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: هما واحد ، يعنى فى المعنى ، وأما فى الفصاحة ، فالذى أجرى على لسانه صلى الله عليه وسلم هو الأفصح فى تنزيل الكلام وترتيبه ، وذلك أن القبلية تكون بالفضل نحو قوله تعالى : « من النبيين والصديقين » وتكون بالرتبة نحو قوله تعالى حين ذكر اليهود والنصارى فقدم اليهود لمجاورتهم المدينة ، فهم فى الرتبة قبل النصارى . وقبلية بالزمان نحو ذكر التوراة والإنجيل بعده ونوحا وإبراهيم ، وقبلية بالسبب ، وهو أن يذكر ماهو علة الشىء وسبب جوده ، ثم يذكر المسبب بعده ، وهو كثير فى الكلام مثل أن يذكر معصية وعقاباً أو طاعة وثواباً فالأجود فى حكم الفصاحة تقديم السبب .

الأقرع وعيينة : والأقرع وعيينة من باب قبلية المرتبة ، وقبلية الفضل ، أما قبلية الرتبة فإنه من خندف ، ثم من بنى تميم ، فهو أقرب إلى النبى صلى الله عليه وسلم من عيينة ، فرتب فى الذكر قبله ، وأما قبلية الفضل فإن الأقرع حسن إسلامه وعيينة لم يزل معدوداً فى أهل الجفاء حتى ارتد وآمن بطليحة ، وأخذ أسيراً فجعل الصبيان يقولون له — وهو يساق إلى أبى بكر — ويحك ياعدو الله ارتددت بعد إيمانك ، فيقول : والله ما كنت آمنت ، ثم أسلم فى الظاهر ، ولم يزل جافياً أحمق حتى مات ، وبحسبك تسمية النبى صلى الله عليه وسلم له : الأحمق المطاع ومما يذكر من جفائه أن عمرو بن معدى كرب نزل به ضيفاً ، فقال له عيينة : هل لك فى الخمر تنادم عليها ؟ فقال عمرو أليست محرمه فى القرآن ؟ فقال عيينة إنما قال : فهل أنتم منتهون ، فقلنا نحن : لا ، فشربا .

حديث ذى الخويصرة التميمى : وذكر حديث ذى الخويصرة التميمى ، وما قال فيه النبى عليه السلام وفى شيعته ، وقال فى حديث آخر : يخرج من ضئضئه قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وصيامكم إلى صيامهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية .. الحديث ، فكان كما قال — صلى الله عليه وسلم — وظهر صدق الحديث فى الخوارج وكان أولهم من ضئضئ ذلك الرجل ، أى : من أصله ، وكانوا من أهل نجد التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم : منها يطلع قرن الشيطان فكان بدؤهم من ذى الخويصرة ، وكان آيتهم (ذو الثدية) الذى قتله على رضى الله عنه ، وكانت إحدى يديه كثدى المرأة ، واسم ذى الثدية نافع ، ذكره أبو داود ، وغيره يقول اسمه : حرقوص وقول أبى داود أصح ، والله أعلم .

شعر حسان فى عتابه عليه السلام : وذكر شعر حسان وفيه :

هيفاء لا ذنن فيها ولا خور

الذنن : القذر والتفل ؛ والذنين المخاط ، والذنن أيضاً ألا ينقطع حيض المرأة ، يقال : امرأة ذناء ، ولو روى

بالدال المهملة لكان جيداً أيضاً ، فإن الدنن بالدال هو قصر العنق وتطامنها وهو عيب . والهكنة : الضخمة .

عتاب النبي (ص) للانصار : فصل : وذكر قول النبي — صلى الله عليه وسلم — للأنصار : ما قالة بلغتني عنكم وجدة وجدتموها في أنفسكم ، هكذا الرواية : جدة والمعروف عند أهل اللغة : موجدة إذا أردت الغضب ، وإنما الجدة في المال .

وقوله عليه السلام : في لماعة من الدنيا تألفت بها قوماً ، ليسلموا . اللماعة بقلة ناعمة ، وهذا نحو من قوله عليه السلام : المال حلوة خضرة ، واللمة من هذا المعنى ، وهي المرأة المليحة العفيفة ، والمليع : السراب ، ولماعه : بصيصه

جعيل بن سراقة : وذكر جعيل بن سراقة ، وقول النبي — صلى الله عليه وسلم — فيه : ووكلت جعيل بن سراقة إلى إسلامه ، فسب ابن إسحاق جعيلا إلى ضمرة ، وهو معدود في غفار ، لأن غفاراً ، هم بنو مليل بن ضمرة من بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة . وأما حديث التميمي الذي قال للنبي صلى الله عليه وسلم حين أعطى المؤلفة قلوبهم : لم أرك عدلت ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : إذا لم يكن العدل عندي ، فعندمن يكون؟ وقال أيضا : إني أرى قسمة ما أريد بها وجه الله ، فقال صلى الله عليه وسلم : أيأمنني الله في السماء ، ولا تأمنوني ، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، فالرجل هو ذو الخويصرة ، كذلك جاء ذكره في الحديث .

ويذكر عن الواقدي أنه قال : هو حرقوص بن زهير السعدي من سعد تميم ، وقد كان لحرقوص هذا مشاهد محمودة في حرب العراق مع الفرس أيام عمر ، ثم كان خارجياً ، وفيه يقول نحيبة الخارجي :

حتى ألاقي في الفردوس حرقوصاً

ولذلك قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : إنه سيكون من ضئضئه قوم تحقرون صلاتكم إلى صلاتهم ، وذكر صفة الخوارج ، وليس ذو الخويصرة هذا ذا الثدية الذي قتله علي بالنهر ، وأن ذلك اسمه نافع ، وذكره أبو داود ، وكلام الواقدي حكاه ابن الطلاع في الأحكام له .

قصة بجير وكعب ابني زهير : فصل : وذكر قصة بجير بن زهير بن أبي سلمى ، واسم أبي سلمى : ربيعة بن رياح أحد بني مزينة .

وفي شعر كعب إلى أخيه بجير :

سقاك بها المأمون كأساً روية

ويروى : المحمود في غير رواية ابن إسحاق ، أراد بالمحمود : محمداً — صلى الله عليه وسلم — وكذلك المأمون والأمين كانت قريش تسمي بهما النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة .

وقوله لأخيه بجير :

على خلق لم تلف أماً ولا أباً عليه ، ولم تدرك عليه أخاً لكا

إنما قال ذلك ، لأن أمهما واحدة ، وهي كبشة بنت عمار السحيمية فيما ذكر ابن الأعرابي عن ابن الكلبي .

وقوله : إما عثرت لعاً لكا ، كلمة تقال للعاثر دعاء له بالإقالة . قال الأعشى :

فالتعس أدنى لها من أن يقال لعا لها

وأنشد أبو عبيد :

فلا لعا لبني فعلان إذ عثروا

وقول بجير :

ودين زهير وهو لاشيء دينه

رواية مستقيمة ، وقد رواه القالى ، فقال : وهو لاشيء غيره . وفسره على التقديم والتأخير أراد . ودين زهير غيره ، وهو لاشيء ورواية ابن إسحاق أبعد من الاشكال وأصح ، والله أعلم .

وكعب هذا من فحول الشعراء هو وأبوه زهير ، وكذلك ابنه عقبة بن كعب بن زهير يعرف عقبة بالمضرب وابن عقبة العوام شاعر أيضا ، وهو الذى يقول :

ألا ليت شعرى هل تغير بعدنا ملاحة عينى أم عمرو وجيدها
وهل بليت أثوابها بعد جدة ألا حبذا إخلاقها وجديدها

ومما يستحسن ويستجاد من قول كعب :

لو كنت أعجب من شيء لأعجبنى سعى الفتى وهو مخبوء له القدر
يسعى الفتى لأمور ليس يدركها فالنفس واحدة والهم منتشر
والمرء ما عاش ممدود له أمل لا تنتهى العين حتى ينتهى الأثر

وقوله :

إن كنت لا ترهب ذمى لما تعرف من صفحى عن الجاهل
فاخش سكوتى إذ أنا منصت فيك لمسموع خنا القائل
فالسامع الذم شريك له ومطعم المأكول كالآكل
مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل
ومن دعا الناس إلى ذمه ذموه بالحق وبالباطل

قصيدة بانت سعاد : وذكر قصيدته :

بانت سعاد فقلبى اليوم متبول

وفيها قوله :

شجت بذى شبم

يعنى : الخمر ، وشجت كسرت من أعلاها لأن الشجة لاتكون إلا فى الرأس ، والشبم البرد ، وأفرطه : أى ملأه . والبيض اليعاليل : السحاب ؛ وقيل : جبال ينحدر الماء من أعلاها ، واليعاليل أيضا : الغدران ، واحدها يعلول ، لأنه يعل الأرض بمائه .

وقوله : لكنها خلة قد سيط من دمها .

أى خلط بلحمها ودمها هذه الأخلاق التى وصفها بها من الولع وهو الخلف والكذب والمطل ، يقال : ساط الدم والشراب إذا ضرب بعضه ببعض . وقال الشاعر يصف عبد الله بن عباس :

صموت إذا ما زين الصمت أهله وفتاق أبكار الكلام المختم
وعى ما حوى القرآن من كل حكمة وسيطت له الآداب باللحم والدم

والغول : التى تتراءى بالليل . والسعلاة ما تراءى بالنهار من الجن ، وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم :

. . . .

حكم الغول حيث قال : لا عدوى ولا غول ، وليس يعارض هذا ما روى من قوله عليه السلام : إذا تغولت الغيلان فارفعوا أصواتكم بالأذان . وكذلك حديث أبي أيوب مع الغول حين أخذها ، لأن قوله عليه السلام : لا غول إنما أبطل به ما كانت الجاهلية تتقوله من أخبارها وخرافاتها معها .

وقوله :

كانت مواعيد عرقوب لها مثلا

هو : عرقوب بن صخر من العماليق الذين سكنوا يثرب ، وقيل : بل هو من الأوس والخزرج ، وقصته في إخلاف الوعد مشهورة حين وعد أخاه بجنا نخلة له وعداً من بعد وعد ، ثم جذها ليلا ، ولم يعطه شيئاً .

والتبغيل : ضرب من السير سريع ، والحزان جمع حزن وهو ما غلظ من الأرض والميل ما اتسع منها .

وقوله : ترمى النجاد ، وأنشده أبو على : ترمى الغيوب ، وهو جمع غيب ، وهو ما غار من الأرض ، كما قال ابن مقبل :

لزم الغلام وراء الغيب بالحجر

وقوله :

حرف أبوها أخوها من مهجنة   وعمها خالها قوداء شمليل

القوداء : الطويلة العنق . والشمليل : السريعة . والحرف : الناقة الضامر .

وقوله : من مهجنة ، أى : من إبل مهجنة مستكرمة هجان .

وقوله : أبوها أخوها أى إنهما من جنس واحد في الكرم ، وقيل : إنها من فحل حمل على أمه فجاءت بهذه الناقة ، فهو أبوها وأخوها ، وكانت للناقة التى هى أم هذه بنت أخرى من الفحل الأكبر ، فعمها خالها على هذا ، وهو عندهم من أكرم النتاج ، والقول الأول ذكره أبو على القالى عن أبي سعيد ، فالله أعلم .

وقوله : أقراب زهاليل ، أى : خواصر ملس ، واحدها : زهلول والبرطيل : حجر طويل ، ويقال : للمعول أيضاً : برطيل .

وقوله : ذوابل مسهن الأرض تحليل .

تحليل ، أى قليل . يقال : ما أقام عندنا إلا كتحليل الألية ، وكتحلة المقسم ، وعليه حمل ابن قتيبة قوله عليه السلام لن تمسه النار إلا تحلة القسم ، وغلط أبا عبيد حيث فسره على القسم حقيقة . قال القتبى : ليس فى الآية قسم لأنه قال : «وإن منكم إلا واردها» ، ولم يقسم . قال : الخطابى : هذه غفلة من ابن قتيبة فإن فى أول الآية : «فوربك لنحشرنهم والشياطين» وقوله : «وإن منكم إلا واردها» دخل تحت القسم المتقدم .

وقوله : بالقور العساقيل . القور : جمع قارة ، وهى الحجارة السود . والعساقيل هنا السراب ، وهذا من المقلوب ، أراد وقد تلفعت القور بالعساقيل .

وفيها قوله :

تسعى الغواة بجنبيها ، أى بجنبي ناقته .

. . . .

وقوله : إنك يابن أبى سلمى لمقتول . ويروى : وقيلهم ، وهو أحسن فى المعنى ، وأولى بالصواب ، لأن القيل هو الكلام المقول فهو مبتدأ ، وقوله : إنك يابن أبى سلمى لمقتول : خبر ، تقول : إذا سئلت ماقيلك؟ قيلى : إن الله واحد فقولك : إن الله واحد هو القيل ، والقول مصدر كالطحن والذبح ، والقيل اسم للمقول كالطحن والذبح بكسر أوله ، وإنما حسنت هذه الرواية ، لأن القول مصدر فتصير : إنك يابن أبى سلمى فى موضع المفعول فيه ، فيبقى المبتدأ بلا خبر إلا أن تجعل المقول هو القول على المجاز ، كما يسمى المخلوق خلقا ، وعلى هذا يكون قوله عز وجل : « وقيله يارب » فى وضع البدل من القيل ، وكذلك قوله : « إلا قيلا : سلاما سلاما » منتصب بفعل مضمر ، فهو فى موضع البدل من قيلا وكذلك قوله : « ومن أصدق من الله قيلا » أى : حديثاً مقولا ، ومن هذا الباب مسألة من النحو ذكرها سيبويه ، وابن السراج فى كتابه ، وأخذ الفارسى منهما ، أو من ابن السراج ، فكثيراً ما ينقل من كتابه بلفظه غير أنه أفسد هذه المسألة ، ولم يفهم ما أراد بها ، وذلك أنهما قالا : إذا قلت أول ما أقول : إنى أحمد الله ، بكسر الهمزة فهو على الحكاية . فظن الفارسى أنه يريد على الحكاية بالقول ، فجعل إنى أحمد الله فى موضع المفعول بأقول ، فلما بقى له المبتدأ بلا خبر تكلف له تقديراً لا يعقل ، فقال : تقديره أول ماأقول : إنى أحمد الله موجود أو ثابت ، فصار معنى كلامه : إلى أن أول هذه الكلمة التى هى إنى أحمد الله موجود أى : أول هذه الكلمة موجود ، فآخرها إذاً معدوم ، وهذا خلف من القول ، كما ترى ، وقد وافقه ابن جنى عليه ، رأيته فى بعض مسائله ، قال : قلت لأبى على لم لا يكون إنى أحمد الله فى موضع الخبر ، كما تقول : أول سورة أقرأها : « إنا أعطيناك الكوثر » أو نحو هذا ولا يحتاج إلى حذف خبر ، قال : فسكت ولم يجد جواباً ، وإنما معنى هذه المسألة أول ما أقول ، أى : أول القيل الذى أقوله إنى أحمد الله على حكاية الكلام المقول ، وهذا الذى أراد سيبويه ، وأبو بكر بن السراج ، فإن فتحت الهمزة من أن صار معنى الكلام أول القول لا أول القيل . وكانت ما واقعة على المصدر ، وصار معناه : أول قولى الحمد ، إذ الحمد قول ولم يبين مع فتح الهمزة كيف حمد الله ، هل قال : الحمد لله بهذا اللفظ ، أو غيره ، وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد افتتح كلامه ، بأنه قال : إنى أحمد الله بهذا اللفظ ، أو غيره وعلى كسر الهمزة قد بين كيف حمد حين افتتح كلامه ، بأنه قال : إنى أحمد الله بهذا اللفظ لا بلفظ آخر ، فقف على هذه المسألة ، وتدبرها إعراباً ومعنى ؛ فقل من أحكمها وحسبك أن الفارسى لم يفهم عمن قبله ، وجاء بالتخليط المتقدم ، والله المستعان .

والخراديل : القطع من اللحم ، وفى الحديث فى صفة الصراط : فمنهم الموبق بعمله ، ومنهم المخردل ، أى تخردل لحمه الكلاليب التى حول الصراط ، سمعت شيخنا الحافظ أبا بكر رحمه الله يقول : تلك الكلاليب هى الشهوات ، لأنها تجذب العبد فى الدنيا عن الاستقامة على الصراط ، فتمثل له فى الآخرة على نحو ذلك .

وقوله : بضراء ، الأرض الضراء : ما واراك من شجر ، والخمر : ما واراك من شجر وغيره .

وقوله : بواديه الأراجيل ، أى : الرجالة ، قيل : إنه جمع الجمع ، كأنه جمع الرجل ، وهم الرجالة على أرجل ؛ ثم جمع أرجلا على أراجل ؛ وزاد الياء ضرورة . والدرس : الثوب الخلق . والفقعاء : شجرة لها ثمر كأنه حلق .

ويروى أن النبى — صلى الله عليه وسلم — حين أنشده كعب :

إن الرسول لنور يستضاء به ... مهند من سيوف الله مسلول

نظر إلى أصحابه كالمعجب لهم من حسن القول وجودة الشعر

غزوة تبوك

فى رجب سنة تسع

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال زياد بن عبد الله البكائى ، عن محمد بن إسحاق المطلبى ، قال : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ما بين ذى الحجة إلى رجب ، ثم أمر الناس بالتهيؤ لغزو الروم وقد ذكر لنا الزهرى ويزيد بن رومان وعبد الله بن أبى بكر وعاصم بن عمر بن قتادة ، وغيرهم من علمائنا ، كل حدث فى غزوة تبوك ما بلغه عنها ، وبعض القوم يحدث مالا يحدث بعض : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه بالتهيؤ لغزو الروم ، وذلك فى زمان من عسرة الناس ، وشدة من الحر ، وجدب من البلاد ، وحين طابت الثمار ، والناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم ، ويكرهون الشخوص على الحال من الزمان الذى هم عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يخرج فى غزوة إلا كنى عنها ، وأخبر أنه يريد غير الوجه الذى يصمد له . إلا ما كان من غزوة تبوك فإنه بينها للناس ، لبعد الشقة ، وشدة الزمان ، وكثرة العدو الذى يصمد له ، ليتأهب الناس لذلك أهبته ، فأمر الناس بالجهاز ، وأخبرهم أنه يريد الروم .

ائذن لى ولا تفتنى : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس أحد بنى سلمة : ياجد ، هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ؟ فقال : يارسول الله ، أو تأذن لى ولا تفتنى ؟ فو الله لقد عرف قومى أنه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى ، وإنى أخشى إن رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر ، فأعرض عنه رسول

وقوله :

وما لهم عن حياض الموت تهليل

التهليل : أن الرجل ينكص عن الأمر جبناً .

وقوله فى الأنصار :

ضربوا علياً يوم بدر ضربة

وبنو على : هم بنو كنانة ، يقال لهم : بنو على لما تقدم ذكره فى هذا الكتاب ، وأراد : ضربوا قريشاً لأنهم من بنى كنانة .

وقوله : إذا عرد السود التنابيل : جمع تنبال وهو القصير ، وقوله : عرد ، أى هرب . قال الشاعر :

يعرد عنه صحبه وصديقه ۝ وينبش عنه كلبه وهو ضاربه

وجعلهم سوداً لما خالط أهل اليمن من السودان عند غلبة الحبشة على بلادهم ، ولذلك قال حسان فى آل جفنة :

أولاد جفنة حول قبر أبيهم ۝ بيض الوجوه من الطراز الأول

يعنى بقوله : من الطراز الأول ، أن آل جفنة كانوا من اليمن ، ثم استوطنوا الشام بعد سيل العرم ، فلم يخالطهم السودان كما خالطوا من كان من اليمن ، من الطراز الأول الذى كانوا عليه فى ألوانهم وأخلاقهم .

وقوله : حول قبر أبيهم ، أى إنهم لعزهم لم يجلوا عن منازلهم قط ، ولا فارقوا قبر أبيهم .

مدح آخر لكعب : ومما أجاد فيه كعب بن زهير قوله يمدح النبى صلى الله عليه وسلم :

تخدى به الناقة الأدماء معتجراً ۝ بالبرد كالبدر جلى ليلة الظلم
ففى عطافيه أو أثناء بردته ۝ ما يعلم الله من دين ومن كرم

الله صلى الله عليه وسلم وقال: قد أذنت لك. ففي الجد بن قيس نزلت هذه الآية: «ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى، ألا فى الفتنة سقطوا، وإن جهنم لمحيطة بالكافرين». أى إن كان إنما خشى الفتنة من نساء بنى الأصفر، وليس ذلك به، فما سقط فيه من الفتنة أكبر، بتخلفه عن رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والرغبة بنفسه عن نفسه، يقول تعالى: وإن جهنم لمن ورائه.

شأن المنافقين: وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض: لا تنفروا فى الحر، زهادة فى الجهاد، وشكا فى الحق، وإرجافاً برسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله تبارك وتعالى فيهم: «وقالوا لا تنفروا فى الحر، قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون. فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً، جزاء بما كانوا يكسبون».

قال ابن هشام: وحدثنى الثقة عمن حدثه، عن محمد بن طلحة بن عبد الرحمن عن إسحاق بن إبراهيم بن عبد الله بن حارثة، عن أبيه، عن جده، قال: بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن ناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى، وكان بيته عند جاسوم، يثبطون الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك، فبعث إليهم النبى صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله فى نفر من أصحابه، وأمره أن يحرق عليهم بيت سويلم، ففعل طلحة. فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت، فانكسرت رجله، واقتحم أصحابه، فأفلتوا. فقال الضحاك فى ذلك:

كادت وبيت الله نار محمد ... يشيط بها الضحاك وابن أبيرق
وظلت وقد طبقت كبس سويلم ... أنوء على رجلى كسيراً ومرفقى
سلام عليكم لا أعود لمثلها ... أخاف ومن تشمل به النار يحرق

حض أهل الغنى على النفقة: قال ابن إسحاق: ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم جد فى سفره، وأمر الناس بالجهاز والانكماش، وحض أهل الغنى على النفقة والحملان فى سبيل الله، فحمل رجال من أهل الغنى واحتسبوا، وأنفق عثمان بن عفان فى ذلك نفقة عظيمة، لم ينفق أحد مثلها.

ما أنفقه عثمان: قال ابن هشام: حدثنى من أثق به: أن عثمان بن عفان أنفق فى جيش العسرة فى غزوة تبوك ألف دينار، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم أرض عن عثمان، فإنى عنه راض.

البكاؤون والمعذرون والمتخلفون: قال ابن إسحاق: ثم إن رجالا من المسلمين أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم البكاءون، وهم سبعة نفر من الأنصار وغيرهم من بنى عمرو بن عوف سالم بن عمير، وعلبة بن زيد، أخو بنى حارثة، وأبو ليلى عبد الرحمن بن كعب، أخو بنى مازن بن النجار، وعمرو بن حمام بن الجموح، أخو بنى سلمة، وعبد الله بن المغفل المزنى — وبعض الناس يقول: بل هو عبد الله بن عمرو المزنى — وهرمى بن عبد الله، أخو بنى واقف، وعرباض بن سارية الفزارى. فاستحملوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا أهل حاجة، فقال: لا أجد ما أحملكم عليه، فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون.

قال ابن إسحاق: فبلغنى أن ابن يامين بن عمير بن كعب النضرى لقى أبا ليلى عبد الرحمن بن كعب وعبد الله بن مغفل وهما يبكيان، فقال: ما يبكيكما؟ قالا: جئنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليحملنا، فلم نجد عنده ما يحملنا عليه، وليس عندنا ما نتقوى به على الخروج معه؛ فأعطاهما ناضحاً له، فارتحلاه، وزودهما شيئاً من تمر، فخرجا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن إسحاق : وجاءه المعذرون من الأعراب ، فاعتذروا إليه ، فلم يعذرهم الله تعالى ، وقد ذكر لى أنهم نفر من بنى غفار .

ثم استتب برسول الله صلى الله عليه وسلم سفره ، وأجمع السير ، وقد كان نفر من المسلمين أبطأت بهم النية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى تخلفوا عنه ، عن غير شك ولا ارتياب : منهم : كعب بن مالك بن أبى كعب ، أخو بنى سلمة ، ومرارة بن الربيع ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أمية ، أخو بنى واقف ، وأبو خيثمة ، أخو بنى سالم بن عوف وكانوا نفر صدق ، لايتهمون فى إسلامهم .

فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عسكره على ثنية الوداع .

قال ابن هشام : واستعمل على المدينة محمد بن مسلمة الأنصارى .

وذكر عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن أبيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استعمل على المدينة ، مخرجه إلى تبوك : سباع بن عرفطة .

قال ابن إسحاق : وضرب عبد الله بن أبى معه على حدة عسكره أسفل منه ، نحو ذباب ، وكان فيما يزعمون ليس بأقل العسكرين . فلما سار رسول الله صلى الله عليه وسلم تخلف عنه عبد الله بن أبى ، فيمن تخلف من المنافقين وأهل الريب .

المنافقون يرجفون بعلى : وخلف رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه ، على أهله ، وأمره بالإقامة فيهم ، فأرجف به المنافقون ، وقالوا ما خلفه إلا استثقالا له ، وتخففاً منه . فلما قال ذلك المنافقون ، أخذ على بن أبى طالب ، رضوان الله عليه سلاحه ، ثم خرج حتى أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بالجرف ، فقال : يانبى الله ، زعم المنافقون أنك إنما خلفتنى أنك استثقلتنى وتخففت منى ، فقال : كذبوا ، ولكننى خلفتك لما تركت ورائى ، فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك ، أفلا ترضى ياعلى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى ؟ إلا أنه لانبى بعدى ، فرجع على إلى المدينة ؛ ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن طلحة بن يزيد بن ركانة ، عن إبراهيم بن سعد بن أبى وقاص ، عن أبيه سعد : أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لعلى هذه المقالة .

قال ابن إسحاق : ثم رجع على إلى المدينة ، ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على سفره .

ابو خيثمة وعمير بن وهب يلحقان بالرسول : ثم إن أبا خيثمة رجع بعد أن سار رسول الله صلى الله عليه وسلم أياماً إلى أهله فى يوم حار ، فوجد امرأتين له فى عريشين لهما فى حائطه ، قد رشت كل واحدة منهما عريشها ، وبردت له فيه ماء ، وهيأت له فيه طعاماً . فلما دخل ، قام على باب العريش ، فنظر إلى امرأتيه وما صنعتا له ، فقال : رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الضح والريح والحر ، وأبو خيثمة فى ظل بارد ، وطعام مهيأ ، وامرأة حسناء ، فى ماله مقيم ، ماهذا بالنصف ! ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهيئا لى زاداً ، ففعلتا . ثم قدم ناضحه فارتحله ، ثم خرج فى طلب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أدركه حين نزل تبوك . وقد كان أدرك أبا خيثمة عمير بن وهب الجمحى فى الطريق ، يطلب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فترافقا ، حتى إذا دنوا من تبوك ، قال أبو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنباً ، فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففعل ، حتى إذا دنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو نازل بتبوك ، قال الناس : هذا راكب على الطريق مقبل ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا خيثمة ؛ فقالوا يارسول الله هو والله أبو خيثمة .

فلما أناخ أقبل فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : أولى لك يا أبا خيثمة ثم أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ، ودعا له بخير .

قال ابن هشام : وقال أبو خيثمة فى ذلك شعراً ، واسمه مالك بن قيس :

لما رأيت الناس فى الدين نافقوا أتيت التى كانت أعف وأكرما
وبايعت باليمنى يدى لمحمد فلم أكتسب إثماً ولم أغش محرما
تركت خضيباً فى العريش وصرمة صفايا كراماً بسرها قد تحمما
وكنت إذا شك المنافق أسمحت إلى الدين نفسى شطره حيث يمما

ماحدث فى الحجر : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر نزلها ، واستقى الناس من بئرها فلما راحوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتشربوا من مائها شيئاً ، ولا تتوضئوا منه للصلاة ، وما كان من عجين عجنتموه فاعلفوه الإبل ، ولا تأكلوا منه شيئاً ، ولا يخرجن أحد منكم الليلة إلا ومعه صاحب له ، ففعل الناس ما أمرهم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إلا أن رجلين من بنى ساعدة خرج أحدهما لحاجته ، وخرج الآخر فى طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فإنه خنق على مذهبه ، وأما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح ، حتى طرحته بجبلى طيء . فأخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ألم أنهكم أن يخرج منكم أحد إلا ومعه صاحبه ! ثم دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم للذى أصيب على مذهبه فشفى ، وأما الآخر الذى وقع بجبلى طيء ، فإن طيئاً أهدته لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة .

والحديث عن الرجلين عن عبد الله بن أبى بكر ، عن عباس بن سهل بن سعد الساعدى ، وقد حدثنى عبد الله بن أبى بكر أن قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما فأبى عبد الله أن يسميهما لى .

قال ابن هشام : بلغنى عن الزهرى أنه قال : لما مر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحجر سجى ثوبه على وجهه ، واستحث راحلته ، ثم قال : لاتدخلوا بيوت الذين ظلموا إلا وأنتم باكون ، خوفاً أن يصيبكم مثل ما أصابهم .

قال ابن إسحاق : فلما أصبح الناس ولا ماء معهم شكوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأرسل الله سبحانه سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس ، واحتملوا حاجتهم من الماء .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بنى عبد الأشهل ، قال : قلت لمحمود : هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ، إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمه وفى عشيرته ، ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك . ثم قال محمود : لقد أخبرنى رجال من قومى عن رجل من المنافقين معروف نفاقه ، كان يسير مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث سار ، فلما كان من أمر الناس بالحجر ما كان ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعا ، فأرسل الله السحابة ، فأمطرت حتى ارتوى الناس ، قالوا : أقبلنا عليه نقول : ويحك ، هل بعد هذا شيء ! قال سحابة مارة .

تقول ابن اللصيت : قال ابن إسحاق : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم سار حتى إذا كان ببعض الطريق ضلت ناقته ، فخرج أصحابه فى طلبها ، وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل من أصحابه ، يقال له عمارة بن حزم ، وكان عقبياً بدرياً ، وهو عم بنى عمرو بن حزم ، وكان فى رحله زيد بن اللصيت القينقاعى ، وكان منافقاً .

قال ابن هشام : ويقال : ابن لصيب ، بالباء .

قال ابن إسحاق : فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة ، عن محمود بن لبيد ، عن رجال من بني عبد الأشهل : قالوا : فقال زيد بن اللصيت ، وهو في رحل عمارة ، وعمارة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم : أليس محمد يزعم أنه نبي ، ويخبركم عن خبر السماء . وهو لا يدري أين ناقته ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمارة عنده : إن رجلا قال : هذا محمد يخبركم أنه نبي ، ويزعم أنه يخبركم بأمر السماء وهو لا يدري أين ناقته ، وإني والله ما أعلم إلا ما علمني الله وقد دلني الله عليها ، وهي في هذا الوادي ، في شعب كذا وكذا ، قد حبستها شجرة بزمامها ؛ فانطلقوا حتى تأتوني بهـــا ، فذهبوا ، فجاءوا بها فرجع عمارة بن حزم إلى رحله ، فقـال : والله لعجب من شيء حدثناه رسول الله صلى الله عليه وسلم آنفاً ، عن مقالة قائل أخبره الله عنه بكذا وكذا ، الذي قال زيد بن اللصيت ؛ فقال رجل ممن كان في رحل عمارة ولم يحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم : زيد والله قال هذه المقالة قبل أن تأتي . فأقبل عمارة على زيد يجأ في عنقه ويقول : إلى عباد الله ، إن في رحلي لداهية وما أشعر ، أخرج أي عدو الله من رحلي ، فلا تصحبني .

قال ابن إسحاق : فزعم بعض الناس أن زيداً تاب بعد ذلك ؛ وقال بعض الناس : لم يزل متهماً بشر حتى هلك .

خبر أبي ذر : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم سائراً ، فجعل يتخلف عنه الرجل ، فيقولون : يارسول الله ، تخلف فلان ، فيقول : دعوه ، فإن يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ، حتى قيل ، يارسول الله ، قد تخلف أبو ذر ، وأبطأ به بعيره ؛ فقال : دعوه . فإن يك فيه خير فسيلحقه الله بـكم ، وإن يك غير ذلك فقد أراحكم الله منه ؛ وتلوم أبو ذر على بعيره ، فلما أبطأ عليه ، أخذ متاعه فحمله على ظهره ، ثم خرج يتبع أثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشياً ونزل رسول الله في بعض منازله ، فنظر ناظر من المسلمين فقال : يارسول الله ، إن هـذا الرجل يمشي على الطريق وحده ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر . فلما تأمله القوم قالوا : يارسول الله ، هو والله أبو ذر ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رحم الله أبا ذر يمشي وحده ، ويموت وحده ، ويبعث وحده .

وقال ابن إسحاق : فحدثني بريدة بن سفيان الأسلمي ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : لما نفى عثمان أبا ذر إلى الربذة ، وأصابه بها قدره ، لم يكن معه أحد إلا امرأته وغلامه ، فأوصاهما أن اغسلاني وكفناني ، ثم ضعاني على قارعة الطريق ، فأول ركب يمر بكم فقولوا : هذا أبو ذر صاحب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأعينونا على دفنه . فلما مات فعلا ذلك به ثم وضعاه على قارعة الطريق وأقبل عبد الله بن مسعود في رهط من أهل العراق عمار ، فلم يرعهم إلا بالجنازة على ظهر الطريق ، قد كادت الإبل تطؤها ، وقام إليهم الغلام فقال : هذا أبو ذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأعينونا على دفنه . قال : فاستهل عبد الله بن مسعود يبكي ويقول : صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تمشي وحدك وتموت وحدك ، وتبعث وحدك . ثم نزل هو وأصحـــابه فواروه ، ثم حدثهم عبد الله بن مسعود حديثه ، وما قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى تبوك .

تخوف المنافقين للمسلمين : قال ابن إسحاق : وقد كان رهط من المنافقين ، منهم وديعة بن ثابت ، أخو بني عمرو بن عوف ، ومنهم رجل من أشجع حليف لبني سلمة ، يقال له : مخشن بن حمير — قال ابن هشام : ويقال مخشي — يشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو منطلق إلى تبوك ، فقال بعضهم لبعض : أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتـــال العرب بعضهم بعضاً ! والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال ، إرجافاً وترهيباً للمؤمنين ، فقال مخشن بن حمـــير : والله لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مائة جلدة وإنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيما بلغني — لعمار بن ياسر : أدرك القوم فإنهم قد احترقوا ، فسلهم عما

قالوا ، فإن أنكروا فقل : بلى ، قلتم كذا وكذا . فانطلق إليهم عمار ، فقال ذلك لهم : فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعتذرون إليه ؛ فقال وديعة بن ثابت . ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف على ناقته ، فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يا رسول الله ، إنما كنا نخوض ونلعب ؛ فأنزل الله عز وجل « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب » .
قال مخشن بن حمير : يا رسول الله ، قعد بى اسمى واسم أبى ، وكأن الذى عفى عنه فى هذه الآية مخشن بن حمير ، فتسمى عبد الرحمن ، وسأل الله تعالى أن يقتله شهيداً لا يعلم بمكانه ، فقتل يوم اليمامة ، فلم يوجد له أثر .

الصلح مع صاحب أيلة : ولما انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى تبوك ، أتاه يحنة بن رؤبة ، صاحب أيلة ، فصالح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل جرباء وأذرح . فأعطوه الجزية ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم كتاباً . فهو عندهم
فكتب ليحنة بن رؤبة :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذه أمنة من الله ومحمد النبى رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر : لهم ذمة الله وذمة محمد النبى ، ومن كان معهم من أهل الشام ، وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثاً ، فإنه لا يحول ماله دون نفسه ، وإنه طيب لمن أخذه من الناس ، وإنه لا يحل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يريدونه . من بر وبحر .

خالد وأكيدر دومة : ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا خالد بن الوليد ، فبعثه إلى أكيدر دومة ، وهو أكيدر ابن عبد الملك ، رجل من كندة كان ملكا عليها ، وكان نصرانياً ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر : فخرج خالد ، حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين ، وفى ليلة مقمرة صائفة ، وهو على سطح له ، ومعه امرأته فباتت البقر تحك بقرونها باب القصر ، فقالت له امرأته : هل رأيت مثل هذا قط ؟ قال لا والله ! قالت : فمن يترك هذه ؟ قال : لا أحد . فنزل فأمر بفرسه ، فأسرج له ، وركب معه نفر من أهل بيته ، فيهم أخ يقال له حسان . فركب وخرجوا معه بمطاردهم . فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذته ، وقتلت أخاه ؛ وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب ، فاستلبه خالد ، فبعث به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل قدومه به عليه .

قال ابن إسحاق : فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : رأيت قباء أكيدر حين قدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ، ويتعجبون منه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتعجبون من هذا ؟ فوالذى نفسى بيده لمناديل سعد بن معاذ فى الجنة أحسن من هذا .
قال ابن إسحاق : ثم إن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحقن له دمه ، وصالحه على الجزية ، ثم خلى سبيله ، فرجع إلى قريته ، فقال رجل من طيىء يقال له بجير بن بجرة ، يذكر قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لخالد : إنك ستجده يصيد البقر وما صنعت البقر تلك الليلة حتى استخرجته ، لتصديق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم :

تبارك سائق البقرات إنى ... رأيت الله يهدى كل هاد
فمن يك حائداً عن ذى تبوك ... فإنا قد أمرنا بالجهاد

فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة ، لم يجاوزها ، ثم انصرف قافلا إلى المدينة .
وادى المشقق وماؤه : وكان فى الطريق ماء يخرج من وشل ، ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة ، بواد يقال له وادى المشقق ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من سبقنا إلى ذلك الوادى فلا يستقين منه شيئاً حتى نأتيه . قال :

فسبقه إليه نفر من المنافقين ، فاستقوا ما فيه ؛ فلما أتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف عليه ، فلم ير فيه شيئاً فقال: من سبقنا إلى هذا الماء ؟ فقيل له : يارسول الله ، فلان وفلان ؛ فقال : أولم أنههم أن يستقوا منه شيئاً حتى آتيه ؟ ! ثم لعنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ودعا عليهم . ثم نزل فوضع يده تحت الوشل ، فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ، ومسحه بيده ، ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بما شاء الله أن يدعو به ، فانخرق من الماء — كما يقول من سمعه — ما إن له حساً كحس الصواعق ، فشرب الناس ، واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لئن بقيتم أو من بقى منكم لتسمعن بهذا الوادى ، أخصب ما بين يديه وما خلفه .

ذو البجادين ودفنه وتسميته :قال وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث التيمى ، أن عبد الله بن مسعود كان يحدث قال : قمت من جوف الليل ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، قال : فرأيت شعلة من نار فى ناحية العسكر ، قال : فاتبعتها أنظر إليها ، فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر ، وإذا عبد الله ذو البجادين المزنى قد مات وإذا هم قد حفروا له ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته ، وأبو بكر وعمر يدليانه ، وهو يقول : أدنيا إلى أخاكما ، فدلياه إليه ، فلما هيأه لشقه ، قال : اللهم إنى أمسيت راضياً عنه فارض عنه . قال : يقول عبد الله بن مسعود : ياليتنى كنت صاحب الحفرة .

قال ابن هشام : وإنما سمى ذو البجادين ، لأنه كان ينازع إلى الإسلام ، فيمنعه قومه من ذلك ، ويضيقون عليه ، حتى تركوه فى بجاد ليس عليه غيره ، والبجاد : الكساء الغليظ الجافى ، فهرب منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما كان قريباً منه ، شق بجاده باثنين ، فاتزر بواحد ، واشتمل بالآخر ؛ ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقيل له :ذو البجادين لذلك ، والبجاد أيضاً : المسح ، قال ابن هشام :قال امرؤ القيس :

كأن أباناً فى عرانين ودقه ... كبير أناس فى بجاد مزمل

حديث أبى رهم فى تبوك : قال ابن إسحاق : وذكر ابن شهاب الزهرى ، عن ابن أكيمة الليثى ، عن ابن أخى أبى رهم الغفارى ، أنه سمع أبا رهم كلثوم بن الحصين ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين بايعوا تحت الشجرة ، يقول : غزوت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوة تبوك ، فسرت ذات ليلة معه ونحن بالأخضر قريباً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقى الله علينا النعاس فطفقت أستيقظ وقد دنت راحلتى من راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيفزعنى دنوها منه ، مخافة أن أصيب رجله فى الغرز ، فطفقت أحوز راحلتى عنه ، حتى غلبتنى عينى فى بعض الطريق ، ونحن فى بعض الليل ، فزاحمت راحلتى راحلة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجله فى الغرز ، فما استيقظت إلا بقوله : حس ، فقلت : يا رسول الله ، استغفر لى . فقال : سر ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألنى عمن تخلف عن بنى غفار ، فأخبره به ؛ فقال وهو يسألنى : ما فعل النفر الحمر الطوال الثطاط . فحدثته بتخلفهم. قال : فما فعل النفر السود الجعاد القصار ؟ قال : قلت : والله ما أعرف هؤلاء منا . قال : بلى الذين لهم نعم بشبكة شدخ ؛ فتذكرتهم فى بنى غفار ، ولم أذكرهم حتى ذكرت أم لهم رهط من أسلم كانوا حلفاء فينا ، فقلت : يارسول الله ، أولئك رهط من أسلم ، حلفاء فينا ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما منع أحد أولئك حين تخلف أن يحمل على بعير من إبله امرءاً فى سبيل الله ؟ إن أعز أهلى على أن يتخلف عنى المهاجرون من قريش والأنصار وغفار وأسلم .

أمر مسجد الضرار عند القفول من غزوة تبوك

قال ابن إسحاق : ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى نزل بذى أوان بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار، وكان أصحاب مسجد الضرار قد كانوا أتوه وهو يتجهز إلى تبوك ، فقالوا يارسول الله ، إنا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطيرة والليلة الشاتية ، وإنا نحب أن تأتينا ، فتصلى لنا فيه ؛ فقال : إنى على جناح سفر ، وحال شغل، أو كما قال صلى الله عليه وسلم ، ولو قدمنا إن شاء الله لأتيناكم ، فصلينا لكم فيه .

فلما نزل بذى أوان ، أتاه خبر المسجد ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن الدخشم أخا بنى سالم بن عوف ومعن بن عدى ، أو أخاه عاصم بن عدى ، أخا بنى العجلان ، فقال : انطلقا إلى هذا المسجد الظالم أهله ، فاهدماه وحرقاه . فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف ، وهم رهط مالك بن الدخشم ، فقال مالك لمعن : أنظرنى حتى أخرج إليك بنار من أهلى . فدخل إلى أهله ، فأخذ سعفاً من النخل ، فأشعل فيه ناراً ، ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله ، فحرقاه وهدماه ، وتفرقوا عنه ، ونزل فيهم من القرآن ما نزل : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين » . إلى آخر القصة .

وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا : خذام بن خالد ، من بنى عبيد بن زيد ، أحد بنى عمرو بن عوف ، ومن داره أخرج مسجد الشقاق ، وثعلبة بن حاطب من بنى أمية بن زيد ، ومعتب بن قشير ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وأبو حبيبة بن الأزعر ، من بنى ضبيعة بن زيد ، وعباد بن حنيف ، أخو سهل بن حنيف ، من بنى عمرو بن عوف ، وجارية بن عامر وابناه مجمع بن جارية ، وزيد بن جارية ، ونبتل بن الحارث من ضبيعة ، وبحزج ، من بنى ضبيعة . وبجاد بن عثمان، من بنى ضبيعة ، ووديعة بن ثابت ، وهو من بنى أمية بن زيد رهط أبى لبابة بن المنذر .

وكانت مساجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما بين المدينة إلى تبوك معلومة مسماة : مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مدران ، ومسجد بذات الزراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمى ، ومسجد بألاء ، ومسجد بطرف البتراء ، من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق ، شق تارا ، ومسجد بذى الجيفة ، ومسجد بصدر حوضى ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بالوادى ، اليوم ، وادى القرى ، ومسجد بالرقعة من الشقة ، شقة بنى عذرة ، ومسجد بذى المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذى خشب .

أمر الثلاثة الذين خلفوا وأمر المعذرين فى غزوة تبوك

وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وقد كان تخلف عنه رهط من المنافقين ، وتخلف أولئك الرهط الثلاثة من المسلمين من غير شك ولا نفاق : كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أبى أمية ؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه : لا تكلمن أحداً من هؤلاء الثلاثة ، وأتاه من تخلف عنه من المنافقين فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، فصفح عنهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يعذرهم الله ولا رسوله . واعتزل المسلمون كلام أولئك الثلاثة .

قال ابن إسحاق : فذكر الزهرى محمد بن شهاب ، عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك . أن أباه عبد الله، وكان قائد أبيه حين أصيب بصره ، قال : سمعت أبى كعب بن مالك يحدث حديثه حين تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك ، وحديث صاحبيه ، قال : ما تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة غزاها قط ، غير أنى كنت قد تخلفت عنه فى غزوة بدر ، وكانت غزوة لم يعاتب الله ولا رسوله أحداً تخلف عنها ، وذلك أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم إنما خرج يريد عير قريش ، حتى جمع الله بينه وبين عدوه على غير ميعاد ، ولقد شهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم العقبة ، وحين تواثقنا على الإسلام ، وما أحب أن لى بها مشهد بدر . وإن كانت غزوة بدر هى أذكر فى الناس منها . قال : كان من خبرى حين تخلفت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة تبوك أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنه فى تلك الغزوة ، ووالله ما اجتمعت لى راحلتان قط حتى اجتمعتا فى تلك الغزوة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قلما يريد غزوة يغزوها إلا ورى بغيرها ، حتى كانت تلك الغزوة ، فغزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حر شديد ، واستقبل سفراً بعيداً ، واستقبل غزو عدو كثير . فجلى للناس أمرهم ليتأهبوا لذلك أهبته وأخبرهم خبره بوجهه الذى يريد ، والمسلمون من تبع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير، لا يجمعهم كتاب حافظ ، يعنى بذلك الديوان ، يقول : لا يجمعهم ديوان مكتوب .

قال كعب : فقل رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ذلك ، مالم ينزل فيه وحى من الله ، وغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الغزوة حين طابت الثمار وأحبت الظلال ، فالناس إليها صعر ؛ فتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجهز المسلمون معه ، وجعلت أغدو لأتجهز معهم ، فأرجع ولم أقض حاجة ، فأقول فى نفسى ، أنا قادر على ذلك إذا أردت فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى شمر الناس بالجد ، فأصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم غاديا والمسلمون معه ، ولم أقض من جهازى شيئاً ، فقلت : أتجهز بعده بيوم أو يومين ، ثم ألحق بهم ، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز ، فرجعت ولم أقض شيئاً ، ثم غدوت فرجعت ولم أقض شيئاً ، فلم يزل ذلك يتمادى بى حتى أسرعوا ، وتفرط الغزو ، فهممت أن أرتحل ، فأدركهم ، وليتنى فعلت ، فلم أفعل ، وجعلت إذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول لله صلى الله عليه وسلم ، فطفت فيهم ، يحزننى أنى لا أرى إلا رجلا مغموصاً عليه النفاق ، أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ تبوك ، فقال وهو جالس فى القوم بتبوك : ما فعل كعب بن مالك ؟ فقال رجل من بنى سلمة : يا رسول الله ، حبسه برداه ، والنظر فى عطفيه ؛ فقال له معاذ بن جبل : بئس ما قلت ! والله يارسول الله ما علمنا منه إلا خيراً ؛ فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

فلما بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توجه قافلا من تبوك ، حضرنى بثى فجعلت أتذكر الكذب وأقول بماذا أخرج من سخطة رسول الله صلى الله عليه وسلم غداً وأستعين على ذلك كل ذى رأى من أهلى ؛ فلما قيل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادماً زاح عنى الباطل ، وعرفت أنى لا أنجو منه إلا بالصدق فأجمعت أن أصدقه ، وصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس ، فلما فعل ذلك ، جاءه المخلفون ، فجعلوا يحلفون له ويعتذرون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا ، فيقبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم علانيتهم وأيمانهم ، ويستغفر لهم ، ويكل سرائرهم إلى الله تعالى ، حتى جئت فسلمت عليه ، فتبسم تبسم المغضب ، ثم قال لى: تعاله ، فجئت أمشى ، حتى جلست بين يديه ، فقال لى : ماخلفك ؟ ألم تكن ابتعت ظهرك ؟ قال : قلت : إنى يارسول الله ، والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا ، لرأيت أنى سأخرج من سخطه بعذر ، ولقد أعطيت جدلا ، لكن والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديثاً كذباً لترضين عنى وليوشكن الله أن يسخطك على . ولئن حدثتك حديثاً صدقاً تجد على فيه . إنى لأرجو عقباى من الله فيه ، ولا والله ما كان لى عذر ، والله ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما هذا فقد صدقت فيه ، فقم حتى يقضى الله فيك . فقمت ، وثار معى رجال من بنى سلمة ، فاتبعونى فقالوا لى : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بما اعتذر

به إليه المخلفون ، قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ، فوالله مازالوا بى حتى أردت أن أرجع إلى رسـول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم : هل لقى هذا أحد غيرى ؟ قالوا : نعم ، رجلان قالا مثل مقالتك ، وقيل لهما ماقيل لك ، قلت : من هما ؟ قالوا : مرارة بن الربيع العمرى ، من بنى عمرو بن عوف ، وهلال بن أبى أمية الواقفى ، فذكروا لى رجلين صالحين ، فيهما أسوة ، فصمت حين ذكروهما لى ، ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كلامنا أيها الثلاثة ؛ من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس ، وتغيروا لنا ، حتى تنكرت لى نفسى والأرض ، فما هى بالأرض التى كنت أعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا ، وقعدا فى بيوتهما ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، فكنت أخرج ، وأشهد الصلوات مع المسلمين ، وأطوف بالأسواق ، ولا يكلمنى أحد ، وآتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم عليه وهو فى مجلسه بعد الصلاة ، فأقول فى نفسى ، هل حرك شفتيه برد السلام على أم لا ؟ ثم أصلى قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتى نظر إلى ، وإذا التفت نحوه أعرض عنى ، حتى إذا طال ذلك على من جفوة المسلمين ، مشيت حتى تسورت جدار حائط أبى قتادة . وهو ابن عمى ، وأحب الناس إلى . فسلمت عليه ، فوالله مارد على السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله . هل تعلم أنى أحب الله ورسوله ؟ فسكت . فعدت فناشدته ، فسكت عنى ، فعدت فناشدته فسكت عنى ، فعدت فناشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى ، ووثبت فتسورت الحائط ، ثم عدوت إلى السوق ، فبينا أنا أمشى بالسوق ، إذا نبطى يسأل عنى من نبط الشام ، ممـا قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ، يقول : من يدل على كعب بن مالك ؟ قال : فجعل الناس يشيرون له إلى ، حتى جاءنى ، فدفع إلى كتاباً من ملك غسان ، وكتب كتاباً فى سرقة من حرير ، فإذا فيه : « أما بعد ، فإنه قد بلغنا أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك » . قال : قلت حين قرأتها : وهذا من البلاء أيضاً ، قد بلغ بى ماوقعت فيه أن طمع فى رجل من أهل الشرك . قال فعمدت بها إلى تنور ، فسجرته بها . فأقمنا على ذلك حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتينى ، فقال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمرك أن تعتزل امرأتك قال : قلت : أطلقها أم ماذا ؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبى بمثل ذلك ، فقلت لامرأتى : الحقى بأهلك ، فكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ما هو قاض . قال وجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ فقالت : يارسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ كبير ضائع لا خادم له ، أفتكره أن أخدمه ؟ قال : لا ، ولكن لا يقربنك ، قالت : والله يارسول الله مابه من حركة إلى ، والله مازال يبكى منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا ، ولقد تخوفت على بصره ، قال فقال لى بعض أهلى : لو استأذنت رسول الله لامرأتك ، فقد أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ؛ قال : فقلت : والله لا استأذنه فيها ، ما أدرى مايقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لى فى ذلك إذا استأذنته فيها ، وأنا رجل شاب قال : فلبثنا بعد ذلك عشر ليال . فكمل لنا خمسون ليلة ، من حين نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا ، ثم صليت الصبح ، صبح خمسين ليلة على ظهر بيت من بيوتنا ، على الحال التى ذكر الله منا ، قد ضاقت علينا الأرض بما رحبت ، وضاقت على نفسى ، وقد كنت ابتنيت خيمة فى ظهر سلع ، فكنت أكون فيها إذ سمعت صوت صارخ أوفى على ظهر سلع يقول بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر ، قال : فخررت ساجداً ، وعرفت أن قد جاء الفرج .

قال : وآذن رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس بتوبة الله علينا حين صلى الفجر ، فذهب الناس يبشروننا ، وذهب نحو صاحبى مبشرون ، وركض رجل إلى فرساً . وسعى ساع من أسلم ، حتى أوفى على الجبل ، فكان الصوت

أسرع من الفرس ؛ فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني ، نزعت ثوبي ، فكسوتهما إياه ببشارة ، والله ما أملك يومئذ غيرهما ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، ثم انطلقت أتيمم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلقاني الناس يبشرونني بالتوبة ، يقولون : ليهنك توبة الله عليك . حتى دخلت المسجد ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس حوله الناس ، فقام إلى طلحة بن عبيد الله ، فحياني وهنأني ، ووالله ما قام إلى رجل من المهاجرين غيره . قال : فكان كعب بن مالك لاينساها لطلحة .

قال كعب : فلما سلمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ، ووجهه يبرق من السرور : أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك ، قال : قلت : أمن عندك يارسول الله أم من عند الله ؟ قال : بل من عند الله . قال : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا استبشر كأن وجهه قطعة قمر . قال : وكنا نعرف ذلك منه : قال : فلما جلست بين يديه قلت : يارسول الله ، إن من توبتي إلى الله عز وجل أن أنخلع من مالي ، صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك . قال : قلت إني ممسك سهمي الذي بخيبر ؛ وقلت : يارسول الله ، إن الله قد نجاني بالصدق ، وإن من توبتي إلى الله أن لا أحدث إلا صدقاً ماحييت ، والله ما أعلم أحداً من الناس أبلاه الله في صدق الحديث منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك أفضل مما أبلاني الله ، والله ما تعمدت كذبة منذ ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم إلى يومي هذا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقي.

وأنزل الله تعالى : « لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم ، ثم تاب عليهم إنه بهم رءوف رحيم . وعلى الثلاثة الذين خلفوا » . . إلى قوله : « وكونوا مع الصادقين » .

قال كعب : فوالله ما أنعم الله علي نعمة قط بعد أن هداني للإسلام كانت أعظم في نفسي من صدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، أن لا أكون كذبته ، فأهلك كما هلك الذين كذبوا ، فإن الله تبارك وتعالى قال في الذين كذبوه حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، قال : « سيحلفون بالله لكم إذا انقلبتم إليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم إنهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون ، يحلفون لكم لترضوا عنهم ، فإن ترضوا عنهم ، فإن الله لايرضى عن القوم الفاسقين » .

قال : وكنا خلفنا أيها الثلاثة عن أمر هؤلاء الذين قبل منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين حلفوا له فعذرهم واستغفر لهم ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرنا ، حتى قضى الله فيه ماقضى ، فبذلك قال الله تعالى : « وعلى الثلاثة الذين خلفوا » .

وليس الذي ذكر الله من تخليفنا لتخلفنا عن الغزوة ولكن لتخليفه إيانا ، وإرجائه أمرنا عمن حلف له ، واعتذر إليه ، فقبل منه .

أمر وفد ثقيف وإسلامها

في شهر رمضان سنة تسع

قال ابن إسحاق : وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة من تبوك في رمضان ، وقدم عليه في ذلك الشهر وفد ثقيف .

• •

وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما انصرف عنهم اتبع أثره عروة بن مسعود الثقفى ، حتى أدركه قبل أن يصل إلى المدينة ، فأسلم وسأله أن يرجع إلى قومه بالإسلام ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما يتحدث قومه : إنهم قاتلوك ، وعرف رسول الله صلى الله عليه وسلم أن فيهم نخوة الامتناع الذى كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله أنا أحب إليهم من أبكارهم .

قال ابن هشام : ويقال : من أبصارهم.

قال ابن إسحاق : وكان فيهم كذلك محبباً مطاعاً ، فخرج يدعو قومه إلى الإسلام رجاء أن لايخالفوه ، لمنزلته فيهم ؛ فلما أشرف لهم على علية له ، وقد دعاهم إلى الإسلام ، وأظهر لهم دينه ، رموه بالنبل من كل وجه ، فأصابه سهم فقتله . فتزعم بنو مالك أنه قتله رجل منهم ، يقال له أوس بن عوف ، أخو بنى سالم بن مالك ، وتزعم الأحلاف أنه قتله رجل منهم ، من بنى عتاب بن مالك ، يقال له وهب بن جابر ، فقيل لعروة : ماترى فى دمك؟ قال : كرامة أكرمنى الله بها ، وشهادة ساقها الله إلى ، فليس فى إلا مافى الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أن يرتحل عنكم ، فادفنونى معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فيه : إن مثله فى قومه لكمثل صاحب ياسين فى قومه .

ثم أقامت ثقيف بعد قتل عروة أشهراً ، ثم إنهم ائتمروا بينهم ، ورأوا أنه لاطاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا وأسلموا .

حدثنى يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس : أن عمرو بن أمية ، أخا بنى علاج ، كان مهاجراً لعبد ياليل بن عمرو الذى بينهما سىء(١) ، وكان عمرو بن أمية من أدهى العرب ، فمشى إلى عبد ياليل بن عمرو ، حتى دخل داره ، ثم أرسل إليه أن عمرو بن أمية يقول لك : أخرج إلى ، قال : فقال عبد ياليل للرسول : ويلك ! أعمرو أرسلك إلى ؟ قال : نعم ، وها هو ذا واقفاً فى دارك ، فقال : إن هذا لشىء ما كنت أظنه ، لعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج إليه ، فلما رآه رحب به ، فقال له عمرو : إنه قد نزل بنا أمر ليست معه هجرة إنه قد كان من أمر هذا الرجل ماقد رأيت ، قد أسلمت العرب كلها ، وليست لكم بحربهم طاقة ، فانظروا فى أمركم : فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها ، وقال بعضهم لبعض : أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ، ولا يخرج منكم أحد إلا اقتطع ، فأتمروا بينهم ، وأجمعوا أن يرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا ، كما أرسلوا عروة ، فكلموا عبد ياليل بن عمرو بن عمير وكان سن عروة بن مسعود ، وعرضوا ذلك عليه ، فأبى أن يفعل ، وخشى أن يصنع به إذا رجع كما صنع بعروة . فقال : لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا ، فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الأحلاف ، وثلاثة من بنى مالك ، فيكونوا ستة ، فبعثوا مع عبد ياليل الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بنى مالك عثمان بن أبى العاص بن بشر بن عبد دهمان ، أخا بنى يسار ، وأوس بن عوف ، أخا بنى سالم بن عوف ونمير بن ربيعة ، أخا بنى الحارث . فخرج بهم عبد ياليل ، وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ، ولم يخرج بهم إلا خشية من مثل ما صنع بعروة بن مسعود ، لكى يشغل كل رجل منهم إذا رجعوا إلى الطائف رهطه . .

فلما دنوا من المدينة ، ونزلوا قناة ألفوا بها المغيرة بن شعبة ، يرعى فى نوبته ركاب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت رعيتها نوباً على أصحابه صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين ، وضبر يشتد ، ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه ، فلقيه أبو بكر الصديق قبل أن يدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ،

(١) كذا فى جميع الأصول التى بين أيدينا — وفى الزرقانى على المواهب « لشىء كان بينهما » .

فأخبره عن ركب ثقيف أن قد قدموا يريدون البيعة والإسلام ، بأن يشرط لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم شروطاً ، ويكتتبوا من رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فى قومهم وبلادهم وأموالهم ، فقال أبو بكر للمغيرة : أقسمت عليك بالله لا تسبقنى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى أكون أنا أحدثه ، ففعل المغيرة . فدخل أبو بكر على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره بقدومهم عليه . ثم خرج المغيرة إلى أصحابه ، فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يفعلوا إلا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ضرب عليهم قبة فى ناحية مسجده ، كما يزعمون ، فكان خالد بن سعيد بن العاص ، هو الذى يمشى بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اكتتبوا كتابهم . وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاماً يأتيهم من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يأكل منه خالد ، حتى أسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدع لهم الطاغية ، وهى اللات لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك عليهم ، فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوا شهراً واحداً بعد مقدمهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يتسلموا بتركها من سفهائهم وذراريهم ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الإسلام ؛ فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة ، فإنه لا خير فى دين لا صلاة فيه ، فقالوا : يا محمد ، فسنؤتيكها ، وإن كانت دناءة .

فلما أسلموا وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابهم ، أمر عليهم عثمان بن أبى العاص ، وكان من أحدثهم سناً ، وذلك أنه كان أحرصهم على التفقه فى الإسلام وتعلم القرآن ؛ فقال أبو بكر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله إنى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الإسلام ، وتعلم القرآن

قال ابن إسحاق: وحدثنى عيسى بن عبد الله بن عطية بن سفيان بن ربيعة الثقفى ، عن بعض وفدهم . قال : كان بلال يأتينا حين أسلمنا وصمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما بقى من رمضان : بفطرنا وسحورنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم . فيأتينا بالسحور ، وإنا لنقول : إنا لنرى الفجر قد طلع ، فيقول : قد تركت رسول الله صلى الله عليه وسلم يتسحر ، لتأخير السحور ، ويأتينا بفطرنا ، وإنا لنقول : ما نرى الشمس كلها ذهبت بعد . فيقول : ما جئتكم حتى أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم يضع يده فى الجفنة ، فيلتقم منها .

قال ابن هشام : بفطورنا وسحورنا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن أبى هند ، عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، عن عثمان بن أبى العاص ، قال : كان من آخر ما عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعثنى على ثقيف أن قال : يا عثمان ، تجاوز فى الصلاة ، واقدر الناس بأضعفهم ، فإن فيهم الكبير ، والصغير والضعيف وذا الحاجة .

قال ابن إسحاق : فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا إلى بلادهم راجعين ، بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم معهم أبا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة ، فى هدم الطاغية ، فخرجا مع القوم ، حتى إذا قدموا الطائف أراد المغيرة بن شعبة أن يقدم أبا سفيان ، فأبى ذلك أبو سفيان عليه ، وقال : أدخل أنت على قومك ؛ وأقام أبو سفيان بماله بذى الهدم ؛ فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول ، وقام قومه دونه ، بنو معتب ، خشية أن يرمى أو يصاب كما أصيب عروة ، وخرج نساء ثقيف حسراً يبكين عليها ويقلن :

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع
لم يحسنوا المصاع

قال ابن هشام : « لتبكين » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ويقول أبو سفيان والمغيرة يضربها بالفأس : واهالك ! آهالك ! فلما هدمها المغيرة ، وأخذ مالها وحليها أرسل إلى أبي سفيان وحليها مجموع ، ومالها من الذهب والجزع .

وقد كان أبو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل وفد ثقيف ، حين قتل عروة ، يريدان فراق ثقيف ، وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ؛ فقال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم توليا من شئتما ؛ فقالا : نتولى الله ورسوله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وخالكما أبا سفيان بن حرب . فقالا : وخالنا أبا سفيان بن حرب .

فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان والمغيرة إلى هدم الطاغية ، سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو مليح بن عروة أن يقضى عن أبيه عروة ديناً كان عليه من مال الطاغية ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم . فقال له قارب بن الأسود ، وعن الأسود يا رسول الله فاقضه ، وعروة والأسود أخوان لأب وأم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الأسود مات مشركا : فقال قارب لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، ولكن تصل مسلماً ذا قرابة ، يعنى نفسه ، إنما الدين على ، وإنما أنا الذي أطلب به . فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا سفيان أن يقضى دين عروة والأسود من مال الطاغية . فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما ، فقضى عنهما .

كتابه عليه السلام لثقيف: وكان كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب لهم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى ، رسول الله ، إلى المؤمنين : إن عضاه وج وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك ، فإنه يجلد وتنزع ثيابه ، فإن تعدى ذلك فإنه يؤخذ فيبلغ به إلى النبى محمد ، وإن هذا أمر النبى محمد رسول الله .

وكتب خالد بن سعيد : بأمر الرسول محمد بن عبد الله ، فلا يتعده أحد ، فيظلم نفسه فيما أمر به محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حج أبي بكر بالناس سنة تسع

واختصاص النبى صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب رضوان الله عليه
بتأدية أول براءة عنه
وذكر براة والقصص فى تفسيرها

قال ابن إسحاق : ثم أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقية شهر رمضان وشوالا وذا القعدة ، ثم بعث أبا بكر أميراً على الحج من سنة تسع ، ليقيم للمسلمين حجهم ، والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم . فخرج أبو بكر رضى الله عنه ومن معه من المسلمين .

ونزلت براءة فى نقض ما بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين المشركين من العهد ، الذى كانوا عليه فيما بينه وبينهم : أن لا يصد عن البيت أحد جاءه ، ولا يخاف أحد فى الشهر الحرام . وكان ذلك عهداً عاماً بينه وبين الناس

من أهل الشرك ، وكانت بين ذلك عهود بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قبائل من العرب خصائص ، إلى آجال مسماة ، فنزلت فيه وفيمن تخلف من المنافقين عنه فى تبوك ، وفى قول من قال منهم ، فكشف الله تعالى فيها سرائر أقوام كانوا يستخفون بغير ما يظهرون : منهم من سمى لنا ومنهم من لم يسم لنا ، فقال عز وجل : « براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين » أى لأهل العهد العام من أهل الشرك « فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر ، واعلموا أنكم غير معجزى الله وأن الله مخزى الكافرين * وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله برىء من المشركين ورسوله » : أى بعد هذه الحجة « فإن تبتم فهو خير لكم ، وإن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزى الله ، وبشر الذين كفروا بعذاب أليم * إلا الذين عاهدتم من المشركين » : أى العهد الخاص إلى الأجل المسمى « ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم إن الله يحب المتقين . فإذا انسلخ الأشهر الحرم » : يعنى الأربعة التى ضرب لهم أجلا « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد ، فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم * وإن أحد من المشركين » : أى من هؤلاء الذين أمرتك بقتلهم « استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ، ثم أبلغه مأمنه ، ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ». ثم قال : « كيف يكون للمشركين » الذين كانوا هم وأنتم على العهد العام أن لا يخيفوكم ولا يخيفوهم فى الحرمة ، ولا فى الشهر الحرام « عهد عند الله وعند رسوله ، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام » وهى قبائل من بنى بكر الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم يوم الحديبية ، إلى المدة التى كانت بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش ، فلم يكن نقضها إلا هذا الحى من قريش وهى الديل من بنى بكر بن وائل ، الذين كانوا دخلوا فى عقد قريش وعهدهم . فأمر بإتمام العهد لمن لم يكن نقض من بنى بكر إلى مدته « فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ، إن الله يحب المتقين » .

ثم قال تعالى : « كيف وإن يظهروا عليكم » أى المشركون الذين لا عهد لهم إلى مدة من أهل الشرك العام « لا يرقبوا فيكم إلا ولا ذمة » .

قال ابن هشام : الإل : الحلف . قال أوس بن حجر ، أحد بنى أسيد بن عمرو بن تميم :

لولا بنو مالك والإل مرقبة   ومالك فيهم الآلاء والشرف

وهذا البيت فى قصيدة له وجمعه آلال وقال الشاعر :

فلا إل من الآلال بينى   وبينكم فلا تألن جهداً

والذمة : العهد . قال الأجدع بن مالك الهمدانى ، وهو أبو مسروق بن الأجدع الفقيه :

وكان علينا ذمة أن تجاوزوا   من الأرض معروفاً إلينا ومنكراً

وهذا البيت فى ثلاثة أبيات له وجمعها : ذمم .

« يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون * اشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ، فصدوا عن سبيله ، إنهم ساء ما كانوا يعملون * لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، وأولئك هم المعتدون » أى قد اعتدوا عليكم « فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم فى الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون » .

اختصاص على بتأدية براءة : قال ابن إسحاق : وحدثنى حكيم بن حكيم بن عباد بن حنيف ، عن أبى جعفر محمد بن على رضوان الله عليه ، أنه قال : لما نزلت براءة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد كان بعث أبا بكر الصديق ليقيم للناس الحج ، قيل له : يا رسول الله لو بعثت بها إلى أبى بكر ، فقال : لا يؤدى عنى إلا رجل من أهل بيتى ، ثم دعا على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، فقال له : اخرج بهذه القصة من صدر براءته ، وأذن فى الناس يوم النحر إذا

اجتمعوا بمنى : أنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، فخرج على بن أبى طالب رضوان الله عليه على ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء ، حتى أدرك أبا بكر بالطريق ، فلما رآه أبو بكر بالطريق قال : أأمير أم مأمور ؟ فقال : بل مأمور ، ثم مضيا ، فأقام أبو بكر للناس الحج ، والعرب إذ ذاك فى تلك السنة على منازلهم من الحج ، التى كانوا عليها فى الجاهلية ، حتى إذا كان يوم النحر ، قام على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فأذن فى الناس بالذى أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أيها الناس ، إنه لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فهو له إلى مدته ، وأجل الناس أربعة أشهر من يوم أذن فيهم ، ليرجع كل قوم إلى مأمنهم أو بلادهم ، ثم لا عهد لمشرك ولا ذمة إلا أحد كان له عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى مدة ، فهو له إلى مدته . فلم يحج بعد ذلك العام مشرك ، ولم يطف بالبيت عريان .

ثم قدما على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فكان هذا من براءة فيمن كان من أهل الشرك من أهل العهد العام ، وأهل المدة إلى الأجل المسمى .

الأمر بجهاد المشركين : قال ابن إسحاق : ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بجهاد أهل الشرك ، ممن نقض من أهل العهد الخاص ، ومن كان من أهل العهد العام ، بعد الأربعة الأشهر التى ضرب لهم أجلا إلا أن يعدو فيها عاد منهم ، فيقتل بعدائه ، فقال : « ألا تقاتلون قوماً نكثوا أيمانهم وهموا بإخراج الرسول وهم بدءوكم أول مرة أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه إن كنتم مؤمنين » قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين . ويذهب غيظ قلوبهم ويتوب الله » أى من بعد ذلك « على من يشاء ، والله عليم حكيم » أم حسبتم أن تتركوا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ، ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون » .

قال ابن هشام : وليجة : دخيل ، وجمعها : ولائج ؛ وهو من ولج يلج : أى دخل يدخل ، وفى كتاب الله عز وجل « حتى يلج الجمل فى سم الخياط » . أى يدخل ، يقول : لم يتخذوا دخيلا من دونه يسرون إليه غير ما يظهرون ، نحو ما يصنع المنافقون ، يظهرون الإيمان للذين آمنوا « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » قال الشاعر :

واعلم بأنك قد جعلت وليجة ‌ ‌ ‌ ساقوا إليك الحتف غير مشوب

القرآن يرد على قريش ادعاءهم عمارة البيت : قال ابن اسحاق : ثم ذكر قول قريش : إنا أهل الحرم ، وسقاة الحاج ، وعمار هذا البيت ، فلا أحد أفضل منا ، فقال : « إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر » أى إن عمارتكم ليست على ذلك ، وإنما يعمر مساجد الله أى من عمرها بحقها « من آمن بالله واليوم الآخر ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله » : أى فأولئك عمارها « فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين » وعسى من الله : حق .

ثم قال تعالى : « أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد فى سبيل الله لا يستوون عند الله » .

ثم القصة عن عدوهم ، حتى انتهى إلى ذكر حنين ، وما كان فيه ، وتوليهم عن عدوهم ، وما أنزل الله تعالى من نصره بعد تخاذلهم ، ثم قال تعالى « إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ، وإن خفتم عيلة »

وذلك أن الناس قالوا : لتنقطعن عنا الأسواق ، فلتهلكن التجارة ، وليذهبن ما كنا نصيب فيها من المرافق ، فقال الله عز وجل : « وإن خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله » : أى من وجه غير ذلك « إن شاء ، إن الله عليم حكيم * قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ، ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » : أى ففى هذا عوض مما تخوفتم من قطع الأسواق ، فعوضهم الله بما قطع عنهم من أعناق أهل الكتاب ، من الجزية .

ما نزل فى أهل الكتابين : ثم ذكر أهل الكتابين بما فيهم من الشر والفرية عليه ، حتى انتهى إلى قوله تعالى : « إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله ، والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم » .

ما نزل فى النسىء : ثم ذكر النسىء ، وما كانت العرب أحدثت فيه . والنسىء ما كان يحل مما حرم الله تعالى من الشهور ، ويحرم مما أحل الله منها فقال : « إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض ، منها أربعة حرم ، ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم » : أى لا تجعلوا حرامها حلالا ، ولا حلالها حراماً : أى كما فعل أهل الشرك « إنما النسىء » الذى كانوا يصنعون « زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله ، فيحلوا ما حرم الله ، زين لهم سوء أعمالهم ، والله لا يهدى القوم الكافرين » .

ما نزل فى تبوك : ثم ذكر تبوك وما كان فيها من تثاقل المسلمين عنها ، وما أعظموا من غزو الروم ، حين دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهادهم ، ونفاق من نافق من المنافقين ، حين دعوا إلى ما دعوا إليه من الجهاد ، ثم ما نعى عليهم من إحداثهم فى الإسلام ، فقال تعالى : « يأيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا فى سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض » ، ثم القصة إلى قوله تعالى : « يعذبكم عذاباً أليما ويستبدل قوماً غيركم » إلى قوله تعالى : « إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار » .

ما نزل فى أهل النفاق : ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ، يذكر أهل النفاق : « لو كان عرضاً قريباً وسفراً قاصداً لاتبعوك ، ولكن بعدت عليهم الشقة ، وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم ، يهلكون أنفسهم ، والله يعلم إنهم لكاذبون » : أى إنهم يستطيعون « عفا الله عنك ، لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين » ... إلى قوله : « لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالا ، ولأوضعوا خلالكم ، يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم » .

قال ابن هشام : أوضعوا خلالكم : ساروا بين أضعافكم ، فالإيضاع : ضرب من السير أسرع من المشى ؛ قال الأجدع بن مالك الهمدانى :

يصطادك الوحد المدل بشأوه بشريج بين الشد والإيضاع

وهذا البيت فى قصيدة له .

قال ابن إسحاق : وكان الذين استأذنوه من ذوى الشرف ، فيما بلغنى منهم : عبد الله بن أبى بن سلول ، والجد بن قيس ؛ وكانوا أشرافاً فى قومهم ، فثبطهم الله لعلمه بهم أن يخرجوا معه ، فيفسدوا عليه جنده ، وكان فى جنده قوم

أهل محبة لهم ، وطاعة فيما يدعونهم إليه ، لشرفهم فيهم . فقال تعالى : « وفيكم سماعون لهم ، والله عليم بالظالمين . لقد ابتغوا الفتنة من قبل » : أى من قبل أن يستأذنوك ، « وقلبوا لك الأمور » : أى ليخذلوا عنك أصحابك ويردوا عليك أمرك « حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا » ، وكان الذى قال ذلك ، فيما سمى لنا ، الجد بن قيس ، أخو بنى سلمة ، حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جهاد الروم ثم كانت القصة إلى قوله تعالى : « لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا إليه وهم يجمحون ، ومنهم من يلمزك فى الصدقات ، فإن أعطوا منها رضوا ، وإن لم يعطوا منها إذا هم يسخطون » : أى إنما نيتهم ورضاهم وسخطهم لدنياهم .

ما نزل فى أصحاب الصدقات : ثم بين الصدقات لمن هى وسمى أهلها ، فقال : « إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها ، والمؤلفة قلوبهم ، وفى الرقاب ، والغارمين وفى سبيل الله ، وابن السبيل ، فريضة من الله ، والله عليم حكيم » .

ما نزل فيمن اذوا الرسول : ثم ذكر غشهم وأذاهم النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : « ومنهم الذين يؤذون النبى ويقولون هو أذن ، قل أذن خير لكم ، يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ، ورحمة للذين آمنوا منكم ، والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم » ، وكان الذى يقول تلك المقالة ، فيما بلغنى ، نبتل بن الحارث أخو بنى عمرو بن عوف ، وفيه نزلت هذه الآية ، وذلك أنه كان يقول : إنما محمد أذن ، من حدثه شيئاً صدقه . يقول الله تعالى : «قل أذن خير لكم» : أى يسمع الخير ويصدق به .

ثم قال تعالى : « يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين » ، ثم قال : « ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب ، قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزءون » إلى قوله تعالى : « إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة » ، وكان الذى قال وديعة بن ثابت ، أخو بنى أمية بن زيد ، من بنى عمرو بن عوف ، وكان الذى عفى عنه ، فيما بلغنى : مخشن بن حمير الأشجعى ، حليف بنى سلمة وذلك أنه أنكر منهم بعض ما سمع .

ثم القصة من صفتهم حتى انتهى إلى قوله تعالى : « يا أيها النبى جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير ، يحلفون بالله ما قالوا ، ولقد قالوا ، كلمة الكفر وكفروا بعد إسلامهم وهموا بما لم ينالوا ، وما نقموا إلا أن أغناهم الله ورسوله من فضله » إلى قوله : « من ولى ولا نصير » وكان الذى قال تلك المقالة الجلاس ابن سويد بن صامت فرفعها عليه رجل كان فى حجره ، يقال له عمير بن سعد ، فأنكرها وحلف بالله ما قالها ، فلما نزل فيهم القرآن تاب ونزع ، وحسنت حاله وتوبته ، فيما بلغنى .

ثم قال تعالى : « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين » ، وكان الذى عاهد الله منهم ثعلبة بن حاطب ، ومعتب بن قشير ، وهما من بنى عمرو بن عوف .

ثم قال : « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات ، والذين لا يجدون إلا جهدهم ، فيسخرون منهم ، سخر الله منهم ولهم عذاب أليم » وكان المطوعون من المؤمنين فى الصدقات عبد الرحمن بن عوف ، وعاصم بن عدى أخا بنى العجلان ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رغب فى الصدقة ، وحض عليها ، فقام عبد الرحمن بن عوف ، فتصدق بأربعة آلاف درهم ، وقام عاصم بن عدى ، فتصدق بمائة وسق من تمر ، فلمزوهما وقالوا ما هذا إلا رياء ، وكان الذى تصدق بجهده أبو عقيل أخو بنى أنيف ، أتى بصاع من تمر ، فأفرغها فى الصدقة ، فتضاحكوا به ، وقالوا : إن الله لغنى عن صاع أبى عقيل .

ثم ذكر قول بعضهم لبعض ، حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجهاد وأمر بالسير إلى تبوك ، على شدة الحر وجدب البلاد ، فقال تعالى : « وقالوا لا تنفروا فى الحر ، قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون . فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيراً » . . . إلى قوله : « ولا تعجبك أموالهم وأولادهم » .

مانزل من الصلاة على ابن أبى : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن ابن عباس ، قال : سمعت عمر بن الخطاب يقول : لما توفى عبد الله بن أبى ، دعى رسول الله صلى الله عليه وسلم للصلاة عليه ، فقام إليه ؛ فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت فى صدره ، فقلت : يارسول الله ، أتصلى على عدو الله عبدالله بن أبى ابن سلول ؟ ! القائل كذا يوم كذا ، والقائل كذا يوم كذا ؟ أعدد أيامه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يتبسم حتى إذا أكثرت قال : ياعمر أخر عنى ، إنى قد خيرت فاخترت ، قد قيل لى : « استغفر لهم أو لا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » ، فلو أعلم أنى إن زدت على السبعين غفر له ، لزدت . قال ثم صلى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومشى معه حتى قام على قبره ، حتى فرغ منه . قال : فعجبت لى ولجرأتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم والله ورسوله أعلم . فوالله ماكان إلا يسيراً حتى نزلت هاتان الآيتان : « ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره ، إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون » فما صلى رسول الله صل الله عليه سلم بعده على منافق حتى قبضه الله تعالى .

مانزل فى المستأذنين والمعذرين والبكائين والمنافقين : قال ابن إسحاق : ثم قال تعالى : « وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم » ، وكان ابن أبى من أولئك ، فنعى الله ذلك عليه ، وذكره منه ، ثم قال تعالى : « لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا بأموالهم وأنفسهم ، وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون ٭ أعد الله لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ، ذلك الفوز العظيم ٭ وجاء المعذرون من الأعراب ليؤذن لهم ، وقعد الذين كذبوا الله ورسوله » . . إلى آخر القصة وكان المعذرون ، فيما بلغنى نفراً من بنى غفار ، منهم خفاف بن أيماء بن رحضة ثم كانت القصة لأهل العذر ، حتى انتهى إلى قوله : « ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم ، قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون » وهم البكاءون .

ثم قال تعالى : « إنما السبيل على الذين يستأذنونك وهم أغنياء ، رضوا بأن يكونوا مع الخوالف ، وطبع الله على قلوبهم فهم لا يعلمون » والخوالف : النساء . ثم ذكر حلفهم للمسلمين واعتذارهم ، فقال : « فاعرضوا عنهم » إلى قوله تعالى : « فإن ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » .

ثم ذكر الأعراب ومن نافق منهم وتربصهم برسول الله صلى الله عليه وسلم وبالمؤمنين ، فقال : « ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق » : أى من صدقة أو نفقة فى سبيل الله « مغرماً ويتربص بكم الدوائر ، عليهم دائرة السوء ، والله سميع عليم » .

مانزل فى المخلصين من الأعراب : ثم ذكر الأعراب أهل الإخلاص والإيمان منهم ، فقال : « ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ؛ ألا إنها قربة لهم » .

مانزل فى السابقين من المهاجرين والانصار : ثم ذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار ، وفضلهم ، وما وعدهم الله من حسن ثوابه إياهم ، ثم ألحق بهم التابعين لهم بإحسان ، فقال : « رضى الله عنهم ورضوا عنه » ، ثم قال تعالى : « وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مردوا على النفاق » : أى لجوا فيه ، وأبى غيره « سنعذبهم مرتين » ، والعذاب الذى أوعدهم الله تعالى مرتين ، فيما بلغنى : غمهم بما هم فيه من أمر الإسلام ، وما

يدخل عليهم من غيظ ذلك على غير حسبة ، ثم عذابهم فى القبور إذ صاروا إليها ، ثم العذاب العظيم الذى يردون إليه ، عذاب النار والخلد فيه . ثم قال تعالى : (وآخرون مرجون لأمر الله ، إما يعذبهم وإما يتوب عليهم » ، وهم الثلاثة الذين خلفوا ، وأرجأ رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرهم حتى أتت من الله توبتهم . ثم قال تعالى : « والذين اتخذوا مسجداً ضراراً » ... الخ : القصة ثم قال تعالى: « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة» ثم كان قصة الخبر عن تبوك ، وما كان فيها إلى آخر السورة .

وكانت براءة تسمى فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده المبعثرة ، لما كشفت من سرائر الناس . وكانت تبوك آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حسان يعدد المغازى فى شعره : وقال حسان بن ثابت يعدد أيام الأنصار مع النبى صلى الله عليه وسلم ، ويذكر مواطنهم معه فى أيام غزوه :

قال ابن هشام : وتروى لابنه عبد الرحمن بن حسان :

ألست خير معد كلها نفراً ... ومعشراً إن هم عموا وإن حصلوا
قوم هم شهدوا بدراً بأجمعهم ... مع الرسول فما ألوا وما خذلوا
وبايعوه فلم ينكث به أحد ... منهم ولم يك فى إيمانهم دخل
ويوم صبحهم فى الشعب من أحد ... ضرب رصين كحر النار مشتعل
ويوم ذى قرد يوم استثار بهم ... على الجياد فما خاموا وما نكلوا
وذا العشيرة جاسوها بخيلهم ... مع الرسول عليها البيض والأسل
ويوم ودان أجلوا أهله رقصاً ... بالخيل حتى نهانا الحزن والجبل
وليلة طلبوا فيها عدوهم ... لله والله يجزيهم بما عملوا
وغزوة يوم نجد ثم كان لهم ... مع الرسول بها الأسلاب والنفل
وليلة بحنين جالدوا معه ... فيها يعلهم بالحرب إذ نهلوا
وغزوة القاع فرقنا العدو به ... كما تفرق دون المشرب الرسل
ويوم بويع كانوا أهل بيعته ... على الجلاد فآسوه وما عدلوا
وغزوة الفتح كانوا فى سريته ... مرابطين فما طاشوا وما عجلوا
ويوم خيبر كانوا فى كتيبته ... يمشون كلهم مستبسل بطل
بالبيض ترعش فى الأيمان عارية ... تعوج فى الضرب أحيانا وتعتدل
ويوم سار رسول الله محتسباً ... إلى تبوك وهم راياته الأول
وساسة الحرب ان حرب بدت لهم ... حتى بدا لهم الإقبال والقفل
أولئك القوم أنصار النبى وهم ... قومى أصير إليهم حين أتصل
ماتوا كراماً ولم تنكث عهودهم ... وقتلهم فى سبيل الله إذ قتلوا

قال ابن هشام عجز آخرها بيتاً عن غير ابن اسحاق .

قال ابن اسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

كنا ملوك الناس قبل محمد ... فلما أتى الإسلام كان لنا الفضل

وأكرمنا الله الذى ليس غيره	إله بأيام مضت ما لها شكل
بنصر الإله والرسول ودينه	وألبسناه اسماً مضى ماله مثل
أولئك قومى خير قوم بأسرهم	فما عد من خير فقومى له أهل
يربون بالمعروف معروف من مضى	وليس عليهم دون معروفهم قفل
إذا اختبطوا لم يفحشوا فى نديهم	وليس على سؤالهم عندهم بخل
وإن حاربوا أو سالموا لم يشبهوا	فحربهم حتف وسلمهم سهل
وجارهم موف بعليـاء بيتـه	له ما ثوى فينا الكرامة والبذل
وحاملهم موف بكل حمالة	تحمل لا غرم عليها ولا خذل
وقائلهم بالحق إن قال قائل	وحلمهم عود وحكمهم عدل
ومنا أمير المسلمين حياته	ومن غلته من جنابته الرسل

قال ابن هشام : وقوله « ألبسناه اسماً » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال حسان بن ثابت أيضاً :

قومى أولئك إن تسألى	كرام إذا الضيف يوماً ألم
عظام القدور لأيسارهم	يكبون فيها المسن السنم
يواسون جارهم فى الغنى	ويحمون مولاهم إن ظلم
فكانوا ملوكا بأرضيهم	ينادون عضباً بأمر غشم
ملوكا على الناس ، لم يملكوا	من الدهر يوماً كحل القسم
فأنبوا بعاد وأشياعها	ثمود وبعض بقايا إرم
بيثرب قد شيدوا فى النخيل	حصوناً ودجن فيها النعم
نواضح قد علمتها اليهو	د : عل إليك وقولا هلم
وفيما اشتهوا من عصير القطا	ف والعيش رخواً على غيرهم
فسرنا إليهم بأثقالنا	على كل فحل هجان قطم
جنبنا بهن جياد الخيو	ل قد جللوها جلال الأدم
فلما أناخوا بجنبى صرار	وشدوا السروج بلى الحزم
فما راعهم غير معج الخيو	ل والزحف من خلفهم قد دهم
فطاروا سراعاً وقد أفزعوا	وجئنا إليهم كأسد الأجم
على كل سلهبة فى الصيا	ن لا يشتكين نحول السأم
وكل كميت مطار الفؤاد	أمين الفصوص كمثل الزلم
عليها فوارس قد عودوا	قراع الكماة وضرب البهم
ملوك إذا غشموا فى البلا	د لا ينكلون ولكن قدم
فأبنا بسادتهم والنساء	وأولادهم فيهم تقتسم
ورثنا مساكنهم بعدهم	وكنا ملوكا بها لم نرم

قلنا أتانا الرسول الرشيد بالحق والنور بعد الظلم
قلنا صدقت رسول المليك هلم إلينا وفينا أقم
فنشهد أنك عبد الإله أرسلت نوراً بدين قيم
فإنا وأولادنا جنة نقيك وفى مالنا فاحتكم
فنحن أولئك إن كذبوك فناد نداء ولا تحتشم
وناد بما كنت أخفيته نداء جهاراً ولا تكتتم
فصار الغواة بأسيافهم إليه يظنون أن يخترم
فقمنا إليهم بأسيافنا نجالد عنه بغاة الأمم
بكل صقيل له ميعة رقيق الذباب عضوض خذم
إذا مايصادف صم العظا م لم ينب عنها ولم ينثلم
فذلك ماورثتنا القرو م مجداً تليداً وعزاً أشم
إذا مر نسل كفى نسله وغادر نسلا إذا ما انفصم
فما إن من الناس إلا لنا عليه وإن خاس فضل النعم

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد الأنصارى بيته :

فكانوا ملوكا بأرضيهم ينادون غضباً بأمر غشم

وأنشدنى :

بيثرب قد شيدوا فى النخيل حصوناً ودجن فيها النعم

وبيته . « وكل كميت مطار الفؤاد » عنه .

ذكر سنة تسع وتسميتها سنة الوفود

ونزول سورة الفتح

قال ابن إسحاق : ولما افتتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وفرغ من تبوك ، وأسلمت ثقيف وبايعت ، ضربت إليه وفود العرب من كل وجه .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة . أن ذلك فى سنة تسع ، وأنها كانت تسمى سنة الوفود .

قال ابن إسحاق : وإنما كانت العرب تربص بالإسلام أمرهذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك أن قريشا كانوا إمام الناس وهاديهم ، وأهل البيت الحرام ، وصريح ولد إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ، وقادة العرب لاينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلافه ، فلما افتتحت مكة ، ودانت له قريش ، ودخلها الإسلام ، وعرفت العرب أنه لا طاقة لهم بحرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عداوته ، فدخلوا فى دين الله ، كما قال عز وجل ، أفواجاً ، يضربون إليه من كل وجه ، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم « إذا جاء نصرالله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً . فسبح بحمدربك واستغفره إنه كان توابا » : أى فاحمد الله على ما أظهر من دينك ، واستغفره إنه كان توابا .

غزوة تبوك

سميت بعين تبوك وهى العين التى أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم — الناس ألا يمسوا من مائها شيئاً ، فسبق إليها رجلان ، وهى تبض بشىء من ماء ، فجعلا يدخلان فيها سهمين ليكثر ماؤها ، فسبهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال لهما : ما زلتما تبوكانها منذ اليوم فيما ذكر القتبى ، قال : وبذلك سميت العين تبوك ، والبوك كالنقش والحفر فى الشىء ، ويقال منه : باك الحمار الأتان يبوكها إذا نزا عليها .

ووقع فى السيرة : فقال : من سبقنا إلى هذا ؟ فقيل له يارسول الله ، فلان وفلان فلان ، وقال الواقدى : فيما ذكر لى ، سبقه إليها أربعة من المنافقين معتب بن قشير ، ، والحارث بن يزيد الطائى ، ووديعة بن ثابت ، وزيد بن لصيت .

وذكر الجد بن قيس ، وقول النبى صلى الله عليه وسلم له : ياجد هل لك العام فى جلاد بنى الأصفر ، يقال : إن الروم قيل لهم بنو الأصفر ، لأن عيصو بن إسحاق كان به صفرة ، وهو جدهم ، وقيل : إن الروم بن عيصو هو الأصفر ، وهو أبوهم ، وأمه نسمة بنت إسماعيل ، وقد ذكرنا فى أول الكتاب من ولدت من الأمم ، وليس كل الروم من ولد بنى الأصفر ، فإن الروم الأول هم فيما زعموا من ولد يونان بن يافث بن نوح ، والله أعلم بحقائق هذه الأشياء وصحتها .

وذكر يونس بأثر حديث الجد بن قيس عن عبد الحميد بن بهرام عن شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم أن اليهود أتوا النبى صلى الله عليه وسلم يوماً ، فقالوا : يا أبا القاسم إن كنت صادقاً أنك نبى فالحق بالشام ، فإن الشام أرض المحشر وأرض الأنبياء ، فصدق النبى - صلى الله عليه وسلم - ماقالوا فغزا غزوة تبوك لا يريد إلا الشام ، فلما بلغ أنزل الله تعالى عليه آيات من سورة بنى إسرائيل بعد ما ختمت السورة « وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها ، وإذاً لا يلبثون خلافك — إلى قوله : تحويلا » . فأمره بالرجوع إلى المدينة : وقال : فيها محياك ، وفيها مماتك ، ومنها تبعث ، ثم قال « أقم الصلاة لدلوك الشمس » إلى قوله « محموداً » فرجع النبى صلى الله عليه وسلم فأمره جبريل ، فقال : سل ربك ، فإن لكل نبى مسألة ، وكان جبريل عليه السلام له ناصحاً ، وكان محمد صلى الله عليه وسلم له مطيعاً ، فقال : ما تأمرنى أن أسأل ؟ قال : « قل رب أدخلنى مدخل صدق ، وأخرجنى مخرج صدق . واجعل لى من لدنك سلطاناً نصيراً » وهؤلاء نزلن عليه فى رجعته من تبوك .

ابو ذر : فصل : وذكر أبا ذر الغفارى ، وإبطاءه . واسمه : جندب بن جنادة ، هذا أصح ما قيل فيه ، وقد قيل فيه : برير بن عشرقة ، وجندب بن عبد الله ، وابن السكن أيضاً .

وقول النبى صلى الله عليه وسلم : كن أبا ذر ، وفى أبى خيثمة : كن أبا خيثمة ، لفظه الأمر ، ومعناه الدعاء ، كما تقول : أسلم سلمك الله .

من معانى كلمة وحده : وقوله فى أبى ذر : رحم الله أبا ذر يمشى وحده ، ويموت وحده أى : يموت منفرداً ، وأكثر ما تستعمل هذه الحال لنفى الاشتراك فى الفعل نحو كلمنى زيد وحده ، أى : منفرداً بهذا الفعل ، وإن كان حاضراً معه غيره ، أى : كلمنى خصوصاً وكذلك لو قلت : كلمته من بينهم وحده ، كان معناه خصوصاً كما قرره سيبويه ، وأما الذى فى الحديث ، فلا يتقدر هذا التقدير ، لأنه من المحال أن يموت خصوصاً ، وإنما معناه : منفرداً بذاته ، أى : على حدته ، كما قال يونس ، فقول يونس صالح فى هذا الموطن ، وتقدير سيبويه له بالخصوص يصلح أن يحمل عليه فى أكثر المواطن . وإنما لم يتعرف وحده بالإضافة ، لأن معناه كمعنى لا غير ، ولأنها كلمة تنبىء عن نفى وعدم ، والعدم ليس بشىء فضلا

. . . .

عن أن يكون متعرفاً متعيناً بالإضافة ، وإنما لم يشتق منه فعل ، وإن كان مصدراً فى الظاهر لما قدمناه من أنه لفظ ينبىء عن عدم ونفى ، والفعل يدل على حدث وزمان ، فكيف يشتق من شىء ليس بحدث إنما هو عبارة عن انتفاء الحدث عن كل أحد إلا عن زيد ، مثلا إذا قلت : جاءنى زيد وحده ، أى : لم يجىء غيره ، وإنما يقال : انعدم وانتفى بعد الوجود لا قبله ، لأنه أمر متجدد كالحدث ، وقد أطنبنا فى هذا الغرض وزدناه بياناً فى مسألة: سبحان الله وبحمده وشرحها.

جبلا طىء : فصل : وذكر الرجل الذى طرحته الريح بجبلى طىء ، وهما أجأ وسلمى وعرف أجأ بأجأ بن عبد الحى كان صلب فى ذلك الجبل ، وسلمى صلبت فى الجبل الآخر ، فعرف بها وهى سلمى بنت حام فيما ذكروا والله أعلم .

الكتاب الذى أرسل لأكيدر دومة : فصل : وذكر كتابه لأكيدر دومة . ودومة بضم الدال هى هذه وعرفت بدومى بن إسماعيل فيما ذكروا ، وهى دومة الجندل ، ودومة بالضم أخرى ، وهى عند الحيرة ، ويقال لما حولها النجف ، وأما دومة بالفتح فأخرى مذكورة فى أخبار الردة .

وذكر أنه كتب لأكيدر دومة كتاباً فيه عهد وأمان ، قال أبو عبيدة : أنا قرأته . أتانى به شيخ هنالك فى قضيم ، والقضيم الصحيفة ، وإذا فيه : « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله لأكيدر حين أجاب إلى الإسلام ، وخلع الأنداد والأصنام مع خالد بن الوليد سيف الله فى دومة الجندل وأكنافها . إن لنا الضاحية من الضحل والبور والمعامى ، وأغفال الأرض والحلقة والسلاح والحافر والحصن ولكم الضامنة من النخل والمعين من المعمور لا تعدل سارحتكم ، ولا تعد فاردتكم ولا يحظر عليكم النبات، تقيمون الصلاة لوقتها ، وتؤتون الزكاة بحقها ، عليكم بذلك عهد الله والميثاق ، ولكم بذلك الصدق والوفاء . شهد الله ، ومن حضر من المسلمين » .

الضاحية : أطراف الأرض ، والمعامى : مجهولها ، وأغفال الأرض : مالا أثر لهم فيه من عمارة أو نحوها ، والضامنة من النخل : ما داخل بلدهم ، ولا يحظر عليكم النبات ، أى لا تمنعون من الرعى حيث شئتم ، ولا تعدل سارحتكم ، أى لا تحشر إلى المصدق وإنما أخذ منهم بعض هذه الأرضين مع الحلقة ، وهى السلاح ، ولم يفعل ذلك مع أهل الطائف حين جاءوا تائبين ، لأن هؤلاء ظهر عليهم وأخذ ملكهم أسيراً. ولكنه أبقى لهم من أموالهم ما تضمنه الكتاب ، لأنه لم يقاتلهم ، حتى يأخذهم عنوة كما أخذ خيبر . فلو كان الأمر كذلك لكانت أموالهم كلها للمسلمين ، وكان له الخيار فى رقابهم كما تقدم ولو جاءوا إليه تائبين أيضاً قبل الخروج إليهم ، كما فعلت ثقيف ما أخذ من أموالهم شيئاً .

امر هرقل : ولم يذكر ابن إسحاق فى غزوة تبوك ما كان من أمر هرقل ؛ فإن النبى صلى الله عليه وسلم — كتب إليه من تبوك مع دحية بن خليفة ، ونصه مذكور فى الصحاح مشهور ، فأمر هرقل منادياً ينادى : ألا إن هرقل قد آمن بمحمد واتبعه ، فدخلت الأجناد فى سلاحها ، وأطافت بقصره تريد قتله ، فأرسل إليهم : إنى أردت أن أختبر صلابتكم فى دينكم ، فقد رضيت عنكم فرضوا عنه ، ثم كتب كتاباً ، وأرسله مع دحية يقول للنبى — صلى الله عليه وسلم — إنى مسلم ، ولكنى مغلوب على أمرى ، وأرسل إليه بهدية ، فلما قرأ النبى صلى الله عليه وسلم كتابه ، قال : كذب عدو الله ليس بمسلم ، بل هو على نصرانيته .

حكم الاهداء له (ص) : وقبل هديته ، وقسمها بين المسلمين ، وكان لا يقبل هدية مشرك محارب ، وإنما قبل هذه لأنها فىء للمسلمين ، ولذلك قسمها عليهم ، ولو أتته فى بيته كانت له خالصة ، كما كانت هدية المقوقس خالصة له ، وقبلها من المقوقس ؛ لأنه لم يكن محارباً للإسلام ، بل كان قد أظهر الميل إلى الدخول فى الدين ، وقد رد هدية أبى براء

ملاعب الأسنة ، وكان أهدى إليه فرساً وأرسل إليه : إنى قد أصابنى وجع أحسبه قال : الدبيلة (١) ، فابعث إلى بشيء أتداوى به ، فأرسل إليه النبى – صلى الله عليه وسلم – بعكة عسل ، وأمره أن يستشفى به ورد عليه هديته ، وقال : إنى نهيت عن زبد (٢) المشركين وبعض أهل الحديث ينسب هذا لعامر بن الطفيل عدو الله ، وإنما هو عمه عامر بن مالك . وقوله عليه السلام عن زبد المشركين ، ولم يقل : عن هديتهم يدل على أنه إنما كره ملاينتهم ومداهنتهم إذا كانوا حرباً ، لأن الزبد مشتق من الزبد ، كما أن المداهنة مشتقة من الدهن ، فعاد المعنى إلى معنى اللين والملاينة ، ووجود الجد فى حروبهم والمخاشنة . وقد رد هدية عياض بن حماد المجاشعى قبل أن يسلم ، وفيها قال : إنى نهيت عن زبد المشركين . وأهدى إلى أبى سفيان عجوة واستهداه أدماً فأهداه أبو سفيان وهو على شركه الأدم ، وذلك فى زمن الهدنة التى كانت بينه وبين المسلمين فى صلح الحديبية ، وقد روى أن هرقل وضع كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كتب إليه فى قصبة من ذهب تعظيما له ، وأنهم لم يزالوا يتوارثونه كابراً عن كابر فى أرفع صوان ، وأعز مكان حتى كان عند «إذفونش» (٣) الذى تغلب على طليطلة ، وما أخذ أخذها من بلاد الأندلس ، ثم كان عند ابن بنته المعروف « بالسليطين » حدثنى بعض أصحابنا أنه حدثه من سأله رؤيته من قواد أجناد المسلمين كان يعرف بعبد الملك بن سعيد ، قال فأخرجه إلى فاستعبرته وأردت تقبيله ، وأخذه بيدى ، فمنعنى من ذلك صيانة له وضنا به على . ويقال : هرقل وهرقل . (٤)

البكاءون فصل : وذكر البكائين ، وذكر فيهم علبة بن زيد ، وفى رواية يونس أن علبة خرج من الليل فصلى ما شاء الله ، ثم بكى ، وقال : (اللهم إنك قد أمرت بالجهاد ، ورغبت فيه ، ثم لم تجعل عندى ، ما أتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك ما يحملنى عليه ، وإنى أتصدق على كل مسلم بكل مظلمة أصابنى بها فى مال أو جسد أو عرض) ثم أصبح مع الناس وقال النبى صلى الله عليه وسلم : أين المتصدق فى هذه الليلة فلم يقم أحد ، ثم قال أين المتصدق فى هذه الليلة فليقم ، ولا يتزاهد ما صنع فى هذه الليلة ، فقام إليه ، فأخبره ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : أبشر فوالذى نفس محمد بيده ، لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة . وأما سالم بن عمير وعبد الله بن المغفل ، فرآهما يامين بن كعب يبكيان ، فزودهما ، وحملهما ، فلحقا بالنبى صلى الله عليه وسلم .

معنى كلمة حس : فصل : وقوله خبراً عن أبى رهم : أصابت رجلى رجل رسول الله صلى الله وسلم ورجله فى الغرز فما استيقظت إلا بقوله : حس . الغرز للرحل كالركاب للسرج ، وحس : كلمة تقولها العرب عند وجود الألم ، وفى الحديث أن طلحة لما أصيبت يده يوم أحد ، قال : حس ، فقال النبى – صلى الله عليه وسلم – لو أنه قال : بسم الله ، يعنى مكان حس ، لدخل الجنة والناس ينظرون ، أو كلاماً هذا معناه ، وليست حس باسم ولا بفعل إنها لا موضع لها من الإعراب ، وليست بمنزلة صه ، ومه ، ورويد ، لأن تلك أسماء سمى الفعل بها ، وإنما حس صوت كالأنين الذى يخرجه المتألم نحو آه ، ونحو قول الغراب : غاق ، وقد ذكرنا قبل فى أف وجهين ، أحدهما : أن تكون من باب الأصوات مبنية ، كأنه يحكى بها صوت النفخ ، والثانى أن يكون معرفة مثل تباً يراد بها الوسخ .

---

(١) خراج يظهر بالجوف .

(٢) الزبد : العطاء .

(٣) هو ألفنصو السادس بن فردناند (١٠٣٠ — ١١٠٩) ملك ليون (١٠٦٥ — ١١٠٩ وقشتالة ١٠٧٢ — ١١٠٩) استولى على جليقيا من أخيه غرسيه ١٠٧٣ وعلى طليطلة من العرب ١٠٨٥ بعد أن حكمها العرب من سنة ٧١٢م وكان قصره فى طليطلة ملتقى الثقافتين الإسلامية والمسيحية

(٤) بفتح الراء وسكون القاف كما هو مشهور أو بسكون الراء وكسر القاف

. . . .

وقوله : السود الثطاط جمع : ثط ، وهو الذى لا لحية له . قال الشاعر :

كهامة الشيخ اليمـــانى الثط

ونحو منه : السناط ، ومن المحدثين من يرويه : الشطاط ، وأحسبه تصحيفاً .

وقوله : بشبكة شدخ : موضع من بلاد غفار .

مساجد المدينة : فصل : وذكر المنافقين الذين اتخذوا مسجداً ضراراً .

وذكر فيهم جارية بن عامر ، وكان يعرف بحمار الدار ، وهو جارية بن عامر بن مجمع بن العطاف .

وذكر فيهم ابنه مجمعاً ، وكان إذ ذاك غلاماً حدثاً قد جمع القرآن فقدموه إماماً لهم ، وهو لا يعلم بشىء من شأنهم وقد ذكر أن عمر بن الخطاب فى أيامه أراد عزله عن الإمامـــة ، وقال أليس بإمام مسجد الضرار ، فأقسم له مجمع أنه ما علم شيئاً من أمرهم ، وما ظن إلا الخير ، فصدقه عمر ، وأقره . وكانت مساجد المدينة تسعة سوى مسجد رسول الله — صلى الله عليه وسلم كلهم يصلون بأذان بلال ، كذلك قال بكير بن عبد الله الأشج فيما روى عنه أبو داود فى مراسيله ، والدارقطنى فى سننه ، فمنها مسجد راتج ، ومسجد بنى عبد الأشهل ، ومسجد بنى عمرو بن مبذول ، ومسجد جهينة وأسلم ، وأحسبه قال : ومسجد بنى سلمة ، وسائرها مذكور فى السنن ، وذكر ابن إسحاق فى المساجد التى فى الطريق مسجداً بذى الخيفة ، كذا وقع فى كتاب أبى بحر بالخاء معجمة ، ووقع الجيفة بالجيم فى كتاب قرىء على ابن أبى سراج ، وابن الإفليلى وأحمد بن خالد .

الثلاثة الذين خلفوا : فصل : وذكر الثلاثة الذين خلفوا ، ونهى النـاس عن كلامهم ، وإنما اشتد غضبه على من تخلف عنه ونزل فيهم من الوعيد ما نزل حتى تاب الله على الثـــلاثة منهم ، وإن كان الجهاد من فروض الأعيان ، لكنه فى حق الأنصار خاصة كان فرض عين ، وعليه بايعوا النبى صلى الله عليه وسلم ، ألا تراهم يقولون يوم الخندق ، وهم يرتجزون :

نحن الذين بايعوا محمداً   على الجهـــاد ما بقينا أبداً

ومن تخلف منهم يوم بدر إنما تخلف ، لأنهم خرجوا لأخذ عير ، ولم يظنوا أن سيكون قتال ، فكذلك كان تخلفهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه الغزاة كبيرة لأنها كالنكث لبيعتهم ، كذلك قال ابن بطال رحمه الله فى هذه المسألة ، ولا أعرف لها وجهاً غير الذى قال ، وأما الثلاثة فهم كعب بن مالك بن أبى كعب ، واسم أبى كعب عمرو بن القين ابن كعب بن سواد بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن على بن أسد بن ساردة بن يزيد بن جشم بن الخزرج الأنصارى السلمى ، يكنى : أبا عبد الله ، وقيل : أبا عبد الرحمن ، أمه : ليلى بنت زين بن ثعلبة من بنى سلمة أيضاً ، وهلال بن أمية ، وهو من بنى واقف ، ومرارة بن ربيعة ، ويقال ابن الربيع العمرى الأنصارى من بنى عمر بن عوف .

زاح عنى الباطل : فصل : وذكر قول كعب : زاح عنى الباطل ، يقال : زاح وانزاح : إذا ذهب ، والمصدر زيوحاً وزيحاناً ، إحداهما عن الأصمعى ، والأخرى عن الكسائى .

وقوله : فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهنئنى . فكان كعب يراها له ، فيه : جواز السرور بالقيام إلى الرجل كما سر كعب بقيام طلحة إليه ، وقد قال عليه السلام فى خبر سعد بن معاذ : قوموا إلى سيدكم ، وقام هو صلى الله عليه وسلم إلى قوم :

منهم : صفوان بن أمية حين قدم عليه ، وإلى عدى بن حاتم ، وإلى زيد بن حارثة حين قدم عليه من مكة وغيرهم ، وليس هذا بمعارض لحديث معاوية عنه — صلى الله عليه وسلم — أنه قال : « من سره أن يمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار » ويروى : يستجم له الرجال ، لأن هذا الوعيد إنما توجه للمتكبرين ، وإلى من يغضب ، أو يسخط ألا يقام له ، وقد قال بعض السلف : يقام إلى الوالد برا به ، وإلى الولد سروراً به ، وصدق هذا القائل ، فإن فاطمة رضى الله عنها كانت تقوم إلى أبيها صلى الله عليه وسلم براً به ، وكان هو صلى الله عليه وسلم يقوم إليها سروراً بها رضى الله عنها ، وكذلك كل قيام أثمره الحب فى الله ، والسرور بأخيك بنعمة الله ، والبر بمن يحب بره فى الله تبارك وتعالى ، فإنه خارج عن حديث النهى والله أعلم .

إسلام ثقيف

صاحب ياسين : فيه قول النبى صلى الله عليه وسلم فى عروة بن مسعود حين قتل : مثله كمثل صاحب ياسين فى قومه ، يحتمل قوله صلى الله عليه وسلم ، كمثل صاحب ياسين أن يريد به المذكور فى سورة ياسين ، الذى قال لقومه « اتبعوا المرسلين » فقتله قومه ، واسمه حبيب بن مرى ، ويحتمل أن يريد صاحب إلياس ، وهو اليسع ، فإن إلياس يقال فى اسمه : ياسين أيضاً ، وقال الطبرى : هو إلياس بن ياسين ، وفيه قال تبارك وتعالى « سلام على إل ياسين » فالله أعلم : وقد بينا فى التعريف والإعلام معنى إلياس وإلياسين وآل ياسين بياناً شافياً ، وأوضحنا خطأ قول من قال إن إلياسين جمع كالأشعرين ، وضعف قول من قال : إن ياسين هو محمد صلى الله عليه وسلم ، فلينظر هنالك .

زوج عروة بن مسعود : وكانت تحت عروة ميمونة بنت أبى سفيان ، فولدت له أبا مرة بن عروة ، وبنت أبى مرة هى : ليلى امرأة الحسين بن على عليهما السلام ولدت للحسين علياً الأكبر قتل معه بالطف ، وأما على الأصغر فلم يقتل معه ، وأمه : أم ولد ، واسمها سلافة ، وهى بنت كسرى بن يزدجرد ، وأختها الغزال هى أم أبى بكر بن عبدالرحمن ابن الحارث بن هشام .

هدم اللات : فصل . وذكر إسلام ثقيف وهدم طاغيتهم ، وهى اللات ، وأن المغيرة وأبا سفيان هما اللذان هدماها وذكر بعض من ألف فى السير أن المغيرة قال لأبى سفيان حين هدمها : ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال : بلى ، فأخذ المعول : وضرب به اللات ضربة ، ثم صاح وخر على وجهه ، فارتجت الطائف بالصياح سروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون : كيف رأيتها يامغيرة دونكها إن استطعت ، ألم تعلم أنها تهلك من عاداها ، ويحكم ألا ترون ماتصنع ؟ فقام المغيرة يضحك منهم ، ويقول لهم : ياخبثاء والله ما قصدت إلا الهزء بكم ، ثم أقبل على هدمها ، حتى استأصلها وأقبلت عجائز ثقيف تبكى حولها ، وتقول : أسلمها الرضاع ، إذ كرهوا المصاع ، أى أسلمها اللئام حين كرهوا القتال .

فقه حديث كتاب ثقيف : فصل : وذكر كتابه صلى الله عليه وسلم لثقيف ، وذكره أبو عبيد كما ذكره ابن إسحاق وذكر فيه شهادة على وابنيه الحسن والحسين ، قال وفيه من الفقه شهادة الصبيان ، وكتابة أسمائهم قبل البلوغ ، وإنما تقبل شهادتهم إذا أدوها بعد البلوغ ، وفيه من الفقه أيضاً شهادة الابن مع شهادة أبيه فى عقد واحد .

. . . .

وج : وذكر فى الكتاب : وجاً ، وأنه حرام عضاهه وشجره ، يعنى حراماً على غير أهله كتحريم المدينة ومكة ووج هى أرض الطائف ، وهى التى جاء فيها الحديث : إن آخر وطأة وطئها الرب بوج ، ومعناها عند بعضهم : آخر غزوة ووقعة كانت بأرض العرب بوج ، لأنها آخر غزواته — صلى الله عليه وسلم إلى العرب ، وقد قيل فى معنى الحديث غير هذا ، مما ذكره القتبى ، ونحن نضرب عن ذكره ، لما فيه من إيهام التشبيه ، والله المستعان .

وقد قيل فى وج هى الطائف نفسها ، وقيل : هو اسم لواد بها ، ويشهد لهذا القول قول أمية بن الأسكر :

إذا يبكى الحمام ببطن وج على بيضاته بكيا كلابا

وقال آخر :

أتهددى لى الوعيد ببطن وج كأنى لا أراك ولا ترانى

وقد ألفيت فى نسخة الشيخ وجاء بتخفيف الجيم والصواب تشديدها كما تقدم وقال أمية بن أبى الصلت :

إن وجاً وما يلى بطن وج دار قومى بربوة وزتوق

وسميت وجا فيما ذكروا بوج بن عبد الحى من العمالقة ، ويقال وج ، وأج بالهمزة ، قاله يعقوب فى كتاب الإبدال ، وكتابه صلى الله عليه وسلم لأهل الطائف أطول مما ذكره ابن إسحاق بكثير ، وقد أورده أبو عبيد بكماله فى كتاب الأموال .

سورة براءة : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قدم من تبوك ، فذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت ، وكانوا يقصدون بذلك أن يطوفوا كما ولدوا بغير الثياب التى أذنبوا فيها ، وظلموا ، فأمسك — صلى الله عليه وسلم — عن الحج فى ذلك العام ، وبعث أبا بكر — رضى الله عنه — بسورة براءة لينبذ إلى كل ذى عهد عهده من المشركين إلا بعض بنى بكر الذين لهم عهد إلى أجل خاص ، ثم أردف بعلى رضى الله عنه ، فرجع أبو بكر للنبى صلى الله عليه وسلم ، وقال : يارسول الله هل أنزل فى قرآن ؟ قال : لا ، ولكن أردت أن يبلغ عنى من هو من أهل بيتى ، وقال أبو هريرة : فأمرنى على — رضى الله عنه — أن أطوف فى المنازل من منى ببراءة ، فكنت أصيح حتى صحل حلقى ، فقيل له : بم كنت تنادى؟ فقال : بأربع : ألا يدخل الجنة إلا مؤمن وألا يحج بعد هذا العام مشرك ، وألا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد ، فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له ، وكان المشركون إذا سمعوا النداء ببراءة يقولون لعلى : سترون بعد الأشهر ، بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك إلا الطعن والضرب ، ثم إن الناس فى ذلك المدة رغبوا فى الإسلام حتى دخلوا فيه طوعاً وكرهاً ، وحج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى العام القابل ، وحج المسلمون ، وقد عاد الدين كله واحدا لله رب العالمين .

وأما النداء فى أيام التشريق بأنها أيام أكل وشرب ، وفى بعض الروايات أكل وشرب وبعال (١) ، فإن الذى أمر أن ينادى بذلك فى أيام التشريق هو كعب بن مالك وأوس بن الحدثان ، وفى الصحيح أن زيد بن مربع ويقال فيه

---

(١) البعال : مباشرة النساء

. . . .

أيضاً : عبد الله بن مربع كان ممن أمر أن ينادى بذلك ، وروى مثل ذلك عن بشر بن سحيم الغفارى ، وقد روى أن حذيفة كان المنادى بذلك ، وعن سعد بن أبى وقاص أيضاً ، وبلال ، ذكر بعض ذلك البزار فى مسنده ، وقد قيل فى قوله تعالى : « فإذا انسلخ الأشهر الحرم » أنه أراد ذا الحجة والمحرم من ذلك العام ، وأنه جعل ذلك أجلا لمن لا عهد له من المشركين ، ومن كان له عهد جعل له أربعة أشهر أولها يوم النحر من ذلك العام ، وقوله تعالى : « يوم الحج الأكبر » قيل : أراد حين الحج ، أى أيام الموسم كلها ، لأن نداء على بن أبى طالب ببراءة كان فى تلك الأيام .

فصل : وذكر ابن إسحاق ما أنزل الله فى سورة براءة فى غزوة تبوك، وأهل التفسير يقولون إن آخرها نزل قبل أولها : فإن أول مانزل منها :

« انفروا خفافا وثقالا » ثم نزل أولها فى نبذ كل عهد إلى صاحبه كما تقدم .

وقوله : « انفروا خفافاً وثقالا » فيه أقوال ، قيل معناه : شباناً وشيوخاً ، وقيل : أغنياء وفقراء . وقيل أصحاب شغل وغير ذى شغل ، وقيل : ركباناً ورجالة

الاجدع بن مالك : وأنشد شاهداً على أوضعوا خلالكم للأجدع بن مالك والد مسروق بن الأجدع ، وقد غير عمر رضى الله عنه اسم الأجدع ، وقال : الأجدع : اسم شيطان ، فسماه عبد الرحمن ، ويكنى مسروق أبا عائشة .

وقوله فى البيت : يصطادك الوحد ، أى : يصطاد بك ، وأراد بالوحد : الثور الوحشى .

وقوله : بشريج بين الشد والإيضاع ، يقال : هما شريجان ، أى : مختلفان ، وقبل هذا البيت بأبيات فى شعر الأجدع :

أسألتنى بركائبى ورحالها ونسيت قتلى فوارس الأرباع

وذكره أبو على فى الأمالى : فقال : وسألتنى بالواو ، وقد خطئوه ، وقالوا : إنما هو أسألتنى وفوارس الارباع قد سماهم أبو على [القالى] فى الأمالى ، وذكر لهم خبراً .

معنى اعطاء الجزية عن يد : وذكر قوله تعالى : « حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون » وقيل فيه أربعة أقوال أيضاً :

أحدها : أن يؤديها الذمى بنفسه ، ولا يرسلها مع غيره .

الثانى : أن يؤديها قائماً ، والذى يأخذها قاعداً .

الثالث : أن معناه : عن قهر وإذلال .

الرابع : أن معناه عن يد منكم : أى : إنعام عليهم بحقن دمائهم ، وأخذ الجزية منهم بدلا من القتل ، كل هذه الأقوال مذكورة فى كتب المفسرين ، ولفظ الآية يتناول جميع هذه المعانى ، والله أعلم .

ومعنى قوله تعالى : فى هذه الآية « قاتلوا الذين لايؤمنون بالله ، ولا باليوم الآخر » وإن كان أهل الكتاب يصدقون بالآخرة ، فمعناه فيما ذكر ابن سلام أن أهل الكتاب لايقولون بإعادة الأجساد ويقولون إن الأرواح هى التى تبعث دون الأجساد .

المعذرون : وذكر فى المعذرين : خفاف بن خفاف بن إيماء بن رحضة ، ويقال فيه : رحضة بالضم ابن خربة، وكان له ولأبيه إيماء ولجده رحضة صحبة ، مات خفاف فى خلافة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — وكان إماماً لبنى غفار .

. . . .

وذكر أبا عقيل صاحب الصاع (١) الذى لمزه المنافقون ، واسمه جثجاث وقد قيل فى صاحب الصاع إنه رفاعة ابن سهل .

من شرح قصائد حسان : فصل : وذكر كلمة حسان اللامية وفيها :

ألست خـــير معد كلها نفرا

وحسان ليس من معد ، ولكن أراد : ألست خير الناس ، فأقام معدا لكثرتها مقام الناس .

وفيها : وناد جهـــاراً ولا تحتشم

وفيها رد على من زعم أن الحشمة لا تكون إلا بمعنى الغضب وأنها مما يضعها الناس غير موضعها ، وقد جاء عن ابن عباس : لكل طاعم حشمة ، فابدءوه باليمين ، وفى الحديث المرفوع : لا يرفعن أحدكم يده عن الطعام قبل أكيله، فإن ذلك مما يحشمه . وأنشد أبو الفرج لمحمد بن يسير ، وإن كان ليس مثل حسان فى الحجة :

فى انقباض وحشمة فإذا جالست أهل الوفاء والكرم
أرسلت نفسى على سجيتها وقلت ماشئت غـــير محتشم

وفيها قوله :

وكانوا ملوكا ولم يملــكوا من الدهر يوماً كحل القسم (٢)

فيه شاهد لما قاله ابن قتيبة فى تفسير كحلة القسم ، وخلافه لأبى عبيد ، وقد قدمنا قولهما فيما تقدم من شرح قصيدة كعب بن زهير .

وأنشد ابن قتيبة :

إذا عصفت ريح فليس بقائم بها وتد إلا تحلة مقسم

وأنشد أيضاً : قليلا كتحليل الألى ثم أصبحت . . . البيت

وقوله : وعزا أشم ، هو كقول العرب : عزة قعساء ، يريد شماء ، لأن الأقعس الذى يخرج صدره ويدخل ظهره، وقد فسره المبرد غير هذا التفسير ، وبيت حسان يشهد لما قلناه ، إنما هو الشمم الذى يوصف به ذو العزة ،فوصفت العزة به مجازاً .

تفسير سورة النصر : فصل : وذكر سورة : إذا جاء نصر الله . وتفسيره لها فى الظاهر خلاف ماذكره ابن عباس حين سأله عمر عن تأويلها ، فأخبره أن الله تعالى أعلم فيها نبيه عليه السلام بانقضاء أجله ، فقال له عمر ما أعلم منها إلا ماقلت . وظاهر هذا الكلام يدل على ماقاله ابن عباس وعمر ؛ لأن الله تعالى لم يقل فاشكر ربك، واحمده ، كما قال ابن إسحاق : إنما قال : فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا ، فهذا أمر لنبيه عليه السلام بالاستعداد للقاء ربه تعالى والتوبة إليه ، ومعناها الرجوع عما كان بسبيله مما أرسل به من إظهار الدين ، إذ قد فرغ من ذلك،وتم مراده فيه ، فصار جواب إذا من قوله تعالى : « إذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً » محذوفا . وكثيراً ما يجىء فى القرآن الجواب محذوفا ،والتقدير : إذا جاء نصر الله والفتح ، فقد انقضى الأمر ، ودنا الأجل ، وحان اللقاء ، فسبح بحمد ربك واستغفره ، إنه كان تواباً . ووقع فى مسند البزار مبيناً من قول ابن عباس فقال : فيه : دنا أجلك فسبح ، هذا المعنى هو الذى فهمه ابن عباس ، وهو حذف جواب إذا ، ولما يتنبه لهذه النكتة

---

(١) وهو الذى تصدق بصاع فسخروا منه

(٢) البيت فى السيرة هكذا

ملوكا على الناس لم يملكوا من الدهر يوما كحل القسم

قدوم وفد بنى تميم ونزول سورة الحجرات

رجال الوفد : فقدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفود العرب ، فقدم عليه عطارد بن حاجب بن زرارة ابن عدس التميمى ، فى أشراف بنى تميم ، منهم الأقرع بن حابس التميمى ، والزبرقان بن بدر التميمى ، أحد بنى سعد ، وعمرو بن الأهتم ، والحبحاب بن يزيد .

الحتات : قال ابن هشام : الحتات وهو الذى آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين معاوية بن أبى سفيان ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد آخى بين نفر من أصحابه من المهاجرين : بين أبى بكر وعمر ، وبين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف ، وبين طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام ، وبين أبى ذر الغفارى والمقداد بن عمرو البهرانى ، وبين معاوية بن أبى سفيان والحتات بن يزيد المجاشعى ، فمات الحتات عند معاوية فى خلافته ، فأخذ معاوية ما ترك وراثة بهذه الأخوة ، فقال الفرزدق لمعاوية :

أبوك وعمى يامعاوى أورثا ... تراثاً فيحتاز التراث أقاربه

فما بال ميراث الحتات أكلته ... وميراث حرب جامد لك ذائبه

وهذان البيتان فى أبيات له .

قال ابن إسحاق : وفى وفد بنى تميم ؛ نعيم بن يزيد ، وقيس بن الحارث ، وقيس بن عاصم . أخو بنى سعد ، فى وفد عظيم من بنى تميم .

قال ابن هشام : وعطارد بن حاجب ، أحد بنى دارم بن مالك بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة بن تميم ، والأقرع بن حابس ، أحد بنى دارم بن مالك ، والحتات بن يزيد ، أحد بنى دارم بن مالك ، والزبرقان بن بدر ، أحد بنى بهدلة بن عوف ابن كعب بن زيد مناة بن تميم ، وعمرو بن الأهتم ، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث بن عمرو بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ، وقيس بن عاصم ، أحد بنى منقر بن عبيد بن الحارث .

قال ابن إسحاق : ومعهم عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزارى وقد كان الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن شهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة وحنيناً والطائف .

أصحاب الحجرات فلما قدم وفد بنى تميم كانا معهم ، فلما دخل وفد بنى تميم المسجد نادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته : أن اخرج إلينا يا محمد ، فآذى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم من صياحهم ، فخرج إليهم فقالوا : يا محمد ، جئناك نفاخرك ، فأذن لشاعرنا وخطيبنا ، قال : قد أذنت لخطيبكم فليقل ، فقام عطارد بن حاجب ، فقال :

كلمة عطارد : الحمد لله الذى له علينا الفضل والمن ، وهو أهله ، الذى جعلنا ملوكا ، ووهب لنا أموالا عظاماً ، نفعل فيها المعروف ، وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثره عدداً ، وأيسره عدة ، فمن مثلنا فى الناس ؟ ألسنا برءوس الناس وأولى فضلهم ؟ فمن فاخرنا فليعدد مثل ما عددنا ، وإنا لو نشاء لأكثرنا الكلام ، ولكنا نحيا من الإكثار فيما أعطانا ، وإنا نعرف بذلك .

حسب أن جواب إذا فى قوله سبحانه : فسبح ، كما تقول : إذا جاء رمضان فصم ، وليس فى هذا التأويل من المشاكلة لما قبله ما فى تأويل ابن عباس فتدبره ، فقد وافقه عليه عمر رضى الله عنه ، وحسبك بهما فهما لكتاب الله تبارك وتعالى ، فالفاء على قول ابن عباس رابطة للأمر بالفعل المحذوف ، وعلى ماظهر لغيره رابطة لجواب الشرط الذى فى إذا .

أقول هذا لأن تأتوا بمثل قولنا ، وأمر أفضل من أمرنا . ثم جلس

ثابت يرد على عطارد : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لثابت بن الشماس ، ، أخى بنى الحارث بن الخزرج: قم، فأجب الرجل فى خطبته . فقام ثابت ، فقال : الحمد لله الذى السموات والأرض خلقه ، قضى فيهن أمره ، ووسع كرسيه علمه ولم يك شىء قط إلا من فضله ، ثم كان من قدرته أن جعلنا ملوكا ، واصطفى من خير خلقه رسولا ، أكرمه نسباً ، وأصدقه حديثاً ، وأفضله حسباً . فأنزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه ، فكان خيرة الله من العالمين ثم دعا الناس إلى الإيمان به ، فآمن برسول الله المهاجرون من قومه وذوى رحمه ، أكرم الناس حسباً ، وأحسن الناس وجوهاً ، وخير الناس فعالا . ثم كان أول الخلق إجابة ، واستجاب لله حين دعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن ، فنحن أنصار الله ووزراء رسوله ، نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ، فمن آمن بالله ورسوله منع منا ماله ودمه ، ومن كفر جاهدناه فى الله أبداً وكان قتله علينا يسيراً . أقول قولى هذا وأستغفر الله لى وللمؤمنين والمؤمنات والسلام عليكم .

الزبرقان يفتخر بقومه : فقام الزبرقان بن بدر ، فقال :

نحن الكرام فلا حى يعادلنا ... منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحيـــاء كلهم ... عنـــد النهاب وفضل العز يتبع
ونحن يطعم عنـــد القحط مطعمنا ... من الشواء إذا لم يؤنس القزع
بما ترى النــــاس تأتينا سراتهم ... من كل أرض هويا ثم تصطنع
فننحر الكوم عبطاً فى أرومتنا ... للنـــازلين إذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا إلى حى نفاخرهم ... إلا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخـــرنا فى ذاك نعرفه ... فيرجع القوم والأخبـــار تستمع
إنا أبينـــا ولا يأبى لنا أحد ... إنا كذلك عنـــد الفخر نرتفع

قال ابن هشام : ويروى : ... منا الملوك وفينا تقسم الربع

ويروى : ... من كل أرض هوانا ثم تتبع

رواه لى بعض بنى تميم ، وأكثر أهل العلم بالشعر ينكرها للزبرقان .

حسان يرد على الزبرقان قال ابن إسحاق : وكان حسان غائباً ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال حسان: جاءنى رسوله ، فأخبرنى أنه إنما دعانى لأجيب شاعر بنى تميم فخرجت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أقول :

منعنا رسول الله إذ حل وسطنا ... على أنف راض من معد وراغم
منعناه لمـــا حل بين بيوتنا ... بأسيافنا من كل باغ وظـــالم
ببيت حـــريد عزه وثراؤه ... بجابية الجولان وسط الأعاجم
هل المجد إلا السودد العود والندى ... وجاه المـــلوك واحتمال العظائم

قال : فلما انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقام شاعر القوم ، فقال ما قال ، عرضت فى قوله ، وقلت

على نحو ما قال. قال : فلما فرغ الزبرقان ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن ثابت : قم يا حسان ، فأجب الرجل فيما قال . فقام حسان فقال :

إن الذوائب من فهر وإخوتهم … قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته … تقوى الإله وكل الخير يصطنع
قوم إذا حاربوا ضروا عدوهم … أو حاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك منهم غير محدثة … إن الخلائق فاعلم شرها البدع
إن كان فى الناس سباقون بعدهم … فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرقع الناس ما أوهت أكفهم … عند الدفاع ولا يوهون ما رقعوا
إن سابقوا الناس يوماً فاز سبقهم … أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا
أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم … لا يطبعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم … ولا يمسهم من مطمع طمع
إذا نصبنا لحى لم ندب لهم … كما يدب إلى الوحشية الذرع
نسمو إذا الحرب نالتنا مخالبها … إذا الزعانف من أظفارها خشعوا
لا يفخرون إذا نالوا عدوهم … وإن أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنع … أسد بحلية فى أرساغها فدع
خذ منهم ما أتى عفواً إذا غضبوا … ولا يكن همك الأمر الذى منعوا
فإن فى حربهم فاترك عداوتهم … شراً يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم … إذا تفاوتت الأهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يؤازره … فيما أحب لسان حائك صنع
فإنهم أفضل الأحياء كلهم … إن جد بالناس جد القول أو شمعوا

قال ابن هشام : أنشدنى أبو زيد :

يرضى بها كل من كانت سريرته … تقوى الإله وبالأمر الذى شرعوا

شعر آخر للزبرقان بن بدر : قال ابن هشام : حدثنى بعض أهل العلم بالشعر من بنى تميم : أن الزبرقان بن بدر لما قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى وفد بنى تميم قام فقال :

أتيناك كيما يعلم الناس فضلنا … إذا احتفلوا عند احتضار المواسم
بأنا فروع الناس فى كل موطن … وأن ليس فى أرض الحجاز كدارم
وأنا نذود المعلمين إذا انتخوا … ونضرب رأس الأصيد المتفاقم
وأن لنا المرباع فى كل غارة … نغير بنجد أو بأرض الأعاجم

شعر آخر لحسان فى الرد على الزبرقان : فقام حسان بن ثابت فأجابه فقال :

هل المجد إلا السودد العود والندى … وجاه الملوك واحتمال العظائم
نصرنا وآوينا النبى محمداً … على أنف راض من معد وراغم

بحى حريد أصـــله وثراؤه | بجابية الجولان وسط الأعاجم
نصرناه لمـا حل وسط ديارنا | بأسيافنا من كل باغ وظالم
جعلنا بنينـا دونه وبناتنا | وطبنا له نفساً بفيء المغانم
ونحن ضربنا الناس حتى تتابعوا | على دينه بالمرهفات الصوارم
ونحن ولدنا من قريش عظيمها | ولدنا نبى الخير من آل هاشم
بنى دارم لاتفخروا إن فخركم | يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنـتم | لنا خول ما بين ظئر وخادم
فإن كنتم جئتم لحقن دمائـكم | وأموالـكم أن تقسموا فى المقاسم
فـلا تجعلوا لله ندا وأسلموا | ولا تلبسوا زيا كزى الأعاجم

اسلام الوفد : قال ابن إسحاق : فلما فرغ حسان بن ثابت من قوله ، قال الأقرع بن حابس : وأبى ، إن هذا الرجل لمؤتى له ، لخطيبه أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولأصواتهم أحلى من أصواتنا . فلمـا فرغ القوم أسلموا ، وجوزهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأحسن جوائزهم .

شعر ابن الأهتم فى هجاء قيس :كان عمرو بن الأهتم قد خلفه القوم فى ظهرهم ، وكان أصغرهم سنا ، فقال قيس ابن عاصم ، وكان يبغض عمرو بن الأهتم : يارسول الله ، إنه قـد كان رجل منا فى رحالنا ، وهو غـلام حـدث ، وأزرى به . فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما أعطى القوم ، فقال عمرو بن الأهتم حين بلغه أن قيساً قال ذلك يهجوه :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى | عند الرسول فلم تصدق ولم تصب
سـدناكم سوددا رهواً وسوددكم | باد نواجذه مقع على الذنب

قال ابن هشام : بقى بيت واحد تركناه ، لأنه أقذع فيه .

قال ابن إسحاق : وفيهم نزل من القرآن : « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون » .

قصة عامر بن الطفيل وأربد بن قيس

فى الوفادة عن بنى عامر

رؤساء الوفد : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفـد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل وأربد بن قيس بن جزء بن خالد بن جعفر ، وجبار بن سلمى بن مالك بن جعفر ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم .

عامر يدبر الغدر بالرسول :فقدم عامر بن الطفيل عدو الله ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يريد الغدر به . وقد قال له قومه : ياعامر ، إن الناس قد أسلموا فأسلم ، قال : والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى ، أفأنا أتبع عقب هذا الفتى من قريش ؟ ! ثم قال لأربد : إذا قـدمنا على الرجل ، فإنى سأشغل عنك وجهه ، فإذا فعلت ذلك فاعله بالسيف ، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر بن الطفيل : يامحمد ، خالنى ، قال : لا والله حتى تؤمن بالله وحده . قال : يامحمد خالنى . وجعل يكلمه وينتظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يحير شيئاً ، قال : فلما رأى عامر ما يصنع أربد ، قال يامحمد خالنى قال : لا ، حتى تؤمن بالله وحـــده

لاشريك له . فلما أبى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا ، فلما ولى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اكفنى عامر بن الطفيل فلما خرجوا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ؟ والله ما كان على ظهر الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبداً . قال : لا أبالك ! لا تعجل على ، والله ماهممت بالذى أمرتنى به من أمره إلا دخلت بينى وبين الرجل ، حتى ما أرى غيرك ، أفأضربك بالسيف ؟

موت عامر بدعاء الرسول عليه : وخرجوا راجعين إلى بلادهم ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق ، بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه ، فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول ، فجعل يقول : يابنى عامر ، أغدة كغدة الإبل ، وموتاً فى بيت سلولية !

قال ابن هشام : ويقال : أغدة كغدة الإبل ، وموتاً فى بيت سلولية .

موت أربد بصاعقة : قال ابن إسحاق : ثم خرج أصحابه حين واروه ، حين قدموا أرض بنى عامر شاتين ، فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ماوراءك يا أربد ؟ قال : لاشىء والله ، لقد دعانا إلى عبادة شىء لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله ، فخرج بعد مقالته بيوم أو يومين معه جمل له يتبعه ، فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة ، فأحرقتهما ، وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه .

ما نزل فى عامر وأربد : قال ابن هشام : وذكر زيد بن أسلم ، عن عطاء بن يسار ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل الله عز وجل فى عامر وأربد : « الله يعلم ما تحمل كل أنثى وما تغيض الأرحام وما تزداد » . . . إلى قوله : « وما لهم من دونه من وال » .

قال : المعقبات : هى من أمر الله يحفظون محمداً . ثم ذكر أربد وماقتله الله به ، فقال : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » إلى قوله : « شديد المحال » .

شعر لبيد يبكى أربد قال ابن إسحاق : فقال لبيد يبكى أربد :

ما إن تعدى المنون من أحد ... لا والد مشفق ولا ولد
أخشى على أربد الحتوف ولا ... أرهب نوء السماك والأسد
فعين هلا بكيت أربد إذ ... قمنا وقام النساء فى كبد
إن يشغبوا لا يبال شغبهم ... أو يقصدوا فى الحلوم يقتصد
حلو أريب وفى حلاوته ... مر لطيف الأحشاء والكبد
وعين هلا بكيت أربد إذ ... ألوت رياح الشتاء بالعضد
وأصبحت لاقحاً مصرمة ... حتى تجلت غوابر المدد
أشجع من ليث غابة لحم ... ذو نهمة فى العلا ومنتقد
لاتبلغ العين كل نهمتها ... ليلة تمسى الجياد كالقدد
الباعث النوح فى مآتمه ... مثل الظباء الأبكار بالجرد
فجعنى البرق والصواعق بال ... فارس يوم الكريهة النجد
والحارب الجابر الحريب إذا ... جاء نكيباً وإن يعد يعد

يعفو على الجهد والسؤال كما ... ينبت غيث الربيع ذو الرصد
كل بنى حرة مصيرهم ... قل وإن أكثرت من العدد
إن يغبطوا يهبطوا وإن أمروا ... يوماً فهم للهلاك والنفد

قال ابن هشام: بيته: « والحارب الجابر الحريب » عن أبي عبيدة، وبيته: « يعفو على الجهد »: عن غير ابن إسحاق.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضاً يبكى أربد:

ألا ذهب المحافظ والمحامى ... ومانع ضيمها يوم الخصام
وأيقنت التفرق يوم قالوا ... تقسم مال أربد بالسهام
تطير عدائد الأشراك شفعاً ... ووتراً والزعامة للغلام
فودع بالسلام أبا حريز ... وقل وداع أربد بالسلام
وكنت إمامنا ولنا نظاماً ... وكان الجزع يحفظ بالنظام
وأربد فارس الهيجاء إذا ما ... تقعرت المشاجر بالفئام
إذا بكر النساء مردفات ... حواسر لا يجئن على الخدام
فواءل يوم ذلك من أتاه ... كما وأل المحل إلى الحرام
ويحمد قدر أربد من عراها ... إذا ما ذم أرباب اللحام
وجارته إذا حلت لديه ... لها نفل وحظ من سنام
فإن تقعد فمكرمة حصان ... وإن تظعن فمحسنة الكلام
وهل حدثت عن أخوين داما ... على الأيام إلا ابنى شمام
وإلا الفرقدين وآل نعش ... خوالد ما تحدث بانهدام

قال ابن هشام: وهى فى قصيدة له.

قال ابن إسحاق: وقال لبيد أيضاً يبكى أربد:

انع الكريم للكريم أربدا ... انع الرئيس واللطيف كبدا
يحذى ويعطى ماله ليحمدا ... أدما يشبهن صواراً أبدا
السابل الفضل إذا ما عددا ... ويملأ الجفنة ملئا مددا
رفها إذا يأتى ضريك وردا ... مثل الذى فى الغيل يقرو جمدا
يزداد قرباً منهم أن يوعدا ... أورثتنا تراث غير أنكدا
غبا ومالا طارفاً وولدا ... شرخاً صقوراً يافعاً وأمردا

وقال لبيد أيضاً:

لن تفنيا خيرات أر ... بد فابكيا حتى يعودا
قولا هو البطل المحا ... مى حين يكسون الحديدا
ويصد عنا الظالمـ ... ـين إذا لقينا القوم صيدا
فاعتاقه رب البريـ ... ـة إذ رأى أن لا خلودا

فثوى ولم يوجع ولم يوصب وكان هو الفقيدا

وقال لبيد أيضاً

يذكرنى بأربد كل خصم ألد تخال خطته ضرارا
إذا اقتصدوا فمقتصد كريم وإن جاروا سواء الحق جارا
ويهدى القوم مطلعاً إذا ما دليل القوم بالموماة حارا

قال ابن هشام : آخرها بيتاً عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : وقال لبيد أيضاً :

أصبحت أمشى بعد سلمى بن مالك وبعد أبى قيس وعروة كالأجب
إذا ما رأى ظل الغراب أضجه حذاراً على باقى السناسن والعصب

قال ابن هشام ، وهذان البيتان فى أبيات له .

قدوم ضمام بن ثعلبة وافداً عن بنى سعد بن بكر : قال ابن إسحاق : وبعث بنو سعد بن بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا منهم ، يقال له ضمام بن ثعلبة .

اسلامه : قال ابن إسحاق : فحدثنى محمد بن الوليد بن نويفع عن كريب ، مولى عبد الله بن عباس ، عن ابن عباس ، قال : بعثت بنو سعد بن بكر ضمام بن ثعلبة وافداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم عليه ، وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ، ثم دخل المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه ؛ وكان ضمام رجلا جلداً أشعر ذا غديرتين ، فأقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أصحابه ، فقال : أيكم ابن عبد المطلب ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا ابن عبد المطلب . قال : أمحمد ؟ قال : نعم ؛ قال يابن عبد المطلب ، إنى سائلك ومغلظ عليك فى المسألة ، فلا تجدن بها على فى نفسك . قال : لا أجد فى نفسى ، فسل عما بدا لك . قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله بعثك إلينا رسولا ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن تأمرنا أن نعبده وحده لا نشرك به شيئاً ، وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدون معه ؟ قال : اللهم نعم ، قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك ، وإله من هو كائن بعدك ، آلله أمرك أن نصلى هذه الصلوات الخمس ؟ قال : اللهم نعم ؛ قال : ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة : الزكاة والصيام والحج وشرائع الإسلام كلها ، ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده فى التى قبلها ، حتى إذا فرغ قال : فإنى أشهد أن لا إله إلا الله ، وأشهد أن محمداً رسول الله ؛ وسأؤدى هذه الفرائض ، وأجتنب ما نهيتنى عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف إلى بعيره راجعاً . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن صدق ذو العقيصتين دخل الجنة .

دعوة قومه للاسلام : قال : فأتى بعيره فأطلق عقاله ، ثم خرج حتى قدم على قومه ، فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ! قالوا : مه ياضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ! قال : ويلكم ! إنهما والله لا يضران ولا ينفعان ، إن الله قد بعث رسولا ، وأنزل عليه كتاباً أستنقذكم به مما كنتم فيه ، وإنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده ورسوله ، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه ، قال :

. . . .

فوالله ما أمسى من ذلك اليوم فى حاضره رجل ولا امرأة إلا مسلماً .

قال : يقول عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة .

قدوم الجارود فى وفد عبد القيس : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الجارود بن عمرو بن حنش أخو عبد القيس .

قال ابن هشام : الجارود بن بشر بن المعلى فى وفد عبد القيس وكان نصرانياً .

قال ابن إسحق : حدثنى من لا أتهم ، عن الحسن ، قال : لما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلمه ، فعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، ودعاه إليه ، ورغبه فيه ، فقال : يا محمد ، إنى قد كنت على دين ، وإنى تارك دينى لدينك ، أفتضمن لى دينى ؟ قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم ، أنا ضامن أن قد هداك الله إلى ما هو خير منه قال : فأسلم وأسلم أصحابه ، ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان ، فقال ؛ والله ما عندى ما أحملكم عليه . قال : يارسول الله ، فإن بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس : أفتبلغ عليها إلى بلادنا ؟ قال : لا ، إياك وإياها ، فإنما تلك حرق النار .

موقفه من ردة قومه : فخرج من عنده الجارود راجعاً إلى قومه ، وكان حسن الإسلام ، صلباً على دينه ، حتى هلك وقد أدرك الردة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم إلى دينهم الأول مع الغرور بن النعمان بن المنذر ، قام الجارود فتكلم ، فتشهد شهادة الحق ، ودعا إلى الإسلام فقال : أيها الناس ، إنى أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله ، وأكفر من لم يشهد .

قال ابن هشام : يروى : وأكفى من لم يشهد .

اسلام المنذر بن ساوى : قال ابن إسحاق : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة إلى المنذر بن ساوى العبدى ، فأسلم فحسن إسلامه ثم هلك بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ردة أهل البحرين ، والعلاء عنده أميراً لرسول الله صلى الله عليه وسلم على البحرين .

قدوم وفد بنى حنيفة ومعهم مسيلمة الكذاب

وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد بنى حنيفة ، فيهم مسيلمة بن حبيب الحنفى الكذاب .

قال ابن هشام : مسيلمة بن ثمامة ، ويكنى أبا ثمامة .

قال ابن إسحاق : فكان منزلهم فى دار بنت الحارث امرأة من الانصار ، ثم من بنى النجار ، فحدثنى بعض علمائنا من أهل المدينة : أن بنى حنيفة أتت به رسول الله صلى الله عليه وسلم تستره بالثياب ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس فى أصحابه . معه عسيب من سعف النخل فى رأسه خوصات ؛ فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهم يسترونه بالثياب ، كلمه وسأله ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم . لو سألتنى هذا العسيب ما أعطيتكه .

قال ابن إسحاق : وقد حدثنى شيخ من بنى حنيفة من أهل اليمامة أن حديثه كان على غير هذا . زعم أن وفد بنى حنيفة أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخلفوا مسيلمة فى رحالهم ، فلما أسلموا ذكروا مكانه ، فقالوا : يارسول الله ، إنا قد خلفنا صاحباً لنا فى رحالنا وفى ركابنا يحفظها لنا ، قال : فأمر له رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل ما أمر

به للقوم ، وقال أما إنه ليس بشركم مكاناً ، أى لحفظه ضيعة أصحابه ، وذلك الذى يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

تنبؤ مسيلمة : قال : ثم انصرفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : وجاءوه بما أعطاه ، فلما انتهوا إلى اليمامة ارتد عدو الله وتنبأ وتكذب لهم ، وقال : إنى قد أشركت فى الأمر معه . وقال لوفده الذين كانوا معه : ألم يقل لكم حين ذكرتمونى له : أما إنه ليس بشركم مكاناً ؛ ماذاك إلا لما كان يعلم أنى قد أشركت فى الأمر معه ، ثم جعل يسجع لهم الأساجيع ، ويقول لهم فيما يقول مضاهاة للقرآن : « لقد أنعم الله على الحبلى ، أخرج منها نسمة تسعى ، من بين صفاق وحشى » ، وأحل لهم الخمر والزنا ، ووضع عنهم الصلاة ، وهو مع ذلك يشهد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه نبى ، فأصفقت معه حنيفة على ذلك . فالله أعلم أى ذلك كان .

قدوم زيد الخيل فى وفد طيىء : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفد طيىء ، فيهم زيد الخيل ، وهو سيدهم ، فلما انتهوا إليه كلموه ، وعرض عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الإسلام ، فأسلموا ، فحسن إسلامهم ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما حدثنى من لا أتهم من رجال طيىء ، ماذكر لى رجل من العرب بفضل ، ثم جاءنى ، إلا رأيته دون مايقال فيه ، إلا زيد الخيل ؛ فإنه لم يبلغ كل ما كان فيه ، ثم سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد الخير ، وقطع له فيداً وأرضين معه ، وكتب له بذلك . فخرج من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعاً إلى قومه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن ينج زيد من حمى المدينة ، فإنه قال : قد سماها رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم غير الحمى ، وغير أم ملدم ، فلم يثبته — فلما انتهى من بلد نجد إلى ماء من مياهه ، يقال له فردة ، أصابته الحمى بها فمات ، ولما أحس زيد بالموت قال :

أمرتحل قومى المشارق غدوة ... وأترك فى بيت بفردة منجد

لا رب يوم لو مرضت لعادنى ... عوائد من لم يبر منهن يجهد

فلما مات عمدت امرأته إلى ما كان معه من كتبه ، التى قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحرقتها بالنار .

عدى بن حاتم وإسلامه : وأما عدى بن حاتم فكان يقول ، فيما بلغنى : مامن رجل من العرب كان أشد كراهية لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع به منى ، أما أنا فكنت امرءاً شريفاً ، وكنت نصرانياً ، وكنت أسير فى قومى بالمرباع ، فكنت فى نفسى على دين ، وكنت ملكاً فى قومى ، لما كان يصنع بى . فلما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم كرهته ، فقلت لغلام كان لى عربى ، وكان راعياً لإبلى : لا أبا لك ، أعدد لى من إبلى أجمالا ذللا سماناً ، فاحتبسها قريباً منى ، فإذا سمعت بجيش لمحمد قد وطىء هذه البلاد فآذنى ، ففعل ، ثم إنه أتانى ذات غداة ، فقال : ياعدى ما كنت صانعاً إذا غشيتك خيل محمد ، فاصنعه الآن ، فإنى قد رأيت رايات ، فسألت عنها ، فقالوا : هذه جيوش محمد . قال : فقلت : فقرب إلى أجمالى ، فقربها ، فاحتملت بأهلى وولدى ، ثم قلت : ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام فسلكت الجوشية ، ويقال الحوشية ، فيما قال ابن هشام — وخلفت بنتاً لحاتم فى الحاضر ، فلما قدمت الشام أقمت بها .

وتخالفنى خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتصيب ابنة حاتم ، فيمن أصابت ، فقدم بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سبايا من طيىء ، وقد بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم هربى إلى الشام ، قال فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد ، كانت السبايا يحبسن فيها ، فمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقامت إليه ، وكانت امرأة جزلة ، فقالت : يارسول الله ، هلك الوالد ، وغاب الوافد ، فامنن على ، من الله عليك . قال : ومن وافدك؟ قالت : عدى بن حاتم . قال : الفار من الله ورسوله ؟ قالت : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتركنى حتى إذا كان من الغد مر بى فقلت له مثل ذلك ، وقال لى مثل ما قال بالأمس ، قالت : حتى إذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه ، فأشار إلى رجل من خلفه أن قومى فكلميه ، قالت : فقمت إليه ، فقلت : يارسول الله ، هلك الوالد

. . . .

وغاب الوافد ، فامنن علي ، من الله عليك ، فقال صلى الله عليه وسلم : قد فعلت ، فلا تعجلي بخروج حتى تجدي من قومك من يكون لك ثقة ، حتى يبلغك إلى بلادك ، ثم آذنيني : فسألت عن الرجل الذى أشار إلى أن أكلمه ، فقيل : على بن أبي طالب رضوان الله عليه ، وأقمت حتى قدم ركب من بلي أو قضاعة ، قالت : وإنما أريد أن آتى أخي بالشام . قالت : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت : يارسول الله ، قدقدم رهط من قومى ، لى فيهم ثقة وبلاغ قالت : فكسانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحملني . وأعطانى نفقة ، فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدى : فوالله إنى لقاعد فى أهلي ، إذ نظرت إلى ظعينة تصوب إلى تؤمنا . قال : فقلت ابنة حاتم ، قال : فإذا هى هى ، فلما وقفت على انسحلت تقول : القاطع الظالم . احتملت بأهلك وولدك ، وتركت بقية والدك عورتك ، قال : قلت : أى أخية ، لا تقولي إلا خيراً ، فوالله مالى من عذر ، لقد صنعت ما ذكرت ، قال : ثم نزلت فأقامت عندى ، فقلت لها : وكانت امرأة حازمة ، ماذا ترين فى أمر هذا الرجل ؟ قالت : أرى والله أن تلحق به سريعاً ، فإن يكن الرجل نبياً فللسابق إليه فضله ، وإن يكن ملكاً فلن تذل فى عز اليمن ، وأنت أنت . قال : قلت : والله إن هذا الرأى .

قال : فخرجت حتى أقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فدخلت عليه ، وهو فى مسجده ، فسلمت عليه ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : عدى بن حاتم ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانطلق بى إلى بيته ، فوالله إنه لعامد بى إليه ، إذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة ، فاستوقفته ، فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجتها ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بملك ؛ قال : ثم مضى بى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا دخل بى بيته ، تناول وسادة من أدم محشوة ليفاً ، فقذفها إلى ، فقال : اجلس على هذه ، قال : قلت : بل أنت فاجلس عليها ، فقال : بل أنت . فجلست عليها ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم بالأرض ؛ قال : قلت فى نفسى : والله ما هذا بأمر ملك ، ثم قال : إيه ياعدى ابن حاتم ! ألم تك ركوسياً ؟ قال : قلت : بلى . قال : أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع ؟ قال . قلت : بلى ، قال : فإن ذلك لم يكن يحل لك فى دينك ؛ قال : قلت : أجل والله ، وقال : وعرفت أنه نبى مرسل ، يعلم ما يجهل ، ثم قال لعلك ياعدى إنما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم ، فوالله ليوشكن المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوهم وقلة عددهم ، فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور هذا البيت ، لا تخاف ؛ ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى أن الملك والسلطان فى غيرهم ، وايم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم ؛ قال : فأسلمت .

وكان عدى يقول : قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة ، والله لتكونن ، قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وايم الله لتكونن الثالثة ، ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه .

قدوم فروة بن مسيك المرادى : قال ابن إسحاق : وقدم فروة بن مسيك المرادى على رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة ومباعداً لهم ، إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد كان قبيل الإسلام بين مراد وهمدان وقعة ، أصابت فيها همدان من مراد ما أرادوا ، حتى أثخنوهم فى يوم كان يقال له : يوم الردم ، فكان الذى قاد همدان إلى مراد : الأجدع بن مالك فى ذلك اليوم .

قال ابن هشام : الذى قاد همدان فى ذلك اليوم مالك بن حريم الهمدانى .

قال ابن إسحاق : وفى ذلك اليوم يقول فروة بن مسيك :

مررنا على لفاة وهن خوص ... ينازعن الأعنة ينتحينا
فإن نغلب فغلابون قدما ... وإن نغلب فغير مغلبينا
وما إن طبنا جبن ولكن ... منايانا وطعمة آخرينا
كذاك الدهر دولته سجال ... تكر صروفه حينا فحينا
فبينا ما نسر به ونرضى ... ولو لبست غضارته سنينا
إذ انقلبت به كرات دهر ... فألفيت الألى غبطوا طحينا
فمن يغبط بريب الدهر منهم ... يجد ريب الزمان له خئونا
فلو خلد الملوك إذن خلدنا ... ولو بقى الكرام إذن بقينا
فأفنى ذلكم سروات قومى ... كما أفنى القرون الأولينا

قال ابن هشام : أول بيت منها ، وقوله : « فإن نغلب » عن غير ابن إسحاق .

قال ابن إسحاق : ولما توجه فروة بن مسيك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مفارقاً لملوك كندة ، قال :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت ... كالرجل خان الرجل عرق نسائها
قربت راحلتى أؤم محمداً ... أرجو فواضلها وحسن ثرائها

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة : « أرجو فواضله وحسن ثنائها » .

قال ابن إسحاق : فلما انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغنى : يافروة ، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال يا رسول الله ، من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوؤه ذلك ؟ ! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم له : أما إن ذلك لم يزد قومك فى الإسلام إلا خيراً .

واستعمله النبى صلى الله عليه وسلم على مراد وزبيد ومذحج كلها ، وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة، فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قدوم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن معديكرب فى أناس من بنى زبيد ، فأسلم ؛ وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادى ، حين انتهى إليهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا قيس ، إنك سيد قومك ، وقد ذكر لنا أن رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز ، يقول إنه نبى ، فانطلق بنا إليه حتى نعلم علمه ، فإن كان نبيا كما يقول فإنه لن يخفى عليك ، وإذا لقيناه اتبعناه ، وإن كان غير ذلك علمنا علمه ، فأبى عليه قيس ذلك ، وسفه رأيه ، فركب عمرو بن معديكرب حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلم ، وصدقه ، وآمن به .

فلما بلغ ذلك قيس بن مكشوح أوعد عمراً ، وتحطم عليه ، وقال : خالفنى وترك رأيى ؛ فقال عمرو بن معديكرب فى ذلك :

أمرتك يوم ذى صنعا ... ء أمراً بادياً رشده
أمرتك باتقاء الله ... والمعروف تتعده

خرجت من المنى مثل الحمير غرة وتده
تمنانى على فرس عليه جالساً أسده
على مفاضة كالنهى أخلص ماءه جدده
ترد الرمح منثنى السنان عوائراً قصده
فلو لاقيتنى للقيت ليثاً فوقه لبده
تلاقى شنبثاً شثن البراثن ناشزاً كتده
يسامى القرن إن قرن تيممه فيعتضده
فيأخذه فيرفعه فيخفضه فيقتصده
فيدمغه فيحطمه فيخضمه فيزدرده
ظلوم الشرك فيما أحرزت أنيابه ويده

قال ابن هشام : أنشدنى أبو عبيدة :

أمرتك يوم ذى صنعا ء أمراً بيناً رشده
أمرتك باتقاء الله تأتيه وتتعده
فكنت كذا الحمير غر ره مما به وتده

لم يعرف سائرها .

ارتداده : قال ابن إسحاق : فأقام عمرو بن معديكرب فى قومه من بنى زبيد وعليهم فروة بن مسيك . فلما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتد عمرو بن معد يكرب ، وقال حين ارتد :

وجدنا ملك فروة شر ملك حماراً ساف منخره بثفر
وكنت إذا رأيت أبا عمير ترى الحولاء من خبث وغدر

قال ابن هشام : قوله « بثفر » عن أبى عبيدة.

قدوم الأشعث بن قيس فى وفد كندة : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الأشعث بن قيس فى وفد كندة ، فحدثنى الزهرى بن شهاب أنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ثمانين راكباً من كندة ، فدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم مسجده وقد رجلوا جممهم وتكحلوا ، وعليهم جبب الحبرة ، وقد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ألم تسلموا ؟ قالوا : بلى ، قال : فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ قال : فشقوه منها ، فألقوه .

ثم قال له الأشعث بن قيس : يارسول الله : نحن بنو آكل المرار ، وأنت ابن آكل المرار ، قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث ، وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا إذا شاعا فى بعض العرب ، فسئلا ممن هما ؟ قالا : نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا . ثم قال لهم : لا ، بل نحن بنو النضر بن كنانة ، لا نقفو أمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، فقال الأشعث بن قيس : هل فرغتم يامعشر كندة ؟ والله لا أسمع رجلا يقولها إلا ضربته ثمانين .

قال ابن هشام : الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل المرار : الحارث بن عمرو بن حجر

ابن عمرو بن معاوية بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندي ، ويقال كندة ، وإنما سمي آكل المرار ، لأن عمرو بن الهبولة الغساني أغار عليهم ، وكان الحارث غائباً ، فغنم وسبي ، وكان فيمن سبي أم أناس بنت عوف بن محلم الشيباني ، امرأة الحارث بن عمرو ، فقالت لعمرو في مسيره لكأني برجل أدلم أسود ، كأن مشافره مشافر بعير آكل مرار قد أخذ برقبتك ، تعني : الحارث ، فسمي آكل المرار ، والمرار : شجر . ثم تبعه الحارث في بني بكر بن وائل ، فلحقه ، فقتله ، واستنقذ امرأته ، وما كان أصاب . فقال الحارث بن حلزة اليشكري لعمرو بن المنذر وهو عمرو بن هند اللخمي :

وأقدناك رب غسان بالمنـــذر كرهاً إذ لا تـكال الدماء

لأن الحارث الأعرج الغساني قتل المنذر أباه ، وهذا البيت في قصيدة له . وهذا الحديث أطول مما ذكرت ، وإنما منعني من استقصائه ماذكرت من القطع . ويقال بل آكل المرار : حجر بن عمرو بن معاوية ، وهو صاحب هذا الحديث ، وإنما سمي آكل المرار ، لأنه أكل هو وأصحابه في تلك الغزوة شجراً يقال له المرار .

قدوم صرد بن عبد الله الأزدي : قال ابن إسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم صرد بن عبد الله الأزدي ، فأسلم ، وحسن إسلامه ، في وفد من الأزد ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك ، من قبل اليمن .

قتاله أهل جرش : فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزل بجرش ، وهي يومئذ مدينة مغلقة ، وبها قبائل من قبائل اليمن ، وقد ضوت إليهم خثعم ، فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين إليهم ، فحاصروهم فيها قريباً من شهر ، وامتنعوا فيها منه ، ثم إنه رجع عنه قافلا ، حتى إذا كان إلى جبل لهم يقال له شكر ظن أهل جرش أنه إنما ولى عنهم منهزماً ، فخرجوا في طلبه ، حتى إذا أدركوه عطف عليهم ، فقتلهم قتلا شديداً .

إخبار الرسول بما حدث وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة يرتادان وينظران ؛ فبينا هما عند رسول الله صلى الله عليه وسلم عشية بعد صلاة العصر ، إذ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بأي بلاد الله شكر ؟ فقام إليه الجرشيان فقالا : يارسول الله ، ببلادنا جبل يقال له كشر ؛ وكذلك يسميه أهل جرش ، فقال : إنه ليس بكشر ، ولكنه شكر ؛ قالا : فما شأنه يارسول الله ؟ قال : إن بدن الله لتنحر عنده الآن ، قال : فجلس الرجلان إلى أبي بكر أو إلى عثمان ، فقال لهما : ويحكما ! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لينعى لكما قومكما ، فقوما إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاسألاه أن يدعو الله أن يرفع عن قومكما ؛ فقاما إليه ، فسألاه ذلك ، فقال : اللهم ارفع عنهم ، فخرجا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعين إلى قومهما ، فوجدوا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله ، في اليوم الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما قال ، وفي الساعة التي ذكر فيها ما ذكر .

إسلام أهل جرش : وخرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسلموا ، وحمى لهم حمى حول قريتهم ، على أعلام معلومة ، للفرس والراحلة وللمثيرة ، بقرة الحرث ، فمن رعاه من الناس فمالهم سحت . فقال في تلك الغزوة رجل من الأزد : وكانت خثعم تصيب من الأزد في الجاهلية ، وكانوا يعدون في الشهر الحرام :

يا غزوة ما غزونا غير خائبة فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً في مصانعها وجمع خثعم قد شاعت لها النذر
إذا وضعت غليلا كنت أحمله فما أبالي أدانوا بعد أم كفروا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير ، مقدمه من

تبوك ، ورسولهم إليه بإسلامهم ، الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال . والنعمان : قيل ذى رعين ومعافر وهمدان ، وبعث إليه زرعه ذو يزن مالك بن مرة الرهاوى بإسلامهم ، ومفارقتهم الشرك وأهله .

كتاب الرسول اليهم : فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم :

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد رسول الله النبى ، إلى الحارث بن عبد كلال ، وإلى نعيم بن عبد كلال ، وإلى النعمان : قيل ذى رعين ومعافر وهمدان . أما بعد ذلكم ، فإنى أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد ، فإنه قد وقع بنا رسولكم منقلبنا من أرض الروم ، فلقينا بالمدينة ، فبلغ ما أرسلتم به ، وخبرنا ما قبلكم ، وأنبأنا بإسلامكم وقتلكم المشركين ، وأن الله قد هداكم بهداه ، إن أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خمس الله ، وسهم الرسول وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار ، عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وأن فى الإبل الأربعين ابنة لبون ، وفى ثلاثين من الإبل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الإبل شاة ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من من البقر تبيع ، جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها ، شاة ، وأنها فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له ، ومن أدى ذلك وأشهد على إسلامه ، وظاهر المؤمنين على المشركين ، فإنه من المؤمنين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، وله ذمة الله وذمة رسوله ، وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى ، فإنه من المؤمنين ، له مالهم ، وعليه ماعليهم ؛ ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فإنه لا يرد عنها ، وعليه الجزية ، على كل حال ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف ، من قيمة المعافر أو عوضه ثياباً ، فمن أدى ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منعه فإنه عدو لله ولرسوله . أما بعد ، فإن رسول الله محمداً النبى أرسل إلى زرعة ذى يزن إذا أتاكم رسلى فأوصيكم بهم خيراً : معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن نمر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم وأن اجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخاليفكم ، وأبلغوها رسلى ، وأن أميرهم معاذ ابن جبل ، فلا ينقلبن إلا راضياً . أما بعد : فإن محمداً يشهد أن لا إله إلا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم إن مالك بن مرة الرهاوى قد حدثنى أنك أسلمت من أول حمير ، وقتلت المشركين ، فأبشر بخير وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ولا تخاذلوا ، فإن رسول الله هو ولى غنيكم وفقيركم ، وإن الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، إنما هى زكاة يزكى بها على فقراء المسلمين وابن السبيل ، وإن مالكا قد بلغ الخبر ، وحفظ الغيب ، وآمركم به خيراً ، وإنى قد أرسلت إليكم من صالحى أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم ، وآمرك بهم خيراً ، فإنهم منظور إليهم ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وصية الرسول معاذا حين بعثه الى اليمن : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر أنه حدث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذاً ، أوصاه وعهد إليه ، ثم قال له : يسر ولا تعسر ، وبشر ولا تنفر ، وإنك ستقدم على قوم من أهل الكتاب ، يسألونك ما مفتاح الجنة ؛ فقل : شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال : فخرج معاذ حتى إذا قدم اليمن قام بما أمره به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتته امرأة من أهل اليمن ، فقالت : ياصاحب رسول الله ، ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال . ويحك ! إن المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها ، فأجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت ، قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم إنك لتعلم ماحق الزوج على المرأة . قال : ويحك ! لو رجعت إليه فوجدته تنثعب منخراه قيحاً ودماً ، فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه .

اسلام فروه بن عمرو الجذامى . قال ابن إسحاق : وبعث فروة بن عمرو النافرة الجذامى ، ثم النفاثى ، إلى رسول الله

صلى الله عليه وسلم رسولا بإسلامه ، وأهدى له بغلة بيضاء ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب ، وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام .

حبس الروم له وشعره ومقتله : فلما بلغ الروم ذلك من إسلامه ، طلبوه حتى أخذوه ، فحبسوه عندهم ، فقال فى محبسه ذلك :

طرقت سليمى موهناً أصحابى والروم بين الباب والقروان
صد الخيال وساءه ماقد رأى وهممت أن أغفى وقد أبكانى
لاتكحلن العين بعدى إثمداً سلمى ولا تدين للإتيان
ولقد علمت أبا كبيشة أننى وسط الأعزة لايحص لسانى
فلئن هلكت لتفقدن أخاكم ولئن بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ما جمع الفتى من جودة وشجاعة وبيان

فلما أجمعت الروم لصلبه على ماء لهم ، يقال له عفراء بفلسطين ، قال :

ألا هل أتى سلمى بأن حليلها على ماء عفرا فوق إحدى الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل

فزعم الزهرى بن شهاب ، أنهم لما قدموه ليقتلوه . قال :

بلغ سراة المسلمين بأننى سلم لربى أعظمى ومقامى

ثم ضربوا عنقه ، وصلبوه على ذلك الماء ، رحمه الله تعالى .

إسلام بنى الحارث بن كعب على يدى خالد بن الوليد لما سار اليهم : قال ابن إسحاق : ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فى شهر ربيع الآخر أو جمادى الأول ، سنة عشر ، إلى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم إلى الإسلام قبل أن يقاتلهم ثلاثاً ، فإن استجابوا فاقبل منهم ، وإن لم يفعلوا فقاتلهم . فخرج خالد حتى قدم عليهم ، فبعث الركبان يضربون فى كل وجه ، ويدعون إلى الإسلام ، ويقولون : أيها الناس ، أسلموا تسلموا . فأسلم الناس ، ودخلوا فيما دعوا إليه ، فأقام فيهم خالد يعلمهم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، وبذلك كان أمره رسول الله صلى الله عليه وسلم إن هم أسلموا ولم يقاتلوا .

ثم كتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من خالد بن الوليد : السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته . فإنى أحمد إليك الله الذى لا إله إلا هو ، أما بعد : يارسول الله صلى الله عليك ، فإنك بعثتنى إلى بنى الحارث بن كعب ، وامرتنى إذا أتيتهم ألا أقاتلهم ثلاثة أيام ، وأن أدعوهم إلى الإسلام ، فإن أسلموا أقمت فيهم ، وقبلت منهم ، وعلمتهم معالم الإسلام وكتاب الله وسنة نبيه ، وإن لم يسلموا قاتلتهم . وإنى قدمت عليهم فدعوتهم إلى الإسلام ثلاثة أيام . كما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعثت فيهم ركباناً ، قالوا : يابنى الحارث ، أسلموا تسلموا ، فأسلموا ولم يقاتلوا ، وأنا مقيم بين أظهرهم ، آمرهم بما أمرهم الله به وأنهاهم عما نهاهم الله عنه ، وأعلمهم معالم الإسلام وسنة النبى صلى الله عليه وسلم ، حتى يكتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته .

فكتب إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

بسم الله الرحمن الرحيم : من محمد النبى رسول الله إلى خالد بن الوليد . سلام عليك ، فإنى أحمد إليك الله الذى

لا إله إلا هو . أما بعد ، فإن كتابك جاءنى مع رسولك تخبر أن بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل أن تقاتلهم ، وأجابوا إلى ما دعوتهم إليه من الإسلام ، وشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبد الله ورسوله ، وأن قد هداهم الله بهداه ، فبشرهم وأنذرهم ، وأقبل وليقبل معك وفدهم ، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته .

قدوم خالد مع وفدهم على الرسول : فأقبل خالد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل معه وفد بنى الحارث ابن كعب ، منهم قيس بن الحصين ذى الغصة ، ويزيد بن عبد المدان ، ويزيد بن المحجل ، وعبد الله بن قرد الزيادى ، وشداد بن عبد الله القنانى ، وعمرو بن عبد الله الضبابى .

فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآهم ، قال : من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ قيل : يا رسول الله ، هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب . فلما وقفوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم سلموا عليه ، وقالوا : نشهد أنك رسول الله ، وأنه لا إله إلا الله ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله ، ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنتم الذين إذا زجروا استقدموا ؟ فسكتوا ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثانية ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الثالثة ، فلم يراجعه منهم أحد ، ثم أعادها الرابعة ، فقال يزيد بن عبد المدان : نعم ، يا رسول الله نحن الذين إذا زجروا استقدموا ، قالها أربع مرار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو أن خالداً لم يكتب إلى أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا ، لألقيت رءوسكم تحت أقدامكم ، فقال يزيد بن عبد المدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً ، قال : فمن حمدتم ؟ قالوا : حمدنا الله عز وجل الذى هدانا بك يا رسول الله ، قال : صدقتم . ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ قالوا : لم نكن نغلب أحداً ، قال : بلى ، قد كنتم تغلبون من قاتلكم ، قالوا : كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله إنا كنا نجتمع ولا نفترق ، ولا نبدأ أحداً بظلم ، قال : صدقتم ، وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم على بنى الحارث بن كعب ، قيس بن الحصين .

فرجع وفد بنى الحارث إلى قومهم فى بقية من شوال ، أو فى صدر ذى القعدة ، فلم يمكثوا بعد أن رجعوا إلى قومهم إلا أربعة أشهر ، حتى توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورحم وبارك ، ورضى وأنعم .

بعث الرسول عمرو بن حزم بعهده اليهم : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتاباً عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه بأمره . بسم الله الرحمن الرحيم : هذا بيان من الله ورسوله ، يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود ، عهد من محمد النبى رسول الله لعمرو بن حزم ، حين بعثه إلى اليمن ، أمره بتقوى الله فى أمره كله ، فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ، وأمره أن يأخذ بالحق كما أمره الله ، وأن يبشر الناس بالخير ، ويأمرهم به ، ويعلم الناس القرآن ، ويفقههم فيه ، وينهى الناس ، فلا يمس القرآن إنسان إلا وهو طاهر ، ويخبر الناس بالذى لهم ، والذى عليهم ، ويلين للناس فى الحق ويشد عليهم فى الظلم ، فإن الله كره الظلم ، ونهى عنه ، فقال : « ألا لعنة الله على الظالمين » ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته ، وما أمر الله به ، والحج الأكبر : الحج الأكبر ، والحج الأصغر هو : العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحد فى ثوب واحد صغير ، إلا أن يكون ثوباً يثنى طرفيه على عاتقيه ، وينهى الناس أن يحتبى أحد فى ثوب واحد يفضى بفرجه إلى السماء ، وينهى أن يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهى إذا كان بين الناس هيج عن الدعاء إلى القبائل والعشائر ، وليكن دعواهم إلى الله عز وجل وحده لاشريك له ، فمن لم يدع إلى الله ، ودعا إلى القبائل

والعشائر فليقطفوا بالسيف ، حتى تكون دعواهم إلى الله وحده لاشريك له ، ريأمر الناس بإسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم إلى المرافق وأرجلهم إلى الكعبين ويمسحون برءوسهم كما أمرهم الله وأمر بالصلاة لوقتها ، وإتمام الركوع والسجود والخشوع ، ويغلس بالصبح . ويهجر بالهاجرة حين تميل الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الأرض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل ، لايؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى إلى الجمعة إذا نودى بها ، والغسل عند الرواح إليها ، وأمره أن يأخذ من المغانم خمس الله ، وماكتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الإبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياة ، وفى كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة وحدها : شاة ، فإنها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيراً فهو خير له وأنه من أسلم من يهودى أو نصرانى إسلاماً خالصاً من نفسه ، ودان بدين الإسلام ، فإنه من المؤمنين ، له مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته ، فإنه لا يرد عنها ، وعلى كل حالم : ذكر أو أنثى ، حر أو عبد ، دينار واف أو عوضه ثياباً .

فمن أدى ذلك فإن له ذمة الله وذمة رسوله ، ومن منع ذلك ، فإنه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعاً صلوات الله على محمد ، ، والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هدنة الحديبية ، قبل خيبر ، رفاعة بن زيد الجذامى ثم الضبيبى ، فأهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وأسلم ، فحسن إسلامه ، وكتب له رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً إلى قومه . وفى كتابه : بسم الله الرحمن الرحيم ، هذا كتاب من محمد رسول الله ، لرفاعة بن زيد . إنى بعثته إلى قومه عامة ، ومن دخل فيهم يدعوهم إلى الله وإلى رسوله ، فمن أقبل منهم ففى حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين .

فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ، ثم ساروا إلى الحرة : حرة الرجلاء . ونزلوها .

قدوم وفد همدان : قال ابن هشام : وقدم وفد همدان على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنى من أثق به ، عن عمرو بن عبد الله بن أذينة العبدى ، عن أبى إسحاق السبيعى ، قال : قدم وفد همدان على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — منهم : مالك بن نمط ، وأبو ثور ، وهو ذو المشعار ، ومالك بن أيفع وضمام بن مالك السلمانى وعميرة ابن مالك الخارفى ، فلقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات . والعمائم العدنية ، برحال الميس على المهرية والأرحبية ومالك بن نمط ورجل آخر يرتجزان بالقوم ، يقول أحدهما :

همدان خير سوقة وأقيال ليس لها فى العالمين أمثال
محلها الهضب ومنها الأبطال لها إطابات بها وآكال

ويقول الآخر:

إليك جاوزن سواد الريف فى هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يديه ، فقال : يا رسول الله ، نصية من همدان ، من كل حاضر وباد ، أتوك على قلص نواج ، متصلة بحبائل الإسلام ، لا تأخذهم فى الله لومة لائم ، من مخلاف خارف ويام وشاكر أهل السود والقود ، أجابوا دعوة الرسول ، وفارقوا آلهات الأنصاب ، عهدهم لاينقض ما أقامت لعلع ، وما جرى اليعفور بصلع .

فكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاباً فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم : هذا كتاب من رسول الله محمد ، لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل ، مع وفدها ذى المشعار مالك بن نمط ومن أسلم من قومه، على أن لهم فراعها ووهاطها ، ماأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة، يأكلون علافها ويرعون عافيها ، لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله ، وشاهدهم المهاجرون والأنصار . فقال فى ذلك مالك بن نمط :

ذكرت رسول الله فى فحمة الدجى	ونحن بأعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طـلائح تغتلى	بركبانها فى لاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة	تمـر بنا مر الهجف الخفيدد
حلفت برب الراقصات إلى منى	صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق	رسول أتى من عند ذى العرش مهتدى
فما حملت من ناقة فوق رحلها	أشد على أعدائه من محمد
وأعطى إذا ما طالب العرف جاءه	وأمضى بحـد المشرفى المهند

ذكر الكذابين مسيلمة الحنفى والأسود العنسى : قال ابن إسحاق : وقد كان تكلم فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذابان مسيلمة بن حبيب باليمامة فى حنيفة ، والأسود بن كعب العنسي بصنعاء .

قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط ، عن عطاء بن يسار أو أخيه سليمان بن يسار ، عن أبى سعيد الخدرى ، قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يخطب الناس على منبره ، وهو يقول ، أيها الناس ، إنى قد رأيت ليلة القدر ، ثم أنسيتها ، رأيت فى ذراعي سوارين من ذهب ، فكرهتهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما هذين الكذابين : صاحب اليمن ، وصاحب اليمامة .

حديث الرسول عن الدجالين : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن أبى هريرة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقوم الساعة حتى يخرج ثلاثون دجالا ، كلهم يدعى النبوة .

خروج الأمراء والعمال على الصدقات : قال ابن إسحاق : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث أمراءه وعماله على الصدقات ، إلى كل ما أوطأ الإسلام من البلدان ، فبعث المهاجر بن أبى أمية بن المغيرة إلى صنعاء ، فخرج عليه العنسى وهو بها ، وبعث زيادة بن لبيد ، أخا بنى بياضة الأنصارى ، إلى حضرموت وعلى صدقاتها ؛ وبعث عدى بن حاتم على طيء وصدقاتها ، وعلى بنى أسد ، وبعث مالك بن نويرة — قال ابن هشام : اليربوعى — على صدقات بنى حنظلة ، وفرق صدقة بنى سعد على رجلين منهم ، فبعث الزبرقان بن بدر على ناحية منها ، وقيس بن عاصم على ناحية، وكان قد بعث العلاء بن الحضرمى على البحرين، وبعث علي بن أبي طالب رضوان الله عليه إلى أهل نجران، ليجمع صدقتها ويقدم عليه بجزيتهم .

كتاب مسيلمة إلى رسول الله والجواب عنه : وقد كان مسيلمة بن حبيب ، قد كتب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم: من مسيلمة رسول الله ، إلى محمد رسول الله: سلام عليك ، أما بعد ، فإنى قد أشركت فى الأمر معك ، وإن لنا نصف الأرض ، ولقريش نصف الأرض ولكن قريشاً قوم يعتدون.

فقدم عليه رسولان له بهذا الكتاب .

قال ابن إسحاق : فحدثنى شيخ من أشجع ، عن سلمة بن نعيم بن مسعود الأشجعى ، عن أبيه نعيم ، قال : سمعت

رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لهما حين قرأ كتابه : فما تقولان أنتما ؟ قالا : نقول كما قال ، فقال : أما والله لولا أن الرسل لا تقتل لضربت أعناقكما.

ثم كتب إلى مسيلمة : بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله ، إلى مسيلمة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى . أما بعد : الأرض لله يورثها من يشاء من عباده ، والعاقبة للمتقين.

وذلك فى آخر سنة عشر .

قدوم الوفود على رسول الله صلى الله عليه وسلم

حديث وفد عبد القيس : من أصح ما جاء فى هذا الباب حديث وفد عبد القيس ، وهم الذين قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : مرحباً بالوفد غير خزايا ولا ندامى ، وقد تكرر حديثهم فى الصحيحين دون تسمية أحد منهم فنهم أشج عبد القيس ، وهو المنذر بن عائذ ، قال له النبى صلى الله عليه وسلم: إن فيك خلتين يحبهما الله ورسوله :الحلم والأناة ، ومنهم أبو الوازع الزارع بن عامر وابن أخته مطر بن هلال العنزى .

ولما ذكروا للنبى صلى الله عليه وسلم أنه ابن أختهم قال : ابن أخت القوم منهم. ومنهم : ابن أخى الزارع ،وكان مجنوناً ، فجاء به معه ليدعو له النبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ فمسح ظهره ودعا له فبرىء لحينه ، وكان شيخاً كبيراً فكسى جمالا وشباباً ، حتى كان وجهه وجه العذراء ، ومنهم الجهم بن قثم لما نهاهم النبى صلى الله عليه السلام عن الشرب فى الأوعية وحذرهم مايقع فى ذلك من الجراح، وأخبرهم أنهم إذا شربوا المسكر عمدأحدهم إلى ابن عمه ، فجرحه ، وكان فيهم رجل قد جرح فى ذلك وكان يخفى جرحه ويكتمه ، وذلك الرجل هو جهم بن قثم ، عجبوا من علم النبى عليه السلام بذلك ، وإشارته إلى ذلك الرجل .

ومنهم : أبو خيرة الصباحى من بنى صباح بن لكيز من حديثه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : اللهم اغفر لعبد القيس ، وأنه زودهم الأراك يستاكون به ، ومنهم: مزيدة العصرى جدهود بن عبد الله بن سعد بن مزيدة وعلى هود يدور حديثه فى التمر البرنى، وأنه دواء ، وليس فيه داء ، ومنهم :قيس بن النعمان ذكره أبو داود فى كتاب الأشربة ، فهذا ما بلغنى من تسمية من وفد على النبى صلى الله عليه وسلم فى وفد عبد القيس .

وذكر فى الوفود الحتات بن يزيد وقول الفرزدق لمعاوية فيه :

فما بال ميراث الحتات أكلته

البيت ، وبعده فى غير سيرة ابن إسحاق :

فلو أن هذا كان فى غير ملككم   لبؤت بها أو غص بالماء شاربه

عطارد صاحب الحلة : وذكر فيهم عطارد بن حاجب بن زرارة ، وهو صاحب الحلة التى قال فيها النبى صلى الله عليه وسلم إنما يلبس هذه الحلة من لا خلاق له ، وقول عمر رضى الله عنه : أتكسونى هذه ، وقد قلت فى حلة عطارد ماقلت، وكان سبب تلك الحلة أن حاجب بن زرارة أبا عطارد كان وفد على كسرى ليأخذ منه أماناً لقومه ليقربوا من ريف العراق لجدب أصاب بلادهم ، فسأله كسرى رهناً ليستوثق بها منهم ، فدفع إليه قوسه رهينة فاستحمقه الملك وضحك منه ، فقيل له : أيها الملك إنهم العرب لو رهنك أحدهم تبنة ما أسلمها غدراً فقبلها منه كسرى ، فلما أخصبت بلادهم انتشروا راجعين إليها ، وجاء حاجب يطلب قوسه، فعند ذلك كساه كسرى تلك الحلة التى كانت عند عطارد المذكورة فى جامع الموطأ . ذكره ابن قتيبة فى المعارف أو معناه ، وفى الموطأ أن عمر رضى الله عنه ـ كسا الحلة أخاله مشركاً

بمكة ، قال ابن الحذاء : كان أخاه لأمه ، واسمه : عثمان بن حكيم الثقفي ، وهو جد سعيد بن المسيب لأمه ، هكذا ذكر في تسمية رجال الموطأ ، وغلط من وجهين ، أحدهما أنه قال: كان أخا عمر لأمه ، وإنما هو أخو زيد بن الخطاب لأمه أسماء بنت وهب بن أسد بن خزيمة ، وأما أم عمر فهي حنتمة بنت هاشم بن المغيرة ، والغلط الثاني أنه جعله ثقيفيا وإنما هو سلمى ، وهو عثمان بن حكيم بن أمية بن مرة بن هلال ابن فالج بن ذكوان بن ثعلبة بن بهثة بن سليم ، هكذا نسبه الزبير . وبنته أم سعيد ، ولدت سعيد بن المسيب .

عمرو بن الاهتم : وذكر فيهم عمرو بن الأهتم ونسبه ، واسم الأهتم : سمى بن سنان ، وهو جد شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان الخطيبين البليغين ، وسمى بالأهتم ، لأن قيس بن عاصم ضربه فهتم فاه .

كرسي الله : وذكر خطبة ثابت بن قيس ، وفيها وسع كرسيه علمه ، وفيه رد على من قال : الكرسي هو العلم ، وكذلك من قال هو القدرة ، لأنه لا توصف القدرة والعلم بأن العلم وسعها ، وإنما كرسيه ما أحاط بالسموات والأرضين ، وهو دون العرش كما جاءت به الآثار ، فعلمه سبحانه قد وسع الكرسي بما حواه من دقائق الأشياء وجلائلها وجملها وتفاصيلها ، وقد قيل : إن الكرسي في القرآن هو العرش ، وهو قول الحسن ، وفي هذا الحديث ما يكاد أن يكون حجة لهذا القول ، لأنه لم يرد أن العلم وسع الكرسي ، فما دونه على الخصوص ، دون ما فوقه ، فجائز أن يريد به العرش ، وما تحته والله أعلم . فإن صحت الرواية عن ابن عباس أن الكرسي هو العلم ، فمؤولة ، كأنه لم يقصد تفسير لفظ الكرسي ؛ ولكن أشار إلى أن معنى العلم والإحاطة يفهم من الآية ، لأن الكرسي الذي هو عند العرب موضع القدمين من سرير الملك إذا وسع ماوسع ، فقد وسعه علم الملك وملكه وقدرته ، ونحو هذا ، فليس في أن يسع الكرسي ما وسعه مدح وثناء على الملك سبحانه ، إلا من حيث تضمن سعة العلم والملك ، وإلا فلا مدح في وصف الكرسي بالسعة ، والآية لا محالة واردة في معرض المدح والتعظيم للعلي العظيم الذي لا يئوده حفظ مخلوقاته كلها ، وهو الحي القيوم ، وقوى الطبري قول ابن عباس ، واحتج له بقوله عز وجل « ولا يئوده حفظهما » وبأن العرب تسمى العلماء كراسي قال : ومنه سميت الكراسي(١) لما تضمنه وتجمعه من العلم ، وأنشد :

تحفهم بيض الوجوه وعصبة كراسي بالأحداث حين تنوب

أي عالمون بالأحداث .

الزبرقان وشعره : وذكر شعر الزبرقان ، وأن بعض الناس ينكر الشعر له ، وذكر البرقي أن الشعر لقيس بن عاصم المنقري ، وكان الزبرقان يرفع له بيت من عمائم وثياب ، وينضخ بالزعفران والطيب ، وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت . قال الشاعر ، وهو المخبل السعدي ، واسمه كعب بن ربيعة بن قتال :

وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المزعفرا

والسب العمامة ، وأحسبه أشار إلى هذا المعنى بقوله :

بما ترى الناس تأتينا سراتهم

البيت . وليس السراة جمع سرى كما ظنوا ، وإنما هو كما تقول ذروتهم وسنامهم ، وسراة كل شيء : أعلاه ، وقد أوضحناه فيما مضى من هذا الكتاب ، والزبرقان من أسماء القمر . قال الشاعر :

تضيء به المنابر حين يرقى عليها مثل ضوء الزبرقان

والزبرقان أيضاً : الخفيف العارضين ، وكانت له ثلاثة أسماء : الزبرقان والقمر والحصين ، وثلاث كنى : أبو العباس ، وأبو شذرة ، وأبو عياش ، وهو الزبرقان بن بدر بن امرىء القيس بن خلف بن بهدلة بن عوف بن كعب ابن سعد بن زيد مناة بن تميم .

---

(١) جمع كراس .

شعرحسان فى الرد على الزبرقان : وقول حسان :

ببيت حريد عزه وثراؤه

يريد : بيت شرفهم من غسان وهم ملوك الشام ، وهم وسط الأعاجم ، والبيت الحريد : المنفرد عن البيوت ، كما انفردت غسان ، وانقطعت عن أرض العرب ، وكان حسان يضرب بلسانه أرنبة أنفه هو وابنه وأبوه وجده ، وكان يقول : لو وضعته يعنى لسانه على حجر لفلقه ، أو على شعر لحلقه ، وما يسرنى به مقول من معد .

وقول حسان . يخاض إليه السم والسلع

السلع : شجر مر قال أمية :

عشر ما وفوقه سلع ما عائل ما ، وعالت البيقورا

يريد أنهم كانوا إذا استسقوا فى الجاهلية ربطوا السلع والعشر فى أذناب البقر .

وقوله : شمعوا ، أى : ضحكوا ومزحوا : قال الشاعر يصف الأضياف :

وأبدؤهم بشمعة وأثنى بجهدى من طعام أو بساط

وفى الحديث : من تتبع المشمعة شمع الله به يريد من ضحك من الناس وأفرط فى المزح .

وقوله : أو وازنوا أهل مجد بالندى متعوا

أى : ارتفعوا ، يقال : متع النهار إذا ارتفع .

وقول حسان :

وطبنا أنفساً بفىء المغانم

يريد : طيب نفوسهم يوم حنين حين أعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم ، ولم يعط الأنصار شيئاً .

شرح قول ابن الأهتم لقيس بن عاصم : فصل : وذكر قول عمرو بن الأهتم لقيس بن عاصم :

ظللت مفترش الهلباء تشتمنى عند النبى فلم تصدق ولم تصب

الهلباء : فعلاء من الهلب وهو الخشين من الشعر ، يقال منه : رجل أهلب ، ومنه قول الشعبى فى مشكلة نزلت : هلباء زباء ذات وبر ، كأنه أراد بمفترش الهلباء ، أى : مفترشاً لحيته ، ويجوز أن يريد بمفترش الهلباء ، يعنى امرأة . وقيل : الهلباء ، يريد بها هاهنا دبره ، فإن كان عنى امرأة ، فهو نصب على النداء .

ما نزل فى وفد تميم : وذكر ما أنزل الله تبارك وتعالى فيهم فى سورة الحجرات ، وقد كان عمر وأبو بكر اختلفا فى أمر الزبرقان وعمرو بن الأهتم ، فأشار أحدهما بتقديم الزبرقان ، وأشار الآخر بتقديم عمرو بن الأهتم حتى ارتفعت أصواتهما ، فأنزل الله عز وجل « يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله ، واتقوا الله » إلى قوله: «لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى » فكان عمر بعد ذلك إذا كلم النبى عليه السلام لا يكلمه إلا كأخى السرار .

ان من البيان لسحرا : وفى هذا الوفد جاء الحديث أن رجلين قدما من نجد خطيبا ، فعجب الناس لبيانهما ، فقال النبى صلى الله عليه وسلم : إن من البيان لسحراً ، وأدخله مالك فى باب ما يذم من القول ، من أجل أن السحر مذموم شرعاً ، وغيره يذهب إلى أنه مدح لها بالبيان واستمالة القلوب كالسحر ، وكان من قولها . إن عمراً قال للنبى صلى الله عليه وسلم فى الزبرقان : إنه مطاع فى أدنيه سيد فى عشيرته ، فقال الزبرقان : لقد حسدنى يا رسول الله لشرفى ، ولقد علم أفضل مما قال . قال : فقال عمرو : إنه لزمر المروءة ضيق العطن لئيم الخال ، فعرف الإنكار فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وسخطت فقلت أقبح ما علمت ولقد صدقت

، ،

فى الأولى وما كذبت فى الثانية ، فحينئذ قال النبى صلى الله عليه وسلم : « إن من البيان لسحراً » . وقوله : لئيم الخال ، قيل : إن أمه كانت من باهلة ، قاله ابن ثابت فى الدلائل ، وقد أنكر هذا عليه ، وممن أنكره عليه أبو مروان بن سراج ، فالله أعلم ، لأن أهل النسب ذكروا أن أم الزبرقان عكلية من بنى أقيش ، وعكل وإن كانت تجتمع مع تميم فى أد بن طابخة لكن تميما أشرف منهم ، ولا سيما بنى سعد رهط الزبرقان ، فلذلك جعله عمرو لئيم الخال .

عامر وأربد : فصل : وذكر خبر عامر بن الطفيل وأربد ، وأن أربد قال لعامر : ماهممت بقتل محمد إلا رأيتك بينى وبينه أفأقتلك ؟ ! وفى غير رواية ابن إسحاق : إلا رأيت بينى وبينه سوراً من حديد وكذلك فى رواية غيره ، قال عامر : لأملانها عليك خيلا جرداً ، ورجالا مرداً ، ولأربطن بكل نخلة فرساً ، فجعل أسيد بن حضير يضرب فى رءوسهما ويقول : اخرجا أيها الهجرسان ، فقال له عامر : ومن أنت ؟ فقال : أسيد بن حضير ، فقال : أحضير بن سماك ؟ قال : نعم ، قال أبوك كان خيراً منك فقال : بل أنا خير منك ، ومن أبى ، لأن أبى كان مشركاً ، وأنت مشرك وذكر سيبويه قول عامر : أغدة كغدة البعير ، وموتاً فى بيت سلولية ، فى باب ماينتصب على إضمار الفعل المتروك إظهاره ، كأنه قيل : أغد غدة ، والسلولية امرأة منسوبة إلى سلول بن صعصعة وهم بنو مرة بن صعصعة ، وسلول أمهم ، وهى بنت ذهل بن شيبان ، وكان عامر بن الطفيل من بنى عامر بن صعصعة ، فلذلك اختصها لقرب النسب بينهما ، حتى مات فى بيتها . وأما أشعار لبيد فى أربد ففيها قوله :

تطير عدائد الأشراك شفعا ووتراً والزعامة للغلام

الزعامة : الرياسة ، وقيل : أراد بالزعامة هنا بيضة السلاح ، والأشراك : الشركاء ، والعدائد : الأنصباء مأخوذ من العدد ، ويقال : إن أربد حين أصابته الصاعقة أنزل الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم : « ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء » يعنى أربد والله أعلم . وعامر وأربد يجتمعان فى جعفر بن كلاب بن ربيعة بن عامر ، وأمهما واحدة ، وسائر شعر لبيد فى أربد مرغوب عن الاشتغال بشرحه بناء على أصلنا المتقدم ، والله ولى التوفيق .

لبيد : على أن لبيد رحمه الله قد أسلم وحسن إسلامه ، وعاش فى الإسلام ستين سنة ، لم يقل فيها بيت شعر ، فسأله عمر عن تركه الشعر ، فقال : ما كنت لأقول شعراً بعد أن علمنى الله البقرة وآل عمران ؛ فزاده عمر فى عطائه خمسمائة درهم ؛ من أجل هذا القول ، فكان عطاؤه ألفين وخمسمائة ، فلما كان معاوية ، أراد أن ينقصه من عطائه الخمسمائة ، وقال له : ما بال العلاوة فوق الفودين ؟ فقال له لبيد : الآن أموت ، فرق له معاوية وتركها له ، فمات لبيد إثر ذلك بأيام قليلة ، وقد قيل إنه قال بيتاً واحداً فى الإسلام :

الحمد لله إذا لم يأتنى أجلى حتى اكتسيت من الإسلام سربالا

وفد جرش : فصل : وذكر وفد جرش ، وأن خثعم ضوت إليها حين حاصرهم صرد بن عبد الله وأنشد :

حتى أتينا حميراً فى مصانعها وجمع خثعم قد شاعت لها النذر

ويروى خميراً بالخاء المعجمة وفى حمير حمير الأدنى ، وهو حمير بن الغوث بن عوف بن مالك بن زيد بن شدد بن زرعة وهو حمير الأصغر بن سبأ الأصغر بن كعب كهف الظلم بن زيد الجمهور بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس ابن وائل بن الغوث بن حيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن الهميسع بن حمير الأكبر وهو العرنجج ، وقال الأبرهى : وهو من علماء حمير بالنسب وهو منسوب إلى أبرهة بن الصباح الحميرى فى حمير الأدنى المبدوء بذكره حمير ، وعلى هذا القول تصح رواية الخاء المنقوطة ، ومن رواه بالحاء المهملة فهو تصغير حمير تصغير الترخيم ، والعرنجج فى لغة : حمير العتيق .

حديث ضمام : فصل : وذكر حديث ضمام بن ثعلبة ، وهو الذى قال فيه طلحة بن عبيد الله : جاءنا أعرابى من أهل نجد ثائر الرأس يسمع دوى صوته ، ولا يفقه ما يقول ، حتى دنا ، فإذا هو يسأل عن الإسلام ، الحديث، رواه مالك فى الموطأ عن عمه عن جده عن طلحة ، وقد ترجم عليه أبو داود لما فيه من دخول المشرك المسجد .

وذكر معه حديث اليهود حين دخلوا المسجد ، وذكروا أن رجلا منهم ، وامرأة زنيا ، وقال به الشافعى ، وكره مالك دخول الذمى المسجد ، وخصص أبو حنيفة المسجد الحرام لقول الله تبارك وتعالى : « إنما المشركون نجس ، فلا يقربوا المسجد الحرام » الآية ، وتعلق مالك بالعلة التى نبهت عليها الآية ، وهى التنجيس ، فعم المساجد كلها .

الجارود العبدى وحديثه : فصل . وذكر الجارود العبدى ، وهو بشر بن عمرو بن المعلى ، يكنى أبا المنذر ، وقال الحاكم : يكنى أبا غياث وأبا عتاب ، وسمى الجارود لأنه أغار على قوم من بكر ، فجردهم قال الشاعر :

ودسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل

وذكر فى آخر حديث الجارود الغرور بن النعمان بن المنذر ، وكان كسرى حين قتل النعمان صير أمر الحيرة إلى هانى بن قبيصة الشيبانى ، ولم يبق لآل المنذر رسم ولا أمر يذكر حتى كانت الردة ، ومات هانىء بن قبيصة فأظهر أهل الردة أمر الغرور بن النعمان ، واسمه : المنذر ، وإنما سمى الغرور ، لأنه غر قومه فى تلك الردة ، أو غروه واستعانوا به على حربهم فقتل هنالك ، وزعم وثيمة بن موسى أنه أسلم بعد ارتداده ، والله أعلم .

وفد بنى حنيفة ونسبها ونسب مسيلمة : فصل : وذكر وفد بنى حنيفة ، واسم حنفية أثال بن لجيم بن سعد بن على بن بكر بن وائل مع مسيلمة على النبى صلى الله عليه وسلم ، وهو مسيلمة بن ثمامة بن كبير بن حبيب بن الحارث ابن عبدالحارث بن هفان بن ذهل بن الدول بن حنيفة يكنى أبا ثمامة ، وقيل : أبا هارون ، وكان يسمى بالرحمن فيما روى عن الزهرى قبل مولد عبد الله والد رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وقتل وهو ابن مائة وخمسين سنة وكانت قريش حين سمعت بسم الله الرحمن الرحيم ، قال قائلهم : دق فوك ، إنما تذكر مسيلمة رحمان اليمامة ، وكان الرحال الحنفى ، واسمه نهار بن عنفوة ، والعنفوة يابس الحلى ، وهو نبات ، وذكره أبو حنيفة ،فقال فيه : عنثو بالثاء المثلثة ، وقال : هو يا بس الحلى ، والحلى : النصى ، وهو نبت — قدم فى وفد اليمامة على النبى صلى الله عليه وسلم فآمن وتعلم سوراً من القرآن ، فرآه النبى — صلى الله عليه وسلم — يوماً جالساً مع رجلين من أصحابه ، أحدهما فرات ابن حيان ، والآخر : أبو هريرة ، فقال : ضرس أحدكم فى النار مثل أحد فما زالا خائفين حتى ارتد الرحال ، وآمن بمسيلمة وشهد زوراً أن النبى — صلى الله عليه وسلم — قد شركه معه فى النبوة ، ونسب إليه بعض ما تعلم من القرآن فكان من أقوى أسباب الفتنة على بنى حنفية ، وقتله زيد بن الخطاب يوم اليمامة ، ثم قتل زيد بن الخطاب سلمة بن صبيح الحنفى ، وكان مسيلمة صاحب نيروجات يقال : إنه أول من أدخل البيضة فى القارورة ، وأول من وصل جناح الطائر المقصوص ، وكان يدعى أن ظبية تأتيه من الجبل ، فيحلب لبنها وقال رجل من بنى حنيفة يرثيه :

لهفى عليك أبا ثمامة لهفى على ركنى شمامه
كم آية لك فيهم كالشمس تطلع من غمامه

وكذب بل كانت آياته منكوسة ، تفل فى بئر قوم سألوه ذلك تبركا فلح ماؤها ، ومسح رأس صبى فقرع قرعاً فاحشاً ، ودعا لرجل فى ابنين له بالبركة ، فرجع إلى منزله فوجد أحدهما قد سقط فى البئر ، والآخر قد أكله الذئب ومسح على عينى رجل استشفى بمسحه ، فابيضت عيناه .

مؤذن مسيلمة وسجاح : واسم مؤذنه : حجير ، وكان أول ما أمر أن يذكر مسيلمة فى الأذان توقف ، فقال له

محكم بن الطفيل : صرح حجير ، فذهبت مثلا . وأما سجاح التي تنبأت في زمانه وتزوجها ، فكان مؤذنها جنبة بن طارق ، وقال القتبي : اسمه : زهير بن عمرو ، وقيل : إن شبث بن ربعي أذن لها أيضاً ، وتكنى أم صادر ، وكان آخر أمرها أن أسلمت في زمان عمر ، كل هذا من كتاب الواقدي وغيره . وكان محكم بن طفيل الحنفي ، صاحب حربه ومدبر أمره ، وكان أشرف منه في حنيفة ، ويقال فيه : محكم ومحكم ، بتشديد الكاف وفتحها أو بالتشديد مع الكسر وفيه يقول حسان بن ثابت :

يا محكم بن طفيل قد أتيح لكم ... لله در أبيكم حية الوادي

وقال أيضاً :

يخبطان بالأيدي حياض محكم

زوجة مسيلمة : وقول ابن إسحاق : أنزلوا ، يعني وفد بني حنيفة بدار الحارث الصواب : بنت الحارث ، واسمها : كيسة بنت الحارث بن كريز بن حبيب بن عبد شمس ، وقد تقدم في غزوة قريظة الكلام على كيسة : وكيسة بالتخفيف وأنها كانت امرأة لمسيلمة قبل ذلك ، فلذلك أنزلهم بدارها وكانت تحت مسيلمة ، ثم خلف عليها عبد الله بن عامر ، وذكرنا هنالك أن الصواب ما قاله ابن إسحاق أن اسم تلك المرأة زينب بنت الحارث ، كذا وقع في رواية يونس عن ابن إسحاق ، والمذكورة هاهنا كيسة بنت الحارث ، وإياه عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خطب ، فقال : أريت في يدي سوارين من ذهب فكرهتهما ، فنفخت فيهما فطارا فأولتهما كذاب اليمامة والعنسي ، صاحب صنعاء ، فأما مسيلمة فقتله خالد بن الوليد ، وأفنى قومه قتلا وسبياً .

مسعود العنسي . وأما مسعود بن كعب العنسي ، وعنس من مذحج ، فاتبعته قبائل من مذحج واليمن على أمره وغلب على صنعاء ، وكان يقال له ذو الخمار ، ويلقب : عيهلة ، وكان يدعي أن سحيقاً وشريقاً يأتيانه بالوحي ، ويقول هما ملكان يتكلمان على لساني ، فخدع كثيرة يزخرف بها ، وهو من ولد مالك بن عنس وبنو عنس جشم وجشيم ومالك وعامر وعمرو ، وعزيز ومعاوية وعتيكة وشهاب والقرية ويام ومن ولد يام بن عنس عمار بن ياسر ، وأخوه عبد الله وحويرث ابنا ياسر بن عمر بن مالك ، قتله فيروز الديلمي ، وقيس بن مكشوح وداذويه رجل من الأبناء دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الأبناء ، فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر ، فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون :

ضل نبي مات وهو سكران ... والناس تلقى جلهم كالذبان
النور والنار لديهم سيان

ذكره الدولابي ، وزاد ابن إسحاق في رواية يونس عنه أن امرأته سقته البنج في شرابه تلك الليلة ، وهي التي احتفرت السرب للدخول عليه ، وكان اغتصبها ، لأنها كانت من أجمل النساء ، وكانت مسلمة صالحة ، وكانت تحدث عنه أنه لا يغتسل من الجنابة ، واسمها المرزبانة ، وفي صورة قتله اختلاف .

وقوله صلى الله عليه وسلم : أريت سوارين من ذهب ، فنفختهما فطارا . وقال بعض أهل العلم بالتعبير . وتأويل نفخه لهما أنهما بريحه قتلا ، لأنه لم يغزهما بنفسه ، وتأويل الذهب أنه زخرف ، فدل لفظه على زخرفهما ، وكذبهما ، ودل الإسواران بلفظهما على ملكين لأن الأساورة هم الملوك ، وبمعناهما على التضييق عليه لكون السوار مضيقاً على الذراع .

زيد الخيل فصل : وذكر زيد الخيل ، وهو زيد بن مهلهل بن زيد بن منهب ، يكنى . أبا مكنف الطائي ، واسم طيء أدد . وقيل له . زيد الخيل لخمس أفراس ، كانت له لها أسماء أعلام ذهب عني حفظها الآن(١)

(١) ذكر أسماءها البكري وهي : الهطال ، والكميت ، والورد ، والكامل ، وذؤول .

وذكر قوله صلى الله عليه وسلم : إن ينج زيد من حمى المدينة .

قال الراوى : ولم يسمها باسمها الحمى ، ولا أم ملدم ، سماها باسم آخر ذهب عنى ، والاسم الذى ذهب عن الراوى من أسماء الحمى ، هو أم كلبة ، ذكر لى أن أبا عبيدة ذكره فى مقاتل الفرسان ، ولم أره ، ولكن رأيت البكرى ذكره فى باب أفرده من أسماء البلاد ، ولها أيضاً اسم سوى هذه الأسماء ذكره ابن دريد فى الجمهرة ، قال : سباط ، من أسماء الحمى على وزن رقاش ، وأما أم ملدم ، فيقال بالدال ، وبالذال ، وبكسر الميم وفتحها ، وهو (من) اللدم وهو شدة الضرب ، ويحتمل أن يكون أم كلبة هذا الاسم مغيراً من كلبة بضم الكاف ، والكلبة شدة الرعدة ، وكلب البرد شدائده ، فهذه أم كلبة بالهاء ، وهى الحمى ، وأما أم كلب ، فشجرة لها نور حسن ، وهى إذا حركت أنتن شىء . وزعم أبو حنيفة أن الغنم إذا مستها ، لم تستطع أن تقرب الغنم ليلتها تلك من شدة إنتانها .

وذكر فى خبر زيد الخيل فى رواية أبى على البغدادى ماهذا نصه : خرج نفر من طىء يريدون النبى عليه السلام بالمدينة وفوداً ، ومعهم زيد الخيل ووزر بن سدوس النبهانى وقبيصة بن الأسود بن عامر بن جوين الجرمى ، وهو النصرانى ، ومالك بن عبد الله بن خيبرى بن أفلت بن سلسلة ، وقعين بن خليف الطريفى رجل من جديلة ، ثم من بنى بولان ، فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا ، فجلسوا قريباً من النبى — صلى الله عليه وسلم — حيث يسمعون صوته ، فلما نظر النبى — صلى الله عليه وسلم — إليهم ، قال : إنى خير لكم من العزى ، ولاتها ، ومن الجمل الأسود الذى تعبدون من دون الله ، ومما حازت مناع ، من كل ضار غير نفاع ، فقام زيد الخيل ، فكان من أعظمهم خلقاً وأحسنهم وجها وشعراً ، وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه فى الأرض كأنه حمار ، فقال له النبى صلى الله عليه وسلم — وهو لايعرفه : الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك ، وسهل قلبك للإيمان ، ثم قبض على يده ، فقال : من أنت ؟ فقال : أنا زيد الخيل بن مهلهل ، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك عبد الله ورسوله ، فقال له : بل أنت زيد الخير ، ثم قال : يازيد ما خبرت عن رجل شيئاً قط إلا رأيته دون ماخبرت عنه غيرك ، فبايعه ، وحسن إسلامه ، وكتب له كتاباً على ما أراد ، وأطعمه قرى كثيرة ، منها : فيد ، وكتب لكل واحد منهم على قومه إلا وزر بن سدوس ، فقال : إنى لأرى رجلا ليملكن رقاب العرب ، ولا والله لايملك رقبتى عربى أبداً ، ثم لحق بالشام ، وتنصر وحلق رأسه ، فلما قام زيد من عند النبى صلى الله عليه وسلم ، قال : أى فتى لم تدركه أم كلبة ، يعنى : الحمى ، ويقال : بل قال : إن نجا من آجام المدينة ، فقال زيد حين انصرف :

أنيخت بآجام المدينة أربعاً ... وعشراً يغنى فوقها الليل طائر
فلما قضت أصحابها كل بغية ... وخط كتاباً فى الصحيفة ساطر
شددت عليها رحلها وشليلها ... من الدرس والشعراء والبطن ضامر

الدرس : الجرب . والشعراء : ذباب قال أبو الحسن المدائنى فى حديثه : وأهدى زيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم مخذماً والرسوب ، وكانا سيفين لصنم بلى الفلس فلما انصرفوا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما قدم على رجل من العرب يفضله قومه إلا رأيته دون ما يقال إلا ماكان من زيد ، فإن ينج زيد من حمى المدينة فلأمر ما هو . وقوله :

ألا رب يوم لو مرضت لعادنى ... عوائد من لم يبر منهن يجهد

وبعده :

فليت اللواتى عدننى لم يعدننى ... وليت اللواتى غبن عنى شهدى

. . . .

قدوم عدى بن حاتم : وهو عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن حشرج بن امرىء القيس بن عدى بن ربيعة بن جزول بن ثعل بن عمرو بن الغوث بن طيء يكنى أبا ظريف ، وحديث إسلامه صحيح عجيب خرجه الترمذى ، وأخته التى ذكر إسلامها أحسب اسمها سفانة ، لأنى وجدت فى خبر عن امرأة حاتم تذكر فيه من سخائه قالت : فأخذ حاتم عدياً يعلله من الجوع ، وأخذت أنا سفانة ، ولا يعرف لعدى ولد، انقرض عقبه ، ولحاتم عقب من قبل عبد الله ابن حاتم ، ذكره القتبى ، ولا يعرف له بنت إلا سفانة ، فهى إذاً هذه المذكورة فى السيرة والله أعلم ، وأم حاتم : عنبة بنت عفيف كانت من أكرم الناس وهى التى تقول :

لعمرى لقد ماعضنى الجوع عضة   فآليت ألا أحرم الدهر جائعاً

والسفانة : الدرة ، وبها كان يكنى حاتم .

حديث فروة : وذكر ابن إسحاق حديث فروة وقوله :

طرقت سليمى موهناً أصحابى   والروم بين الباب والقروان

القروان : يجوز أن يكون جمع قرو ، وهو حوض الماء مثل صنوان ، ويجوز أن يكون جمع : قرى مثل صليب وصلبان . وأصح ماقيل فى القرو إنه حويض من خشب تسقى فيه الدواب ، وتلغ فيه الكلاب ، وفى المثل : مافيها لاعى قرو ، أى : مافى الدار حيوان ، وأراد : بلاعى قرو ، لاعق قرو ، وقلب القاف الأولى ياء للتضعيف .

وحسن ذلك أنه اسم فاعل ، وقد يبدلون من آخر حرف فى اسم الفاعل ياء ، وإن لم يكن ثم تضعيف ، كقولهم فى الخامس : خاميهم ، وفى سادسهم ساديهم ، وكذلك إلى العاشر ، ونحو منه : ما أنشد سيبويه .

ولضفادى جمه نقانق

أى لضفادع جمه ، وأنشد :

من الثعالى ووخز من أرانبها

أراد الثعالب وأرانبها ، وإذا كان هذا معروفاً فلاعى قرو أحق أن يقلب آخره ياء كراهة اجتماع قافين .

وذكر قدوم وفد كندة ، وفيه قوله عليه السلام : لا نقفو أمنا ، ولا ننتفى من أبينا ، وفى هذا مايدل على أن الأشعث قد أصاب فى بعض قوله : نحن وأنت بنو آكل المرار ، وذلك أن فى جدات النبى صلى الله عليه وسلم من هى من ذلك القبيل ، منهن : دعد بنت سرير بن ثعلبة بن الحارث الكندى المذكور ، وهى أم كلاب بن مرة ، وقيل : بل هى جدة كلاب أم أمه هند ، وقد ذكر ابن إسحاق هنداً هذه ، وأنها ولدت كلاباً .

قدوم وفد بنى الحارث : ذكر فيهم يزيد بن عبد المدان ، واسم عبد المدان عمرو بن الديان ، والديان اسمه : يزيد بن قطن بن زياد بن الحارث بن مالك بن ربيعة بن كعب بن الحارث بن كعب الحارثى .

وذكر فيهم أيضاً ذا الغصة ، واسمه الحصين بن يزيد بن شداد الحارثى ، وقيل له : ذو الغصة ، لغصة كانت فى حلقه لا يكاد يبين منها ، وذكره عمر بن الخطاب يوماً ، فقال : لا تزاد امرأة فى صداقها على كذا وكذا ، ولو كانت بنت ذى الغصة .

وذكر فيهم عمرو بن عبد الله الضبابى ، وهو ضباب بكسر الضاد فى بنى الحارث بن كعب بن مذحج ، وضباب أيضاً فى قريش وهو ابن حجير بن عبد بن معيص بن عامر أخو حجر بن عبد . وفى حجر وحجير يقول الشاعر :

أنبئت أن غواة من بنى حجر   ومن حجير بلا ذنب أراغونى

أغنوا بنى حجر عنا غواتكم   ويا حجير إليكم لا تبورونى

. . . .

والضباب فى بنى عامر بن صعصعة ، وهم ضباب ومضب وحسل وحسيل بنو معاوية بن كلاب ، وأما الضباب بالفتح، ففى نسب النابغة الذبيانى ضباب بن يربوع بن غيظ ، وأما الضباب بالضم فزيد ومنجا ابنا ضباب من بنى بكر ، ذكره الدارقطنى .

وفود رفاعة : فصل : وذكر وفود رفاعة الضبيبى ، وأنه أهدى لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً ، وذلك الغلام هو الذى يقال له : مدعم ، ووقع ذكره فى الموطأ .

وذكر وفد همدان ، ومالك بن نمط الهمدانى الذى يقال له المشعار ، وكنيته : أبو ثور وقع فى النسخة ، وفى أكثر النسخ : وأبو ثور بالواو ، كأنه غيره ، والصواب سقوط الواو ، لأنه هو هو ، وقد يخرج إثبات الواو على إضمار هو ، كأنه قال : وهو أبو ثور ذو المشعار ، وقد ذكره ابن قتيبة ، فقال فى غريب الحديث : مالك ذو المشعار ، وذكره أبو عمر فقال : هو ذو المشعار يكنى : أبا ثور ، وفى الكتاب الذى كتبه له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا كتاب من محمد رسول الله إلى مخلاف خارف ويام وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار مالك بن نمط ، فهذا كله يدل على أن الواو فى قوله : وأبو ثور ذو المشعار لا معنى له .

وقوله : عليهم مقطعات الحبرات : المقطعات من الثياب فى تفسير أبى عبيد ، هى القصار ، واحتج بحديث ابن عباس فى صلاة الضحى إذا انقطعت الظلال ، أى : قصرت ، وبقولهم فى الأراجيز : مقطعات ، وخطأه ابن قتيبة فى هذا التأويل ، وقال : إنما المقطعات الثياب المخيطة كالقمص ونحوها ، سميت بذلك لأنها تقطع وتفصل ثم تخاط ، واحتج بحديث رواه عن بعض ولد عبد الملك بن مروان ، وفيه أنه خرج وعليه مقطعات يجرها ، فقال له شيخ من بنى أمية : لقد رأيت أباك ، وكان مشمراً غير جرار لثيابه ، فقال له الفتى : لقد هممت بتقصيرها ، فمنعنى قول الشاعر فى أبيك :

قصير الثياب فاحش عند ضيفه ... لشر قريش فى قريش مركبا

والظاهر فى قوله عليهم مقطعات الحبرات ما قاله ابن قتيبة ولا معنى لوصفها بالقصر فى هذا الموطن . والمهرية منسوبة إلى مهرة بن حيدان بن الحاف بن قضاعة . والأرحبية : منسوبة إلى أرحب بطن من همدان . ويام هو يام بن أصبى ، وخارف بن الحارث بطنان من همدان ينسب إلى يام : زبيد بن الحارث بن عبد الكريم اليامى المحدث ، وأهل الحديث يقولون فيه : الأيامى . والفراع : ماعلا من الأرض . والوهاط : ما انخفض منها ، واحدها : وهط . ولعلع : اسم جبل ، والصلع : الأرض الملساء ، والخفيدد : ولد النعامة . والهجف : الضخم .

وذكر حديث عمرو بن معد يكرب ، وقيس بن مكشوح .

وذكر فى الشعر :

تلاق شنبثاً شثن الـ ... ـبراثن ناشزاً قتده

ألفيت بخط الشيخ أبى بحر على هذا البيت قال : قال القاضى : لا أعرف شنبثاً الآن ، ولعله تلاق شر نبثاً ، وجزم تلاق لما فى قوله :

فلو لاقيتنى من قوة الشرط ، فكأنه أراد : إن لاقيتنى تلاق .

حجة الوداع

تجهز الرسول : قال ابن إسحاق: فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ذو القعدة ، تجهز للحج ، وأمر الناس بالجهاز له .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الرحمن بن القاسم ، عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الحج لخمس ليال بقين من ذي القعدة .

استعماله على المدينة أبا دجانة : قال ابن هشام : فاستعمل على المدينة أبا دجانة الساعدي ، ويقال : سباع بن عرفطة الغفاري .

حكم الحائض في الحج : قال ابن إسحاق فحدثني عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه القاسم بن محمد ، عن عائشة ، قالت : لا يذكر ولا يذكر الناس إلا الحج ، حتى إذا كان بسرف وقد ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم معه الهدي وأشراف من أشراف الناس ، أمر الناس أن يحلوا بعمرة ، إلا من ساق الهدي؛ قالت وحضت ذلك اليوم ، فدخل علي وأنا أبكي ، فقال: مالك يا عائشة؛ لعلك نفست؟ قالت : قلت : نعم ، والله لوددت أني لم أخرج معكم عامي في هذا السفر؛ فقال: لا تقولن ذلك ، فإنك تقضين كل ما يقضي الحاج إلا أنك لا تطوفين بالبيت قالت : ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، فحل كل من كان لا هدي معه ، وحل نساؤه بعمرة ، فلما كان يوم النحر أتيت بلحم بقر كثير ، فطرح في بيتي ، فقلت : ما هذا ؟ قالوا : ذبح رسول الله صلى الله عليه وسلم عن نسائه البقر ، حتى إذا كانت ليلة الحصبة ، بعث بي رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أخي عبد الرحمن بن أبي بكر فأعمرني من التنعيم ، مكان عمرتي التي فاتتني .

قال ابن إسحاق : وحدثني نافع ، مولى عبد الله بن عمر ، عن عبد الله بن عمر ، عن حفصة بنت عمر ، قالت : لما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه أن يحللن بعمرة ، قلن : فما يمنعك يا رسول الله أن تحل معنا ؟ فقال : إني أهديت ولبدت ، فلا أحل حتى أنحر هدي .

موافاة علي في قفوله من اليمن رسول الله في الحج .قال ابن إسحاق: وحدثني عبد الله بن أبي نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان بعث عليا رضي الله عنه إلى نجران، فلقيه بمكة وقد أحرم : فدخل على فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنها ، فوجدها قد حلت وتهيأت ، فقال : مالك يابنت رسول الله ؟ قالت : أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نحل بعمرة فحللنا. ثم أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغ من الخبر عن سفره ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، انطلق فطف بالبيت ، وحل كما حل أصحابك . قال: رسول الله إني أهللت كما أهللت؛ فقال : ارجع فاحلل كما حل أصحابك : قال : يارسول الله ، إني قلت حين أحرمت : اللهم إني أهل بما أهل به نبيك وعبدك ورسولك محمد صلى الله عليه وسلم؛ قال : فهل معك من هدي؟ قال :لا. فأشركه رسول الله صلى الله عليه وسلم في هديه، وثبت على إحرامه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى فرغا من الحج ، ونحر رسول الله صلى الله عليه وسلم الهدي عنهما .

قال ابن إسحاق : وحدثني يحيى بن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي عمرة ، عن يزيد بن طلحة بن يزيد بن ركانة. قال : لما أقبل علي رضي الله عنه من اليمن ليلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ، تعجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، واستخلف على جنده الذين معه رجلا من أصحابه ، فعمد ذلك الرجل فكسا كل رجل من القوم حلة من البز الذي كان مع علي رضي الله عنه فلما دنا جيشه خرج ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل ؛ قال : ويلك ! ماهذا ، قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس،قال: ويلك ! انزع قبل أن تنتهي به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال فانتزع الحلل من الناس ، فردها في البز ، قال : وأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم .

قال ابن إسحاق : فحدثني عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر بن حزم، عن سليمان بن محمد بن كعب بن عجرة عن عمته زينب بنت كعب ، وكانت عند أبي سعيد الخدري عن أبي سعيد الخدري ،قال : اشتكى الناس عليا رضوان الله عليه ، فقام رسول الله

صلى الله عليه وسلم فينا خطيباً ، فسمعته يقول : أيها الناس ، لاتشكوا عليا ، فوالله إنه لأخشن فى ذات الله ، أو فى سبيل الله ، من أن يشكى .

خطبة الرسول فى حجة الوداع : قال ابن إسحاق : ثم مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على حجه ، فأرى الناس مناسكهم ، وأعلمهم سنن حجهم ، وخطب الناس خطبته التى بين فيها مابين ، فحمدالله وأثنى عليه ، ثم قال : أيها الناس ، اسمعوا قولى ، فإنى لا أدرى لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس ، إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم ، كحرمة يومكم هذا ، وكحرمة شهركم هذا . وإنكم ستلقون ربكم ، فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا موضوع ، ولكن لكم رءوس أموالكم ، لاتظلمون ولا تظلمون . قضى الله أنه لاربا ، وإن ربا عباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وأن كل دم كان فى الجاهلية موضوع ، وإن أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضعاً فى بنى ليث ، فقتلته هذيل فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية . أما بعد أيها الناس ، فإن الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً ، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم ، فاحذروه على دينكم ، أيها الناس : إن النسىء زيادة فى الكفر ، يضل به الذين كفروا ، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ، ليواطئوا عدة ماحرم الله ، فيحلوا ماحرم الله ، ويحرموا ماأحل الله . وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متوالية ، ورجب مضر ، الذى بين جمادى وشعبان . أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لايوطئن فرشكم أحداً تكرهونه ، وعليهن أن لايأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن فى المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيراً ، فإنهن عندكم عوان لايملكن لأنفسهن شيئاً ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعقلوا أيها الناس قولى ، فإنى قد بلغت ، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً ، أمراً بيناً ، كتاب الله وسنة نبيه . أيها الناس ، اسمعوا قولى واعقلوه ، تعلمن أن كل مسلم أخ للمسلم ، وأن المسلمين إخوة ، فلا يحل لامرىء من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس منه ، فلا تظلمن أنفسكم . اللهم هل بلغت ؟

فذكر لى أن الناس قالوا : اللهم نعم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم اشهد .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد قال : كان الرجل الذى يصرخ فى الناس بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بعرفة ، ربيعة بن أمية بن خلف . قال : يقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم : قل ياأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هلا تدرون أى شهر هذا ؟ فيقول لهم ، فيقولون : الشهر الحرام ، فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا ؛ ثم يقول : قل : ياأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : تدرون أى بلد هذا ؟ قال : فيصرخ به ، قال : فيقولون . البلد الحرام ، قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى إن تلقوا ربكم ، كحرمة بلدكم هذا . قال : ثم يقول : قل . ياأيها الناس ، إن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : هل تدرون أى يوم هذا ؟ قال : فيقوله لهم فيقولون : يوم الحج الأكبر ؛ قال : فيقول : قل لهم : إن الله قد حرم عليكم دماءكم وأموالكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا .

قال ابن إسحاق : حدثنى ليث بن أبى سليم عن شهر بن حوشب الأشعرى ، عن عمرو بن خارجة قال : بعثنى عتاب

ابن أسيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حاجة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم واقف بعرفة ، فبلغته ثم وقفت تحت ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإن لغامها ليقع على رأسى ، فسمعته وهو يقول : أيها الناس ، إن الله قد أدى إلى كل ذى حق حقه ، وإنه لاتجوز وصية للوارث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه ، أو تولى غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لايقبل الله منه صرفاً ولا عدلا .

تعاليم الرسول (ص) للحجاج : قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن أبى نجيح : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقف بعرفة ، قال : هذا الموقف ، للجبل الذى هو عليه ؛ وكل عرفة موقف . وقال حين وقف على قزح صبيحة المزدلفة : هذا الموقف ، وكل المزدلفة موقف . ثم لما نحر بمنى قال : هذا المنحر ، وكل منى منحر . فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم الحج وقد أراهم مناسكهم ، وأعلمهم مافرض الله عليهم من حجهم : من الموقف ، ورمى الجمار ، وطواف بالبيت ، وما أحل لهم من حجهم ، وما حرم عليهم ، فكانت حجة البلاغ ، وحجة الوداع ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يحج بعدها .

بعث اسامة بن زيد الى ارض فلسطين : قال ابن إسحاق : ثم قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام بالمدينة بقية ذى الحجة والمحرم وصفر ، وضرب على الناس بعثاً إلى الشام ، وأمر عليهم أسامة بن زيد بن حارثة مولاه ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم من أرض فلسطين ، فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة بن زيد المهاجرون الأولون .

ارسال رسول الله الى الملوك : قال ابن هشام : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إلى الملوك رسلا من أصحابه ، وكتب معهم إليهم يدعوهم إلى الإسلام .

قال ابن هشام : حدثنى من أثق به عن أبى بكر الهذلى قال . بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه ذات يوم بعد عمرته التى صد عنها يوم الحديبية ، فقال : أيها الناس ، إن الله قد بعثنى رحمة وكافة ، فلا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ؛ فقال أصحابه : وكيف اختلف الحواريون يارسول الله ؟ قال : دعاهم إلى الذى دعوتكم إليه ، فأما من بعثه مبعثاً قريباً فرضى وسلم ، وأما من بعثه مبعثاً بعيداً فكره وجهه وتثاقل ، فشكا ذلك عيسى إلى الله ، فأصبح المتثاقلون وكل واحد منهم يتكلم بلغة الأمة التى بعث إليها .

اسماء الرسل ومن ارسلوا اليهم فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا من أصحابه ، وكتب معهم كتباً إلى الملوك يدعوهم فيها إلى الإسلام . فبعث دحية بن خليفة الكلبى إلى قيصر ، ملك الروم ؛ وبعث عبد الله بن حذافة السهمى إلى كسرى ، ملك فارس ، وبعث عمرو بن أمية الضمرى إلى النجاشى ، ملك الحبشة ، وبعث حاطب بن أبى بلتعة إلى المقوقس ، ملك الإسكندرية ، وبعث عمرو بن العاص السهمى إلى جيفر وعياذ ابنى الجلندى الأزديين ملكى عمان ، وبعث سليط بن عمرو ، أحد بنى عامر بن لؤى ، إلى ثمامة بن أثال ، وهوذة بن على الحنفيين ، ملكى اليمامة ، وبعث العلاء بن الحضرمى إلى المنذر بن ساوى العبدى ، ملك البحرين ، وبعث شجاع بن وهب الأسدى إلى الحارث ابن أبى شمر الغسانى ، ملك تخوم الشام .

قال ابن هشام : بعث شجاع بن وهب إلى جبلة بن الأيهم الغسانى ، وبعث المهاجر بن أبى أمية المخزومى إلى الحارث ابن عبد كلال الحميرى ، ملك اليمن .

قال ابن هشام : أنا نسيت سليطا وثمامة وهوذة والمنذر .

قال ابن إسحاق : حدثني يزيد بن أبي حبيب المصري : أنه وجد كتاباً فيه ذكر من بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى البلدان وملوك العرب والعجم ، وما قال لأصحابه حين بعثهم . قال : فبعثت به إلى محمد بن شهاب الزهري فعرفه؛ وفيه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على أصحابه فقال لهم : إن الله بعثني رحمة وكافة ، فأدوا عني يرحمكم الله ، ولا تختلفوا على كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم ، قالوا : وكيف يارسول الله كان اختلافهم ؟ قال : دعاهم لمثل ما دعوتكم له ، فأما من قرب به فأحب وسلم ، وأما من بعد به فكرهه وأبى ، فشكا ذلك عيسى منهم إلى الله ، فأصبحوا وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه إليهم .

اسماء رسل عيسى: قال ابن إسحاق : وكان من بعث عيسى بن مريم عليه السلام من الحواريين والأتباع ، الذين كانوا بعدهم في الأرض : بطرس الحواري ، ومعه بولس ، وكان بولس من الأتباع ، ولم يكن من الحواريين ، إلى رومية ، وأندرائس ومنتا إلى الأرض التي يأكل أهلها الناس ، وتوماس إلى أرض بابل ، من أرض المشرق ؛ وفيلبس إلى أرض قرطاجنة ، وهي إفريقية ، ويحنس ، إلى إفسوس ، قرية الفتية أصحاب الكهف ، ويعقوبس إلى أوراشلم ، وهي إيلياء ، قرية بيت المقدس ، وابن ثلماء إلى الأعرابية ، وهي أرض الحجاز ، وسيمن إلى أرض البربر ، ويهوذا ولم يكن من الحواريين ، جعل مكان يودس .

ذكر جملة الغزوات

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : حدثنا أبو محمد عبد الملك بن هشام ، قال حدثنا زياد بن عبد الله البكائي عن محمد بن إسحاق المطلبي : وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعاً وعشرين غزوة ، منها غزوة ودان ، وهي غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ، من ناحية رضوى ، ثم غزوة العشيرة من بطن ينبع ، ثم غزوة بدر الأولى ، يطلب كرز بن جابر ، ثم غزوة بدر الكبرى ، التي قتل الله فيها صناديد قريش ، ثم غزوة بني سليم ، حتى بلغ الكدر ، ثم غزوة السويق ، يطلب أبا سفيان بن حرب ، ثم غزوة غطفان ، وهي غزوة ذي أمر ، ثم غزوة بحران ، معدن بالحجاز ، ثم غزوة أحد ، ثم غزوة حمراء الأسد ، ثم غزوة بني النضير ، ثم غزوة ذات الرقاع من نخل . ثم غزوة بدر الآخرة ، ثم غزوة دومة الجندل ، ثم غزوة الخندق ، ثم غزوة بني قريظة ، ثم غزوة بني لحيان ، من هذيل ثم غزوة ذي قرد ، ثم غزوة بني المصطلق من خزاعة ، ثم غزوة الحديبية ، لا يريد قتالا ، فصده المشركون ، ثم غزوة خيبر ، ثم عمرة القضاء ، ثم غزوة الفتح ، ثم غزوة حنين ، ثم غزوة الطائف ، ثم غزوة تبوك . قاتل منها في تسع غزوات : بدر ، وأحد ، والخندق ، وقريظة ، والمصطلق ، وخيبر ، والفتح ، وحنين ، والطائف .

ذكر جملة السرايا والبعوث

وكانت بعوثه صلى الله عليه وسلم وسراياه ثمانياً وثلاثين ، من بين بعث وسرية : غزوة عبيدة بن الحارث أسفل من ثنية ذي المروة ، ثم غزوة حمزة بن عبد المطلب ساحل البحر ، من ناحية العيص ؛ وبعض الناس يقدم غزوة حمزة قبل غزوة عبيدة ، وغزوة سعد بن أبي وقاص الخرار ، وغزوة عبد الله بن جحش نخلة ، وغزوة زيد بن حارثة القردة ، وغزوة محمد بن مسلمة كعب بن الأشرف ، وغزوة مرثد بن أبي مرثد الغنوي الرجيع ، وغزوة المنذر بن عمرو بئر معونة ، وغزوة أبي عبيدة بن الجراح ذا القصة ، من طريق العراق ، وغزوة عمر بن الخطاب تربة من أرض بني عامر ، وغزوة علي بن أبي طالب اليمن ، وغزوة غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب ليث ، الكديد ، فأصاب بني الملوح .

خبر غزوة غالب بن عبد الله الليثي بني الملوح : وكان من حديثها أن يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس ، حدثني عن مسلم بن عبد الله بن خبيب الجهني ، عن المنذر ، عن جندب بن مكيث الجهني ، قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم غالب بن عبد الله الكلبي ، كلب بن عوف بن ليث ، في سرية كنت فيها ، وأمره أن يشن الغارة على بني الملوح ، وهم بالكديد ، فخرجنا ، حتى إذا كنا بقديد لقينا الحارث بن مالك ، وهو ابن البرصاء الليثي ، فأخذناه ، فقال : إني جئت أريد الإسلام ، ما خرجت إلا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلنا له : إن تك مسلماً فلن يضيرك رباط ليلة ، وإن تك على غير ذلك كنا قد استوثقنا منك ، فشددناه رباطاً ، ثم خلفنا عليه رجلا من أصحابنا أسود ، وقلنا له : إن عازك فاحتز رأسه .

قال : ثم سرنا حتى أتينا الكديد عند غروب الشمس ، فكنا في ناحية الوادي ، وبعثني أصحابي ربيئة لهم ، فخرجت حتى آتي تلا مشرفا على الحاضر ، فأسندت فيه ، فعلوت على رأسه ، فنظرت إلى الحاضر ، فوالله إني لمنبطح على التل ، إذ خرج رجل منهم من خبائه ، فقال لامرأته : إني لأرى على التل سواداً ما رأيته في أول يومي ، فانظري إلى أوعيتك هل تفقدين منها شيئاً ، لا تكون الكلاب جرت بعضها ، قال : فنظرت ، فقالت : لا ، والله ما أفقد شيئاً ، قال : فناوليني قوسي وسهمين ، فناولته ، قال : فأرسل سهماً ، فوالله ما أخطأ جنبي ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكاني قال : ثم أرسل الآخر ، فوضعه في منكبي ، فأنزعه فأضعه ، وثبت مكاني ، فقال لامرأته : لو كان ربيئة لقوم لقد تحرك ، لقد خالطه سهماي لا أبالك ، إذا أصبحت فابتغيهما ، فخذيهما ، لا يمضغهما على الكلاب . قال : ثم دخل .

قال : وأمهلناهم ، حتى إذا اطمأنوا وناموا ، وكان في وجه السحر شننا عليهم الغارة ، قال : فقتلنا، واستقنا النعم ، وخرج صريخ القوم ، فجاءنا دهم لا قبل لنا به ، ومضينا بالنعم ، ومررنا بابن البرصاء وصاحبه ، فاحتملناهما معنا ، قال : وأدركنا القوم حتى قربوا منا ، قال فما بيننا وبينهم إلا وادي قديد ، فأرسل الله الوادي بالسيل من حيث شاء تبارك وتعالى ، من غير سحابة نراها ولا مطر ، فجاء بشيء ليس لأحد به قوة ، ولا يقدر على أن يجاوزوه ، فوقفوا ينظرون إلينا ، وإنا لنسوق نعمهم ، ما يستطيع منهم رجل أن يجيز إلينا ، ونحن نحدوها سراعا ، حتى فتناهم ، فلم يقدروا على طلبنا .

قال : فقدمنا بها على رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثني رجل من أسلم ، عن رجل منهم : أن شعار أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كان تلك الليلة : أمت أمت . فقال راجز من المسلمين وهو يحدوها :

أبى أبو القاسم أن تعزبي   في خضل نباته مغلولب

صفر أعاليه كلون المذهب

قال ابن هشام : ويروى : « كلون الذهب » .

تم خبر الغزاة ، وعدت إلى ذكر تفصيل السرايا والبعوث .

تعريف ببعض السرايا : قال ابن إسحاق : وغزوة علي بن أبي طالب رضي الله عنه بني عبد الله بن سعد من أهل فدك . وغزوة أبي العوجاء السلمي أرض بني سليم . أصيب بها هو وأصحابه جميعاً : وغزوة عكاشة بن محصن الغمرة ، وغزوة أبي سلمة بن عبد الله الأسد قطناً . ماء من مياه بني أسد . من ناحية نجد . قتل بها مسعود بن عروة . وغزوة محمد بن مسلمة أخي بني حارثة . القرطاء من هوازن ، وغزوة بشير بن سعد بني مرة بفدك ، وغزوة زيد بن حارثة الجموم من أرض بني سليم ، وغزوة زيد بن حارثة جذام ، من أرض خشين .

قال ابن هشام : عن نفسه ، والشافعي عن عمرو بن حبيب عن ابن إسحاق من أرض حسمى .

غزوة زيد بن حارثة الى جذام . قال ابن إسحاق ، وكان من حديثها كما حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جذام كانوا علماء بها ، أن رفاعة بن زيد الجذامي ، لما قدم على قومه من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتابه يدعوهم إلى الإسلام ، فاستجابوا له ، لم يلبث أن قدم دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر صاحب الروم ، حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه ومعه تجارة له ، حتى إذا كانوا بواد من أوديتهم يقال له شنار ، أغار على دحية بن خليفة الهبيد بن عوص ، وابنه عوص بن الهنيد الضلعيان . والضليع . بطن من جذام ، فأصابا كل شيء كان معه ، فبلغ ذلك قوماً من الضبيب ، رهط رفاعة بن زيد ، ممن كان أسلم وأجاب ، فنفروا إلى الهنيد وابنه ، فيهم من بني الضبيب النعمان ابن أبي جعال ، حتى لقوهم فاقتتلوا ، وانتمى يومئذ قرة بن أشقر الضفاوى ثم الضلعى ، فقال : أنا ابن لبنى ، ورمى النعمان بن أبي جعال بسهم ، فأصاب ركبته ؛ فقال حين أصابه . خذها وأنا ابن لبنى ، وكانت له أم تدعى لبنى ، وقد كان حسان بن ملة الضبيبي قد صحب دحية بن خليفة قبل ذلك ، فعلمه أم الكتاب .

قال ابن هشام : ويقال : قرة بن أشقر الصفارى ، وحيان بن ملة .

قال ابن إسحاق . حدثني من لا أتهم ، عن رجال من جذام ، قال . فاستنقذوا ما كان في يد الهنيد وابنه ، فردوه على دحية ، فخرج دحية . حتى قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاخبره خبره ، واستسقاه دم الهنيد وابنه ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم زيد بن حارثة ، وذلك الذى هاج غزوة زيد جذام ، وبعث معه جيشاً ، وقد وجهت غطفان من جذام ووائل ومن كان من سلامان وسعد بن هذيم ، حين جاءهم رفاعة بن زيد ، بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى نزلوا الحرة ، حرة الرجلاء ، ورفاعة بن زيد بكراع ربة ، لم يعلم ومعه ناس من بني الضبيب وسائر بني الضبيب بوادى مدان ، من ناحية الحرة ، مما يسيل مشرقا ، وأقبل جيش زيد بن حارثة من ناحية الأولاج ، فأغار بالماقص من قبل الحرة ، فجمعوا ما وجدوا من مال أو ناس ، وقتلوا الهنيد وابنه ورجلين من بني الأجنف .

قال ابن هشام : من بني الأحنف .

قال ابن إسحاق في حديثه : ورجلان من بني الخصيب . فلما سمعت بذلك بنو الضبيب والجيش بفيفاء مدان ، ركب نفر منهم ، وكان فيمن ركب معهم حسان بن ملة ، على فرس لسويد بن زيد ، يقال لها العجاجة ، وأنيف بن ملة على فرس لملة يقال لها : رغال ، وأبو زيد بن عمرو على فرس يقال لها شمر ، فانطلقوا حتى إذا دنوا من الجيش ، قال أبو زيد وحسان لأنيف بن ملة . كف عنا وانصرف ، فانا نخشى لسانك ، فوقف عنهما فلم يبعدا منه حتى جعلت فرسه تبحث بيديها وتوثب ، فقال . لأنا أضن بالرجلين منك بالفرسين ، فأرخى لها ، حتى أدركهما ، فقالا له . أما إذا فعلت مافعلت فكف عنا لسانك ، ولا تشأمنا اليوم ، فتواصوا أن لا يتكلم منهم إلا حسان بن ملة ، وكانت بينهم كلمة في الجاهلية قد عرفها بعضهم من بعض ، إذا أراد أحدهم أن يضرب بسيفه قال بورى أو ثورى ، فلما برزوا على الجيش ، أقبل القوم يبتدرونهم ، فقال لهم حسان . إنا قوم مسلمون ، وكان أول من لقيهم رجل على فرس أدهم فأقبل يسوقهم ، فقال أنيف . بورى ، فقال حسان : مهلا ، فلما وقفوا على زيد بن حارثة قال حسان : إنا قوم مسلمون ، فقال له زيد . فاقرءوا أم الكتاب ، فقرأها حسان فقال زيد بن حارثة . نادوا في الجيش ؛ أن الله قد حرم علينا ثغرة القوم التي جاءوا منها إلا من ختر .

قال ابن إسحاق : وإذا أخت حسان بن ملة ، وهي امرأة أبي وبر بن عدى بن أمية بن الضبيب في الأسارى ، فقال له زيد : خذها ، وأخذت بحقويه ، فقالت أم الفزر الضلعية : أتنطلقون ببناتكم وتذرون أمهاتكم ؟ فقال أحد بني الخصيب : إنها بنو الضبيب وسحر ألسنتهم سائر اليوم ، فسمعها بعض الجيش ، فأخبر بها زيد بن حارثة ، فأمر بأخت حسان ، ففكت يداها من حقويه ، وقال لها : اجلسي مع بنات عمك حتى يحكم الله فيكن حكمه ، فرجعوا ، ونهى

الجيش أن يهبطوا إلى وادِ م الذى جاءوا منه ،فأمسوا فى أهليهم ، واستحثموا ذوداً لسويد بن زيد ، فلما شربوا عتمهم ركبوا إلى رفاعة بن زيد ، وكان ممن ركب إلى رفاعة بن زيد تلك الليلة ،أبو زيد بن عمرو ، وأبو شماس بن عمرو ، وسويد بن زيد ، وبعجة بن زيد ، وبرذع بن زيد ، وثعلبة بن زيد ، ومخربة بن عدى ،وأنيف بن ملة ، وحسان بن ملة ، حتى صبحوا رفاعة بن زيد بكراع ربة ، بظهر الحرة على بئر هنالك من حرة ليلى ، فقال له حسان ابن ملة : إنك لجالس تحلب المعزى ونساء جذام أسارى قد غرها كتابك الذى جئت به ، فدعا رفاعة بن زيد بجمل له ، فجعل يشد عليه رحله وهو يقول :

هل أنت حى أو تنادى حيا

ثم غدا وهم معه بأمية بن ضفارة أخى الخصيبي المقتول ، مبكرين من ظهر الحرة ، فساروا إلى جوف المدينة ثلاث ليال ؛ فلما دخلوا وانتهوا إلى المسجد ، نظر إليهم رجل من الناس ، فقال : لا تنيخوا إبلكم فتقطع أيديهن ، فنزلوا عنهن وهن قيام ؛ فلما دخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ورآهم ، ألاح إليهم بيده أن تعالوا من وراء الناس ؛ فلما استفتح رفاعة بن زيد المنطق ، قام رجل من الناس فقال : يارسول الله ، إن هؤلاء قوم سحرة ،فرددها مرتين ، فقال رفاعة بن زيد : رحم الله من لم يحذنا فى يومه هذا إلا خيراً . ثم دفع رفاعة بن زيد كتابه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان كتبه له .فقال : دونك يارسول الله قديماً كتابه ، حديثاً غدره فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اقرأه ياغلام ، ، وأعلن ؛ فلما قرأ كتابه استخبره فأخبروهم الخبر ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف أصنع بالقتلى ؟ (ثلاث مرات) . فقال رفاعة : أنت يارسول الله أعلم ، لا نحرم عليك حلالا ، ولا نحلل لك حراماً ، فقال أبو زيد بن عمرو : أطلق لنا يارسول الله من كان حياً ، ومن قتل فهو تحت قدمى هذه . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : صدق أبو زيد ، اركب معهم ياعلى فقال له على رضى الله عنه : إن زيداً لن يطيعنى يارسول الله،قال:فخذ سيفى هذا ، فأعطاه سيفه . فقال على : ليس لى يارسول الله راحلة أركبها ، فحملوه على بعير لثعلبة ابن عمرو ، يقال له مكحال ، فخرجوا ، فإذا رسول لزيد بن حارثة على ناقة من إبل أبى وبر ، يقال لها : الشمر ،فأنزلوه عنها ،فقال : ياعلى ، ما شأنى ؟ فقال : مالهم ،عرفوه فأخذوه . ثم ساروا فلقوا الجيش بفيفاء الفحلتين ، فأخذوا ما فى أيديهم ، حتى كانوا ينزعون لبيد المرأة من تحت الرحل ، فقال أبو جعال حين فرغوا من شأنهم :

وعاذلة ولم تعذل بطب ... ولولا نحن حش بها السعير
تدافع فى الأسارى بابنتيها ... ولا يرجى لها عتق يسير
ولو وكلت إلى عوص وأوس ... لحار بها عن العتق الأمور
ولو شهدت ركائبنا بمصر ... تحاذر أن يعل بها المسير
وردنا ماء يثرب عن حفاظ ... لربع إنه قرب ضرير
بكل مجرب كالسيد نهد ... على أقتاد ناجية صبور
فدى لأبى سليمى كل جيش ... بيثرب إذ تناطحت النحور
غداة ترى المجرب مستكيناً ... خلاف القوم هامته تدور

قال ابن هشام قوله : « ولا يرجى لها عتق يسير » وقوله : « عن العتق الأمور » عن غير ابن إسحاق .
تمت الغزاة ، وعدنا إلى تفصيل ذكر السرايا والبعوث .

قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً الطرف من ناحية نخل . من طريق العراق .

غزوة زيد بن حارثة بني فزارة : وغزوة زيد بن حارثة أيضاً وادى القرى ، لقى به بنى فزارة ، فأصيب بها ناس من أصحابه ، وارتث زيد من بين القتلى ، وفيها أصيب ورد بن عمرو بن مداش ، وكان أحد بنى سعد بن هذيل ، أصابه أحد بنى بدر .

قال ابن هشام : سعد بن هذيم

قال ابن إسحاق : فلما قدم زيد بن حارثة آلى أن لا يمس رأسه غسل من جنابة حتى يغزو بنى فزارة ؛ فلما استبل من جراحته بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بنى فزارة فى جيش ، فقتلهم بوادى القرى ، وأصاب فيهم ، وقتل قيس بن المسحر اليعمرى مسعدة بن حكمة بن مالك بن حذيفة بن بدر ، وأسرت أم قرفة فاطمة بنت ربيعة بن بدر ، وبنت لها ، وعبد الله بن مسعدة ، فأمر زيد بن حارثة قيس بن المسحر أن يقتل أم قرفة ، فقتلها قتلا عنيفاً ؛ ثم قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بابنة أم قرفة ، وبابن مسعدة .

وكانت بنت أم قرفة لسلمة بن عمرو بن الأكوع . كان هو الذى أصابها ، وكانت فى بيت شرف من قومها ؛ كانت العرب تقول : لو كنت أعز من أم قرفة مازدت . فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمة ، فوهبها له ، فأهداها لخالد حزن بن وهب ، فولدت له عبد الرحمن بن حزن .

فقال قيس بن المسحر فى قتل مسعدة :

سعيت بورد مثل سعى ابن أمه وإنى بورد فى الحياة لثائر
كررت عليه المهر لما رأيته على بطل من آل بدر مغاور
فركبت فيه قعضبياً كأنه شهاب بمعراة يذكى لناظر

غزوة عبد الله بن رواحة لقتل اليسير بن رزام : وغزوة عبد الله بن رواحة خيبر مرتين : إحداهما التى أصاب فيها اليسير بن رزام . قال ابن هشام : ويقال ابن رازم .

وكان من حديث اليسير بن رزام أنه كان بخيبر يجمع غطفان لغزو رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن رواحة فى نفر من أصحابه ، منهم عبد الله بن أنيس ، حليف بنى سلمة ، فلما قدموا عليه كلموه ، وقربوا له ، وقالوا له : إنك إن قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم استعملك وأكرمك ، فلم يزالوا به ، حتى خرج معهم فى نفر من يهود ، فحمله عبد الله بن أنيس على بعيره ، حتى إذا كان بالقرقرة من خيبر على ستة أميال ، ندم اليسير بن رزام على مسيره إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففطن له عبد الله بن أنيس ، وهو يريد السيف فاقتحم به ثم ضربه بالسيف ، فقطع رجله ، وضربه اليسير بمخرش فى يده من شوحط ، فأمه ، ومال كل رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صاحبه من يهود فقتله ، إلا رجلا واحداً أفلت على رجليه ؛ فلما قدم عبد الله بن أنيس على رسول الله صلى الله عليه وسلم تفل على شجته : فلم تقح ولم تؤذه .

غزوة ابن عتيك خيبر : وغزوة عبد الله بن عتيك خيبر ، فأصاب بها رافع بن أبى الحقيق .

غزوة عبد الله بن أنيس لقتل خالد بن سفيان بن نبيح الهذلى : وغزوة عبد الله أنيس بن خالد بن سفيان بن نبيح ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه وهو بنخلة أو بعرنة ، يجمع لرسول الله صلى الله عليه وسلم الناس ليغزوه ، فقتله .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : قال عبد الله بن أنيس ، دعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : إنه قد بلغنى أن ابن سفيان بن نبيح الهذلى يجمع لى الناس ليغزونى ، وهو بنخلة أو بعرنة ، فأته فاقتله قلت : يارسول الله ، انعته لى حتى أعرفه . قال : إنك إذا رأيته أذكرك الشيطان ، وآية ما بينك وبينه أنك إذا رأيته وجدت له قشعريرة . قال : فخرجت متوشحاً سيفى ، حتى دفعت إليه وهو فى ظعن يرتاد لهن منزلا ، وحيث كان وقت العصر ؛

فلما رأيته وجدت ما قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القشعريرة ، فأقبلت نحوه ، وخشيت أن تكون بينى وبينه مجاولة تشغلنى عن الصلاة ، فصليت وأنا أمشى نحوه ، أومى برأسى ، فلما انتهيت إليه ، قال : من الرجل ؟ قلت : رجل من العرب سمع بك وبجمعك لهذا الرجل ، فجاءك لذلك قال : أجل ، إنى لفى ذلك . قال فمشيت معه شيئاً ، حتى إذا أمكننى حملت عليه بالسيف ، فقتلته ، ثم خرجت ، وتركت ظعائنه منكبات عليه ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرآنى ،قال : أفلح الوجه ؛ قلت : قدقتلته يارسول الله . قال : صدقت .

ثم قام بى فأدخلنى بيته ، فأعطانى عصاً ، فقال : أمسك هذه العصا عندك يا عبد الله بن أنيس . قال : فخرجت بها على الناس ، فقالوا : ما هذه العصا ؟ قلت : أعطانيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمرنى أن أمسكها عندى . قالوا: أفلا ترجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فتسأله لم ذلك ؟ فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت: يارسول الله ، لم أعطيتنى هذه العصا ؟ قال : آية بينى وبينك يوم القيامة . إن أقل الناس المتخصرون يومئذ ، قال : فقرنها عبد الله بن أنيس بسيفه ، فلم تزل معه حتى مات ، ثم أمر بها فضمت فى كفنه ، دفنا جميعاً .

قال ابن هشام : وقال عبد الله بن أنيس فى ذلك :

تركت ابن ثور كالحوار وحوله ... نوائح تفرى كل جيب مقدد
تناولته والظعن خلفى وخلفه ... بأبيض من ماء الحديد مهند
عجوم لهام الدارعين كأنه ... شهاب غضى من ملهب متوقد
أقول له والسيف يعجم رأسه ... أنا ابن أنيس فارساً غير قعدد
أنا ابن الذى لم ينزل الدهر قدره ... رحيب فناء الدار غير مزند
وقلت له خذها بضربة ماجد ... حنيف على دين النبى محمد
وكنت إذا هم النبى بكافر ... سبقت إليه باللسان وباليد

تمت الغزاة ، وعدنا إلى خبر البعوث .

بعض غزوات اخر : قال ابن إسحاق : وغزوة زيد بن حارثة وجعفر بن أبى طالب وعبد الله بن رواحة مؤتة من أرض الشام ، فأصيبوا بها جميعاً ، وغزوة كعب بن عمير الغفارى ذات أطلاح ، من أرض الشام ، أصيب بها هو وأصحابه جميعاً ، وغزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بنى العنبر من بنى تميم .

غزوة عيينه بن حصن بنى العنبر من بنى تميم : وكان من حديثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه إليهم ، فأغار عليهم ، فأصاب منهم أناساً ، وسبى منهم أناساً .

فحدثنى عاصم بن عمر بن قتادة : أن عائشة قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يارسول الله ، إن على رقبة من ولد إسماعيل . قال : هذا سبى بنى العنبر يقدم الآن ، فنعتقينه .

قال ابن إسحاق . فلما قدم بسبيهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ركب فيهم وفد من بنى تميم ، حتى قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم ربيعة بن رفيع ، وسبرة بن عمرو ، والقعقاع بن معبد ، ووردان بن محرز ، وقيس بن عاصم ، ومالك بن عمرو ، والأقرع بن حابس ، وفراس بن حابس ؛ فكلموا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم ، فأعتق بعضاً ، وأفدى بعضاً ، وكان ممن قتل يومئذ من بنى العنبر : عبد الله وأخوان له ، بنو وهب ، وشداد بن فراس ، وحنظلة بن دارم ، وكان ممن سبى من نسائهم يومئذ : أسماء بنت مالك ، وكاس بنت أرى ، ونجوة بنت نهد ، وجميعة بنت قيس ، وعمرة بنت مطر ، فقالت فى ذلك اليوم سلمى بنت عتاب :

لعمرى لقد لاقت عدى بن جندب ... من الشر مهواة شديداً كئودها
تكنفها الأعداء من كل جانب ... وغيب عنها عزها وجدودها

قال ابن هشام : وقال الفرزدق فى ذلك :

وعند رسول الله قام ابن حابس ... بخطة سوار إلى المجد حازم
له أطلق الأسرى التى فى حباله ... مغللة أعناقها فى الشكائم
كفى أمهات الخالفين عليهم ... غلاء المفادى أو سهام المقاسم

وهذه الأبيات فى قصيدة له . وعدى بن جندب من بنى العنبر ، والعنبر بن عمرو بن تميم .

غزوة غالب بن عبد الله أرض بنى مرة : قال ابن إسحاق : وغزوة غالب بن عبد الله الكلبى — كلب ليث — أرض بنى مرة ، فأصاب بها مرداس بن نهيك ، حليفاً لهم من الحرقة ، من جهينة ، قتله أسامة بن زيد ، ورجل من الأنصار .

قال ابن هشام : الحرقة ، فيما حدثنى عبيدة .

قال ابن إسحاق : وكان من حديثه عن أسامة بن زيد ، قال : أدركته أنا ورجل من الأنصار ، فلما شهرنا عليه السلاح قال : أشهد أن لا إله إلا الله قال : فلم ننزع عنه حتى قتلناه ، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبره ؛ فقال يا أسامة ، من لك بلا إله إلا الله ؟ قال : قلت : يارسول الله ، إنه إنما قالها تعوذاً بها من القتل قال فمن لك بها يا أسامة ؟ قال : فو الذى بعثه بالحق مازال يرددها على حتى لوددت أن ما مضى من إسلامى لم يكن ، وأنى كنت أسلمت يومئذ ، وأنى لم أقتله ، قال : قلت أنظرنى يارسول الله ؛ إنى أعاهد الله أن لا أقتل رجلا يقول لا إله إلا الله أبداً ، قال : تقول بعدى يا أسامة ؛ قال : قلت بعدك .

غزوة عمرو بن العاص ذات السلاسل : وغزوه عمرو بن العاص ذات السلاسل من أرض بنى عذرة ، وكان من حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثه يستنفر العرب إلى الشام وذلك أن أم العاص بن وائل كانت امرأة من بلى . فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم يستألفهم لذلك ، حتى إذا كان على ماء بأرض جذام ، يقال له السلسل وبذلك سميت تلك الغزوة ، غزوة ذات السلاسل ؛ فلما كان عليه خاف فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : يستمده ؛ فبعث إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا عبيدة بن الجراح فى المهاجرين الأولين ، فيهم أبو بكر وعمر وقال لأبى عبيدة حين وجهه ؟ لاتختلفا ؛ فخرج أبو عبيدة حتى إذا قدم عليه ، قال له عمرو : إنما جئت مدداً لى ، قال أبو عبيدة : لا ، ولكنى على ما أنا عليه ، وأنت على ما أنت عليه ، وكان أبو عبيدة رجلا ليناسهلا ، هيناً عليه أمر الدنيا ، فقال له عمرو : بل أنت مدد لى ، فقال أبو عبيدة . ياعمرو . وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لى : لا تختلفا . وإنك إن عصيتنى أطعتك ، قال . فإنى الأمير عليك ، وأنت مدد لى ، قال . فدونك : فصلى عمرو بالناس .

قال : وكان من الحديث فى هذه الغزاة ، أن رافع بن أبى رافع الطائى ، وهو رافع بن عميرة ، كان يحدث فيما بلغنى عن نفسه ، قال : كنت امرءا نصرانياً ، وسميت سرجس ، فكنت أدل الناس وأهداهم بهذا الرمل ، كنت أدفن الماء فى بيض النعام بنواحى الرمل فى الجاهلية ، ثم أغير على إبل الناس ، فاذا أدخلتها الرمل غلبت عليها ، فلم يستطع أحد أن يطلبنى فيه ، حتى أمر بذلك الماء الذى خبأت فى بيض النعام فأستخرجه ، فأشرب منه ، فلما أسلمت خرجت فى تلك الغزوة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال فقلت :والله لاختارن لنفسى صاحباً ، قال : فصحبت أبا بكر ، قال : فكنت معه فى رحله ، قال : وكانت عليه عباءة له فدكية ،

فكان إذا نزلنا بسطها ، وإذا ركبنا لبسها ، ثم شكها عليه بخلال له ، قال : وذلك الذى له يقول أهل نجد حين ارتدوا كفاراً : نحن نبايع ذا العباءة؟! قال : فلما دنونا من المدينة قافلين ، قال قلت : يا أبا بكر ، إنما صحبتك لينفعنى الله بك فانصحنى وعلمنى ، قال : لو لم تسألنى ذلك لفعلت ، قال : آمرك أن توحد الله ولا تشرك به شيئاً ، وأن تقيم الصلاة وأن تؤتى الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج هذا البيت ، وتغتسل من الجنابة ، ولا تتأمر على رجل من المسلمين أبداً قال قلت : يا أبا بكر ، أما أنا والله فإنى أرجو أن لا أشرك بالله أحداً أبداً ، وأما الصلاة فلن أتركها أبداً إن شاء الله،وأما الزكاة فإن يك لى مال أؤدها إن شاء الله ، وأما رمضان فلن أتركه أبداً إن شاء الله ، وأما الحج فإن أستطع أحج إن شاء الله تعالى ، وأما الجنابة فسأغتسل منها إن شاء الله ، وأما الإمارة فانى رأيت الناس يا أبا بكر لا يشرفون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وعند الناس إلا بها ، فلم تنهانى عنها ؟ قال : إنك إنما استجهدتنى لأجهد لك ، وسأخبرك عن ذلك ، إن الله عز وجل بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بهذا الدين ، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه طوعاً وكرهاً ، فلما دخلوا فيه كانوا عواذ الله وجيرانه ، وفى ذمته ، فإياك لا تخفر الله فى جيرانه ، فيتبعك الله فى خفرته فإن أحدكم يخفر جاره ، فيظل ناتئاً عضله ، غضباً لجاره أن أصيبت له شاة أو بعير ، فالله أشد غضباً لجاره قال : ففارقته على ذلك .

قال : فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأمر أبو بكر على الناس ، قال : قدمت عليه . فقلت له : يا أبا بكر ، ألم تك نهيتنى عن أن أتأمر على رجلين من المسلمين ؟ قال : بلى ، وأنا الآن أنهاك عن ذلك ، قال : فقلت له : فما حملك على أن تلى أمر الناس ؟ قال : لا أجد من ذلك بداً ، خشيت على أمة محمد صلى الله عليه وسلم الفرقة .

قال ابن إسحاق ، أخبرنى يزيد بن أبى حبيب أنه حدث عن عوف بن مالك الأشجعى ، قال : كنت فى الغزاة التى بعث فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل ، قال : فصحبت أبا بكر وعمر ، فمررت بقوم على جزور لهم قد نحروها ، وهم لا يقدرون على أن يعضوها . قال : وكنت امرأ لبقاً جازراً ، قال : فقلت : أتعطونى منها عشيراً على أن أقسمها بينكم ؟ قالوا : نعم ، قال : فأخذت الشفرتين ، فجزأتها مكانى ، وأخذت منها جزءاً ، فحملته إلى أصحابى فأكلناه فقال لى أبو بكر وعمر رضى الله عنهما أنى لك هذا اللحم يا عوف ؟ قال : فأخبرتهما خبره ، فقالا : والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا ، ثم قاما يتقيآن ما فى بطونهما من ذلك ؛ قال : فلما قفل الناس من ذلك السفر ، كنت أول قادم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئته وهو يصلى فى بيته ؛ قال : فقلت : السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ، قال : أعوف بن مالك ؟ قال : قلت : نعم ، بأبى أنت وأمى ، قال أصاحب الجزور ؟ ولم يزدنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك شيئاً .

غزوة ابن أبى حدرد بطن اضم وقتل عامر بن الاضبط الاشجعى قال ابن إسحاق : حدثنى يزيد بن عبد الله بن قسيط عن القعقاع بن عبد الله بن أبى حدرد ، عن أبيه عبد الله بن أبى حدرد ، قال بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى إضم فى نفر من المسلمين فيهم أبو قتادة الحارث بن ربعى ومحلم بن جثامة بن قيس ، فخرجنا حتى إذا كنا ببطن إضم ، مر بنا عامر بن الأضبط الأشجعى ، على قعود له ، ومعه متيع له ووطب من لبن . قال : فلما مر بنا سلم علينا بتحية الإسلام ، فأمسكنا عنه ، وحمل عليه محلم بن جثامة ، فقتله لشىء كان بينه وبينه ، وأخذ بعيره وأخذ متيعه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبرناه الخبر ، نزل فينا : « يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ، ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً ، تبتغون عرض الحياة الدنيا » . . إلى آخر الآية .

قال ابن هشام : قرأ أبو عمرو بن العلاء : « ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً » لهذا الحديث .

قال ابن إسحاق : حدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، قال : سمعت زياد بن ضميرة بن سعد السلمى يحدث عن عروة بن الزبير ،

عن أبيه ، عن جده ، وكانا شهدا حنيناً مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الظهر ، ثم عمد إلى ظل شجرة ، فجلس تحتها ، وهو بحنين ، فقام إليه الأقرع بن حابس ، وعيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر ، يختصمان فى عامر بن أضبط الأشجعى : عيينة يطلب بدم عامر ، وهو يومئذ رئيس غطفان ، والأقرع بن حابس يدفع عن محلم بن جثامة ، لمكانه من خندف ، فتداولا الخصومة عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونحن نسمع ، فسمعنا عيينة بن حصن وهو يقول والله يارسول الله لا أدعه حتى أذيق نساءه من الحرقة مثل ما أذاق نسائى ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا ، وهو يأبى عليه ، إذ قام رجل من بنى ليث ، يقال له : مكيتر ، قصير مجموع — قال ابن هشام : مكيتل — فقال : والله يارسول الله ما وجدت لهذا القتيل شبهاً فى غرة الإسلام إلا كغنم وردت فرميت أولاها ، فنفرت أخراها ، اسنن اليوم ، وغير غداً ، قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده . فقال : بل تأخذون الدية خمسين فى سفرنا هذا ، وخمسين إذا رجعنا . قال : فقبلوا الدية . قال : ثم قالوا : أين صاحبكم هذا ، يستغفر له رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : فقام رجل آدم ضرب طويل ، عليه حلة له ، قد كان تهيأ للقتل فيها : حتى جلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : ما اسمك ؟ قال : أنا محلم بن جثامة . قال : فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده ، ثم قال : اللهم لا تغفر لمحلم بن جثامة ثلاثاً . قال : فقام وهو يتلقى دمعه بفضل ردائه . قال : فأما نحن فنقول فيما بيننا : إنا لنرجو أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استغفر له ، وأما ما ظهر من رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا .

قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن الحسن البصرى ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس بين يديه : أمنته بالله ثم قتلته ؟! ثم قال له المقالة التى قال ؛ قال : فوالله ما مكث محلم بن جثامة إلا سبعاً حتى مات ، فلفظته — والذى نفس الحسن بيده — الأرض ، ثم عادوا له ، فلفظته الأرض ، ثم عادوا فلفظته ؛ فلما غلب قومه عمدوا إلى صدين ، فسطحوه بينهما ثم رضموا عليه الحجارة حتى واروه . قال : فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم شأنه ، فقال : والله إن الأرض لتطابق على من هو شر منه ، ولكن الله أراد أن يعظكم فى حرم ما بينكم بما أراكم منه .

قال ابن إسحاق : وأخبرنا سالم أبو النضر أنه حدث : أن عيينة بن حصن وقيساً حين قال الأقرع بن حابس وخلا بهم ، يامعشر قيس ، منعتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قتيلا يستصلح به الناس ، أفأمنتم أن يلعنكم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيلعنكم الله بلعنته ، أو أن يغضب الله عليكم بغضبه ؟ والله الذى نفس الأقرع بيده لتسلمنه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فليصنعن فيه ما أراد ، أو لآتين بخمسين رجلا من بنى تميم يشهدون بالله كلهم . لقتل صاحبكم كافراً ، ما صلى قط ، فلأطلن دمه ؛ فلما سمعوا ذلك قبلوا الدية .

قال ابن هشام : محلم فى هذا الحديث كله عن غير ابن إسحاق ، وهو محلم بن جثامة بن قيس الليثى .

قال ابن إسحاق : ملجم . فيما حدثناه زياد عنه .

غزوة ابن أبى حدرد لقتل رفاعه بن قيس الجشمى : قال ابن إسحاق : وغزوة ابن أبى حدرد الأسلمى الغابة .

وكان من حديثها فيما بلغنى ، عمن لا أتهم ، عن ابن أبى حدرد ، قال : تزوجت امرأة من قومى ، وأصدقتها مائتى درهم ، قال : فجئت رسول الله صلى الله عليه وسلم استعينه على نكاحى ؛ فقال : وكم أصدقت ؟ فقلت : مائتى درهم يارسول الله ، قال : سبحان الله ، لو كنتم تأخذون الدراهم من بطن واد مازدتم ، والله ما عندى ما أعينك به . قال : فلبثت أياماً ، وأقبل رجل من بنى جشم بن معاوية ، يقال له : رفاعة بن قيس ، أو قيس بن رفاعة ، فى بطن جشم ، حتى نزل بقومه ومن معه بالغابة ، يريد أن يجمع قيساً على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان ذا اسم فى جشم

. . . .

وشرف قال : فدعانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجلين معى من المسلمين ، فقال : اخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا منه بخبر وعلم . قال : وقدم لنا شارفاً عجفاء ، فحمل عليها أحدنا ، فوالله ماقامت به ضعفاً حتى دعمها الرجال من خلفها بأيديهم ، حتى استقلت وماكادت ، ثم قال : تبلغوا عليها واعتقبوها .

قال : فخرجنا ومعنا سلاحنا من النبل والسيوف ، حتى إذا جئنا قريباً من الحاضر عشيشية مع غروب الشمس . قال : كمنت فى ناحية ، وأمرت صاحبى ، فكمنا فى ناحية أخرى من حاضر القوم . وقلت لهما : إذا سمعتمانى قد كبرت وشددت فى ناحية العسكر فكبرا وشدا معى . قال : فوالله إنا لكذلك ننتظر غرة القوم ، أو أن نصيب منهم شيئاً . قال : وقد غشينا الليل حتى ذهبت فحمة العشاء ، وقد كان لهم راع قد سرح فى ذلك البلد ، فأبطأ عليهم حتى تخوفوا عليه قال : فقام صاحبهم ذلك رفاعة بن قيس ، فأخذ سيفه ، فجعله فى عنقه ، ثم قال : والله لأتبعن أثر راعينا هذا . ولقد أصابه شر ، فقال له نفر ممن معه : والله لاتذهب ، نحن نكفيك ؛ قال : والله لايذهب إلا أنا ؛ قالوا : فنحن معك ، قال : والله لايتبعنى أحد منكم قال : وخرج حتى يمر بى . قال : فلما أمكننى نفحته بسهمى ، فوضعته فى فؤاده . قال : فوالله ماتكلم ، ووثبت إليه ، فاحتززت رأسه . قال : وشددت فى ناحية العسكر ، وكبرت ، وشد صاحباى وكبرا . قال : فوالله ما كان إلا النجاء ممن فيه ، عندك ، عندك ، بكل ماقدروا عليه من نسائهم وأبنائهم ، وماخف معهم من أموالهم . قال : واستقنا إبلا عظيمة ، وغنماً كثيرة ، فجئنا بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : وجئت برأسه أحمله معى . قال : فأعاننى رسول الله صلى الله عليه وسلم من تلك الإبل بثلاثة عشر بعيراً فى صداقى ، فجمعت إلى أهلى .

غزوة عبد الرحمن بن عوف الى دومة الجندل : قال ابن إسحاق : وحدثنى من لا أتهم عن عطاء بن أبى رباح ، قال : سمعت رجلا من أهل البصرة يسأل عبد الله بن عمر بن الخطاب ، عن إرسال العمامة من خلف الرجل إذا اعتم ، قال : فقال عبد الله : سأخبرك إن شاء الله عن ذلك بعلم : كنت عاشر عشرة رهط من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجده : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلى ، وعبد الرحمن بن عوف ، وابن مسعود ، ومعاذ بن جبل ، وحذيفة ابن اليمان ، وأبو سعيد الخدرى ، وأنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أقبل فتى من الأنصار ، فسلم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جلس ، فقال : يارسول الله ، صلى الله عليك ، أى المؤمنين أفضل ؟ فقال : أحسنهم خلقاً ؛ قال : فأى المؤمنين أكيس ؟ قال : أكثرهم ذكراً للموت ، وأحسنهم استعداداً له قبل أن ينزل به ، أولئك الأكياس ، ثم سكت الفتى وأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا معشر المهاجرين ، خمس خصال إذا نزلن بكم وأعوذ بالله أن تدركوهن : إنه لم تظهر الفاحشة فى قوم قط حتى يعلنوا بها إلا ظهر فيهم الطاعون والأوجاع ، التى لم تكن فى أسلافهم الذين مضوا ؛ ولم ينقصوا المكيال والميزان إلا أخذوا بالسنين وشدة المؤنة وجور السلطان ؛ ولم يمنعوا الزكاة من أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، فلولا البهائم مامطروا ؛ وما نقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدو من غيرهم ، فأخذ بعض ما كان فى أيديهم ؛ وما لم يحكم أئمتهم بكتاب الله وتجبروا فيما أنزل الله إلا جعل الله بأسهم بينهم .

ثم أمر عبد الرحمن بن عوف أن يتجهز لسرية بعثه عليها ، فأصبح وقد اعتم بعمامة من كرابيس سوداء ، فأدناه رسول الله صلى الله عليه وسلم منه ، ثم نقضها ، ثم عمه بها ، وأرسل من خلفه أربع أصابع أو نحواً من ذلك ، ثم قال : هكذا يا بن عوف فاعتم ، فإنه أحسن وأعرف ثم أمر بلالا أن يدفع إليه اللواء ؛ فدفعه إليه فحمد الله تعالى ، وصلى على نفسه ، ثم قال : خذه يابن عوف ، اغزوا جميعاً فى سبيل الله ، فقاتلوا من كفر بالله ، لاتغلوا ، ولا تغدروا ،

ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليداً ، فهذا عهد الله وسيرة نبيه فيكم فأخذ عبد الرحمن بن عوف اللواء .

قال ابن هشام : فخرج إلى دومة الجندل .

غزوة أبي عبيدة بن الجراح الى سيف البحر : قال ابن إسحاق : وحدثني عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت ، عن أبيه عن جده عبادة بن الصامت قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى سيف البحر ، عليهم أبو عبيدة بن الجراح ، وزودهم جراباً من تمر ، فجعل يقوتهم إياه ، حتى صار إلى أن يعده عليهم عدداً . قال : ثم نفد التمر ، حتى يعطى كل رجل منهم كل يوم تمرة . قال : فقسمها يوماً بيننا . قال فنقصت تمرة عن رجل ، فوجدنا فقدها ذلك اليوم . قال : فلما جهدنا الجوع أخرج الله لنا دابة من البحر ، فأصبنا من لحمها وودكها ، وأقمنا عليها عشرين ليلة ، حتى سمنا وابتللنا ، وأخذ أميرنا ضلعاً من أضلاعها ، فوضعها على طريقه ، ثم أمر بأجسم بعير معنا ، فحمل عليه أجسم رجل منا . قال : فجلس عليه ، قال : فخرج من تحتها وما مست رأسه . قال : فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبرناه خبرها ، وسألناه عما صنعنا في ذلك من أكلنا إياه ، فقال : رزق رزقكموه الله .

بعث عمرو بن أمية الضمري لقتال أبي سفيان بن حرب وماصنع في طريقه : قال ابن هشام : ومما لم يذكره ابن إسحاق من بعوث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسراياه بعث عمرو بن أمية الضمري ، بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثني من أثق به من أهل العلم ، بعد مقتل خبيب بن عدي وأصحابه إلى مكة ، وأمره أن يقتل أبا سفيان ابن حرب ، وبعث معه جبار بن صخر الأنصاري فخرجا حتى قدما مكة وحبسا جمليهما بشعب من شعاب يأجج ، ثم دخلا مكة ليلا ، فقال جبار لعمرو : لو أنا طفنا بالبيت وصلينا ركعتين ؟ فقال عمرو : إن القوم إذا تعشوا جلسوا بأفنيتهم ، فقال : كلا ، إن شاء الله ، فقال عمرو : فطفنا بالبيت ، وصلينا ، ثم خرجنا نريد أبا سفيان ، فوالله إنا لنمشي بمكة إذ نظر إلى رجل من أهل مكة فعرفني ، فقال عمرو بن أمية : والله إن قدمها إلا لشر . فقلت لصاحبي : النجاء ، فخرجنا نشتد ، حتى أصعدنا في جبل ، وخرجوا في طلبنا ، حتى إذا علونا الجبل يئسوا منا ، فرجعنا ، فدخلنا كهفاً في الجبل ، فبتنا فيه ، وقد أخذنا حجارة فرضمناها دوننا ، فلما أصبحنا غدا رجل من قريش يقود فرساً ، ويخلى عليها ، فغشينا ونحن في الغار ، فقلت : إن رآنا صاح بنا ، فأخذنا فقتلنا .

قال : ومعي خنجر قد أعددته لأبي سفيان ، فأخرج إليه ، فأضربه على ثديه ضربة ، وصاح صيحة أسمع أهل مكة ، وأرجع فأدخل مكاني ، وجاءه الناس يشتدون وهو بآخر رمق ، فقالوا : من ضربك ؟ فقال : عمرو بن أمية ، وغلبه الموت ، فمات مكانه ، ولم يدلل على مكاننا فاحتملوه . فقلت لصاحبي ، لما أمسينا : النجاء ، فخرجنا ليلا من مكة نريد المدينة ، فمررنا بالحرس وهم يحرسون جيفة خبيب بن عدي ، فقال أحدهم : والله ما رأيت كالليلة أشبه بمشية عمرو بن أمية لولا أنه بالمدينة لقلت هو عمرو بن أمية ، قال : فلما حاذى الخشبة شد عليها ، فأخذها فاحتملها ، وخرجا شداً ، وخرجوا وراءه حتى أتى جرفاً بمهبط مسيل يأجج ، فرمى بالخشبة في الجرف ، فغيبه عنهم ، فلم يقدروا عليه ، قال : وقلت لصاحبي : النجاء النجاء ، حتى تأتي بعيرك فتقعد عليه ، فإني سأشغل عنك القوم ، وكان الأنصاري لارجلة له .

قال : ومضيت حتى أخرج على ضجنان ثم أويت إلى جبل ، فأدخل كهفاً ، فبينا أنا فيه ، إذ دخل على شيخ من بني الديل أعور ، في غنيمة له ، فقال : من الرجل ؟ فقلت : من بني بكر ، فمن أنت ؟ قال : من بني بكر ، فقلت : مرحباً : فاضطجع ، ثم رفع عقيرته ، فقال :

ولست بمسلم مادمت حياً ولا دان لدين المسلمينا

فقلت في نفسي : ستعلم ، فأمهلته ، حتى إذا نام أخذت قوسي ، فجعلت سيتها في عينه الصحيحة . ثم تحاملت عليه

حتى بلغت العظم ، ثم خرجت النجاء ، حتى جئت العرج ، ثم سلكت ركوبة ، حتى إذا هبطت النقيع إذا رجلان من قريش من المشركين ، كانت قريش بعثتهما عيناً إلى المدينة ينظران ويتحسسان ، فقلت : استأسرا ، فأبيا ، فأرمى أحدهما بسهم فأقتله واستأسر الآخر . فأوثقه رباطاً ، وقدمت به المدينة .

سرية زيد بن حارثة إلى مدين : قال ابن هشام : وسرية زيد بن حارثة إلى مدين . ذكر ذلك عبد الله بن حسن ابن حسن ، عن أمه فاطمة ابنة الحسين بن على عليهم رضوان الله ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث زيد بن حارثة نحو مدين ، ومعه ضميرة مولى على بن أبى طالب رضوان الله عليه ، وأخ له . قالت : فأصاب سبياً من أهل ميناء ، وهى السواحل ، وفيها جماع من الناس ، فبيعوا ، ففرق بينهم ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يبكون ، فقال : مالهم ؟! فقيل : يارسول الله ، فرق بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لاتبيعوهم إلا جميعاً .

قال ابن هشام : أراد الأمهات والأولاد .

سرية سالم بن عمير لقتل أبى عفك : قال ابن إسحاق : وغزوة سالم بن عمير لقتل أبى عفك . أحد بنى عمرو بن عوف ثم من بنى عبيدة ، وكان قد نجم نفاقه ، حين قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحارث بن سويد بن صامت ، فقال :

لقد عشت دهراً وما إن إرى ... من الناس داراً ولا مجمعا
أبر عهوداً وأوفى لمن ... يعاقد فيهم إذا ما دعا
من أولاد قيلة فى جمعهم ... يهد الجبال ولم يخضعا
فصدعهم راكب جاءهم ... حلال حرام لشتى معا
فلو أن بالعز صدقتم أو الملك تابعتم تبعا

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من لى بهذا الخبيث ؟ فخرج سالم بن عمير ، أخو بنى عمرو بن عوف ، وهو أحد البكائين ، فقتله ، فقالت أمامة المزيرية فى ذلك :

تكذب دين الله والمرء أحمدا ... لعمر الذى أمناك أن بئس مايمنى
حباك حنيف آخر الليل طعنة ... أبا عفك خذها على كبر السن

غزوة عمير بن عدى الخطمى لقتل عصماء بنت مروان : وغزوة عمير بن عدى الخطمى عصماء بنت مروان ، وهى من بنى أمية بن زيد ، فلما قتل أبو عفك نافقت ، فذكر عبد الله بن الحارث بن الفضيل عن أبيه ، قال : وكانت تحت رجل من بنى خطمة ، ويقال له يزيد بن زيد فقالت تعيب الإسلام وأهله :

باست بنى مالك والنبيت ... وعوف وباست بنى الخزرج
أطعتم أتاوى من غيركم ... فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرءوس ... كما يرتجى مرق المنضج
ألا أنف يبتغى غرة ... فيقطع من أمل المرتجى

قال : فأجابها حسان بن ثابت ، فقال :

بنو وائل وبنو واقف ... وخطمة دون بنى الخزرج
متى مادعت سفهاً ويحها ... بعولتها والمنايا تجى
فهزت فتى ماجداً عرقه ... كريم المداخل والمخرج
فضرجها من نجيع الدما ... ء بعد الهدو فلم يحرج

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك ، ألا آخذ لى من ابنة مروان ؟ فسمع ذلك من قول

رسول الله صلى الله عليه وسلم عمير بن عدى الخطمى ، وهو عنده : فلما أمسى من تلك الليلة سرى عليها فى بيتها فقتلها ، ثم أصبح مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : يارسول الله ، إنى قد قتلتها . فقال نصرت الله ورسوله ياعمير ، فقال : هل على شىء من شأنها يارسول الله ؟ فقال : لاينتطح فيها عنزان .

فرجع عمير إلى قومه ، وبنو خطمة يومئذ كثير مرجهم فى شأن بنت مروان ، ولها يومئذ بنون خمسة رجال ، فلما جاءهم عمير بن عدى من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : يابنى خطمة ، أنا قتلت ابنة مروان ، فكيدونى جميعاً ثم لاتنظرون . فذلك اليوم أول ماعز الإسلام فى دار بنى خطمة ، وكان يستخفى بإسلامهم فيهم من أسلم ، وكان أول من أسلم من بنى خطمة عمير بن عدى ، وهو الذى يدعى القارىء ، وعبد الله بن أوس ، بن ثابت ، وأسلم ، يوم قتلت ابنة مروان ، رجال من بنى خطمة ، لما رأوا من عز الإسلام .

اسر ثمامة بن أثال الحنفى واسلامه : بلغنى عن أبى سعيد المقبرى عن أبى هريرة أنه قال : خرجت خيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخذت رجلا من بنى حنيفة ، لايشعرون من هو ، حتى أتوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : أتدرون من أخذتم ، هذا ثمامة بن أثال الحنفى ، أحسنوا إساره : ورجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهله ، فقال : اجمعوا ما كان عندكم من طعام ، فابعثوا به إليه ، وأمر بلقحته أن يغدى عليه بها ويراح ، فجعل لايقع من ثمامة موقعاً ويأتيه رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول أسلم ياثمامة ، فيقول : إيها يامحمد ، إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن ترد الفداء فسل ما شئت ، فمكث ماشاء الله أن يمكث ، ثم قال النبى صلى الله عليه وسلم يوماً : أطلقوا ثمامة ، فلما أطلقوه خرج حتى أتى البقيع ، فتطهر فأحسن طهوره ، ثم أقبل فبايع النبى صلى الله عليه وسلم على الإسلام ؛ فلما أمسى جاءوه بما كانوا يأتونه من الطعام ، فلم ينل منه إلاقليلا ، وباللقحة فلم يصب من حلابها إلا يسيراً ، فعجب المسلمون من ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بلغه ذلك : مم تعجبون ؟ أمن رجل أكل أول النهار فى معى كافر ، وأكل آخر النهار فى معى مسلم ! إن الكافر يأكل فى سبعة أمعاء ، وإن المسلم يأكل فى معى واحد .

قال ابن هشام : فبلغنى أنه خرج معتمراً ، حتى إذا كان ببطن مكة لبى ، فكان أول من دخل مكة يلبى ، فأخذته قريش ، فقالوا : لقد اخترت علينا ، فلما قدموه ليضربوا عنقه ، قال قائل منهم : دعوه فإنكم تحتاجون إلى اليمامة لطعامكم ، فخلوه ، فقال الحنفى فى ذلك :

ومنا الذى لبى بمكة معلناً برغم أبى سفيان فى الأشهر الحرم

حدثت أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، حين أسلم ، لقد كان وجهك أبغض الوجوه إلى ، ولقد أصبح وهو أحب الوجوه إلى . وقال فى الدين والبلاد مثل ذلك .

ثم خرج معتمراً . فلما قدم مكة ، قالوا أصبوت ياثمام ؟ فقال : لا ، ولكنى اتبعت خير الدين ، دين محمد ، ولا والله لا تصل إليكم حبة من اليمامة حتى يأذن فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثم خرج إلى اليمامة ، فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً ، فكتبوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : إنك تأمر بصلة الرحم ، وإنك قد قطعت أرحامنا ، وقد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه أن يخلى بينهم وبين الحمل .

سرية علقمة بن مجزز : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز .

لما قتل وقاص بن مجزز المدلجى يوم ذى قرد ، سأل علقمة بن مجزز رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبعثه فى آثار القوم ، ليدرك ثأره فيهم .

فذكر عبد العزيز بن محمد ، عن محمد بن عمرو بن علقمة ، عن عمرو بن الحكم بن ثوبان ، عن أبى سعيد الخدرى

قال : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علقمة بن مجزز ـ قال أبو سعيد الخدرى : وأنا فيهم ـ حتى إذا بلغنا رأس غزاتنا أو كنا ببعض الطريق ، أذن لطائفة من الجيش ، واستعمل عليهم عبد الله بن حذافة السهمى ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت فيه دعابة ، فلما كان ببعض الطريق أوقد ناراً ، ثم قال للقوم : أليس لى عليكم السمع والطاعة ؟ قالوا : بلى ، قال : أفما أنا آمركم بشىء إلا فعلتموه ؟ قالوا : نعم ، قال : فإنى أعزم عليكم بحقى وطاعتى إلا تواثبتم فى هذه النار ، قال : فقام بعض القوم يحتجز ، حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال لهم : اجلسوا فإنما كنت أضحك معكم ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أن قدموا عليه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : من أمركم بمعصية منهم فلا تطيعوه .

وذكر محمد بن طلحة أن علقمة بن مجزز رجع هو وأصحابه ولم يلق كيداً .

سرية كرز بن جابر لقتل البجليين الذين قتلوا يساراً حدثنى بعض أهل العلم ، عمن حدثه ، عن محمد بن طلحة ، عن عثمان بن عبد الرحمن ، قال : أصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى غزوة محارب وبنى ثعلبة عبداً يقال له يسارا فجعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فى لقاح له كانت ترعى فى ناحية الجماء ، فقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من قيس كبة من بجيلة ، فاستوبئوا ، وطحلوا ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : لو خرجتم إلى اللقاح فشربتم من ألبانها وأبوالها ، فخرجوا إليها .

فلما صحوا وانطوت بطونهم ، عدوا على راعى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسارا ، فذبحوه وغرزوا الشوك فى عينيه ، واستاقوا اللقاح . فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى آثارهم كرز بن جابر ، فلحقهم ، فأتى بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرجعه من غزوة ذى قرد ، فقطع أيديهم وأرجلهم ، وسمل أعينهم .

غزوة على بن أبى طالب الى اليمن : وغزوة على بن أبى طالب رضوان الله عليه إلى اليمن غزاها مرتين .

قال ابن هشام : قال أبو عمرو المدنى : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن أبى طالب إلى اليمن ، وبعث خالد بن الوليد فى جند آخر ، وقال : إن التقيتما فالأمير على بن أبى طالب .

وقد ذكر ابن إسحاق بعث خالد بن الوليد فى حديثه ، ولم يذكره فى عدة البعوث والسرايا ، فينبغى أن تكون العدة فى قوله تسعة وثلاثين .

بعث أسامة بن زيد الى ارض فلسطين وهو آخر البعوث . قال ابن اسحاق : وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة ابن زيد بن حارثة إلى الشام ، وأمره أن يوطىء الخيل تخوم البلقاء والداروم ، من أرض فلسطين فتجهز الناس ، وأوعب مع أسامة المهاجرون الأولون .

قال ابن هشام : وهو آخر بعث بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ابتداء شكوى رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ابن إسحاق : فبينا الناس على ذلك ابتدىء رسول الله صلى الله عليه وسلم بشكوه الذى قبضه الله فيه ، إلى ما أراد به من كرامته ورحمته ، فى ليال بقين من صفر ، أو فى أول شهر ربيع الأول فكان أول ما ابتدىء به من ذلك ، فيما ذكر لى ، أنه خرج إلى بقيع الغرقد ، من جوف الليل ، فاستغفر لهم ، ثم رجع إلى أهله ، فلما أصبح ابتدىء بوجعه من يومه ذلك .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الله بن عمر ، عن عبيد بن جبير ، مولى الحكم بن أبى العاص ، عن عبد الله بن عمرو

ابن العاص ، عن أبي مويهبة ، مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم من جوف الليل ، فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أمرت أن أستغفر لأهل هذا البقيع ، فانطلق معي ، فانطلقت معه ، فلما وقف بين أظهرهم ، قال : السلام عليكم يا أهل المقابر ، ليهنىء لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، يتبع آخرها أولها ، الآخرة شر من الأولى ؛ ثم أقبل علي ، فقال : يا أبا مويهبة ، إني قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، فخيرت بين ذلك وبين لقاء ربي والجنة . قال : فقلت : بأبي أنت وأمي ، فخذ مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة ، قال : لا والله يا أبا مويهبة ، لقد اخترت لقاء ربي والجنة ، ثم استغفر لأهل البقيع ، ثم انصرف ، فبدأ برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه الذي قبضه الله فيه .

تمريضه في بيت عائشة . قال ابن إسحاق : وحدثني يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهري ، عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من البقيع ، فوجدني وأنا أجد صداعا في رأسي ، وأنا أقول : وارأساه ، فقال : بل أنا والله يا عائشة وارأساه . قالت : ثم قال : وما ضرك لو مت قبلي ، فقمت عليك وكفنتك ، وصليت عليك ودفنتك ! قالت : قلت : والله لكأني بك ، لو قد فعلت ذلك ، لقد رجعت إلى بيتي ، فأعرست فيه ببعض نسائك ، قالت : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتتام به وجعه وهو يدور على نسائه حتى استعز به وهو في بيت ميمونة ، فدعا نساءه فاستأذنهن في أن يمرض في بيتي ، فأذن له .

حجة الوداع

ذكر فيها حديث عائشة وقولها : فأهللنا بالحج وما نذكر إلا أمر الحج ، وهذا يدل على أنهم أفردوا ، وقد بين ذلك جابر في حديثه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — أفرد الحج ، وهذا هو الصحيح في حديث جابر ، قد روى من طرق فيها لين عن جابر أنه قال قرن رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الحج والعمرة ، وطاف لهما طوافاً واحداً ، وسعى لهما سعياً واحداً ، رواه الدارقطني ، وروى أيضاً أن جابراً قال : حج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث حجات ، حجتين قبل الهجرة ، وحجته التي قرنها بعمرته ، وأما حديث ابن عباس فصحيح ، وقال فيه : طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم — عن حجته وعمرته طوافاً واحداً ، وقد اختلف عن علي ، فروى عنه أنه طاف عنهما طوافين ، ولم يختلف عنه أنه كان قارناً ؟ وكذلك حديث عمران بن حصين ، في أنه عليه السلام كان قارناً ، وأما حديث أنس فصرح فيه بأنه كان قارناً ، وقال : ما تعدونا إلا صبياناً سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصرخ بهما جميعا يعني الحج والعمرة ، فاختلفت الروايات في إحرام رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ترى : هل كان مفرداً أو قارناً ، أو متمتعاً ، وكلها صحاح إلا من قال : كان متمتعاً ، وأراد به أهل بعمرة ، وأما من قال : تمتع رسول الله — صلى الله عليه وسلم — أي : أمر بالتمتع وفسخ الحج بالعمرة ، فقد يصح هذا التأويل ، ويصح أيضاً أن يقال تمتع إذا قرن ، لأن القران ضرب من المتعة لما فيه من إسقاط أحد السفرين . والذي يرفع الإشكال حديث البخاري أنه أهل بالحج ، فلما كان بالعقيق أتاه جبريل ، فقال له : إنك بهذا الوادي المبارك ، فقل : لبيك بحج وعمرة معاً ، فقد صار قارناً بعد أن كان مفرداً ، وصح القولان جميعاً ، وأمره لأصحابه أن يفسخوا الحج بالعمرة خصوص لهم ، وليس لغيرهم أن يفعله وإنما فعل ذلك ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية في تحريمهم العمرة في أشهر الحج ، فكانوا يرون العمرة في أشهر الحج من أكبر الكبائر ، ويقولون : إذا برأ الدبر ، وعفا الأثر ، وانسلخ صفر حلت العمرة لمن اعتمر ، ولم يفسخ رسول الله صلى الله عليه وسلم حجه كما فعل أصحابه ، لأنه ساق الهدى ، وقلده ؛ والله سبحانه يقول : « حتى يبلغ الهدى محله » ، وقال حين رأى أصحابه قد شق عليهم خلافه : لو استقبلت من أمري ما استدبرت لجعلتها

عمرة ، ولما سقت الهدى ، قال شيخنا أبو بكر رضى الله عنه : إنما ندم على ترك ما هو أسهل ، وأرفق ؟ وذلك لما رأى من كراهة أصحابه لمخالفته ، ولم يكن ساق الهدى معه من أصحابه إلا طلحة بن عبيد الله ، فلم يحل حتى نحر ، وعلى أيضاً أتى من اليمن وساق الهدى فلم يحل إلا بإحلال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله عليه السلام فى خطبة الوداع : ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان ، إنما قال ذلك لأن ربيعة كانت تحرم رمضان ، وتسميه : رجباً من رجبت الرجل ورجبته إذا عظمته ، ورجبت النخلة إذا دعمتها ، فبين عليه السلام أنه رجب مضر لا رجب ربيعة ، وأنه الذى بين جمادى وشعبان وقد تقدم تفسير قوله : إن الزمان قد استدار ، وتقدم اسم ابن أبى ربيعة المسترضع فى هذيل ، وأن اسمه آدم ، وقيل : تمام وكان سبب قتله حرب كانت بين قبائل هذيل تقاذفوا فيها بالحجارة فأصاب الطفل حجر وهو يحبو بين البيوت ، كذلك ذكر الزبير .

بعث أسامة : وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة على جيش كثيف ، وأمره أن يغير على أبنى صباحاً ، وأن يحرق . وأبنا ، هى القرية التى عند مؤتة حيث قتل أبوه زيد ، ولذلك أمره على حداثة سنه ليدرك ثأره ، وطعن فى إمارته أهل الريب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : وايم الله إنه لخليق بالإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً بها ، وإنما طعنوا فى إمرته ، لأنه مولى مع حداثة سنه ، لأنه كان إذ ذاك ابن ثمان عشرة سنة ، وكان رضى الله عنه أسود الجلدة ، وكان أبوه أبيض صافى البياض ، نزع فى اللون إلى أمه بركة ، وهى أم أيمن ، وقد تقدم حديثها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحبه ويمسح خشمه ، وهو صغير بثوبه ، وعثر يوماً فأصابه جرح فى رأسه ، فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمص دمه ويمجه ، ويقول : لو كان أسامة جارية لحليناها ، حتى يرغب فيها ، وكان يسمى الحب بن الحب .

عدة الغزوات : وذكر ابن إسحاق عدة الغزوات ، وهى ست وعشرون ، وقال الواقدى : كانت سبعاً وعشرين ، وإنما جاء الخلاف ، لأن غزوة خيبر اتصلت بغزوة وادى القرى ، فجعلها بعضهم غزوة واحدة ، وأما البعوث والسرايا فقيل : هى ست وثلاثون كما فى الكتاب ، وقيل : ثمان وأربعون وهو قول الواقدى ، ونسب المسعودى إلى بعضهم أن البعوث والسرايا كانت ستين . قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تسع غزوات ، وقال الواقدى : قاتل فى إحدى عشرة غزوة ، منها الغابة ووادى القرى والله أعلم .

إرسال رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الملوك

الحواريون : ذكر فيه إرسال عيسى بن مريم الحواريين ، وأصح ما قيل فى معنى الحواريين أن الحوارى هو الخلصان ، أى الخالص الصافى من كل شىء ، ومنه الحوارى ، والحور ، وقول المفسرين هو : الخلصان كلمة فصيحة : أنشد أبو حنيفة :

خليلى خلصانى لم يبق حبها — من القلب إلا عوذاً سيبأ لها

قال : والعوذ ما لم تدركه الماشية لارتفاعه ، أو لأنه بأهداف ، فكأنه قد عاذ منها .

المسيح عليه السلام : وأصح ما قيل فى معنى المسيح على كثرة الأقوال فى ذلك أنه الصديق بلغتهم ، عربته العرب . وكان إرسال المسيح للحواريين بعد ما رفع وصلب الذى شبه به ، فجاءت مريم الصديقة والمرأة التى كانت مجنونة ، فأبرأها المسيح ، وقعدتا عند الجذع تبكيان ، وقد أصاب أمه من الحزن عليه ما لا يعلم علمه إلا الله فأهبط إليهما ،

وقال: على ما تبكيان؟ فقالتا: عليك، فقال إنى لم أقتل، ولم أصلب، ولكن الله رفعنى وكرمنى، وشبه عليهم فى أمرى، أبلغا عنى الحواريين أمرى، أن يلقونى فى موضع كذا ليلا فجاء الحواريون ذلك الموضع، فإذا الجبل قد اشتعل نوراً لنزوله به، ثم أمرهم أن يدعوا الناس إلى دينه وعبادة ربهم، فوجههم إلى الأمم التى ذكر ابن إسحاق وغيره، ثم كسى كسوة الملائكة فعرج معهم، فصار ملكيا إنسيا سمائيا أرضياً.

فصل: وذكر فى الأمم: الأمة الذين يأكلون الناس، وهم من الأساودة ذكره الطبرى.

زريب: وذكر فى الحواريين زريب بن برثملى وهو الذى عاش إلى زمن عمر وسمع نضلة بن معاوية أذانه فى الجبل فكلمه، فإذا رجل عظيم الخلق رأسه كدور الرحى، فسأل نضلة والجيش الذين كانوا معه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالوا: قبض، وعن أبى بكر، فقالوا: قبض، ثم سألهم عن عمر، فقالوا: هو حى، ونحن جيشه، فقال لهم: أقرءوه منى السلام ثم أمرهم أن يبلغوا عنه وصايا كثيرة، وأن يحذر الناس من خصال إذا ظهرت فى أمة محمد، فقد قرب الأمر، ومنها لبس الحرير، وشرب الخمر، وأن يكتفى الرجال بالرجال والنساء بالنساء. وذكر فيها أيضا المعازف والقيان وأشياء غير هذه، فقالوا له: من أنت يرحمك الله؟ فقال زريب بن برثملى حوراى عيسى بن مريم عليه السلام دعوت الله أن يحيينى، حتى أرى أمة محمد، أو نحو هذا الكلام، وقد أردت الخلوص إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم، فلم أستطع، حال بينى وبينه الكفار.

وذكر الدارقطنى فى هذا الحديث من طريق مالك بن أنس مرفوعا أن عمر قال لنضلة إن لقيته فأقرئه منى السلام، فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن بذلك الجبل وصيا من أوصياء عيسى عليه السلام، والخبر بهذا مشهور عنه، وفيه طول فاختصرناه، ويقال: إنه الآن حى. ومن قال: إن الخضر وإلياس قد ماتا، فمن أصله أيضاً أن زريباً قد مات، لأنهم يحتجون بالحديث الصحيح: إلى رأس مائة سنة، لا يبقى على الأرض ممن هو عليها أحد.

رسله إلى النجاشى وقيصر: فصل: وذكر إرسال عمرو بن أمية إلى النجاشى، وقد قدمنا ذكر ما قال وما قيل له، وكذلك ذكرنا خبر سليط مع هوذة، وما قال له، وخبر عبد الله بن حذافة مع كسرى، وكلامه معه، ونذكر هنا بقية الإرسال، وكلامهم فمنهم: دحيه بن خليفة الكلبى، فقدم دحية على قيصر، وقد ذكرنا معنى هذا الاسم، أعنى اسم دحية، واسم قيصر فيما مضى من الكتاب، فلما قدم دحية على قيصر، قال له ياقيصر أرسلنى إليك من هو خير منك، والذى أرسله هو خير منه ومنك، فاسمع بذل، ثم أجب بنصح فإنك إن لم تذلل لم تفهم، وإن لم تنصح لم تنصف، قال: هات، قال: هل تعلم أكان المسيح يصلى؟ قال: نعم، قال: فإنى أدعوك إلى من كان المسيح يصلى له، وأدعوك إلى من دبر خلق السموات والأرض والمسيح فى بطن أمه، وأدعوك إلى هذا النبى الأمى الذى بشر به موسى، وبشر به عيسى ابن مريم بعده، وعندك من ذلك أثارة من علم تكفى من العيان وتشفى من الخبر، فإن أجبت كانت لك الدنيا والآخرة، وإلا ذهبت عنك الآخرة وشوركت فى الدنيا، واعلم أن لك ربا يقصم الجبابرة، ويغير النعم، فأخذ قيصر الكتاب فوضعه على عينيه ورأسه وقبله، ثم قال: أما والله ما تركت كتاباً إلا وقرأته، ولا عالماً إلا سألته، فما رأيت إلا خيراً، فأمهلنى حتى أنظر من كان المسيح يصلى له، فإنى أكره أن أجيبك اليوم بأمر أرى غداً ما هو أحسن منه، فأرجع عنه، فيضرنى ذلك، ولا ينفعنى، أقم حتى أنظر، فلم يلبث أن أتاه وفاة رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وفى غزوة تبوك بقية حديث قيصر، فانظره هنالك.

رسوله إلى المقوقس: وأما حاطب فقدم على المقوقس، واسمه: جريج بن مينا، فقال له: « إنه قد كان رجل قبلك يزعم أنه الرب الأعلى، فأخذه الله نكال الآخرة والأولى، فانتقم به، ثم انتقم منه: فاعتبر بغيرك، ولا يعتبر بك غيرك،

قال : هات ، قال : إن لك ديناً لن تدعه إلا لما هو خير منه ، وهو الإسلام ، الكافي به الله فقد ماسواه . إن هذا النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ دعا الناس ، فكان أشدهم عليه قريش ، وأعداهم له يهود، وأقربهم منه النصارى ، ولعمرى ما بشارة موسى بعيسى إلا كبشارة عيسى بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما دعاؤنا إياك إلى القرآن إلا كدعائك أهل التوراة إلى الإنجيل ، وكل نبي أدرك قوماً فهم من أمته فالحق عليهم أن يطيعوه ، فأنت ممن أدركه هذا النبي ، ولسنا ننهاك عن دين المسيح ، ولكن نأمرك به » قال المقوقس : « إنى قد نظرت في أمر هذا النبي ، فوجدته لا يأمر بمزهود فيه ، ولا ينهى إلا عن مرغوب عنه ، ولم أجده بالساحر الضال ، ولا الكاهن الكاذب ، ووجدت معه آلة النبوة بإخراج الخبء والإخبار بالنجوى ، وسأنظر. فأهدى للنبي صلى الله عليه وسلم أم إبراهيم القبطية ، واسمها : مارية بنت شمعون ، وأختها معها : واسمها سيرين وهى أم عبد الرحمن بن ثابت ، وغلاماً اسمه مأبور ، وبغلة اسمها دلدل ، وكسوة ، وقدحاً من قوارير كان يشرب فيه النبي صلى الله عليه وسلم ، وكاتبه .

رسوله إلى ابن ساوى . وأما العلاء بن الحضرمى ، فقدم على المنذر بن ساوى فقال له : « يامنذر إنك عظيم العقل في الدنيا ، فلا تصغرن عن الآخرة ، إن هذه المجوسية شر دين ليس فيها تكرم العرب ، ولا علم أهل الكتاب ، ينكحون ما يستحيا من نكاحه ، ويأكلون ما يتكرم على أكله ، ويعبدون في الدنيا ناراً تأكلهم يوم القيامة ، ولست بعديم عقل ، ولا رأى فانظر : هل ينبغى لمن لا يكذب أن لا تصدقه ، ولمن لا يخون أن لا تأمنه ، ولمن لا يخلف أن لا تثق به ، فإن كان هذا هكذا ، فهو هذا النبي الأمى الذى والله لا يستطيع ذو عقل أن يقول : ليت ما أمر به نهى عنه ، أو ما نهى عنه أمر به ، أو ليته زاد في عفوه ، أو نقص من عقابه ، إن كل ذلك منه على أمنية أهل العقل وفكر أهل البصر » .

فقال المنذر : قد نظرت في هذه الأمر الذى في يدى ، فوجدته للدنيا دون الآخرة ، ونظرت في دينكم ، فوجدته للآخرة والدنيا ، فما يمنعنى من قبول دين فيه أمنية الحياة وراحة الموت ، ولقد عجبت أمس ، ممن يقبله ، وعجبت اليوم ممن يرده ، وإن من إعظام من جاء به أن يعظم رسوله ، وسأنظر .

مفتاح الجنة . فصل : ومما وقع في السيرة في حديث العلاء قول النبي عليه السلام له : إذا سئلت عن مفتاح الجنة فقل : مفتاحها : لا إله إلا الله ، وفي البخارى : قيل لوهب : أليس مفتاح الجنة لا إله إلا الله ؟ فقال : بلى ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان ، فإن جئت بمفتاح له أسنان فتح لك ، وإلا لم يفتح لك ، وفي رواية غيره : أن ابن عباس ذكر له قول وهب ، فقال : صدق وهب ، وأنا أخبركم عن الأسنان ما هى ، فذكر الصلاة والزكاة وشرائع الإسلام .

عمرو والجلندى : وأما عمرو بن العاصى ، فقدم على الجلندى ، فقال له : يا جلندى إنك وإن كنت منا بعيداً، فإنك من الله غير بعيد ، إن الذى تفرد بخلقك أهل أن تفرده بعبادتك ، وأن لا تشرك به من لم يشركه فيك ، واعلم أنه يميتك الذى أحياك ، ويعيدك الذى بدأك ، فانظر في هذا النبي الأمى الذى جاء بالدنيا والآخرة ، فإن كان يريد به أجراً فامنعه ، أو يميل به هوى فدعه ، ثم انظر فيما يجيء به : هل يشبه ما يجيء به الناس ، فإن كان يشبهه ، فسله العيان ، وتخير عليه في الخبر ، وإن كان لا يشبهه فاقبل ما قال ، وخف ما وعد ، قال الجلندى : إنه والله لقد دلنى على هذا النبي الأمى أنه لا يأمر بخير إلا كان أول من أخذ به ، ولا ينهى عن شر إلا كان أول تارك له ، وأنه يغلب فلا يبطر . ويغلب فلا يضجر وأنه يفى بالعهد ، وينجز الموعود ، وأنه لا يزال سر قد اطلع عليه يساوى فيه أهله ، وأشهد أنه نبي .

شجاع وجبلة بن الأيهم : وأما شجاع بن وهب ، فقدم على جبلة بن الأيهم ، وهو جبلة بن الأيهم بن الحارث

ابن أبي شمر ، وجبلة ، هو الذى أسلم ثم تنصر من أجل لطمة حاكم فيها إلى أبى عبيدة بن الجراح وكان طوله اثنى عشر شبراً ، وكان يمسح برجليه الأرض ، وهو راكب ، فقال له : ياجبلة إن قومك نقلوا هذا النبى الأمى من داره إلى دارهم ، يعنى : الأنصار ، فآووه ، ومنعوه ، وإن هذا الدين الذى أنت عليه ليس بدين آبائك ، ولكنك ملكت الشام وجاورت بها الروم ، ولو جاورت كسرى دنت بدين الفرس لملك العراق ، وقد أقر بهذا النبى الأمى من أهل دينك من إن فضلناه عليك لم يغضبك ، وإن فضلناك عليه لم يرضك ، فإن أسلمت أطاعتك الشام وهابتك الروم ، وإن لم يفعلوا كانت لهم الدنيا ولك الآخرة ، وكنت قد استبدلت المساجد بالبيع ، والأذان بالناقوس ، والجمع بالشعانين والقبلة بالصليب ، وكان ما عند الله خير وأبقى ، فقال جبلة : إنى والله لوددت أن الناس أجمعوا على هذا النبى الأمى اجتماعهم على خالق السموات والأرض ، ولقد سرنى اجتماع قومى له ، وأعجبنى قتله أهل الأوثان واليهود ، واستبقاؤه النصارى ، ولقد دعانى قيصر إلى قتال أصحابه يوم مؤتة ، فأبيت عليه ، فانتدب مالك بن نافلة من سعد العشيرة فقتله الله ، ولكننى لست أرى حقا ينفعه ، ولا باطلا يضره والذى يمدنى إليه أقوى من الذى يختلجنى عنه ، وسأنظر .

المهاجر وابن عبد كلال : وأما المهاجر بن أبى أمية ، فقدم على الحارث بن عبد كلال ، وقال له : ياحارث إنك كنت أول من عرض عليه النبى صلى الله عليه وسلم نفسه فخطئت عنه ، وأنت أعظم الملوك قدراً ، فإذا نظرت فى غلبة الملوك ، فانظر فى غالب الملوك ، وإذا سرك يومك فخف غدك ، وقد كان قبلك ملوك ذهبت آثارها وبقيت أخبارها عاشوا طويلا ، وأملوا بعيداً وتزودوا قليلا ، منهم من أدركه الموت ، ومنهم من أكلته النقم ، وإنى أدعوك إلى الرب الذى إن أردت الهدى لم يمنعك ، وإن أرادك لم يمنعه منك أحد ، وأدعوك إلى النبى الأمى الذى ليس له شىء أحسن مما يأمر به ، ولا أقبح مما ينهى عنه واعلم أن لك رباً يميت الحى ويحيى الميت ، ويعلم خائنة الأعين ، وما تخفى الصدور فقال الحارث : قد كان هذا النبى عرض نفسه على فخطئت عنه ، وكان ذخراً لمن صار إليه ، وكان أمره أمراً سبق فحضره اليأس وغاب عنه الطمع ، ولم يكن لى قرابة أحتمله عليها ، ولا لى فيه هوى أتبعه له ، غير أنى أرى أمراً لم يوسوسه الكذب ، ولم يسنده الباطل . له بدء سار ، وعاقبة نافعة ، وسأنظر . ومما قاله دحية بن خليفة فى قدومه على قيصر :

ألا هل أتاها على نأيها ... فإنى قدمت على قيصر
فقدرته بصلاة المسيـ ... ـح وكانت من الجوهر الأحمر
وتدبير ربك أمر السما ... ء والأرض فأغضى ولم ينكر
وقلت : تقر ببشرى المسيـ ... ـح ، فقال : سأنظر قلت : انظر
فكاد يقر بأمر الرسو ... ل فمال إلى البدل الأعور
فشك وجاشت له نفسه ... وجاشت نفوس بنى الأصفر
على وضعه بيديه الكتا ... ب على الرأس والعين والمنخر
فأصبح قيصر من أمره ... بمنزلة الفرس الأشقر

يريد بالفرس الأشقر مثلا للعرب يقولون :

أشقر إن يتقدم ينحر وإن يتأخر يعقر

وقال الشاعر فى هذا المعنى :

وهل كنت إلا مثل سيقة العدا ... إن استقدمت نحر ، وإن جبأت عقر

وفى حديث دحية من رواية الحارث فى مسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم — قال : من ينطلق بكتابى هذا إلى قيصر وله الجنة ، فقالوا : وإن لم يقتل يارسول الله ؟ قال : وإن لم يقتل ، فانطلق به رجل يعنى دحية ، وذكر الحديث .

غزوة عمر : فصل : وذكر غزوة عمر إلى تربة ، وهى تربة بفتح الراء أرض كانت لخثعم وفيها جاء المثل : صادف بطنه بطن تربة ، يريدون الشبع والخصب . قال البكرى : وكذلك : عرنة بفتح الراء يعنى التى عند عرفة .

ذكر غزوة ذات السلاسل : والسلاسل : مياه واحدها سلسل وأن عمرو بن العاصى كان الأمير يومئذ ، وكان عليه السلام أمره أن يسير إلى بلى : وأن أم أبيه العاصى كانت من بلى ، واسمها : سلمى فيما ذكر الزبير ، وأما أم عمرو ، فهى ليلى تلقب بالنابغة سبيت من بنى جلان بن عنترة بن ربيعة .

وذكر فى هذه السرية صحبة رافع بن أبى رافع لأبى بكر ، وهو رافع بن عميرة ويقال فيه : ابن عمير ، وهو الذى كلمه الذئب ، وله شعر مشهور فى تكليم الذئب له ، وكان الذئب قد أغار على غنمه فاتبعه ، فقال له الذئب : ألا أدلك على ماهو خير لك ، قد بعث نبى الله ، وهو يدعو إلى الله ، فألحق به ، ففعل ذلك رافع وأسلم .

وذكر فى حديثه مع أبى بكر أنه أطعمه وعمر لحم جزور ، كان قد أخذ منها عشيراً على أن يجزئها لأهلها ، فقام أبو بكر وعمر فتقيآ ما أكلا ، وقالا : أتطعمنا مثل هذا ، وذلك ، والله أعلم أنهما كره أجرة مجهولة ، لأن العشير واحد الأعشار على غير قياس ، يقال : برمة أعشار إذا انكسرت . ويجوز أن يكون العشير بمعنى العشر كالثمين بمعنى الثمن ، ولكنه عاملهم عليه قبل إخراج الجزور من جلدها ، وقبل النظر إليها . أو يكونا كرها جزارة الجزار على كل حال والله أعلم .

غزوة غالب : وذكر غزوة غالب بن عبدالله وقتله مرداس بن نهيك من الحرقة . وقال ابن هشام : الحرقة فيما ذكر أبو عبيدة وقال ابن حبيب : فى بشكر حرقة بن ثعلبة . وحرقة بن مالك كلاهما من بنى حبيب بن كعب بن يشكر . وفى قضاعة : حرقة بن جذيمة بن نهد . وفى تميم حرقة بن زيد بن مالك بن حنظلة . وقال القاضى أبو الوليد : هكذا وقعت هذه الأسماء كلها بالقاف . وذكرها الدارقطنى كلها بالفاء .

غزوة محمد بن مسلمة : وذكر غزوة محمد بن مسلمة إلى القرطاء . وهم بنو قرط وقريط . وقرتط بنو أبى بكر ابن كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة

وذكر حيان بن ملة . وهو حسان بن ملة . وكذلك قاله فى موضع آخر من الكتاب . وهو قول ابن هشام .

وذكر سعد بن هذيم . وإنما هو سعد بن زيد بن ليث بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاعة . وإنما نسب إلى هذيم . لأن هذيماً حضنه . وهو عبد حبشى .

حديث ام قرفة : التى جرت فيها المثل : أمنع من أم قرفة . لأنها كانت يعلق فى بيتها خمسون سيفاً لفرسان كلهم لها ذو محرم ، واسمها فاطمة بنت حذيفة بن بدر كنيت بابنها قرفة . قتله النبى عليه السلام فيما ذكر الواقدى .

وذكر أن سائر بنيها . وهم تسعة قتلوا مع طليحة بن بزاخة فى الردة وهم حكمة وخرشة وجبلة وشريك ووالان ورمل وحصين وذكر باقيهم .

وذكر أن قرفة قتلت يوم بزاخة أيضاً . وذكر عن عبد الله بن جعفر أنه أنكر ذلك . وهو الصحيح كما فى هذا الكتاب . وذكر الدولابى أن زيد بن حارثة حين قتلها ربطها بفرسين . ثم ركضابها حتى ماتت ، وذلك لسبها رسول الله صلى الله عليه وسلم . وذكر المرأة التى سألها رسول الله صلى الله عليه وسلم من سلمة وهى بنت أم قرفة . وفى مصنف

أبى داود . وخرجه مسلم أيضاً أن النبى صلى الله عليه وسلم قال لسلمة : هب لى المرأة يا سلمة . لله أبوك . فقال : هى لك يارسول الله ففدى بها أسيراً كان فى قريش من المسلمين . وهذه الرواية أصح . وأحسن من رواية ابن إسحاق . فإنه ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهبها لخاله بمكة ؛ وهو حزن بن أبى وهب بن عائذ بن عمران بن مخزوم وفاطمة جدة النبى صلى الله عليه وسلم أم أبيه هى بنت عمرو بن عائذة فهذه الخئولة التى ذكر . وقتل عبد الرحمن ابن حزن باليمامة شهيداً . وحزن هذا هو جد سعيد بن المسيب بن حزن . ومسعدة الذى ذكر فى هذا الحديث أنه قتل ، هو ابن حكمة بن حذيفة بن بدر . وسلمة الذى كانت عنده الجارية ، قيل : هو سلمة بن الأكوع . واسم الأكوع : سنان . وقيل : هو سلمة بن سلامة بن وقش ، قاله الزبير .

غزوة أبى حدرد وذكر غزوة أبى حدرد ، واسمه : سلمة بن عمير ، وقيل : عبيدة بن عامر .

وذكر قتل محلم بن جثامة ، وخبره فى غير رواية ابن إسحاق أن محلم بن جثامة مات بحمص فى إمارة ابن الزبير وأما الذى نزلت فيه الآية : « لمن ألقى إليكم السلم » ، والاختلاف فيه شديد ، فقد قيل اسمه فليت وقيل وهو محلم كما تقدم ، وقيل نزلت فى المقداد بن عمرو ، وقيل فى أسامة ، وقيل فى أبى الدرداء ، واختلف أيضاً فى المقتول فقيل : مرداس بن نهيك ، وقيل : عامر الأضبط ؛ والله أعلم . كل هذا مذكور فى التفاسير والمسندات .

ثمامة ابن اثال : وذكر ابن إسحاق ثمامة بن أثال الحنفى وإسلامه ، وقد خرج أهل الحديث حديث إسلامه ، وفيه قال للنبى ـ صلى الله عليه وسلم ـ : إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكرا ، وإن ترد المال تعطه ، فقال عليه السلام : اللهم أكلة من جزور أحب إلى من دم ثمامة ، فأطلقه ، فتطهر وأسلم ، وحسن إسلامه ، ونفع الله به الإسلام كثيراً ، وقام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاماً حميداً حين ارتدت اليمامة مع مسيلمة ، وذلك أنه قام فيهم خطيباً ، وقال : يابنى حنيفة أين عزبت عقولكم . بسم الله الرحمن الرحيم . حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم . غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ، أين هذا من ياضفدع نقى كما تنقين لا الشراب تكدرين ، ولا الماء تمنعين مما كان يهذى به مسيلمة فأطاعه منهم ثلاثة آلاف ، وانحازوا إلى المسلمين ، ففت ذلك فى أعضاد حنيفة . وذكر ابن إسحاق أنه الذى قال فيه النبى صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل فى معى واحد الحديث ، وقال : أبو عبيد هو أبو بصرة الغفارى ، وفى مسند ابن أبى شيبة أنه جهجاه بن مسعود الغفارى ، وفى الدلائل أن اسمه نضلة ، وقد أملينا فى معنى قوله : يأكل فى سبعة أمعاء نحواً من كراسة رددنا فيـــه قول من قال : إنه مخصوص برجل واحد ، وبينا معنى الأكل والسبعة الأمعاء ، وأن الحديث ورد على سبب خاص ، ولكن معناه عام ، وأتينا فى ذلك بما فيه شفاء والحمد لله ، وقوله فى رواية البخارى : ذا دم رواه أبو داود : ذا ذم بالذال المعجمة .

مازاده ابن هشام مما لم يذكره ابن إسحاق

وذكر الشيخ الحافظ أبو بحر سفيان بن العاصى رحمه فى هذا الموضع . قال : نقلت من حاشية نسخة من كتاب السير منسوبة بسماع أبى سعيد عبد الرحيم بن عبد الله بن عبد الرحيم وأخويه محمد وأحمد ابنى عبد الله بن عبد الرحيم ما هذا نصه : وجدت بخط أخى قول ابن هشام : هذا مما لم يذكره ابن إسحاق هو غلط منه ، قد ذكره ابن إسحاق عن جعفر بن عمرو بن أمية عن عمرو بن أمية فيما حدث أسد عن يحيى بن زكرياء عن ابن إسحاق ، والقائل فى الحاشية وجدت بخط أخى هو أبو بكر بن عبد الله بن عبد الرحيم . وفى الكتاب المذكور قول أبى بكر المذكور فى غزوة الطائف بعد قوله : فولدت له داود بن أبى مرة . إلى هاهنا انتهى سماعى من أخى ، وما بقى من هذا الكتاب سمعته من ابن هشام نفسه .

ذكر أزواجه صلى الله عليه وسلم

قال ابن هشام : وكن تسعا : عائشة بنت أبي بكر ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت أبي سفيان ابن حرب ، وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة ، وسودة بنت زمعة بن قيس وزينب بنت جحش بن رئاب ، وميمونة بنت الحارث بن حزن ، وجويرية بنت الحارث بن أبي ضرار ، وصفية بنت حيي بن أخطب ، فيما حدثني غير واحد من أهل العلم .

خديجة . وكان جميع من تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة : خديجة بنت خويلد ، وهي أول من تزوج ، زوجه إياها أبوها خويلد بن أسد ، ويقال أخوها عمرو بن خويلد ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين بكرة ، فولدت لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولده كلهم إلا إبراهيم ، وكانت قبله عند أبي هالة ابن مالك ، أحد بني أسيد بن عمرو بن تميم ، حليف بني عبد الدار ، فولدت له هند بن أبي هالة ، وزينب بنت أبي هالة ، وكانت قبل أبي هالة عند عتيق بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فولدت له عبد الله وجارية .

قال ابن هشام : جارية من الجواري ، تزوجها صيفي بن أبي رفاعة :

عائشة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم عائشة بنت أبي بكر الصديق بمكة ، وهي بنت سبع سنين ، وبنى بها بالمدينة وهي بنت تسع سنين أو عشر ولم يتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم بكراً غيرها ، زوجه إياها أبوها أبو بكر ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

سودة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبدود بن نصر ابن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ، زوجه إياها سليط بن عمرو ، ويقال أبو حاطب بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود ابن نصر بن مالك بن حسل ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم .

قال ابن هشام : ابن إسحاق يخالف هذا الحديث ، يذكر أن سليطا وأبا حاطب كانا غائبين بأرض الحبشة في هذا الوقت .

وكانت قبله عند السكران بن عمرو بن عبد شمس بن عبدود بن نصر بن مالك بن حسل .

زينب بنت جحش : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية . زوجه إياها أخوها أبو أحمد بن جحش ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعمائة درهم ، وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ففيها أنزل الله تبارك وتعالى : « فلما قضى زيد منها وطراز وجنا كها » .

ام سلمة . وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ، واسمها هند ، زوجه إياها سلمة بن أبي سلمة ابنها ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم فراشاً حشوه ليف ، وقدحا وصحفة ، ومجشة ؛ وكانت قبله عند أبي سلمة بن عبد الأسد ، واسمه عبد الله ، فولدت له سلمة وعمر وزينب ورقية .

سرية عمر بن امية : وذكر سرية عمرو بن أمية وحلة لخبيب بن عدى من خشبته التي صلب فيها ، وفي مسند ابن أبي شيبة زيادة حسنة أنهما حين حلاه من الخشبة التقمته الأرض .

وذكر ابن هشام مقتل العصماء بنت مروان ، وفي خبرها قال صلى الله عليه وسلم : لا ينتطح فيها عنزان وكانت تسب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقتلها بعلها على ذلك ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اشهدوا أن دمها هدر . قال الدارقطني : من هاهنا يقوم أصل التسجيل في الفقة لأنه قد أشهد على نفسه بإمضاء الحكم ، ووقع في مصنف حماد بن سلمة أنها كانت يهودية

وكانت تطرح المحائض في مسجد بني حطمة فأهدر رسول الله صلى الله عليه وسلم دمها ، وقال : لا ينتطح فيها عنزان

حفصة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم حفصة بنت عمر بن الخطاب ، زوجه إياها أبوها عمر بن الخطاب ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند خنيس بن حذافة السهمي .

أم حبيبة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم حبيبة ، واسمها رملة بنت أبي سفيان بن حرب ، زوجه إياها خالد بن سعيد بن العاص ، وهما بأرض الحبشة ، وأصدقها النجاشي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكانت قبله عند عبيد الله بن جحش الأسدي .

جويرية : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار الخزاعية ، كانت في سبايا بني المصطلق من خزاعة ، فوقعت في السهم لثابت بن قيس بن الشماس الأنصاري ، فكاتبها على نفسها ، فأتت رسول الله صلى الله عليه وسلم تستعينه في كتابتها ، فقال لها : هل لك في خير من ذلك ؟ قالت : وما هو ؟ قال : أقضي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ فتزوجها .

قال ابن هشام : حدثنا بهذا الحديث زياد بن عبد الله البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن محمد بن جعفر بن الزبير عن عروة ، عن عائشة .

قال ابن هشام : ويقال : لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة بني المصطلق ، ومعه جويرية بنت الحارث ، فكان بذات الجيش ، دفع جويرية إلى رجل من الأنصار وديعة ، وأمره بالاحتفاظ بها ، وقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فأقبل أبوها الحارث بن أبي ضرار بفداء ابنته ، فلما كان بالعقيق نظر إلى الإبل التي جاء بها للفداء ، فرغب في بعيرين منها ، فغيبهما في شعب من شعاب العقيق ، ثم أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال يا محمد ، أصبتم ابنتي ، وهذا فداؤها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين البعيران اللذان غيبت بالعقيق في شعب كذا وكذا ؟ فقال الحارث أشهد أن لا إله إلا الله ، وأنك رسول الله ، صلى الله عليك ، فوالله ما اطلع على ذلك إلا الله تعالى ، فأسلم الحارث ، وأسلم معه ابنان له وناس من قومه ، وأرسل إلى البعيرين ، فجاء بهما فدفع الإبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ودفعت إليه ابنته جويرية ، فأسلمت وحسن إسلامها ، وخطبها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أبيها ، فزوجه إياها ، وأصدقه أربع مائة درهم ، وكانت قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ابن عم لها يقال له عبد الله .

قال ابن هشام : ويقال اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثابت بن قيس ، فأعتقها وتزوجها ، وأصدقها أربع مائة درهم .

صفية : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت حيي بن أخطب ، سباها من خيبر ، فاصطفاها لنفسه ، وأولم رسول الله صلى الله عليه وسلم وليمة ، ما فيها شحم ولا لحم ، كان سويقاً وتمراً ، وكانت قبله عند كنانة بن الربيع بن أبي الحقيق .

ميمونة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله بن هلال بن عامر بن صعصعة ، زوجه إياها العباس بن عبد المطلب ، وأصدقها العباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند أبي رهم بن عبد العزى بن أبي قيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي ؛ ويقال : إنها التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن خطبة النبي صلى الله عليه وسلم انتهت إليها وهي على بعيرها ، فقالت : البعير وما عليه لله ولرسوله ؛ فأنزل الله تبارك وتعالى : « وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي » .

ويقال : إن التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش ، ويقال أم شريك ، غزية بنت جابر بن

وهب من بنى منقذ بن عمرو بن معيص بن عامر بن لؤى ، ويقال : بل هى امرأة من بنى لؤى ، فأرجأها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

زينب بنت خزيمة : وتزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة ، وكانت تسمى أم المساكين ، لرحمتها إياهم ، ورقتها عليهم ، زوجه إياها قبيصة ابن عمرو الهلالى ، وأصدقها رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع مائة درهم ، وكانت قبله عند عبيدة بن الحارث بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وكانت قبل عبيدة عند جهم بن عمرو بن الحارث ، وهو ابن عمها .

فهؤلاء اللاتى بنى بهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إحدى عشرة ، فمات قبله منهن ثنتان : خديجة بنت خويلد ، وزينب بنت خزيمة . وتوفى عن تسع قد ذكرناهن فى أول هذا الحديث : وثنتان لم يدخل بهما : أسماء بنت النعمان الكندية ، تزوجها فوجد بها بياضاً ، فمتعها وردها إلى أهلها ، وعمرة بنت يزيد الكلابية ، وكانت حديثة عهد بكفر ؛ فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : منيع عائذ الله ، فردها إلى أهلها ، ويقال : إن التى استعاذت من رسول الله صلى الله عليه وسلم كندية بنت عم لأسماء بنت النعمان ، ويقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاها ، فقالت : إنا قوم نؤتى ولا نأتى ؛ فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهلها .

تسمية القرشيات منهن : القرشيات من أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ست : خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصى بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى ، وعائشة بنت أبى بكر بن أبى قحافة بن عامر بن عمرو بن كعب ابن سعد بن تيم بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب ؛ وحفصة بنت عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن عبد الله بن قرط بن رياح بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى ، وأم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن مرة بن كعب بن لؤى ؛ وأم سلمة بنت أبى أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة ابن مرة بن كعب بن لؤى ، وسودة بنت زمعة بن قيس بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى .

تسمية العربيات وغيرهن : والعربيات وغيرهن سبع : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة ابن كبير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة ؛ وميمونة بنت الحارث بن حزن بن بجير بن هزم بن رويبة بن عبد الله ابن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس بن عيلان ؛ وزينب بنت خزيمة بن الحارث بن عبد الله بن عمرو بن عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، وجويرية بنت الحارث بن أبى ضرار الخزاعية ، ثم المصطلقية ، وأسماء بنت النعمان الكندية ؛ وعمرة بنت يزيد الكلابية .

ومن غير العربيات : صفية بنت حيى بن أخطب ، من بنى النضير .

تمريض رسول الله فى بيت عائشة : قال ابن إسحاق : حدثنى يعقوب بن عتبة ، عن محمد بن مسلم الزهرى ، عن عبيد الله بن عتبة ، عن عائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم ، قالت : فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشى بين رجلين من أهله : أحدهما الفضل بن العباس ، ورجل آخر ، عاصباً رأسه ، تخط قدماه ، حتى دخل بيتى .

قال عبيد الله فحدثت هذا الحديث عبد الله بن العباس ، فقال : هل تدرى من الرجل الآخر ؟ قال : قلت : لا ، قال : على بن أبى طالب .

ثم غمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واشتد به وجعه ، فقال هريقوا على سبع قرب من آبار شتى ، حتى

أخرج إلى الناس فأعهد إليهم . قالت : فأقعدناه فى مخضب لحفصة بنت عمر ، ثم صببنا عليه الماء حتى طفق يقول : حسبكم حسبكم .

خطبة للنبى وتفضيله ابا بكر : قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أيوب بن بشير : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، ثم أول ما تكلم به أنه صلى على أصحاب أحد ، واستغفر لهم ، فأكثر الصلاة عليهم ، ثم قال : إن عبداً من عباد الله خيره الله بين الدنيا وبين ما عنده ، فاختار ما عند الله قال : ففهمها أبو بكر ، وعرف أن نفسه يريد ، فبكى وقال : بل نحن نفديك بأنفسنا وأبنائنا ، فقال : على رسلك يا أبا بكر ، ثم قال انظروا هذه الأبواب اللافظة فى المسجد ، فسدوها إلا بيت أبى بكر ، فإنى لا أعلم أحداً كان أفضل فى الصحبة عندى يداً منه .

قال ابن هشام : ويروى : إلا باب أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد الله ، عن بعض آل أبى سعيد بن المعلى : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال يومئذ فى كلامه هذا : فإنى لو كنت متخذاً من العباد خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن صحبة وإخاء إيمان حتى يجمع الله بيننا عنده .

امره بانفاذ بعث اسامة : وقال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن جعفر بن الزبير ، عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استبطأ الناس فى بعث أسامة بن زيد ، وهو فى وجعه ، فخرج عاصباً رأسه حتى جلس على المنبر ، وقد كان الناس قالوا فى إمرة أسامة : أمر غلاماً حدثاً على جلة المهاجرين والأنصار .

فحمد الله وأثنى عليه بما هو له أهل ، ثم قال : أيها الناس ، أنفذوا بعث أسامة ، فلعمرى لئن قلتم فى إمارته لقد قلتم فى إمارة أبيه من قبله ، وإنه لخليق للإمارة ، وإن كان أبوه لخليقاً لها .

قال : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانكمش الناس فى جهازهم ، واستعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وجعه ، فخرج أسامة ، وخرج جيشه معه حتى نزلوا الجرف ، من المدينة على فرسخ ، فضرب به عسكره ، وتتام إليه الناس ، وثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأقام أسامة والناس ، لينظروا ما الله قاض فى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وصايته بالانصار : وقال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم صلى واستغفر لأصحاب أحد ، وذكر من أمرهم ما ذكر مع مقالته يومئذ : يامعشر المهاجرين ، استوصوا بالأنصار خيراً ، فإن الناس يزيدون ، وإن الأنصار على هيئتها لا تزيد ، وإنهم كانوا عيبتى التى أويت إليها ، فأحسنوا إلى محسنهم ، وتجاوزوا عن مسيئهم .

قال عبد الله : ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فدخل بيته ، وتتام به وجعه ، حتى غمر .

اللدود : قال عبد الله : فاجتمع إليه نساء من نسائه ، أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين ، منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا أن يلدوه ، وقال العباس : لألدنه . قال : فلدوه ، فلما أفاق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : من صنع هذا بى ؟ قالوا : يارسول الله ، عمك ، قال : هذا دواء أتى به نساء جئن من نحو هذه الأرض ، وأشار نحو أرض الحبشة ؛ قال : ولم فعلتم ذلك ؟ فقال عمه العباس : خشينا يا رسول الله أن يكون بك

ذات الجنب فقال : إن ذلك لداء ما كان الله عز وجل ليقذفنى به ، لا يبق فى البيت أحد إلا لد إلا عمى ، فلقد لدت ميمونة وإنها لصائمة ، لقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عقوبة لهم بما صنعوا به .

دعاء الرسول لأسامة بالاشارة : قال ابن إسحاق : وحدثنى سعيد بن عبيد بن السباق ، عن محمد بن أسامة ، عن أبيه أسامة بن زيد ، قال : لما ثقل رسول الله صلى الله عليه وسلم هبطت وهبط الناس معى إلى المدينة ، فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد أصمت فلا يتكلم ، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها على ، فأعرف أنه يدعو لى .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب الزهرى : حدثنى عبيد بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثيراً ما أسمعه يقول : إن الله لم يقبض نبيا حتى يخيره . قالت : فلما حضر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان آخر كلمة سمعتها وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت إذاً والله لا يختارنا ، وعرفت أنه الذى كان يقول لنا : إن نبيا لم يقبض حتى يخير .

صلاة أبى بكر بالناس : قال الزهرى : وحدثنى حمزة بن عبد الله بن عمر ، أن عائشة قالت : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم قال : مروا أبا بكر فليصل بالناس . قالت : قلت : يا نبى الله ، إن أبا بكر رجل رقيق ، ضعيف الصوت ، كثير البكاء إذا قرأ القرآن ، قال : مروه فليصل بالناس . قالت: فعدت بمثل قولى ، فقال : إنكن صواحب يوسف فمروه فليصل بالناس ، قالت : فوالله ما أقول ذلك إلا أنى كنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر ، وعرفت أن الناس لا يحبون رجلا قام مقامه أبداً ، وأن الناس سيتشاءمون به فى كل حدث كان ، فكنت أحب أن يصرف ذلك عن أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وقال ابن شهاب : حدثنى عبد الملك بن أبى بكر بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، عن أبيه عن عبد الله بن زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد ، قال : لما استعز برسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا عنده فى نفر من المسلمين ، قال : دعاه بلال إلى الصلاة ، فقال : مروا من يصلى بالناس . قال : فخرجت فإذا عمر فى الناس . وكان أبو بكر غائباً ؛ فقلت : قم يا عمر فصل بالناس . قال : فقام ، فلما كبر ، سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوته ، وكان عمر رجلا مجهراً ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فأين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون، يأبى الله ذلك والمسلمون . قال فبعث إلى أبى بكر ، فجاء بعد أن صلى عمر تلك الصلاة ، فصلى بالناس . قال : قال عبد الله بن زمعة : قال لى عمر : ويحك ، ماذا صنعت بى يا ابن زمعة ، والله ما ظننت حين أمرتنى إلا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمرك بذلك ، ولولا ذلك ما صليت بالناس . قال : قلت : والله ما أمرنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس .

اليوم الذى قبض الله فيه نبيه

قال ابن إسحاق : وقال الزهرى : حدثنى أنس بن مالك : أنه لما كان يوم الإثنين الذى قبض الله فيه رسوله صلى الله عليه وسلم ، خرج إلى الناس ، وهم يصلون الصبح ، فرفع الستر ، وفتح الباب ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام على باب عائشة ، فكاد المسلمون يفتتنون فى صلاتهم برسول الله صلى الله عليه وسلم حين رأوه فرحاً به ، وتفرجوا فأشار إليهم أن اثبتوا على صلاتكم ؛ قال : فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سروراً لما رأى من هيئتهم فى صلاتهم، وما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئة منه تلك الساعة ، قال : ثم رجع وانصرف الناس وهم يرون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أفرق من وجعه ، فرجع أبو بكر إلى أهله بالسنح .

قال ابن إسحاق : وحدثنى محمد بن إبراهيم بن الحارث ، عن القاسم بن محمد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حين

سمع تكبير عمر فى الصلاة : أين أبو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون . فلولا مقالة قالها عمر عند وفاته ، لم يشك المسلمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد استخلف أبا بكر ، ولكنه قال عند وفاته : إن أستخلف فقد استخلف من هو خير منى ، وإن أتركهم فقد تركهم من هو خير منى . فعرف الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف أحداً ، وكان عمر غير متهم على أبى بكر .

قال ابن إسحاق : وحدثنى أبو بكر بن عبد الله بن أبى مليكة ، قال : لما كان يوم الإثنين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم عاصباً رأسه إلى الصبح ، وأبو بكر يصلى بالناس ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم تفرج الناس ، فعرف أبو بكر أن الناس لم يصنعوا ذلك إلا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فنكص عن مصلاه ، فدفع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ظهره ، وقال صل بالناس ، وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى جنبه ، فصلى قاعداً عن يمين أبى بكر ، فلما فرغ من الصلاة أقبل على الناس ، فكلمهم رافعاً صوته ، حتى خرج صوته من باب المسجد ، يقول : أيها الناس سعرت النار ، وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم ، وإنى والله ما تمسكون على بشىء ، إنى لم أحل إلا ما أحل القرآن ، ولم أحرم إلا ما حرم القرآن .

قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من كلامه ، قال له أبو بكر : يانبى الله إنى أراك قد أصبحت بنعمة من الله وفضل كما تحب ، واليوم يوم بنت خارجة ، أفآتيها ؟ قال : نعم ، ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخرج أبو بكر إلى أهله بالسنح .

أمر العباس وعلى قبل وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى عبد الله بن كعب بن مالك ، عن عبد الله ابن عباس . قال : خرج يومئذ على بن أبى طالب رضوان الله عليه على الناس من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له الناس يا أبا حسن ، كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : أصبح بحمد الله بارئاً ، قال ، فأخذ العباس بيده ، ثم قال : ياعلى ، أنت والله عبد العصا بعد ثلاث ، أحلف بالله لقد عرفت الموت فى وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم كما كنت أعرفه فى وجوه بنى عبد المطلب ، فانطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن كان هذا الأمر فينا عرفناه . وإن كان فى غيرنا أمرناه فأوصى بنا الناس . قال : فقال له على : إنى والله لا أفعل ، والله لئن منعناه لا يؤتيناه أحد بعده .

فتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد الضحاء من ذلك اليوم .

سواك الرسول قبل وفاته : قال ابن إسحاق : وحدثنى يعقوب بن عتبة عن الزهرى ، عن عروة عن عائشة ، قال : قالت : رجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى ذلك اليوم حين دخل من المسجد ، فاضطجع فى حجرى ، فدخل على رجل من آل أبى بكر ، وفى يده سواك أخضر . قالت : فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه فى يده نظراً عرفت أنه يريده ، قالت : فقلت : يارسول الله ، أتحب أن أعطيك هذا السواك ؟ قال : نعم ، قالت : فأخذته فمضغته له حتى لينته ، ثم أعطيته إياه ، قالت : فاستن به كأشد ما رأيته يستن بسواك قط ، ثم وضعه ، ووجدت رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل فى حجرى ، فذهبت أنظر فى وجهه ، فإذا بصره قد شخص ، وهو يقول : بل الرفيق الأعلى من الجنة ، قالت : فقلت : خيرت فاخترت والذى بعثك بالحق . قالت : وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : وحدثنى يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه عباد . قال : سمعت عائشة تقول : مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحرى ونحرى وفى دولتى ، لم أظلم فيه أحداً ، فمن سفهى وحداثة سنى أن رسول الله

صلى الله عليه وسلم قبض وهو فى حجرى ، ثم وضعت رأسه على وسادة ، وقمت ألتدم مع النساء ، وأضرب وجهى .

مقالة عمر بعد وفاته : قال ابن إسحاق : قال الزهرى : وحدثنى سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة ، قال : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب ، فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد توفى ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران ، فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ، ثم رجع إليهم بعد أن قيل قد مات ، ووالله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى فليقطعن أيدى رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات .

موقف أبى بكر بعد وفاته : قال : وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد حين بلغه الخبر ، وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شىء حتى دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيت عائشة ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم مسجى فى ناحية البيت ، عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : بأبى أنت وأمى ، أما الموتة التى كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن تصيبك بعدها موتة أبداً . قال : ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال . على رسلك يا عمر ، أنصت . فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر ؛ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت . قال : ثم تلا هذه الآية : « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل ، أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ، ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئاً ، وسيجزى الله الشاكرين » .

قال : فوالله لكأن الناس لم يعلموا أن هذه الآية نزلت حتى تلاها أبو بكر يومئذ : قال : وأخذها الناس عن أبى بكر ، فإنما هى فى أفواههم ، قال : فقال أبو هريرة : قال عمر : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها ، فعقرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحملنى رجلاى ، وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات .

أمر سقيفة بنى ساعدة

قال ابن إسحاق : ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم انحاز هذا الحى من الأنصار إلى سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، واعتزل على بن أبى طالب والزبير بن العوام وطلحة بن عبيد الله فى بيت فاطمة وانحاز بقية المهاجرين إلى أبى بكر ، وانحاز معهم أسيد بن حضير ، فى بنى عبد الأشهل ، فأتى آت إلى أبى بكر وعمر ، فقال : إن هذا الحى من الأنصار مع سعد بن عبادة فى سقيفة بنى ساعدة ، قد انحازوا إليه ، فإن كان لكم بأمر الناس حاجة فأدركوا قبل أن يتفاقم أمرهم ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيته لم يفرغ من أمره قد أغلق دونه الباب أهله . قال عمر : فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، حتى ننظر ماهم عليه .

قال ابن إسحاق : وكان من حديث السقيفة حين اجتمعت بها الأنصار ، أن عبد الله بن أبى بكر ، حدثنى عن ابن شهاب الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن عبد الله بن عباس ، قال . أخبرنى عبد الرحمن بن عوف قال : وكنت فى منزله بمنى أنتظره ، وهو عند عمر فى آخر حجة حجها عمر ، قال : فرجع عبد الرحمن بن عوف من عند عمر ، فوجدنى فى منزله بمنى أنتظره ، وكنت أقرئه القرآن ، قال ابن عباس ، فقال لى عبد الرحمن بن عوف : لو رأيت رجلا أتى أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين ، هل لك فى فلان يقول : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً . والله ما كانت بيعة أبى بكر إلا فلتة فتمت . قال : فغضب عمر ، فقال : إنى إن شاء الله لقائم العشية فى الناس فمحذرهم هؤلاء الذين يريدون أن يغصبوهم أمرهم ، قال عبد الرحمن : فقلت : يا أمير المؤمنين لا تفعل ، فإن

الموسم يجمع رعاع الناس وغوغاءهم ، وإنهم هم الذين يغلبون على قربك ، حين تقوم فى الناس ، وإنى أخشى أن تقوم فتقول مقالة يطير بها أولئك عنك كل مطير ، ولا يعوها ، ولا يضعوها على مواضعها ، فأمهل حتى تقدم المدينة فإنها دار السنة ، وتخلص بأهل الثقة وأشراف الناس فتقول ماقلت بالمدينة متمكناً ، فيعى أهل الفقه مقالتك ، ويضعوها على مواضعها ، قال : فقال عمر : أما والله إن شاء الله لأقومن بذلك أول مقام أقومه بالمدينة .

خطبة عمر عند البيعة لأبى بكر : قال ابن عباس : قدمنا المدينة فى عقب ذى الحجة ، فلما كان يوم الجمعة عجلت الرواح حين زالت الشمس ، فأجد سعيد بن زيد بن عمر بن نفيل جالساً إلى ركن المنبر فجلست حذوه تمس ركبتى ركبته ، فلم أنشب أن خرج عمر بن الخطاب ، فلما رأيته مقبلا ، قلت لسعيد بن زيد : ليقولن العشية على هذا المنبر مقالة لم يقلها منذ استخلف ، قال : فأنكر على سعيد بن زيد ذلك ، وقال : ماعسى أن يقول ما لم يقل قبله ، فجلس عمر على المنبر ، فلما سكت المؤذنون ، قام فأثنى على الله بما هو أهل له ، ثم قال : أما بعد ، فإنى قائل لكم اليوم مقالة قد قدر لى أن أقولها ، ولا أدرى لعلها بين يدى أجلى ، فمن عقلها ووعاها فليأخذ بها حيث انتهت به راحلته ، ومن خشى أن لا يعيها فلا يحل لأحد أن يكذب على ، إن الله بعث محمداً ، وأنزل عليه الكتاب . فكان مما أنزل عليه آية الرجم ، فقرأناها وعلمناها ووعيناها ، ورجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده ، فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل : والله ما نجد الرجم فى كتاب الله ، فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ، وإن الرجم فى كتاب الله حق على من زنى إذا أحصن من الرجال والنساء ، وإذا قامت البينة ، أو كان الحمل والاعتراف ، ثم إنا قد كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله : لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم ألا إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا تطرونى كما أطرى عيسى بن مريم وقولوا عبد الله ورسوله » ، ثم أنه بلغنى أن فلاناً قال : والله لو قد مات عمر بن الخطاب لقد بايعت فلاناً ، فلا يغرن امرأ أن يقول : إن بيعة أبى بكر كانت فلتة فتمت ، وإنها قد كانت كذلك إلا أن الله قد وقى شرها ، وليس فيكم من تنقطع الأعناق إليه مثل أبى بكر ، فمن بايع رجلا عن غير مشورة من المسلمين ، فإنه لا بيعة له هو ولا الذى بايعه تغرة أن يقتلا . إنه كان من خبرنا حين توفى الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن الأنصار خالفونا ، فاجتمعوا بأشرافهم فى سقيفة بنى ساعدة ، وتخلف عنا على بن أبى طالب والزبير بن العوام ومن معهما ، واجتمع المهاجرون إلى أبى بكر ، فقلت لأبى بكر : انطلق بنا إلى إخواننا هؤلاء من الأنصار ، فانطلقنا نؤمهم حتى لقينا منهم رجلان صالحان ، فذكر لنا ما تمالأ عليه القوم ، وقال : أين تريدون يامعشر المهاجرين ؟ قلنا : نريد إخواننا هؤلاء من الأنصار ، قالا : فلا عليكم أن لا تقربوهم يامعشر المهاجرين اقضوا أمركم : قال : قلت : والله لنأتينهم . فانطلقنا حتى أتيناهم فى سقيفة بنى ساعدة ، فإذا بين ظهرانيهم رجل مزمل فقلت من هذا ؟ فقالوا : سعد بن عبادة ، فقلت : ماله ؟ قالوا : وجع . فلما جلسنا تشهد خطيبهم ، فأثنى على الله بما هو له أهل ثم قال : أما بعد فنحن أنصار الله وكتيبة الإسلام ، وأنتم يامعشر المهاجرين رهط منا ، وقد دفت دافة من قومكم قال : وإذا هم يريدون أن يحتازونا من أصلنا ، ويغصبونا الأمر ، فلما سكت أردت أن أتكلم ، وقد زورت فى نفسى مقالة قد أعجبتنى أريد أن أقدمها بين يدى أبى بكر ، وكنت أدارى منه بعض الحد ، فقال أبو بكر : على رسلك ياعمر ، فكرهت أن أغضبه فتكلم ، وهو كان أعلم منى وأوقر فوالله ماترك من كلمة أعجبتنى من تزويرى إلا قالها فى بديهته ، أو مثلها أو أفضل ، حتى سكت ، قال : أما ماذكرتم فيكم من خير فأنتم له أهل ولن تعرف العرب هذا الأمر إلا لهذا الحى من قريش . هم أوسط العرب نسباً وداراً وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين ، فبايعوا ، أيهما شئتم ، وأخذ بيدى وبيد أبى عبيدة بن الجراح ، وهو جالس بيننا ، ولم أكره شيئاً مما قاله غيرها ، كان والله أن أقدم فتضرب عنقى ، لا يقربنى ذلك إلى إثم . أحب إلى من أن أتأمر على قوم فيهم أبو بكر .

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

قال قائل من الأنصار ، أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب ، منا أمير ومنكم أمير يامعشر قريش . قال: فكثر اللغط ، وارتفعت الأصوات ، حتى تخوفت الاختلاف ، فقلت : أبسط يدك ياأبا بكر ، فبسط يده ، فبايعته ، ثم بايعه المهاجرون ، ثم بايعه الأنصار ونزونا على سعد بن عبادة : فقال قائل منهم : قتلتم سعد بن عبادة : قال: فقلت: قتل الله سعد بن عبادة

قال ابن إسحاق : قال الزهرى : أخبرنى عروة بن الزبير أن أحد الرجلين اللذين لقوا من الأنصار حين ذهبوا إلى السقيفة عويم بن ساعدة ، والآخر معن بن عدى ، أخو بنى العجلان . فأما عويم بن ساعدة ، فهو الذى بلغنا أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم من الذين قال الله عز وجل لهم : « فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين » ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نعم المرء منهم عويم بن ساعده ؛ وأما معن بن عدى ، فبلغنا أن الناس بكوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين توفاه الله عز وجل ، وقالوا : والله لوددنا أنا متنا قبله ، إنا نخشى أن نفتتن بعده قال معن بن عدى : لكنى والله ما أحب أنى مت قبله حتى أصدقه ميتاً كما صدقته حياً ، فقتل معن يوم اليمامة شهيداً فى خلافة أبى بكر يوم مسيلمة الكذاب .

خطبة عمر بعد البيعة لأبى بكر : قال ابن إسحاق : وحدثنى الزهرى ، قال : حدثنى أنس بن مالك ، قال : لما بويع أبو بكر فى السقيفة وكان الغد ، جلس أبو بكر على المنبر ، فقام عمر ، فتكلم قبل أبى بكر ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أيها الناس ، إنى كنت قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مما وجدتها فى كتاب الله . ولا كانت عهداً عهد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولكنى قد كنت أرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيدبر أمرنا ، يقول : يكون آخرنا ، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذى به هدى الله رسوله صلى الله عليه وسلم ، فإن اعتصمتم به هداكم الله لما كان هداه له ، وإن الله قد جمع أمركم على خيركم ، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم . ثانى اثنين إذ هما فى الغار . فقوموا فبايعوه ، فبايع الناس أبا بكر بيعة العامة ، بعد بيعة السقيفة .

خطبة أبى بكر : فتكلم أبو بكر ، فحمد الله ، وأثنى عليه بالذى هو أهله ، ثم قال : أما بعد أيها الناس ، فإنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن أحسنت فأعينونى ، وإن أسأت فقومونى ، الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى أريح عليه حقه إن شاء الله ، والقوى فيكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه إن شاء الله ، لايدع قوم الجهاد فى سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل ، ولاتشيع الفاحشة فى قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء ، أطيعونى ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لى عليكم . قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله .

قال ابن إسحاق : وحدثنى حسين بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : والله إنى لأمشى مع عمر فى خلافته وهو عامد إلى حاجة له ، وفى يده الدرة وما معه غيرى ، قال : وهو يحدث نفسه ، ويضرب وحشى قدمه بدرته ، قال : إذ التفت إلى فقال : يابن عباس ، هل تدرى ما كان حملنى على مقالتى التى قلت حين توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : قلت : لا أدرى يا أمير المؤمنين ، أنت أعلم ، قال : فإنه والله ، إن كان الذى حملنى على ذلك إلا أنى كنت أقرأ هذه الآية : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً » ، فوالله إن كنت لأظن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر أعمالها ، فإنه للذى حملنى على أن قلت ماقلت .

جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفنه

من تولى غسله : قال ابن إسحاق : فلما بويع أبو بكر رضى الله عنه ، أقبل الناس على جهاز رسول الله صلى الله

عليه وسلم يوم الثلاثاء ، فحدثني عبد الله بن أبي بكر وحسين بن عبد الله وغيرهما من أصحابنا : أن علي بن أبي طالب ، والعباس بن عبد المطلب ، والفضل بن العباس وقثم بن العباس ، وأسامة بن زيد ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، هم الذين ولوا غسله ، وأن أوس بن خولي ، أحد بني عوف بن الخزرج ، قال لعلي بن أبي طالب : أنشدك الله ياعلي وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أوس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهل بدر : قال : ادخل ، فدخل فجلس ، وحضر غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأسنده علي بن أبي طالب إلى صدره ، وكان العباس والفضل وقثم يقلبونه معه وكان أسامة بن زيد وشقران مولاه ، هما اللذان يصبان الماء عليه ، وعلي يغسله ، قد أسنده إلى صدره ، وعليه قميصه يدلكه به من ورائه ، لايفضي بيده إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعلي يقول : بأبي أنت وأمي ، ما أطيبك حياً وميتاً ! ولم ير رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يرى من الميت .

كيفية غسله : قال ابن إسحاق : وحدثني يحي بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عباد ، عن عائشة ، قالت : لما أرادوا غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا فيه . فقالوا : والله ماندري ، أنجرد رسول الله صلى الله عليه وسلم من ثيابه كما نجرد موتانا ، أو نغسله وعليه ثيابه ؟ قالت : فلما اختلفوا ألقى الله عليهم النوم ، حتى ما منهم رجل إلا ذقنه في صدره ، ثم كلمهم مكلم من ناحية البيت لا يدرون من هو : أن اغسلوا النبي وعليه ثيابه ، قالت : فقاموا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فغسلوه وعليه قميصه ، يصبون الماء فوق القميص ، ويدلكونه والقميص دون أيديهم .

تكفينه : قال ابن إسحاق : فلما فرغ من غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم كفن في ثلاثة أثواب ثوبين صحاريين وبرد حبرة ، أدرج فيها إدراجاً ، كما حدثني جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ، عن أبيه ، عن جده علي بن الحسين ، والزهري عن علي بن الحسين .

القبر : قال ابن إسحاق : وحدثني حسين بن عبد الله عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما أرادوا أن يحفروا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان أبو عبيدة بن الجراح يضرح كحفر أهل مكة ، وكان أبو طلحة زيد بن سهل هو الذي يحفر لأهل المدينة ، فكان يلحد ، فدعا العباس رجلين ، فقال لأحدهما : اذهب إلى أبي عبيدة بن الجراح ، وللآخر اذهب إلى أبي طلحة . اللهم خر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجد صاحب أبي طلحة أبا طلحة ، فجاء به ، فلحد لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

دفنه والصلاة عليه : فلما فرغ من جهاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الثلاثاء ، وضع في سريره في بيته ، وقد كان المسلمون اختلفوا في دفنه . فقال قائل : ندفنه في مسجده وقال قائل : بل ندفنه مع أصحابه ، فقال أبو بكر : إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : ماقبض نبي إلا دفن حيث يقبض ، فرفع فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي توفي عليه ، فحفر له تحته ، ثم دخل الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون عليه أرسالا ، دخل الرجال ، حتى إذا فرغوا أدخل النساء ، حتى إذا فرغ النساء أدخل الصبيان . ولم يؤم الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم أحد .

ثم دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وسط الليل ليلة الأربعاء .

قال ابن إسحاق : وحدثني عبد الله بن أبي بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد ابن زرارة ، عن عائشة رضي الله عنها : جوف الليل ليلة الأربعاء .

من تولى دفنه : وكان الذين نزلوا قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، والفضل بن عباس ، وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

وقد قال أوس بن خولى لعلى بن أبى طالب : يا على ، أنشدك الله ، وحظنا من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال له : انزل ، فنزل مع القوم ، وقد كان مولاه شقران حين وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حفرته وبنى عليه قد أخذ قطيفة ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها ويفترشها ، دفنها فى القبر ، وقال : والله لا يلبسها أحد بعدك أبداً .

قال : فدفنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحدث الناس عهدا به : وقد كان المغيرة بن شعبة يدعى أنه أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أخذت خاتمى ، فألقيته فى القبر ، وقلت : إن خاتمى سقط منى ، وإنما طرحته عمداً لأمس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأكون أحدث الناس عهداً به صلى الله عليه وسلم .

قال ابن إسحاق : فحدثنى أبى إسحاق بن يسار ، عن مقسم ، أبى القاسم ، مولى عبد الله بن الحارث بن نوفل ، عن مولاه عبد الله بن الحارث ، قال : اعتمرت مع على بن أبى طالب رضوان الله عليه فى زمان عمر أو زمان عثمان ، فنزل على أخته أم هانىء بنت أبى طالب ، فلما فرغ من عمرته رجع فسكب له غسل ، فاغتسل ، فلما فرغ من غسله دخل عليه نفر من أهل العراق ، فقالوا : يا أبا حسن ، جئنا نسألك عن أمر نحب أن تخبرنا عنه ؟ قال : أظن المغيرة بن شعبة يحدثكم أنه كان أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم . قالوا : أجل ، عن ذلك جئنا نسألك ، قال : كذب ، قال : أحدث الناس عهداً برسول الله صلى الله عليه وسلم قثم بن عباس .

خميصة الرسول السوداء : قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله ابن عتبة أن عائشة حدثته ، قالت : كان على رسول الله صلى الله عليه وسلم خميصة سوداء حين اشتد به وجعه ، قالت : فهو يضعها مرة على وجهه ، ومرة يكشفها عنه ، ويقول : قاتل الله قوماً اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ، يحذر من ذلك على أمته .

قال ابن إسحاق : وحدثنى صالح بن كيسان ، عن الزهرى ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا يترك بجزيرة العرب دينان .

افتتان المسلمين بعد موته : قال ابن إسحاق : ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم عظمت به مصيبة المسلمين ، فكانت عائشة ، فيما بلغنى ، تقول : لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ارتدت العرب ، واشرأبت اليهودية والنصرانية ، ونجم النفاق ، وصار المسلمون كالغنم المطيرة فى الليلة الشاتية ، لفقد نبيهم صلى الله عليه وسلم ، حتى جمعهم الله على أبى بكر .

قال ابن هشام : حدثنى أبو عبيدة وغيره من أهل العلم أن أكثر أهل مكة لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم هموا بالرجوع عن الإسلام ، وأرادوا ذلك حتى خافهم عتاب بن أسيد ، فتوارى ، فقام سهيل بن عمرو ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم ذكر وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال : إن ذلك لم يزد الإسلام إلا قوة ، فمن رابنا ضربنا عنقه ، فتراجع الناس وكفوا عما هموا به ، وظهر عتاب بن أسيد .

فهذا المقام الذى أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله لعمر بن الخطاب : إنه عسى أن يقوم مقاماً لا تذمه .

. . . .

حسان بن ثابت يرثى الرسول : وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما حدثنا ابن هشام عن أبى زيد الأنصارى :

بطيبة رسم للرسول ومعهد ... منير وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تمتحى الآيات من دار حرمة ... بها منبر الهادى الذى كان يصعد
وواضح آثار وباقى معالم ... وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها ... من الله نور يستضاء ويوقد
معارف لم تطمس على العهد آيها ... أتاها البلى فالآى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده ... وقبراً بها واراه فى الترب ملحد
ظللت بها أبكى الرسول فأسعدت ... عيون ومثلاها من الجفن تسعد
يذكرن آلاء الرسول وما أرى ... لها محصياً نفسى فنفسى تبلد
مفجعة قد شفها فقد أحمد ... فظلت لآلاء الرسول تعدد
وما بلغت من كل أمر عشيره ... ولكن لنفسى بعد ما قد توجد
أطالت وقوفاً تذرف العين جهدها ... على طلل القبر الذى فيه أحمد
فبوركت ياقبر الرسول وبوركت ... بلاد ثوى فيها الرشيد المسدد
وبورك لحد منك ضمن طيباً ... عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين ... عليه وقد غارت بذلك أسعد
لقد غيبوا حلماً وعلماً ورحمة ... عشية علوه الثرى لايوسد
وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم ... وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السماوات يومه ... ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك ... رزية يوم مات فيه محمد
تقطع فيه منزل الوحى عنهم ... وقد كان ذا نور يغور وينجد
يدل على الرحمن من يقتدى به ... وينقذ من هول الخزايا ويرشد
إمام لهم يهديهم الحق جاهداً ... معلم صدق إن يطيعوه يسعدوا
عفو عن الزلات يقبل عذرهم ... وإن يحسنوا فالله بالخير أجود
وإن ناب أمر لم يقوموا بحمله ... فمن عنده تيسير ما يتشدد
فبيناهم فى نعمة الله بينهم ... دليل به نهج الطريقة يقصد
عزيز عليه أن يجوروا عن الهدى ... حريص على أن يستقيموا ويهتدوا
عطوف عليهم لايثنى جناحه ... إلى كنف يحنو عليهم ويمهد
فبيناهم فى ذلك النور إذ غدا ... إلى نورهم سهم من الموت مقصد
فأصبح محموداً إلى الله راجعاً ... يبكيه حق المرسلات ويحمد
وأمست بلاد الحرم وحشاً بقاعها ... لغيبة ماكانت من الوحى تعهد
قفاراً سوى معمورة اللحد ضافها ... فقيد يبكينه بلاط وغرقد

. . . .

ومسجده فالموحشات لفقده   خلاء له فيه مقام ومقعد
وبالجمرة الكبرى له ثم أوحشت   ديار وعرصات وربع ومولد
فبكى رسول الله ياعين عبرة   ولا أعرفنك الدهر دمعك يجمد
ومالك لاتبكين ذا النعمة التى   على الناس منها سابغ يتغمد
فجودي عليه بالدموع وأعولى   لفقد الذى لا مثله الدهر يوجد
وما فقد الماضون مثل محمد   ولا مثله حتى القيامة يفقد
أعف وأوفى ذمة بعد ذمة   وأقرب منه نائلا لاينكد
وأبذل منه للطريف وتالد   إذا ضن معطاء بما كان يتلد
وأكرم صيتاً فى البيوت إذا انتمى   وأكرم جداً أبطحياً يسود
وأمنع ذروات وأثبت فى العلا   دعائم عز شاهقات تشيد
وأثبت فرعاً فى الفروع ومنبتاً   وعوداً غذاه المزن فالعود أغيد
رباه وليداً فاستتم تمامه   على أكرم الخيرات رب ممجد
تناهت وصاة المسلمين بكفه   فلا العلم محبوس ولا الرأى يفند
أقول ولا يلقى لقولى عائب   من الناس إلا عازب العقل مبعد
وليس هواى نازعاً عن ثنائه   لعلى به فى جنة الخلد أخلد
مع المصطفى أرجو بذاك جواره   وفى نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وقال حسان بن ثابت أيضاً ، يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

مابال عينك لا تنام كأنما   كحلت مآقيها بكحل الأرمد
جزعاً على المهدى أصبح ثاوياً   ياخير من وطىء الحصى لاتبعد
وجهى يقيك الترب لهفى ليتنى   غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
بأبى وأمى من شهدت وفاته   فى يوم الاثنين النبى المهتدى
فظللت بعد وفاته متبلداً   متلدداً يا ليتنى لم أولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم   يا ليتنى صبحت سم الأسود
أو حل أمر الله فينا عاجلا   فى روحة من يومنا أو من غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيباً   محضاً ضرائبه كريم المحتد
يا بكر آمنة المبارك بكرها   ولدته محصنة بسعد الأسعد
نوراً أضاء على البرية كلها   من يهد للنور المبارك يهتدى
يارب فاجمعنا معاً ونبينا   فى جنة تثنى عيون الحسد
فى جنة الفردوس فاكتبها لنا   ياذا الجلال وذا العلا والسؤدد
والله أسمع ما بقيت بهالك   إلا بكيت على النبى محمد
ياويح أنصار النبى ورهطه   بعد المغيب فى سواء الملحد
ضاقت بالأنصار البلاد فأصبحوا   سوداً وجوههم كلون الإثمد

ولقد ولدناه وفينا قبره ... وفضول نعمته بنا لم نجحد
والله أكرمنا به وهدى به ... أنصاره فى كل ساعة مشهد
صلى الإله ومن يحف بعرشه ... والطيبون على المبارك أحمد

قال ابن إسحاق: وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم:

نب المساكين أن الخير فارقهم ... مع النبي تولى عنهم سحرا
من ذا الذى عنده رحلى وراحلتى ... ورزق أهلى إذا لم يؤنسوا المطرا
أم من نعاتب لانخشى جنادعه ... إذا اللسان عتا فى القول أو عثرا
كان الضياء وكان النور نتبعه ... بعد الإله وكان السمع والبصرا
فليتنا يوم واروه بملحدة ... وغيبوه وألقوا فوقه المدرا
لم يترك الله منا بعده أحداً ... ولم يعش بعده أنثى ولا ذكرا
ذلت رقاب بنى النجار كلهم ... وكان أمراً من امر الله قد قدرا
واقتسم الفيء دون الناس كلهم ... وبددوه جهاراً بينهم هدراً

وقال حسان بن ثابت يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم أيضاً:

آليت مافى جميع الناس مجتهداً ... منى ألية بر غير إفناد
تالله ما حملت أنثى ولا وضعت ... مثل الرسول نبى الأمة الهادى
ولا برا الله خلقاً من بريته ... أوفى بذمة جار أو بميعاد
من الذى كان فينا يستضاء به ... مبارك الأمر ذا عدل وإرشاد
أمسى نساؤك عطلن البيوت فما ... يضربن فوق قفا ستر بأوتاد
مثل الرواهب يلبسن المباذل قد ... أيقن بالبؤس بعد النعمة البادى
يا أفضل الناس إنى كنت فى نهر ... أصبحت منه كمثل المفرد الصادى

قال بن هشام: عجز البيت الأول عن غير ابن إسحاق

ذكر أزواج النبى عليه السلام

خديجة: قد تقدم فى مواضع من هذا الكتاب نبذ كافية من التعريف بهن، وذكر هاهنا خديجة، وأنها كانت عند أبى هالة، وكانت قبله عند عتيق بن عائذ، قال ابن أبى خيثمة: ولدت لعتيق عبد مناف، وكان اسم أبى هالة هند ابن زرارة بن النباش وقيل: بل أبو هالة هو زرارة، وابنه هند، مات هند فى طاعون البصرة.

عائشة: ومما نزيده هنا فى ذكر عائشة، أنها كانت تكنى أم عبد الله، روى ابن الأعرابى فى المعجم حديثاً مرفوعاً أنها أسقطت جنيناً من رسول الله صلى الله عليه وسلم — فسمى: عبد الله، فكانت تكنى به، وهذا الحديث يدور على داود بن المحبر وهو ضعيف، وأصح منه حديث أبى داود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لها: تكنى بابن أختك عبد الله بن الزبير، ويروى بابنك عبد الله بن الزبير، لأنها كانت قد استوهبته من أبويه، فكان فى حجرها يدعوها أماً، ذكره ابن إسحاق وغيره، وأصح ماروى فى فضلها على النساء قوله عليه السلام: فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على الطعام، وأراد الثريد باللحم، كذا رواه معمر فى جامعه مفسراً عن قتادة، وأبان يرفعه، فقال فيه: كفضل الثريد باللحم، ووجه التفضيل من هذا الحديث أنه قال فى حديث آخر: سيد إدام الدنيا والآخرة اللحم،

مع أن الثريد إذا أطلق لفظه ، فهو ثريداللحم ، وأنشد سيبويه :

إذا ما الخبز تأدمه بلحم فذاك أمانة الله الثريد

افضل نساء العالمين : ولولا ما تقدم من الحديث المخصص لخديجة بالفضل عليها حيث قال : والله ما أبدلنى الله خيراً منها ، لقلنا بتفضيلها على خديجة ، وعلى نساء العالمين ، وكذلك القول فى مريم الصديقة ، فإنها عند كثير من العلماء نبية نزل عليها جبريل عليه السلام بالوحى ، ولا يفضل على الأنبياء غيرهم ، ومن قال : لم تكن نبية ، وجعل قوله تعالى : « اصطفاك على نساء العالمين » مخصوصاً بعالم زمانها . فمن قوله : إن عائشة وخديجة أفضل منها ، وكذلك يقولون فى سائر أزواج رسول الله — صلى الله عليه وسلم — إنهن أفضل نساء العالمين ونزعوا فى تصحيح هذا المذهب بما يطول ذكره والله أعلم . وفى مسند البزار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى فاطمة هى سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم .

ام سلمة : وذكر أم سلمة وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصدقها بجشة ، وهى الرحى ، ومنه سمى الجشيش . وذكر مع الجشة أشياء لاتعرف قيمتها ، منها جفنة وفراش . وفى مسند البزار ذكر قيمتها ، قال أنس : أصدقها متاعاً قيمته عشرة دراهم ، قال البزار : ويروى أربعون درهماً .

جويرية : وذكر جويرية بنت الحارث بن أبى ضرار ، وكانت قبله عند مسافع بن صفوان الخزاعى وقال : أسلم الحارث ، وأسلم ابناه ، ولم يسمهما ، وهما الحارث بن الحارث وعمرو بن الحارث ، ذكره البخارى .

زينب بنت جحش : وذكر زينب بنت جحش ، وأن أخاها أبا أحمد هو الذى أنكحها من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وهذا خلاف ما ثبت فى الحديث أنها كانت تفخر على صواحبها ، وتقول : زوجكن أهلوكن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وزوجنى رب العالمين من فوق سبع سماوات وفى آخر أنه لما نزلت الآية «زوجناكها» قام رسول الله صلى الله عليه وسلم — فدخل عليها بغير إذن ولم يذكر ابن إسحاق فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم شراف بنت خليفة أخت دحية بن خليفة الكلبى ، وذكرها غيره ، ولم تقم عنده إلا يسيراً حتى ماتت ، وكذلك العالية ظبيان بن عمرو بن عوف ، ذكرها غيره فى أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم . وكذلك وسنى بنت الصلت تزوجها ثم خلى سبيلها ، ويقال فيها : سنا بنت أسماء بنت الصلت . ومنهن أسماء بنت النعمان بن الجون الكندية اتفقوا على تزويج النبى صلى الله عليه وسلم إياها ، واختلفوا فى سبب فراق النبى صلى الله عليه وسلم لها . وكذلك قيل فى شراف بنت خليفة : إنها هلكت قبل أن يدخل بها ، فالله أعلم .

وذكر خولة ، ويقال فيها خويلة ، ذكرت فيمن تزوجهم النبى عليه السلام ، ويقال : هى التى وهبت نفسها للنبى عليه السلام .

وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم

ذكر خروجه صلى الله عليه وسلم فى مرضه إلى المسجد ، وأن أبا بكر كان الإمام ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأتم به ، وهذا الحديث مرسل فى السيرة والمعروف فى الصحاح أن أبا بكر كان يصلى بصلاة رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والناس يصلون بصلاة أبى بكر ، ولكن روى عن أنس من طريق متصل أن أبا بكر كان الإمام يومئذ ، واختلف فيه عن عائشة رضى الله عنها ، وروى الدارقطنى من طريق المغيرة بن شعبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : ما مات نبى حتى يؤمه رجل من أمته ، وذكر أبو عمر هذا الحديث إلا أنه ساقه عن ربيعة ابن أبى عبد الرحمن مرسلا ، وقد أسنده البزار أيضاً من طريق ابن الزبير عن عمر عن أبى بكر ، وفى مراسيل

. . . .

الحسن البصرى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم - مرض عشرة أيام صلى أبو بكر بالناس تسعة أيام منها . ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى اليوم العاشر منها يهادى بين رجلين أسامة والفضل بن عباس حتى صلى خلف أبى بكر رواه الدارقطنى، ففى هذا الحديث أنه مرض عشرة أيام ، وهو غريب ، وفيه أن أحد الرجلين كان أسامة ، والمعروف عن ابن عباس أنه كان على بن أبى طالب ، وقية صلاته عليه السلام خلف أبى بكر .

اللد : وذكر حديث العباس ، وأنه قال : لألدنه ، فلدوه ، وحسبوا أن به ذات الجنب ، فى هذا الحديث أن العباس حضره ولده مع من لد . وفى الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لايقين أحد بالبيت إلا لد إلا عمى العباس ، فإنه لم يشهدكم ، وهذه أصح من رواية ابن إسحاق وإنما لدوه لأنه عليه السلام قد قال فى القسط ، فيه سبعة أشفية يلد به من ذات الجنب ، ويسعط به من العذرة ، ولم يذكر الخمسة . قال ابن شهاب : فنحن نستعمله فى أدويتنا كلها لعلنا نصيبها ، واللدود فى جانب الفم من داخله يجعل هناك الدواء ويحك بالإصبع قليلا .

وقوله فى ذات الجنب : ذاك داء ماكان الله ليقذفنى به ، وقال فى هذا الحديث من رواية الطبرى له : أنا أكرم على الله من أن يقذفنى بها ، وفى رواية أخرى : وهى من الشيطان ، وما كان الله ليسلطها على . وهذا يدل على أنها من سيء الأسقام التى تعوذ النبى عليه السلام منها فى دعائه حيث يقول : اللهم إنى أعوذ بك من الجنون والجذام وسيء الأسقام ، وإن كان صاحبها من الشهداء السبعة ، ولكنه عليه السلام قد تعوذ من الغرق والحرق ، مع قوله عليه السلام : الغريق شهيد ، والحريق شهيد ، وقد ذكر أن أسماء بنت عميس هى التى لدته فالله أعلم . والوجع الذى كان بالنبى عليه السلام فلد هو الوجع الذى يسمى خاصرة ، وقد جاء ذكره فى كتاب النذور من الموطأ ، قال فيه : فأصابتنى خاصرة ، قالت عائشة : وكثيراً ما كان يصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم الخاصرة . قالت ولا نهتدى لاسم الخاصرة ، ونقول : أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عرق فى الكلية . وفى مسند الحارث بن أبى أسامة يرفعه إلى النبى عليه السلام ، قال : الخاصرة عرق فى الكلية إذا تحرك وجع صاحبه دواؤه العسل بالماء المحرق ، وهو حديث يرويه عبد الرحيم بن عمرو عن الزهرى عن عروة ، وعبد الرحيم ضعيف مذكور عند المحدثين فى الضعفاء ، ولكن قد روت عنه جماعة منهم .

وقول أبى بكر رضى الله عنه : هذا يوم بنت خارجة يا رسول الله . بنت خارجة اسمها : حبيبة ، وقيل ملكية ، وخارجة هو ابن زيد بن أبو زهير ، وابن خارجه هو زيد بن خارجة الذى تكلم بعد الموت فيما روى ثقات أهل الحديث لايختلفون فى ذلك ، وذلك أنه مات فى زمن عثمان . فلما سجى عليه سمعوا جلجلة فى صدره ، ثم تكلم ، فقال : أحمد أحمد فى الكتاب الأول صدق صدق ، وأبو بكر الصديق الضعيف فى نفسه القوى فى أمر الله فى الكتاب الأول ، صدق صدق عمر بن الخطاب ، القوى الأمين فى الكتاب الأول صدق صدق ، عثمان بن عفان على منهاجهم مضت أربع وبقيت سنتان ، أتت الفتن ، وأكل الشديد الضعيف ، وقامت الساعة وسيأتيكم خبر بئر أريس ، وما بئر أريس . قال سعيد بن المسيب : ثم هلك رجل من بنى خطمة فسجى بثوب ، فسمعوا جلجلة فى صدره ثم تكلم ، فقال : إن أخا بنى الحارث بن الخزرج صدق صدق ، وكانت وفاته فى خلافة عثمان رضى الله عنه وقد عرض مثل هذه القصة لربيع بن حراش أخى ربعى ابن حراش ، قال : ربعى : مات أخى فسجيناه ، وجلسنا عنده ، فبينما نحن كذلك إذ كشف الثوب عن وجهه ، ثم قال السلام عليكم ، قلت : سبحان الله !! أبعد الموت ؟ قال : إنى لقيت ربى فتلقانى بروح وريحان ، ورب غير غضبان ، وكسانى ثياباً خضراً من سندس وإستبرق ، أسرعوا بى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم — فإنه قد أقسم أن لايبرح

. . . .

حتى آتيه وأدركه ، وإن الأمر أهون ماتذهبون إليه فلا تغتروا ، ثم والله كأنما كانت نفسه حصاة فألقيت فى طست .

آخر ما تكلم به عليه السلام : فصل : وذكر أن آخر كلمة تكلم بها عليه السلام : اللهم الرفيق الأعلى ، وهذا منتزع من قوله تبارك وتعالى : « فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين » إلى قوله سبحانه : « وحسن أولئك رفيقاً » فهذا هو الرفيق الأعلى ، ولم يقل الرفقاء ، لما قدمناه فى هذا الكتاب بما حسن ذلك ، مع أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد ، فهذه آخر كلمة تكلم بها عليه السلام ، وهى تتضمن معنى التوحيد الذى يجب أن يكون آخر كلام المؤمن ، لأنه قال : « مع الذين أنعم الله عليهم » وهم أصحاب الصراط المستقيم ، وهم أهل لا إله إلا الله ، قال الله تعالى : « اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم » ثم بين فى الآية المتقدمة من الذين أنعم الله عليهم فذكرهم ، وهم الرفيق الأعلى الذين ذكرهم رسول الله — صلى الله عليه وسلم — حين خير فاختار ، وبعض الرواة يقول عن عائشة فى هذا الحديث : فأشار بأصبعه ، وقال : فى الرفيق ، وفى رواية أخرى أنه قال : اللهم الرفيق ، وأشار بالسبابة ، يريد : التوحيد ، فقد دخل بهذه الإشارة فى عموم قوله عليه السلام : من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة ، ولا شك أنه عليه السلام فى أعلى درجات الجنة ، ولو لم يشر ، ولكن ذكرنا هذا لئلا يقول القائل : لم يكن آخر كلامه : لا إله إلا الله ، وأول كلمة تكلم بها رسول الله وهو مسترضع عند حليمة أن قال : الله أكبر ، رأيت ذلك فى بعض كتب الواقدى .

وأما آخر ما أوصى به عليه السلام بأن قال : الصلاة وما ملكت أيمانكم ، حرك بها لسانه وما يكاد يبين ، وفى قوله : ملكت أيمانكم قولان : قيل : أراد الرفق بالمملوك ، وقيل : أراد الزكاة ، لأنها فى القرآن مقرونة بالصلاة ، وهى من ملك اليمين ، قاله الخطابى .

وقول عائشة رضى الله عنها : فمن سفهى وحداثة سنى أنه قبض فى حجرى فوضعت رأسه على الوسادة ، وقمت ألتدم مع النساء . الالتدام : ضرب الخد باليد ، ولم يدخل هذا فى التحريم : لأن التحريم إنما وقع على الصراخ والنوح ، ولعنت الخارقة والحالقة والصالقة وهى الرافعة لصوتها ولم يذكر اللدم ، لكنه ، وإن لم يذكره ، فإنه مكروه فى حال المصيبة ، وتركه أحمد إلا على أحمد صلى الله عليه وسلم :

فالصبر يحمد فى المصائب كلها إلا عليك فإنه مذموم

وقد كان يدعى لابس الصبر حازماً * فأصبح يدعى حازماً حين يجزع

تحديد زمن وفاته : واتفقوا أنه توفى — صلى الله عليه وسلم — يوم الاثنين إلا شيئاً ذكره ابن قتيبة فى المعارف : الأربعاء ، قالوا كلهم : وفى ربيع الأول ، غير أنهم قالوا ، أو قال أكثرهم فى الثانى عشر من ربيع ، ولا يصح أن يكون توفى صلى الله عليه وسلم إلا فى الثانى من الشهر أو الثالث عشر أو الرابع عشر أو الخامس عشر لإجماع المسلمين على أن وقفة عرفة فى حجة الوداع كانت يوم الجمعة ، وهو التاسع من ذى الحجة فدخل ذو الحجة يوم الخميس ، فكان المحرم إما الجمعة وإما السبت ، فإن كان الجمعة ، فقد كان صفر إما السبت وإما الأحد ، فإن كان السبت ، فقد كان ربيع الأحد أو الإثنين ، وكيفما دارت الحال على هذا الحساب ، فلم يكن الثانى عشر من ربيع يوم الاثنين بوجه ، ولا الأربعاء أيضاً كما قال القتبى ، وذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف أنه توفى الثانى من ربيع الأول ، وهذا القول وإن كان خلاف أهل الجمهور فإنه لا يبعد أن كانت الثلاثة الأشهر التى قبله كلها من تسعة وعشرين ، فتدبره ، فإنه صحيح ، ولم أر أحداً تفطن له ، وقد رأيت للخوارزمى أنه توفى عليه السلام فى أول يوم من ربيع الأول ، وهذا أقرب فى القياس بما ذكر الطبرى عن ابن الكلبى وأبى مخنف .

السواك: فصل: وذكر عن عائشة رضى الله عنها أنها ناولته السواك حين رأته ينظر إليه فاستاك به، وفيه من الفقه: التنظف والتطهر للموت، ولذلك يستحب الاستحداد لمن استشعر القتل أو الموت كما فعل خبيب؛ لأن الميت قادم على ربه كما أن المصلى مناج لربه، فالنظافة من شأنهما، وفى الحديث: إن الله نظيف يحب النظافة، خرجه الترمذى، وإن كان معلول السند، فإن معناه صحيح، وليس النظيف من أسماء الرب، ولكنه حسن فى هذا الحديث، لازدواج الكلام ولقرب معنى النظافة من معنى القدس، ومن أسمائه سبحانه: القدوس، وكان السواك المذكور فى هذا الحديث من عسيب نخل فيما روى بعضهم، والعرب تستاك بالعسيب، وكان أحب السواك إلى رسول الله — صلى الله عليه وسلم — صرع الأراك، واحدها صريع وهو قضيب ينطوى من الأراكة حتى يبلغ التراب، فيبقى فى ظلها فهو ألين من فرعها.

ومما روى من قول عائشة — رضى الله عنها — فى معنى قولها: بين سحرى ونحرى، أنها قالت: قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم بين حاقنتى وداقنتى فالحاقنة الثغرة، والداقنة: تحت الدقن، ويقال لها: النونة أيضاً، وروى أيضاً: بين شجرى — بالشين والجيم — ونحرى، وسئل عمارة بن عقيل عن معناه، فشبك بين أصابع يديه، وضمها إلى نحره.

وغسل عليه السلام حين قبض من بئر لسعد بن خيثمة يقال لها بئر الغرس.

كراماته ومعجزاته: فصل: وذكر أنهم كانوا حين أرادوا نزع قميصه للغسل، وكلهم سمع الصوت، ولم ير الشخص، وذلك من كراماته صلى الله عليه وسلم، ومن آيات نبوته بعد الموت، فقد كان له عليه السلام كرامات ومعجزات فى حياته، وقبل مولده وبعد موته. ومنها ما رواه أبو عمر رحمه الله فى التمهيد من طرق صحاح: أن أهل بيته سمعوا وهو مسجى بينهم قائلا يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا أهل البيت، إن فى الله عوضاً من كل تالف، وخلفاً من كل هالك، وعزاء من كل مصيبة، فاصبروا واحتسبوا، إن الله مع الصابرين، وهو حسبنا، ونعم الوكيل. قال: فكانوا يرون أنه الخضر صلى الله على نبينا وعليه. ومن ذلك أيضاً أن الفضل بن عباس كان يغسله هو وعلى، فجعل الفضل وهو يصب الماء يقول: أرحنى أرحنى، فإنى أجد شيئاً يتنزل على ظهرى. ومنها أنه عليه السلام لم يظهر منه شىء مما يظهر من الموتى، ولا تغيرت له رائحة، وقد طال مكثه فى البيت. قبل أن يدفن، وكان موته فى شهر أيلول، فكان طيباً حياً وميتاً، وإن كان عمه العباس قد قال لعلى: إن ابن أخى مات لا شك، وهو من بنى آدم يأسن كما يأسنون فواروه وكان مما زاد العباس يقينا بموته عليه السلام أنه كان قد قد رأى قبل ذلك بيسير كأن القمر رفع من الأرض إلى السماء بأشطان: فقصها على نبى الله صلى الله عليه وسلم، فقال له: هو ابن أخيك. وروى يونس بن بكير فى السيرة أن أم سلمة قالت: وضعت يدى على صدر رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وهو ميت فمرت على جمع لا آكل ولا أتوضأ إلا وجدت ريح المسك من يدى، وفى روايته أيضاً: أن علياً نودى، وهو يغسله أن ارفع طرفك إلى السماء، وفيها أيضاً أن علياً والفضل حين انتهيا فى الغسل إلى أسفله سمعوا منادياً يقول: لا تكشفوا عورة نبيكم عليه السلام.

جزع عمر وثبات أبى بكر: وأما جزع عمر رضى الله عنه وقوله: والله ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وليرجعن كما رجع موسى عليه السلام حتى كلمه أبو بكر رحمه الله، وذكره بالآية، فعقر حتى سقط إلى الأرض، وما كان من ثبات جأش أبى بكر وقوته فى ذلك المقام، ففيه ما كان عليه الصديق رضى الله عنه من شدة التأله، وتعلق القلب بالإله، ولذلك قال لهم: من كان يعبد محمداً، فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله، فإن الله حى لا يموت. ومن قوة تألهه — رضى الله عنه — حين أجمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على رد جيش أسامة حين رأوا الردة قد استعرت نارها، وخافوا على نساء المدينة وذراريها، فقال: والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء

المدينة ، ماردت جيشاً أنفذه رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكلمه عمر وأبو عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة ،وكان أشد شيء عليه أن يخالف رأيه رأى سالم ، فكلموه أن يدع للعرب زكاة ذلك العام تألفاً لهم حتى يتمكن له الأمر ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم — يتألفهم ، وكلمه عمر أن يولى مكان أسامة من هو أسن منه ،وأجلد،فأخذ بلحية عمر ، وقال له : يا ابن الخطاب أتأمرنى أن أكون أول حال عقداً عقده رسول الله — صلى الله عليه وسلم — والله لأن أخر من السماء إلى الأرض ، فتخطفنى الطير أحب إلى من أن أمالئكم على هذا الرأى ، وقال لهم : والله لو أفردت من جميعكم لقاتلتهم وحدى حتى تنفرد سالفتى ، ولو منعونى عقالا ، لجاهدتهم عليه ،أوفى شك أنتم ، إن وعد الله لحق . وإن قوله لصدق ، وليظهرن الله هذا الدين ، ولو كره المشركون . ثم خرج وحده إلى ذى القصة حتى اتبعوه ، وسمع الصوت بين يديه فى كل قبيلة ألا إن الخليفة قد توجه إليكم الهرب الهرب ، حتى اتصل الصوت من يومه ببلاد حمير ، وكذلك فى أكثر أحواله رضى الله عنه ، كان يلوح الفرق فى التأله بينه وبين عمر رضى الله عنهما ،ألاترى إلى قوله حين قال النبى صلى الله عليه وسلم : سمعتك وأنت تخفض من صوتك يعنى فى صلاة الليل ، فقال : قدأسمعت من ناجيت ، وقال : للفاروق : سمعتك وأنت ترفع من صوتك ، فقال : كى أطرد الشيطان ، وأوقظ الوسنان . قال عبد الكريم بن هوازن القشيرى ، وذكر هذا الحديث : انظروا إلى فضل الصديق على الفاروق ، هذا فى مقام المجاهدة ، وهذا فى بساط المشاهدة ، وكذلك ما كان منه يوم بدر ، وقد ذكرنا مقالته للنبى عليه السلام ذلك اليوم ، وهو معه فى العريش ، وكذلك فى أمر الصدقة حين رغب رسول الله صلى الله عليه وسلم — فيها ، فجاء عمر بنصف ماله ، وجاء الصديق بجميع ماله ، فقال له النبى عليه السلام : ما أبقيت لأهلك ؟ قال : الله ورسوله ، وكذلك فعله فى قسم الفىء حين سوى بين المسلمين ، وقال : هم إخوة ، أبوهم الإسلام ، فهم فى هذا الفىء أسوة ، وأجور أهل السوابق على الله . وفضل عمر فى قسم الفىء بعضهم على بعض على حسب سوابقهم ، ثم قال فى آخر عمره : لئن بقيت إلى قابل لأسوين بين الناس ، وأراد الرجوع إلى رأى أبى بكر ، ذكره أبو عبيد رضى الله عنه ، وعن جميع أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم —

ماحدث للناس عقب وفاته :ومن ذلك ماروى عن عائشة رضى الله عنها وغيرها من الصحابة أن النبى صلى الله عليه وسلم لما قبض ، وارتفعت الرنة وسجى رسول الله صلى الله عليه وسلم الملائكة ، دهش الناس ، وطاشت عقولهم وأفحموا ، واختلطوا ، فمنهم من خبل ، ومنهم من أصمت ، ومنهم من أقعد إلى أرض ، فكان عمر ممن خبل وجعل يصيح ، ويحلف ما مات رسول الله — صلى الله عليه وسلم — وكان ممن أخرس عثمان بن عفان حتى جعل يذهب به ويجاء ، ولا يستطيع كلاما ، وكان ممن أقعد : على ، رضى الله عنه ، فلم يستطع حراكاً ، وأما عبد الله بن أنيس ، فأضنى حتى مات كمداً ، وبلغ الخبر أبا بكر رضى الله عنه ، وهو بالسنح ، فجاء وعيناه تهملان ، وزفراته تتردد فى صدره ، وغصصه ترتفع كقطع الجرة ، وهو فى ذلك رضوان الله عليه ، جلد العقل والمقالة ، حتى دخل على رسول الله — صلى الله عليه وسلم — فأكب عليه ، وكشف وجهه ومسحه وقبل جبينه ، وجعل يبكى ، ويقول : بأبى أنت وأمى طبت حياً وميتاً ، وانقطع لموتك مالم ينقطع لموت أحد من الأنبياء من النبوة،فعظمت عن الصفة ،وجللت عن البكاء ، وخصصت حتى صرت مسلاة ، وعممت حتى صرنا فيك سواء ، ولو أن موتك كان اختياراً لجدنا لموتك بالنفوس ، ولولا أنك نهيت عن البكاء لأنفدنا عليك ماء الشئون ، فأما ما لا نستطيع نفيه فكمد وإد ناف يتحالفان لا يبرحان ، اللهم أبلغه عنا ، اذكرنا يا محمد عند ربك ، ولنكن من بالك ، فلولا ما خلفت من السكينة ، لم تقم لما خلفت من الوحشة ، اللهم أبلغ نبيك عنا ، واحفظه فينا ، ثم خرج لما قضى الناس غمراتهم ، وقام خطيباً فيهم بخطبة

. . . .

جلها الصلاة على النبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقال فيها : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وخاتم أنبيائه وأشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الدين كما شرع، وأن الحديث كما حدث وأن القول كما قال ، وأن الله هو الحق المبين، فى كلام طويل، ثم قال: أيها الناس من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لم يمت، وأن الله قد تقدم لكم فى أمره ، فلا تدعوه جزعاً ، وأن الله تبارك وتعالى قد اختار لنبيه عليه السلام ما عنده على ما عندكم ، وقبضه إلى ثوابه ، وخلف فيكم كتابه وسنة نبيه ، فمن أخذ بهما عرف ، ومن فرق بينهما أنكر « يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط » ولا يشغلنكم الشيطان بموت نبيكم ولا يلفتنكم عن دينكم ، وعاجلوا الشيطان بالخزى تعجزوه، ولا تستنظروه فيلحق بكم . فلما فرغ من خطبته ، قال : يا عمر أأنت الذى بلغنى عنك أنك تقول على باب نبى الله ، والذى نفس عمر بيده : ما مات نبى الله ، أما علمت أن رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم قال يوم كذا : كذا، وكذا، وقال الله عز وجل فى كتابه : « إنك ميت وإنهم ميتون » فقال عمر : والله لكأنى لم أسمع بها فى كتاب الله تعالى قبل الآن لما نزل بنا ؛ أشهد أن الكتاب كما نزل ، وأن الحديث كما حدث ، وأن الله تبارك وتعالى حى لا يموت إنا لله وإنا إليه راجعون صلوات الله على رسوله ، وعند الله نحتسب رسوله . وقال عمر فيما كان منه :

لعمرى لقد أيقنت أنك ميت	ولكنما أبدى الذى قلته الجزع
وقلت يغيب الوحى عنا لفقده	كما غاب موسى، ثم يرجع كما رجع
وكان هواى أن تطول حياته	وليس لحى فى بقا ميت طمع
فلما كشفنا البرد عن حر وجهه	إذا الأمر بالجزع الموهب قد وقع
فلم تك لى عند المصيبة حيلة	أرد بها أهل الشماتة والقذع
سوى آذن الله فى كتابه	وما آذان الله العباد به يقع
وقد قلت من بعد المقالة قولة	لها فى حلوق الشامتين به بشع
ألا إنما كان النبى محمد	إلى أجل وافى به الوقت فانقطع
ندين على العلات منا بدينه	ونعطى الذى أعطى، ونمنع ما منع
ووليت محزونا بعين سخينة	أكفكف دمعى والفؤاد قد انصدع
وقلت لعينى : كل دمع ذخرته	فجودى به إن الشجى له دفع

وفى هذا الخبر أن عمر قال : فعقرت إلى الأرض ، يعنى حين قال له أبو بكر ما قال ، يقال : عقر الرجل إذا سقط إلى الأرض من قامته ، وحكاه يعقوب عفر بالفاء كأنه من العفر وهو التراب ، وصوب ابن كيسان الروايتين ، وقالت عائشة ــ رضى الله عنها ـ توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فلو نزل بالجبال الصم ما نزل بأبى لهاضها ، ارتدت العرب واشرأب النفاق فما اختلفوا فى نقطة إلا طار أبى بحظها وغنائها ، ويروى فى بقطة بالباء قاله الهروى فى الغريبين وفسره باللمعة ، ونحوها ، واستشهد بالحديث فى النهى عن بقط الأرض ، وهو أن يقطع شجرتها فتتخذ بقعا للزرع ، وبقطها ضرب من المخابرة قد فسره .

كيفية الصلاة على جنازته عليه السلام : ذكر ابن إسحاق وغيره أن المسلمين صلوا عليه أفذاذاً ، لا يؤمهم أحد، كلما جاءت طائفة صلت عليه ، وهذا خصوص به صلى الله عليه وسلم ، ولا يكون هذا الفعل إلا عن توقيف ، وكذلك روى أنه أوصى بذلك ، ذكره الطبرى مسنداً ، ووجه الفقه فيه أن الله تبارك وتعالى افترض الصلاة عليه بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما ، وحكم هذه الصلاة التى تضمنتها الآية ألا تكون بإمام ، والصلاة عليه عند موته داخلة فى لفظ الآية

وهى متناولة لها ، وللصلاة عليه على كل حال، وأيضا فإن الرب تبارك وتعالى ، قد أخبر أنه يصلى عليه وملائكته ، فإذا كان الرب تعالى هو المصلى والملائكة قبل المؤمنين ، وجب أن تكون صلاة المؤمنين تبعاً لصلاة الملائكة ، وأن تكون الملائكة هم الإمام ، والحديث الذى ذكرته عن الطبرى فيه طول ، وقد رواه البزار أيضا من طريق مرة عن ابن مسعود ، وفيه أنه حين جمع أهله فى بيت عائشة - رضى الله عنها - أنهم قالوا : فمن يصلى عليك يارسول الله ؟ قال فهلا غفر لكم وجزاكم عن نبيكم خيراً ، فبكينا وبكى النبى - صلى الله عليه وسلم - فقال : إذا غسلتمونى ، وكفنتمونى ، فضعونى على سريرى فى بيتى هذا على شفير قبرى ثم أخرجوا عنى ساعة ، فإن أول من يصلى على جليسى وخليلى جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت مع جنوده ، ثم الملائكة بأجمعها ، ثم ادخلوا على فوجا بعد فوج ، فصلوا على وسلموا تسليما ، ولا تؤذونى بتزكية ، ولا ضجة ، ولا رنة وليبدأ بالصلاة على رجال بيتى ثم نساؤهم ، وأنتم بعد اقرؤا أنفسكم السلام منى ، ومن غاب من أصحابى فاقرءو منى السلام ، ومن تابعكم بعدى على دينى ، فاقرءوه منى السلام ، فإنى أشهدكم أنى قد سلمت على من تابعنى على دينى من اليوم إلى يوم القيامة ، قلت : فمن يدخلك قبرك يارسول الله ؟ قال : أهلى مع ملائكة كثير يرونكم من حيث لا ترونهم .

رزء أهل الاسلام بموته: فصل : وكان موته عليه السلام خطبا كالحا ، ورزءاً لأهل الإسلام فادحا ، كادت تهد له الجبال وترجف الأرض ، وتكسف النيرات ، لانقطاع خبر السماء ، وفقد من لا عوض منه ، مع ما آذن به موته - عليه السلام - من الفتن السحم ، والحوداث الوهم ، والكرب المدلهمة ، والهزاهز المضلعة . فلولا أنزل الله تبارك وتعالى من السكينة على المؤمنين ، وأسرج فى قلوبهم من نور اليقين ، وشرح صدورهم من فهم كتابه المبين لانقصمت الظهور ، وضاقت عن الكرب الصدور ، ولعاقهم الجزع عن تدبير الامور ، فقد كان الشيطان أطلع إليهم رأسه ، ومد إلى إغوائهم مطامعه ، فأوقد نار الشنآن ، ونصب راية الخلاف ، ولكن أبى الله تبارك وتعالى إلا أن يتم نوره ، ويعلى كلمته وينجز موعوده ، فأطفأ نار الردة ، وحسم قادة الخلاف والفتنة على يد الصديق رضى الله عنه ، ولذلك قال أبو هريرة : لولا أبو بكر لهلكت أمة محمد عليه السلام بعد نبيها ، ولقد كان من قدم المدينة يومئذ من الناس إذا أشرفوا عليها سمعوا لأهلها ضجيجاً ، وللبكاء فى جميع أرجائها عجيجاً ، حتى صحلت الحلوق ، ونزفت الدموع وحق لهم ذلك ، ولمن بعدهم ، كما روى عن أبى ذؤيب الهذلى ، واسمه : خويلد بن خالد وقيل ابن محرث قال : بلغ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عليل فاستشعرت حزناً وبت بأطول ليلة لا ينجاب ديجورها ، ولا يطلع نورها فظللت أقاسى طولها ، حتى إذا كان قرب السحر أغفيت ، فهتف بى هاتف ، وهو يقول :

خطب أجل أناخ بالإسلام بين النخيل ومعقد الآطام

قبض النبى محمد فعيوننا تذرى الدموع عليه بالتسجام

قال أبو ذؤيب : فوثبت من نومى فزعاً ، فنظرت إلى السماء ، فلم أر إلا سعد الذابح ، فتفاءلت به ذبحاً يقع العرب ، وعلمت أن النبى - صلى الله عليه وسلم - قد قبض ، وهو ميت من علته ، فركبت ناقتى وسرت ، فلما أصبحت طلبت شيئاً أزجر به ، فعن لى شيهم ، يعنى : القنفذ قد قبض على صل ؛ يعنى : الحية ، فهى تلتوى عليه ، والشيهم يقضمها حتى أكلها ، فزجرت ذلك ، وقلت : شيهم شىء مهم ، والتواء الصل التواء الناس عن الحق على القائم بعد النبى صلى الله عليه وسلم - ثم أكل الشيهم إياها غلبة القائم بعده ؛ فحثثت ناقتى ، حتى إذا كنت بالغابة زجرت الطائر فأخبرنى بوفاته ، ونعب غراب سانح فنطق مثل ذلك فتعوذت بالله من شر ما عن لى فى طريقى وقدمت المدينة ولها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج ، إذا أهلوا بالإحرام

• • • • • • • • • • • • • • • • • • • •

قلت : مه ؟ فقالوا : قبض رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فجئت المسجد فوجدته خاليا ، فأتيت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأصبت بابه مرتجا ، وقيل هو مسجى قد خلا به أهله فقلت : أين الناس ؟ فقيل : فى سقيفة بنى ساعدة ، صاروا إلى الأنصار ، فجئت إلى السقيفة فأصبت أبا بكر وعمر وأبا عبيدة بن الجراح وسالماً وجماعة من قريش ، ورأيت الأنصار فيهم سعد بن عبادة ، وفيهم شعراؤهم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وملأ منهم ، فآويت إلى قريش ، وتكلمت الأنصار ، فأطالوا الخطاب وأكثروا الصواب وتكلم أبو بكر رضى الله عنه ، فلله دره من رجل لا يطيل الكلام ويعلم مواضع فصل الخطاب ، والله لقد تكلم بكلام لا يسمعه سامع إلا انقاد له ، ومال إليه ، ثم تكلم عمر ، رضى الله عنه ، بعده دون كلامه ، ومد يده ، فبايعه وبايعوه ، ورجع أبو بكر ؛ ورجعت معه . قال أبو ذؤيب فشهدت الصلاة على محمد صلى الله عليه وسلم ، وشهدت دفنه ، ثم أنشد أبو ذؤيب يبكى النبى صلى الله عليه وسلم :

لما رأيت الناس فى عسلانهم ... من بين ملحود له ومضرح
متبادرين لشرجع بأكفهم ... نص الرقاب لفقد أبيض أروح
فهناك صرت إلى الهموم، ومن يبت ... جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها ... وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت أجبال يثرب كلها ... ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته ... بمصابه ، وزجرت سعد الأذبح

وقال أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب يبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أرقت فبات ليلى لا يزول ... وليل أخى المصيبة فيه طول
وأسعدنى البكاء وذاك فيما ... أصيب المسلمون به قليل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت ... عشية قيل : قد قبض الرسول
وأضحت أرضنا مما عراها ... تكاد بنا جوانبها تميل
فقدنا الوحى والتنزيل فينا ... يروح به ويغدو جبرئيل
وذاك أحق ما سالت عليه ... نفوس الناس أو كربت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنا ... بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا ... علينا والرسول لنا دليل
أفاطم إن جزعت فذاك عذر ... وإن لم تجزعى ، ذاك السبيل
فقبر أبيك سيد كل قبر ... وفيه سيد الناس الرسول

ولما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفن ورجع المهاجرون والأنصار إلى رحالهم ورجعت فاطمة إلى بيتها اجتمع إليها نساؤها ، فقالت :

اغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
فالأرض من بعد النبى كئيبة ... أسفاً عليه كثيرة الرجفان
فليبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يمان
وليبكه الطود المعظم جوه ... والبيت ذو الأستار والأركان
ياخاتم الرسل المبارك ضوؤه ... صلى عليك منزل القرآن

. . . .

الاختلاف فى كفنه : فصل : وأما الاختلاف فى كفنه عليه السلام كم ثوباً كان ، وفى الذين أدخلوه قبره ونزلوا فيه : فكثير ، وأصح ماروى فى كفنه أنه كفن فى ثلاثة أثواب بيض سحولية ، وكانت تلك الأثواب من كرسف (قطن) وكذلك قميصه عليه السلام كان من قطن ، ووقع فى السيرة من غير رواية البكائى أنها كانت إزاراً ورداء ، ولفافة ، وهو موجود فى كتب الحديث وفى الشروحات ، وكانت اللبن التى نضدت عليه فى قبره تسع لبنات .

وذكر ابن إسحاق فيمن ألحده شقران مولاه ، واسمه : صالح ، وشهد بدراً ، وهو عبد قبل أن يعتق ، فلم يسهم له ، انقرض عقبه فلا عقب له .

وذكر ابن إسحاق مراثى حسان فى النبى صلى الله عليه وسلم ، وليس فيها ما يشكل فنشرحه ، وقد رثاه كثير من الشعراء وغيرهم ، وأكثرهم أفحمهم المصاب عن القول ، وأعجزتهم الصفة عن التأبين ، ولن يبلغ بالإطناب فى مدح ولا رثاء فى كنه محاسنه عليه السلام ولا قدر مصيبة فقده على أهل الإسلام ، فصلى الله عليه وعلى آله صلاة تتصل مدى الليال والأيام ، وأحله أعلى مراتب الرحمة والرضوان والإكرام ، وجزاه عنا أفضل ماجزى به نبياً عن أمته ، ولا خالف بنا عن ملته ، إنه ولى الطول والفضل والإنعام ، وهو حسبنا ونعم الوكيل ، والحمد لله رب العالمين .

* * *

الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أولياء الله .

أما بعد : فقد تم بعون الله الجزء الرابع من كتاب : (الروض الأنف ، (للإمام الفقيه المحدث أبى القاسم عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد بن أبى الحسن الخثعمى المعروف بالسهيلى نسبة إلى بلده . وهذا الكتاب شرح للسيرة النبوية للإمام أبى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى الحميرى البصرى الأصل

﴿ وقد تم الكتاب بانتهاء الجزء الرابع ﴾

فهارس الجزء الرابع

أولا : فهرس كتاب السيرة النبوية . الموجود فوق الجدول

(تمت فهرست السيرة)

ثانيا : فهرس الروض الأنف الموجود تحت الجدول

(تمت فهرست الروض الأنف)

رقم الايداع بدار الكتب ١٧٢١ / ١٩٧٣